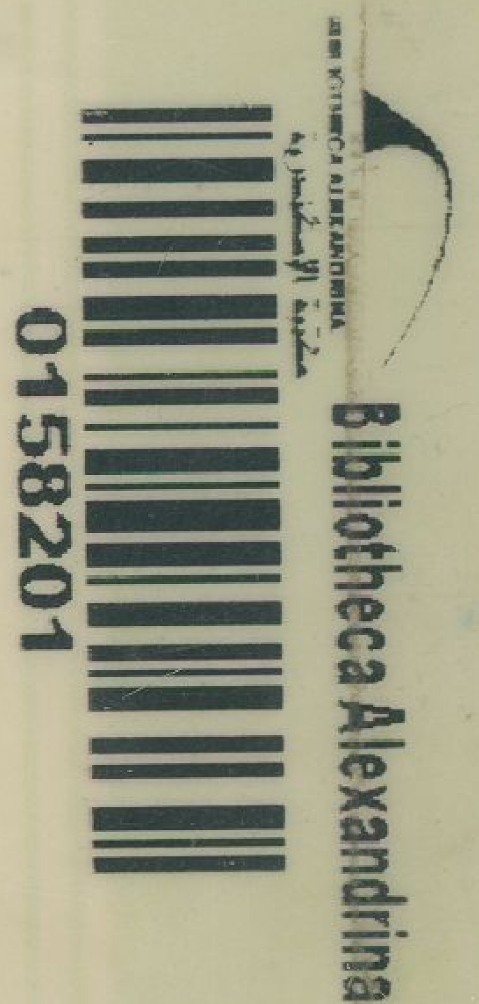
دكتور
عبد الباسط محمد حسن
أستاذ ورئيس قسم الاجتماع
وعميد كلية الدراسات الانسانية
ومدير المركز الاسلامى لدراسات المرأة والتنمية
جامعة الأزهر



أصول البحث الاجتماعي



الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

أصول البحث الاجتماعي

دكتور
عبد الباسط محمد حسن
أستاذ ورئيس قسم الدراسات الاجتماعية والنفسية
وعميد كلية الدراسات الانسانية
بجامعة الازهر

الطبعة الحادية عشر

١٩٩٠

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الحادية عشر
١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م

إهــداء

الى الذين يقفون الى جوارى يمدوننى بعـــونهم وتأييدهم ويشجعوننى على الدراسة والبحث ، مقدرين فى صبر الجهد الذى يبذل فى الدراســـة ، والوقت الذى ينفق فى البحث .

الى زوجتى واولادى اهــدى هــذا الكتاب .

المؤلف

● درجاته العلمية :

حصل على ليسانس الآداب من جامعة الاسكندرية ، قسم التاريخ الحديث ، عام ١٩٥٠ ، وكان ترتيبه الأول (الدرجة الخاصة) .

حصل على دبلوم فى التربية وعلم النفس من معهد التربية العالى للمعلمين باسكندرية ، عام ١٩٥١ ، وكان ترتيبه الثانى .

حصل على الماجستير من كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، عام ١٩٥٦ ، بمرتبة الشرف الاولى .

حصل على الدكتوراة فى علم الاجتماع Major ، وعلم النفس وعلم النفس الاجتماعى Minors من جامعة بيردو Purdue بالولايات المتحدة الامريكية ، عام ١٩٦١ .

والمؤلف استاذ ورئيس قسم الدراسات الاجتماعية والنفسية ، وعميد كلية الدراسات الانسانية بجامعة الازهر .

● من مؤلفاته بالعربية :

١ ـ اصول علم الاجتماع ، بالاشتراك ، مطبعة لجنة البيان العربى ، يناير ١٩٦٢ .

٢ ـ المشكلات النفسية والاجتماعية للطلبة الوافدين ، صحيفة التربية ، السنة الرابعة عشرة ، العدد الرابع مايو ١٩٦٢ .

٣ ـ اصول البحث الاجتماعى مطبعة لجنة البيان العربى ، ١٩٦٣ ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٦ ، ١٩٧١ ، مكتبة وهبة ١٩٧٥ ، ١٩٧٦ ، ١٩٧٧ ، ١٩٨٠ ، ١٩٨٢ ، ١٩٨٥ .

٤ ـ قراءات فى الخدمة الاجتماعية ، بالاشتراك ، دار القاهرة الحديثة ، ١٩٦٠ .

٥ — حى المطارين : دراسة اجتماعية عن مدينة الاسكندرية ، بالاشتراك مع مركز البحوث الاجتماعية بالاسكندرية ، مطبعة جمعية الحرية ، ١٩٦٤ .

٦ — محاضرات فى تاريخ الفكر الاجتماعى الاشتراكى ، ١٩٦٧ .

٧ — التنمية الاجتماعية ، مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٠ ، مكتبة وهبة ١٩٧٦ ، ١٩٧٧ ، ١٩٨٢ .

٨ — البحوث الميدانية وأهميتها فى التخطيط للتنمية الريفية فى العالم العربى : بحث مقدم الى المنظمة الافريقية الآسيوية للانعاش الريفى ، الحلقة الدراسية العربية المنعقدة بالاسكندرية ، مايو ١٩٧٠ ، وقد نشر فى المجلة الاجتماعية القومية ، العدد الثالث ، المجلد السابع ، سبتمبر ١٩٧٠ .

٩ — علم الاجتماع الصناعى ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٢ ، مكتبة غريب ، ١٩٧٨ ، ١٩٨٢ .

١٠ — المعالم الاساسية لسياسة دولة الكويت فى ميادين الاسرة والطفولة والشباب ، تقرير مرفوع الى لجنة السياسة الاجتماعية بمجلس التخطيط ، اللجنة التحضيرية لسياسة الأسرة والطفولة والشباب، بالاشتراك، يونيو ١٩٧٢ .

١١ — دراسة اجتماعية لظروف وأوضاع طلاب المرحلتين المتوسطة والثانوية فى محيط المدرسة والبيت ، وزارة التربية الكويتية ، ادارة الخدمة الاجتماعية ، بالاشتراك ، ١٩٧٣ .

١٢ — انماط السيطرة ، تأليف فيليب مايسون ، عرض وتحليل ، مجلة عالم الفكر الكويتية ، المجلد الرابع ، العدد الثانى ، ١٩٧٣ .

١٣ — السياسة الحضرية ، تأليف مرى ستيدمان ، عرض وتحليل ، مجلة عالم الفكر الكويتية ، المجلد الخامس ، العدد الاول ، ١٩٧٤ .

١٤ — شباب الجامعة والقيم الدينية ، استفتاء أجرى فى جامعة الكويت، مجلة العربى ، العدد ١٩١ ، أكتوبر ١٩٧٤ .

١٥ ـ علم الاجتماع والتوجيه الأيديولوجي ، تقديم كتاب الدكتور نبيل السمالوطي : الأيديولوجيا وأزمة علم الاجتماع المعاصر ،الهيئة العامةللكتاب، ١٩٧٥ .

١٦ ـ الصهيونية : دراسة تاريخية وفكرية ، بالاشتراك ، مطبعة الجبلاوي ، ١٩٧٥ .

١٧ ـ ثورة ٢٣ يوليو والتطوير الايديولوجي ، بالاشتراك ، مطبعة الجبلاوي ، ١٩٧٥ .

١٨ ـ تشارلز رايت ملز وفلسفة البحث في علم الاجتماع ، مجلة عالم الفكر الكويتية ، المجلد السادس ، العدد الثاني ١٩٧٥ .

١٩ ـ المدخل التكاملي في دراسة المجتمع العربي ، بحث مقدم الى حلقة العمل لوضع الخطوط العريضة لمؤلف في المجتمع العربي المنعقدة بجامعة الموصل بالعراق في الفترة ما بين ١ ـ ٤ نوفمبر ١٩٧٥ .

٢٠ ـ دور الجامعات في التنمية ، مجلة اتحاد الجامعات العربية ، العدد الثامن ، سبتمبر ١٩٧٥ .

٢١ ـ مكانة المرأة في التشريع الاسلامي ، مجلة عالم الفكر الكويتية ، المجلد السابع ، العدد الاول ، ١٩٧٦ .

٢٢ ـ الهجرة والتغير القيمي ، تقديم كتاب : سيدة ابراهيم سعد ، الهجرة الداخلية الى مدينة القاهرة ، المركز الدولي الاسلامي للدراسات والبحوث السكانية ، ١٩٧٦ .

٢٣ ـ دراسات في التنمية الريفية المتكاملة ، بالاشتراك ، مكتبة الخانجي بمصر ، ١٩٧٧ .

٢٤ ـ علم الاجتماع ، الكتاب الأول ، المدخل ، مكتبة غريب بالقاهرة ، ١٩٧٧ ، ١٩٨٢ .

٢٥ ـ ملامح النمو الحضري في العالم العربي ، مجلة تنمية المجتمع ، العدد الخامس ، سبتمبر ـ أكتوبر ، ١٩٧٧ .

٢٦ ـ علم الاجتماع الاسلامي ، بحث ألقي في ندوة الدراسات الاسلامية المنعقدة بجامعة أم درمان الاسلامية في الفترة ما بين ١١ ـ ١٨فبراير١٩٧٨ .

٢٧ ـ الاسلام والعمل اليدوي ، بحث ألقى في مؤتمر اتجاهات المجتمع المصري نحو العمل اليدوي في الفترة ما بين ٩ ـ ١٦ ديسمبر ١٩٧٨ ، من منشورات مركز دراسات المرأة والتنمية (بحوث ودراسات : العدد رقم ٣) .

٢٨ — بناء الانسان المصرى فى مرحلة السلام ، بحث ألقى فى مؤتمر « التنمية الاجتماعية فى مرحلة السلام » فى الفترة ما بين ٢١ — ٢٣ مايو١٩٧٩، من منشورات مركز دراسات المرأة والتنمية (بحوث ودراسات . العدد رقم ٥) .

٢٩ — التعليم والتنمية الاقتصادية ، مجلة التربية ، اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم ، السنة الثامنة ، العدد الثالث والثلاثون يونيو ١٩٧٩ .

٣٠ — ديناميات السكان وعلاقتها بتخطيط التعليم فى البلاد العربية، مجلة التربية ، اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم ، السنة التاسعة ، العدد السابع والثلاثون ، يناير ١٩٨٠ .

٣١ — علم الاجتماع السياسى ، تقديم كتاب : الحرية والفكر السياسى المصرى للدكتور عاطف احمد فؤاد : دار المعارف ، ١٩٨٠ .

٣٢ — التنمية الاجتماعية فى المجتمع الكويتى ، تقديم كتاب : التنمية الاجتماعية وأثرها فى توطين البدو فى الكويت ، للسيدة هند النقيب ، منشورات دار ذات السلاسل ، الكويت ، ١٩٨١ .

٣٣ — جمال الدين الافغانى وأثره فى العالم الاسلامى الحديث ، مكتبة وهبة ، ١٩٨٢ .

٣٤ — المثقفون والحرية ، مجلة العربى ، العدد ٣٠١ ، سنة ١٩٨٣ .

٣٥ — دراسات الشخصية العربية فى ميزان النقد العلمى ، مجلة كلية الدراسات الانسانية ، جامعة الازهر ، العدد الثانى ، ١٩٨٤ .

● من مؤلفاته بالانجليزية :

1) Social Interaction Between Foreign Students and Americans in a Mid-Western Community (Ph. D. Dissertation) june, 1961.
2) Attitudes of America Educated Foreign Students Toward American Democratic Orientation, American Journal of Social Psychology, August, 1962.
3) A Theoretical Discussion of Issues in Trans-Cultural Research, International Mental Health Research Newsletter, 1964.
4) Islam and Community Basic Services for children, with Dr. Hoda Badran, Centre For Studies on women and Development, Research and Studies, 1979.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

يشهد المجتمع العربى فى هذه المرحلة الحاسمة من تاريخه نهضة واسعة النطاق فى مختلف المجالات والميادين . وتتميز هذه النهضة بأنها تقوم على أساس من البحث العلمى ، والدراسة الموضوعية الهادفة .

وقد أخذت أغلب الدول العربية بسياسة التخطيط لتطوى مسافة التخلف بينها وبين الدول التى سبقتها فى مجالات التقدم ، وتعمل على تحقيق معدلات سريعة للتنمية ، فى أقصر وقت مستطاع ، وبأقل تكلفة ممكنة ، وبأدنى قدر من الضياع فى الموارد المادية والبشرية . ولما كان من الضرورى أن ينبثق التخطيط من نظرة المجتمع الى واقعه ، ومن تقديره لظروفه الراهنة ، فان البحث العلمى يصبح ضرورة لا غنى عنها لكل تخطيط سليم . فعلى ضوء البيانات الدقيقة التى يجمعها الباحثون ، يمكن تكوين صورة صادقة عن أوضاع المجتمع ، والتعرف على الاحتياجات الاساسية للافراد والجماعات ، ووضع السياسة الاجتماعية على أساس علمى سليم .

وكما أننا فى حاجة الى البحث العلمى للتخطيط لحياة أفضل ، فنحن فى حاجة اليه لمواجهة مشكلات التغير الاجتماعى . فمجتمعاتنا اليوم تشهد تغيرات سريعة فى كافة المجالات وعلى كل المستويات . ومع التغيرات السريعة تزداد المشكلات الاجتماعية ، ولابد من ايجاد حلول جذرية لهذه المشكلات حتى تواصل المجتمعات مسيرتها نحو التقدم والنمو . ووسيلتنا الى ذلك هى الاعتماد على البحوث العلمية ، فعن طريق النتائج التى نتوصل اليها ، يمكن التنبؤ بالمشكلات ، والتعرف على العوامل المؤدية اليها ، ووضع البرامج الوقائية والعلاجية الكفيلة بمواجهتها والتغلب عليها .

ومع حاجتنا الى البحث الاجتماعى للتخطيط لحياة أفضل ، ولمواجهة مشكلات التغير الاجتماعى ، فلا غنى لنا عن البحث العلمى البحت الذى يهدف الى اثراء العلم بالحقائق والنظريات ، والذى يهيىء لنا فرصة

المساهمة الايجابية مع العالم فى العلم للعلم .. والبحث النظرى الى جانب تنمية النظرية ، لايعيش منعزلا عن الجانب العملى ، ولا يمكن أن ينفصل عن التطبيق . فمن طريقه يستطيع الباحث أن يستنبط المبـادىء والقوانين المنظمة لظواهر الحياة ، وبمعرفة القوانين يستطيع الانسان أن يتنبأ بما يحدث للظواهر المختلفة تحت ظروف معينة ، وبتطبيق القوانين يستطيع الانسان أن يساهم فى حل المشكلات الاجتماعية ، ويتحكم فى توجيه ظواهر الحياة لخدمة الانسانية جمعاء .

ويرى فريق من المفكرين أن تقتصر البحوث العلمية فى الجامعات ومراكز البحث العلمى على الجوانب النظرية التى تستهدف تقديم اضافات مبتكرة الى العلم دون ما نظر الى ما قد يترتب على البحث من تطبيقات عملية . فالعلم – فى نظرهم – لا يحقق تقدما ملموسا الا اذا كانت أهدافه نظرية مجردة ، كما أن الباحث الأكاديمى كلما بعد عن مشـكلات السياسة العملية كانت الحقائق التى يتوصل اليها أكثر صدقا ودقة وموضوعية .

اما الفريق الآخر فيرى أن أهمية العلم تبدو من خلال مساهمته فى حل مشكلات الحياة الواقعية ، ولذا فانهم يطالبون باشتراك الجامعات ومراكز البحث العلمى فى البحوث التطبيقية التى تفيد فى عمليات التخطيط للتنمية ، وفى ايجاد الحلول للمشكلات الكبرى التى يواجهها المجتمع .

وفى نظرنا أنه مع أهمية البحث الأكاديمى فى اثراء العلم بالحقـائق والنظريات ، فان القيمة الحقيقية للعلم — سواء كان علما طبيعيا او اجتماعيا — لا تقاس الا بمقدار أدائه لوظيفته الاجتماعية ، كما أن الباحثين فى المجتمعات النامية عليهم مسـئولية كبيرة تجاه بلادهم . فهم مواطنون أولا وأخيرا ، ومجتمعاتهم التى تعيش فترة الصحوة الكبرى تنتظر منهم الكثير . والجامعات ومراكز البحث العلمى – باعتبـارها مؤسسـات أساسية فى المجتمع – لا تستطيع أن تقف موقفـا جامدا ازاء المشـكلات الاقتصادية والاجتماعية التى تواجهها البلاد ، والتى تعترض طريق البناء والتقدم . ولذا فانها مطالبة فى هذه المرحلة بالزاوجة بين البحوث الأكاديميـة والبحوث التطبيقية .

ومن الضرورى أن يكون هناك تنسيق بين الجامعات وبين مراكز البحث العلمى ومختلف الهيئات والمؤسسات التى تساهم فى عملية البحث او فى تشجيعه . فمن طريق هـذا الاتصال والتفاعل الخلاق يمكن تنفيذ مشاريع البحث بصورة جماعية ومثمرة .

ونظرا للأهميـــة الكبرى التى تعلقها الدولة والهيئات والافــراد على البحوث الاجتماعية ، ونظرا لحاجة طلاب الجامعات والكليات والمعاهد العليا والعاملين فى الميدان الإجتماعى الى كتاب شامل يعرض للتصـــميم المنهجى للبحوث الاجتماعية ، ويتناول قواعد البحث الاجتماعى ومناهجه وأدواتــه بالدراسة والعرض والتحليل ، فقــد رأيت أن أزود المكتبة العربية بهذا المؤلف أملا أن يفى ببعض الغرض ، وأن يسد بعض وجوه النقص فى هذا الميدان .

ويمضى الكتاب طبقا لخطة موضوعة قوامها التعريف بالبحث الاجتماعى من زاوياه المختلفة ، وذلك بمراعاة الجانب المنطقى ، والجانب التاريخى ، والجانب المنهجى ، والجانب التطبيقى فى البحوث الاجتماعية .

ومن أجل تحقيق هذه الغاية تبدأ فصـــول الكتاب بالتعريف بالمنهج العلمى ، وقواعده المنطقية ، مقارنة طبيعة المعـــرفة العلميـــة ، وخطوات المنهج العلمى ، وخصائص القوانين والنظريات العلمية ، ومدى الفـــائدة النظرية والعملية التى تحققها للعلم والمجتمع .

ثم تمضى فصول الكتاب لتعرض لتاريخ التفكير العلمى فى الشرق والغرب على السواء فى العصور القديمة والوسطى محاولة أن تبرز الدور الذى قام به قدماء المصريين والاغريق والعرب ، ثم تنتقل الى بيان الاتجاهات العلمية فى العصر الحديث والتى تعتبر امتدادا لما سبقها من محاولات .

ولما كانت العلوم الطبيعية هى التى بدأت باستخدام المنهج العلمى ، وساعدها ذلك المنهج على فهم ظواهر الطبيعة ، وتسخيرها لخدمة الانسان، فقد طالب المفكرون الاجتمـــاعيون بضرورة الاســـتعانة بالمنهج العلمى فى الدراسة والبحث للوصول الى نتائج مماثلة تســـاعدهم على فهم ظواهر الاجتماع ، وعلى هـــذا الاساس تمضى بنا فصـــول الكتاب لتعرض لدعوة المفكرين الاجتماعيين الى استخدام ذلك المنهج فى الدراسات الاجتماعية .

ولما كانت الظواهر الاجتماعية لها طبيعة خاصة تميزها عن غيرها من الظواهر البيولوجية والطبيعية ، فان التصور المتكـــامل للواقع الاجتماعى يقتضى استخدام منهج تكاملى يأخذ فى اعتباره كافة الوقائع الاجتمـــاعية بجوانبها المتعددة ، وعلاقاتها المتشـــابكة . ولذا ينتقل الكتاب الى التعريف بالمنهج التكاملى فى دراسة المجتمع ، ويعرض للابعاد الاســـاسية فى الدراسة وهى : البعد الايكولوجى ، والبعد البشرى ، والبعد الاجتماعى ، والبعـــد الثقافى ، والبعد التاريخى .

وتمضى فصــول الكتاب بعد ذلك الى التعريف بالنواحى المنهجية . لتعرض لتصميم البحوث الاجتماعية عرضا تفصيليا يبين ماهية التصميم وأهميته وخطواته والجوانب التى ينصب عليهـا التصـميم المنهجى للبحث . وكذا أنواع البحوث الاجتماعية التى يمكن اجراؤها من بحوث استطلاعية الى بحوث وصفية الى بحوث تجريبية .

ثم تنتقل الى التعريف بالمناهج الرئيسية التى يمكن استخدامها فى الدراسة والبحث ، كالمسـح الاجتماعى ، ومنهج دراسة الحـالة ، والمنهج التاريخى ، والمنهج التجريبى ، مبينة نواحى القوة والضعف فى كل منهج .

وينتقل الكتاب بعد ذلك الى التعريف بالادوات الرئيسية التى تستخدم فى جمع البيانات ، فيبـدأ بالأدوات التى تسـتخدم فى البحوث الميدانية كالملاحظة ، والاسـتبيان ، والمقـابلة ، ومقاييس العـلاقات الاجتمـاعيه والاتجاهات والرأى العام ، ثم ينتقل الى عرض الادوات التى يسـتخدمها الباحث دون أن ينزل الى الميدان كتحليل مضمون مادة الاتصال والرجوع الى السجلات الاحصائية .

وتمضى فصول الكتاب بعد ذلك لتعرض لمرحلة جمع البيانات وتصنيفها وتبويبها وتحليلها وتفسيرها وكتابة تقرير البحث ، وبذلك ينتهى العـرض المنهجى لمراحل البحث وخطواته .

ويهتم الكتاب بالناحية التطبيقية الى جانب اهتمامه بالجوانب المنطقية والتاريخية والمنهجية للبحث ، فيتناول بالمناقشة والتحليل كثيرا من البحوث الميدانية التى تعكس حقيقة واقعنا العربى . وبدلا من أن يفرد المؤلف لتلك البحوث فصلا خاصا أو جملة فصول من الكتاب ، فقد حاول أن يجعل الفائدة اعم ، بتوضيح النقاط التى يعرض لها فى فصول الكتاب باعطاء أمثلة من واقع تلك البحوث .

وقد تضمن الكتاب عدة ملاحق للتعريف ببعض أدوات البحث ، وقائمة بالمراجع فى نهاية كل فصل ليرجع اليها من أراد الاسـتزادة .

وحينما فكر المؤلف فى اصدار الكتاب فى طبعتـه الثانية رأى أن يدخل عليه بعض التعديلات ، فأعاد صياغة بعض الفقرات بطريقة تجعلها أكثر وضوحا وفهما ، ودعم بعض الفصول باضافات قليلة تضفى عليها مزيدا من الوضـوح .

وحينما شرع فى اعداد الكتاب للطبعات الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة سنحت الفرصة مرات أخرى لادخال مزيد من الاضافات النظرية بما يتفق مع منطق التطور العلمى ، واضاف عددا من الفصول الجديدة ، وأعاد صياغة بعض الاجزاء بطريقة تجعلها أكثر وضوحا وفهما ، كما رأى أيضا - مواكبة لحركة البحث الاجتماعى العلمى - أن يدعم الكتاب فى طبعاته الجديدة بمزيد من واقع البحوث الجديدة التى أجريت فى البلاد العربية ، والتى ظهرت فى السنين الاخيرة .

ويأمل المؤلف أن يحقق هذا الكتاب بعض ما يرجو ، فيفيد منه الدارس والباحث والعامل فى الميدان ، كما يأمل أن يرسل اليه القراء بملاحظاتهم لتكون موضع النظر والاعتبار عند اعادة طبع الكتاب فيما بعد .

والله ولى التوفيق

يناير ١٩٨٥

عبد الباسط محمد حسن

* * *

الباب الأول

المنهج العلمى فى البحث

مقـــدمة .

الفصـــل الأول : طبيعة المعرفة العلمية

الفصـــل الثانى : خطوات المنهج العلمى

الفصـــل الثالث : القوانين والنظريات العلمية ، خصائصها وأهميتها

الفصـــل الرابع : تاريخ التفكير العلمى

الملخص .

مقدمة

لا علم بغير منهج ، والمنهج العلمى قوامه الاستقراء ، وبالاستقراء توصل العلم الى وضع قوانينه العامة . وبمعرفة قوانين العلم تخلص الانسان من آثار الوهم ، وتحرر من قيود الخرافة . وبتطبيق قوانين العلم تمكن الانسان من أن يسيطر على قوى الطبيعة ويتحكم فى توجيه ظواهرها لخدمة الانسانية .

والمنهج العلمى على الرغم من بساطة جوهره ، لم يكتسب الا بمشقة بالغة . فقد عاش الانسان قرونا طويلة يحصل الوانا من المعارف ، ويصطنع أساليب التفكير بعيدة كل البعد عما نسميه بأساليب التفكير العلمى الصحيح ، ثم تعرضت تلك الأساليب لحملات من النقد المستمر ، بدأها مفكرو الاسلام فى العصور الوسطى ، وتابعها المحدثون من مفكرى أوروبا . وانتهت موجة النقد الى اتخاذ المنهج العلمى القائم على الملاحظة والتجريب ، أداة لدراسة الحقائق الموضوعية ، ووسيلة لتحصيل المعارف العلمية .

ويصف برتراند راسل تطور التفكير العلمى فى عبارة موجزة يقول فيها : « ان العلم — خلال قرون تاريخه القليلة — قد نما داخليا لعله لم يكتمل بعد ، وهذا النمو فى أوجز عبارة هو الانتقال من التأمل الى التحكم » .

ولتفسير هذا الكلام المجمل سنعرض فى هذا القسم للموضوعات الآتية :

طبيعة المعرفة العلمية ، خطوات المنهج العلمى ، القوانين والنظريات العلمية : خصائصها وأهميتها ، تاريخ التفكير العلمى .

***

الفصل الأول

طبيعة المعرفة العلمية

حاول الانسان منذ القدم أن يتعرف على عناصر البيئة المحيطة به ، ويكتشف الكثير من أسرارها ، ويقف على حقيقة القوى الموجهة لها . فالانسان منذ خلق محب للاستطلاع ، كما انه لا يستطيع أن يحيا وسط الظواهر والاشياء دون أن يكون لنفسه عنها بعض الافكار التى تساعده على تحديد سلوكه تجاهها ، والتى تمكنه من القضاء على المشكلات التى تعترض سبيل حياته ، وقد ترتب على هذه المحاولات زيادة حصيلة الانسان من المعرفة وفهمه لكثير من الظواهر المحيطة به .

والمعرفة عبارة عن مجموعة المعانى والتصورات والآراء والمعتقدات والحقائق التى تتكون لدى الانسان نتيجة لمحاولاته المتكررة لفهم الظواهر والاشياء المحيطة به.وهى بهذا المعنى لاتقتصرعلى ظواهرمن لون معين ،وانما تتناول جميع ما يحيط بالانسان وكل ما يتصل به . فمن المعارف ما يتصل بتكوين الانسان البيولوجى والنفسى ، ومنها ما يتصل بعناصر بيئته الطبيعية والاجتماعية والثقافية . ولم تكن هذه الالوان جميعا هدفا لدراسات المفكرين والباحثين فى مختلف العصور ، بل انصرفوا الى دراسة بعض جوانبها دون البعض الآخر . فاليونانيون مثلا كانوا يعنون بطبيعة المادة التى يتكون منها العالم ، وكان مفكرو القرون الوسطى — وخاصة فى الغرب — يهتمون بدراسة المسائل التى يغلب عليها الطابع الدينى ، أما المفكرون المعاصرون فانهم يظهرون الوحدة الأساسية للمعرفة ، ويقبلون على دراسة المسائل أيا كان لونها ، ومهما تكن طبيعتها .

ومفهوم المعرفة ليس مرادفا لمفهوم العلم . فالمعرفة أوسع حدودا ومدلولا ، وأكثر شمولا وامتدادا من العلم . والمعرفة فى شمولها تتضمن معارف علمية ومعارف غير علمية ، ولذا يمكن القول بأن كل علم معرفة، وليست كل معرفة علما . وتقوم التفرقة بين النوعين على أساس قواعد المنهج وأساليب التفكير التى تتبع فى تحصيل المعارف . فاذا اتبع الباحث قواعد المنهج العلمى فى التعرف على الاشياء ، والكشف عن الظواهر ، فان المعرفة حينئذ تصبح علمية .

ويفرق بعض الباحثين بين المعرفة والعلم بتعريفهم العلم بأنه « المعرفة المصنفة » أو « المعرفة المنسقة » (١) . بينما يذهب فريق آخر الى تعريف العلم بأنه عبارة عن « المعرفة المنسقة التى تنشأ من الملاحظة والدراسة والتجريب ، والتى تتم بهدف تحديد طبيعة وأصول الظواهر التى تخضع للملاحظة والدراسة » (٢) .

وفى رأينا أن التعريف الثانى أكثر دقة من التعريف الاول حيث انه يضع فى اعتباره موضوع العلم ، وكذلك المنهج الذى يستخدم فى تحصيل المعارف ، بينما لا يشير التعريف الاول صراحة الى أن تنسيق المعارف أو تصنيفها يتم وفقا لقواعد المنهج العلمى . ولما كان فى استطاعة الانسان أن يصنف معارفه مكتفيا ببعض الانطباعات الحسية البسيطة ، أو بالاعتماد على أساليب التفكير الفلسفى دون الالتجاء الى قواعد المنهج العلمى ، فان من الخطأ اطلاق تعبير العلم على كل لون من ألوان المعارف المصنفة .

والعلم فى نظرنا منهج أكثر مما هو مادة البحث ، ويؤكد كارل بيرسون Karl Pearson هذا الرأى بقوله : كل ميدان علم ما دام يستخدم على نحو متسق قواعد المنهج العلمى (٣) . وكذلك أندروز Andrews اذ يقصر كلمة العلم على المعرفة التى يمكن أن تحقق (٤) .

وللتفرقة بين المعرفة والعلم فاننا نميل الى تعريف العلم بأنه « المعرفة المصنفة التى تم الوصول اليها باتباع قواعد المنهج العلمى الصحيح ، مصاغة فى قوانين عامة للظواهر الفردية المتفرقة » .

والعلم بالصورة التى حددناها يمثل مرحلة متأخرة فى تاريخ التفكير الانسانى . وقد حاول أوجيست كونت أن يثبت أن المعرفة العلمية جاءت متأخرة فى تطور العقل البشرى ، فوضع قانونه المعروف بقانون الأدوار الثلاثة ، وانتهى فيه الى أن المعرفة العلمية كانت ثمرة لعملية بطيئة من النضج العقلى ، استطاع الانسان بعدها أن يتخلص من كل التفسيرات الدينية ، والتفسيرات الفلسفية الميتافيزيقية ، وأن يتجه الى تفسير الظواهر تفسيرا علميا يقوم على ربط الظواهر بعضها ببعض ربطا موضوعيا بحتا .

---

(1) W. Goode, and P. Hatt : Methods in Social Research, 1952, p. 7.

(2) Webst's New Twentieth Century Dictionary of Englands Language, 1960, p. 1622.

(3) K. Pearson : The grammer of Science, 1911.

(4) T. Andrews : Methods of Psychology, 1948, p. 5.

أنواع المعرفة

يمكن تقسيم المعرفة الى ثلاثة أنـــواع :

١ — المعرفة الحسية (التجريبية) .

٢ — المعرفة الفلسفية .

٣ — المعرفة العلمية .

ونعرض فيما يلى لهذه الأنواع الثلاثة بشىء من التفصيل .

أولا — المعرفة الحسية (التجريبية) :

يطلق هذا الاسم على المعرفة التى تقتصر على مجرد ملاحظة الظواهر ملاحظة بسيطة تقف عند مستوى الادراك الحسى العادى دون أن تتجه الى ايجاد الصلات أو تسعى الى ادراك العلاقات القائمة بين الظواهر (١) .

ويمكن التمثيل لهذا النوع بملاحظة الرجل العادى البسيط الذى ينظر الى الكون ، فيرى أن الليل والنهار يتعاقبان ، وانهما ليسا متساويين ، بل يختلفان فى الطول والقصر ، وفى الحرارة والبرودة . فهذه الملاحظات تتم عادة بطريقة حسية تلقائية غير مقصودة ، وهى فى حد ذاتها لا تعين الانسان على معرفة أسباب تعاقب الليل والنهار ، ولا توقفه على معرفة العلاقات القائمة بين حدوث الفصول الاربعة وبين تفاوت درجات الحرارة أو اختلاف طول الليل والنهار ، هذا بالاضافة الى أنها لا تتم بغرض الكشف عن حقيقة علمية ، أو تحقيق غاية نظرية .

وقد لجأت البشرية منذ فجر نشأتها الى هذا اللون من المعرفة فى اكتساب الخبرات ، وتحديد المعانى للمواقف المختلفة . فالرجل البدائى مثلا كان يتعرف على الاشياء بنظره أو بسمعه أو بيده ، فيدرك ما لتلك الاشياء من صفات ، ثم أخذت حصيلته من تجربته الحسية تزداد على مر الايام ، فتكونت لديه خبرات أفادته فى تدبير أموره ، والتغلب على مشكلات حياته . فاذا ما مرض أحد فى بيئته وصف له بعض الاعشاب التى جربها

---

(١) ليفى بريل : فلسفة أوجيست كونت ، ترجمة محمود قاسم والسيد محمد بدوى ، القاهرة ١٩٥٣ ، ص ٦٥ .

وخبر فائدتها من قبل . واذا ما رأى الغيوم تلبدت ، توقع المطـــر . غير أنه لم يكن يدرك سر العلاقة القائمة بين الاعشاب والمرض ، وبين السحاب والمطر ، وما الى ذلك من العلاقات التي تبدو له بين الاشياء .

ولم يستطع الانســـان عن طريق خبرته الحسية ، ومعرفته الذاتيـــة المحدودة ، ان يحيط بكل ما حوله من أمور . فعجز عن فهم بعض ظواهر الطبيعة المألوفة التي تتكرر بين الحين والحين . فالصواعق وكســـوف الشمس ، وخسوف القمر ، والأوبئة والزلازل ، والبراكين هـــذه وأمثـــالها أمور يحللها العلم الحديث ، ويقف على أسرار الكثير منها ، ولكنها لم تكن كذلك قبل أن يهتدى العلم الى أسرارها ، فلم يكن بد من أن ينسبها الانسان الى قوى خارقة فوق الطبيعة ، لها ارادة كارادة الانسان ، وكان يتوسل اليها اذا غضبت لتخفف من بأسها وغضبها ، كما كان يقدم لها القرابين ، ويقيم الشـــعائر ، تقربا اليها ، ودفعا لأذاها ، واظهـــارا لخضـــوعه وتقديسه لها .

ومن الملاحظ أن التفسيرات البدائية للظواهر الطبيعية ، تشبه الى حد كبير تلك التفسيرات التي تتبادر الى اذهان أطفالنا اليوم . فالانسان البدائي يفسر الطبيعة باسقاط عواطفه عليها ، مثله كمثل الطفل حين يخلع على الظواهر صفـــات بشرية ، متأثرا في ذلك بالنزعة التشـــبيهية الســـائدة لديه . فهو يقول ان اله الريح يغضب كما يغضب بنو البشر . وهـــو يفرح ويتألم كما يفرح الناس ويتألمون .

وبمرور الوقت ، وبحـــكم العـــادة ، استفاد الانسان من الخبرات التي اكتسبها بتجاربه المحدودة أو بتجـــارب غيره من النـــاس . فظهرت الآراء الحسية المشتركة بين الناس . ويطلق الانجليز والامريكان على هـــذه الآراء المشتركة Common Sense . ويطلق عليهـــا الفرنسيون Sens Commun وكلاهما معناهما الحرفي « الحس المشترك » وهو تعبير نطق به أرسطو ، لمعنى يختص بالحواس والادراك ، ثم تطور على مر الزمن ليكون مفهومه عند أهل القرون الحديثة الرأي المشترك لا الحس المشترك . ونفضـــل استعمال هذا المفهوم باسم « الرأي البادة المشترك » (١) . فهو باده لانه يأتي بداهة أو بداءة ، دون أن يحتاج الى اداة من علم أو منطق . وهـــو مشترك لان جمهور الناس يشتركون فيه وهم يحكمون على الاشياء .

---

(١) اقترح هذه الترجمة لكلمة «Common Sense» الدكتور أحمد زكي في الباب الاول من كتابه « مع الله .... في السماء » دار الهلال .

وليس من شك فى أن كثيرا من هذه الآراء المشتركة تأتى نتيجة لبعض التجارب الذاتية البسيطة . وتقف عند بعض المواقف العملية المحدودة . وبالرغم من ذلك فانها تنتقل بين النـــاس بحكم العادة ، ويسلمون بها دون فحص أو تمحيص .

والرأى الباده المشترك ليس بالشىء الثابت ، فهو يتغير بتغير المكان والزمان بل قد يتحول الى نقيضـه . فاذا نظرنا الى الامثــال الشـعبية — التى تدخل فى نطاق الرأى الباده المشترك — لوجدنا بينها تناقضـا . مثل يقل له تقريبا ما يعارضه . واذا سلمنا بأن بعضا من هذه الامثال لا يوجد بينها ما يناقضه فاننا لا نستطيع أن نسلم بأنها تصلح لجميـــع المجتمعات ، أو حتى بين مختلف الجماعات التى يتكـون منها المجتمع الواحد ، ذلك لانها تنشأ نتيجة لخبرة اجتماعية محدودة ، فى موقف اجتماعى بذاته ، وتحت ظروف معينة .

وعلى هذا فان المعرفة التجريبية وما ينشـــأ عنها من آراء بادهة مشتركة ، تبدو قاصرة تماما فى محيط التفكير النظرى ، ومحاولة تفســـير الظواهر وتعليلها ، لما بينها من تناقض ، ولخلوها من صفات الموضـــــوعية والمنهجية والعمومية .

* * *

ثانيا — المعرفة الفلسفية :

تعتبر المعرفة الفلسفية المرحلة التالية من مراحـل التفكير . فوراء الامور الواقعية المكتسبة بالملاحظة ، مسائل أعم ، ومطالب أبعد ، تعالج بالعقل وحده . وتتناول الفلسفة هذه المسائل بالدراسة والبحث ، ولا يقتصر على العالم الطبيعى وحده بل ترتقى الى العالم « الميتافيزيقى » أى « بحث ما بعد الطبيعة » ، فتبحث عن الوجود بالاجمال وعن علته ، وعن صفات الوجد ، وكثير من المسائل التى تتصل بمعرفة الله ، واثبات وجوده .

ومسائل الفلسفة يتعذر الرجوع فيها الى الواقع ، وحسمها بالتجربة كما انها دقيقة عويصة يتعذر استيعاب وجهاتها المتعددة ، وكشف وجه الحق فيها تاما واضحا ، فيجتهد الفلاسفة فى حلها كل على قدر طاقته ، وتبعا لمزاجه ونشأته ومواهبه وما الى ذلك من المؤثرات التى تكيف العقل وتوجه النظر ، والبحث الفلسفى لا يهتم بالجزئيات ، وانما بالمبادىء الكلية ، كما يحاول تفسير الاشياء بالرجوع الى عللها ومبادئها الاولى .

وتتشكل الموضوعات التى تطلبها الفلسفة بحسب المنهج الذى تتبعه ، وتختلف المناهج بحسب الفلاسفة أنفسهم ، ومن أيام اليونانيين كان المنهج

الفلسفي هو التأمل . وهو منهج فلاسفة الهند كذلك حين ينعطفون على انفسهم لالتماس الحقيقة الكبرى فى داخلها . ولكن منهج اليونانيين كان عقلياء انتهى عند أرسطو الى أن يكون هو القياس المنطقى Logical deduction وظل القياس الارسطى (الصورى) المنهج المتبع فى التفكير الفلسفى أكثر من عشرين قرنا من الزمان (١) .

ويعتمد القياس الصورى على حقائق معروفة من قبل ، والتسليم بالمقدمات تسليما لا يقبل الشك حتى يمكن الوصول الى النتائج ، والوصول من الكلى الى الجزئى . مثال ذلك :

كل شهيد بطل

أحمد شهيد

اذن أحمد بطل

وكذلك المثال التالى :

كل معدن موصل جيد للحرارة .

الذهب معدن

اذن الذهب موصل جيد للحرارة .

فالنتيجة التى توصلنا اليها وهى أن أحمد بطل ، أو أن الذهب موصل جيد للحرارة ، موجودة بنفسها فى مقدمات هذا القياس ، وهى غير جديدة ، بل هى جزء من المقدمة . فمن يسلم بصحة المقدمة التى تقول « كل معدن موصل جيد للحرارة » يدخل فى موضوع القضية — وهو معدن — كل المعادن . ومن يضيف الى هذه القضية قضية ثانية يقول فيها « الذهب معدن » يعلم أن الذهب أحد المعادن التى سبق أن وصفها بأنها موصلة جيدة للحرارة ، ومن ثم لا يكون فى النتيجة التى ينتهى اليها قياسه وهى « الذهب موصل جيد للحرارة » شىء جديد . ولذا فالقياس لم يوصلنا الى معرفة جديدة ، بل تحصيل حاصل Toutology

ويرى بعض المدافعين عن الاسلوب القياسى أنه اذا كان لا يقدم شيئا جديدا خالصا ، فانه يؤدى الى نتائج جديدة من حيث صورها وأشكالها .

---

(١) يعرف بالمنطق الصورى لانه يدرس صور التفكير دون البحث عن طبيعة الموضوعات التى ينصب عليها بحسب الواقع . فقد يفرض مقدمات ويستخرج نتيجتها بحسب قوانين التفكير وصدق النتيجة هى فى لزومها عن المقدمات وليس فى مطابقتها .

فالنجار لا يبتدع خشبا ، ولكنه يخرج من الخشب أثاثا يختلف عن مادة الخشب في شكلها القديم . كذلك القياس فانه صناعة عقلية تشكل المعلومات التي نعرفها في صورة جديدة نحن في حاجة اليها ، وتفيدنا فائدة جديدة .

وفي رأينا أن القياس الصوري قد يفيد في تنمية القدرة على الجدل وقد ينجح في ربط الافكار بعضها ببعض ، ولكنه لا يكشف عن العلاقات والأسباب ، ولا يستطيع أثبات المبادىء العلمية ، بل المقدمات والنتائج لديه سواء . ولذلك قال عنه ديكارت « انه عقيم مجدب لا يكشف عن معرفة جديدة، فهو يفسر لنا ما نعلمه ، ولا يكشف لنا عما نجهله » كما قال جوبلو Goblot : « ان قواعد المنطق الصوري لا تسمح بالابتكار ولا بالاختراع ولا بالكشف ، بل تجعل الذكاء سجين معرفته السابقة ، وهي تتيح له أن يضيق نطاق هذه المعرفة ، بدلا من أن يعمل على نموها . وليست هناك أية قاعدة من قواعد المنطق الصوري تستطيع تفسير تقدم المعرفة . ومهما افتن الانسان في التعبير عن تفكيره بصور مختلفة فانه لا يزيد ثروته من العلم الا اذا انصب هذا التفكير على مادة يستمد منها غذاءه » (١) .

* * *

ثالثا — المعرفة العلمية :

تقوم المعرفة العلمية على الاسلوب الاستقرائي Induction الذي يعتمد على الملاحظة المنظمة للظواهر ، وفرض الفروض ، واجراء التجارب وجمع البيانات وتحليلها للتثبت من صحة الفروض أو عدم صحتها . ولا يقف العلم عند المفردات الجزئية التي يتعرض لبحثها ، بل يحاول الكشف عن القوانين والنظريات العامة التي تربط بين هذه المفردات بعضها ببعض ، والتي تمكن من التنبؤ بما يحدث للظواهر المختلفة تحت ظروف معينة .

والاستقراء نوعان ، أحدهما تام Complete والآخر غير تام (ناقص) Incomplete وفي الاستقراء التام يقوم الباحث بملاحظة جميع مفردات الظاهرة التي يبحثها ، ويكون حكمه الكلي مجرد تلخيص للأحكام التي يصدرها على مفردات البحث .

ولعل من هذا القبيل ما فعله عالم الفلك الألماني « كبلر » حينما وضع قانونه القائل بأن جميع الكواكب تدور حول الشمس في مدار بيضاوي

(١) E. Goblot ; Traite de Logique 6 ed., 1937, 247.

الشكل ، فان كبلر لم يضع هذا القانون الا بعد أن أحصى الكواكب السيارة جميعا بما فيها الارض ، والمريخ ، وزحل ، وعطارد ، والزهرة .. الخ ، متحقق من أن كلا منها على حدة يدور فى مدار بيضاوى الشكل .

وواضح أن هذا النوع من الاستقراء لا يضيف معرفة جديدة . ولا يفيد فى الانتقال بالنتائج والأحكام من المعلوم الى المجهول لأن جميع الحالات خضعت للملاحظة وأصبحت معلومة للباحث . ويرى « بيكون » أن نتائج هذا النوع من الاستقراء عرضة للخطر متى وجدت حالة جزئية واحدة مضادة لها : مثال ذلك أن تحريك التمساح لفكه الاعلى ينقض القضية القائلة بأن كل حيوان يحرك فكه الاسفل ، كما أن العثور على بجع أسود فى استراليا كان تكذيبا للقضية : كل بجعة بيضاء(١) .

وفى الاستقراء غير التام (الناقص) ، يكتفى الباحث بدراسة بعض النماذج ، ثم يحاول الكشف عن القوانين العامة التى تخضع لها جميع الحالات المتشابهة والتى لم تدخل فى نطاق بحثه . وبفضل هذه القوانين يستطيع الباحث ان يتنبأ بما يمكن أن يحدث للحالات المتشابهة ، والتى لم تدخل فى دائرة بحثه ، وأن ينتقل بأحكامه من الحالات المعلومة الى الحالات المجهولة .

ولما كان الاستقراء العلمى بمعناه الدقيق لا تتيسر فيه ملاحظة جميع مفردات الظاهرة ، كما أنه يستهدف الكشف عن القوانين العامة للظاهرات الفردية المتفرقة عن طريق دراسة بعض المفردات الجزئية ، فان العلم يصطنع منهج الاستقراء الناقص فى الوصول الى المعارف العلمية . وقد يظن البعض ان الاستقراء التام ، حسب تعريفه ، أعلى مرتبة من الاستقراء غير التام ، مع أن الامر على عكس ذلك تماما ، فالاستقراء الاخير هو الاستقراء العلمى الصحيح لانه يقوم على التعميم ويكشف عن حقائق مجهولة ويفيد فى التنبؤ بما يمكن أن يحدث للظواهر المختلفة تحت ظروف معينة .

ويمكن تحديد خصائص التفكير العلمى فيما يلى :

١ — استبعاد المعلومات غير الصحيحة :

يبدأ البحث العلمى باستبعاد المعلومات غير الصحيحة . وعلى العالم

---

(١) محمود قاسم : المنطق الحديث ومناهج البحث ، مكتبة الانجلو المصرية الطبعة الثالثة ، ص ٥٠ .

أن يطهر عقله منذ بداية البحث من كل ما قد يقوده الى الخطأ ، أو يعوق قدرته على التوصل الى الحقائق . وقد حرص واضعو مناهج البحث العلمى من الغربيين منذ مطلع العصور الحديثة على التنبيه الى هذه النقطة . نذكر من بين هؤلاء فرنسيس بيكون (+ ١٦٢٦) — واضع أصول المنهج العلمى — فقد مهد لمنهجه التجريبى بجانب سلبى أوصى فيه الباحث بتطهير عقله — قبل أن يبدأ بحثه — من كل ما يقوده الى الخطأ ، وحذره من الاخطاء التى تنشأ عن تسليمه بأفكار سابقة لم تثبت صحتها .

كما ذهب ديكارت (+ ١٦٥٠) الى مثل ما ذهب اليه فرنسيس بيكون، فكان يوجب على الباحث أن يطهر عقله فى بداية البحث من معلوماته السابقة عن طريق الشك المنهجى ، وأن يتحرر من كل سلطة الا سلطة عقله أملا فى التوصل الى المعرفة الصحيحة (١) .

* * *

٢ — الاعتماد على النتائج العلمية السابقة :

مع التسليم بقاعدة الشك المنهجى ، الا أن ذلك لا يعنى عدم الاستفادة بالنتائج العلمية السابقة . فالعلم له طبيعة تراكمية ، والنتائج التى توصل اليها بحث علمى سابق تكون هى نفسها المقدمات التى يبدأ منها بحث لاحق. فهناك امكانية لاضافة متغيرات جديدة ، أو الكشف عن بعض الجوانب الغامضة . وهنا يبدو فارق من أهم الفوارق بين النسق العلمى والنسق الفلسفى . فحقائق العلم تقبل الاندماج معا فى منظومة واحدة نسقية البناء، وهى ليست بالانتاج العقلى الذى ينتجه من أوله الى آخره شخص واحد بمفرده ، بخلاف الحال فى الدراسات الفلسفية التى يبنى فيها كل فيلسوف نسقه الفكرى من الأساس الى القمة كأنما هو عمل فردى فنى لا يجوز أن يشارك فيه أحد أحدا . ولعل أصدق وصف للعلماء تشبيههم بالطوابق فى البناء الواحد يكمل أحدها الآخر ، بعكس الفلاسفة الذين يشبهون الاهرامات حيث يستقل كل منها عن الآخر (٢) .

* * *

---

(١) توفيق الطويل : خصائص التفكير العلمى ، مجلة عالم الفكر الكويتية ، المجلد الثالث ، ١٩٧٣ ، ص ١٥٥ .

(٢) زكى نجيب محمود : فلسفة وفن ، مكتبة الانجلو المصرية . ١٩٦٣ ، ص ١٧٠ .

٣ ـ الاعتماد على الملاحظة الحسية كمصدر الحقائق العلمية :

يتخذ الفيلسوف العقل مصدرا للحقائق ، ومعيارا للتثبت من صوابها ، فيضع لنفسه مبادىء يتخذها ينبوعا ينبثق منه كل عنصر من عناصر النسق الفلسفي الذي يقيمه . أما العالم فانه لا يستمد حقائقه الا من الملاحظة الحسية المباشرة . فاذا قال العالم عن طبيعة العلاقات الاجتماعية فى جماعة معينة انها قائمة على أساس التعاون او التنافس أو الصـــــراع ، أو قال عن الضوء ان ســــــرعته كذا ميلا فى الثانية ، فان مصـدره فى ذلك هو الملاحظة الحسية . وتتوقف صحة النتائج التى يتوصــل اليها على مـــدى مطابقتها للوقائع الخارجية . وقد حرص « جون لوك » على التنبيه الى هذه النقطة ، فأشار الى أن الادراك الحسى هو أساس كل معرفة ، وبدون الاشياء ، واحســـاسنا بهــا ، وادراكنا لهــا : لا يوجـــد وعى ولا حكـم عقلى ولا معرفة .

* * *

٤ ــ تحويل الكيف الى كم (التكميم Quantification) :

حينما يتعامل الناس معا فى حيـــاتهم اليومية ، فانهم يشــــيرون الى الاشياء والحوادث بأوصافها الظاهرة للحواس أو بمنافعها ، وأســــاليب استخدامها فى الحياة العملية ، يقال : ماء ، وصوت ، وضوء . وهذه الألفاظ تتناول الاشـياء والكائنات فى جملتها لا فى عناصرها التحليلية ، كما أنها تعبر عن وجود الصفات دون أن تكشف عن مقدار وجودها أو مستواها .

أما عالم الكيمياء ، فانه يعكف على تحليل الماء الى عناصره التى يتألف منها الى أن يتوصل الى أنه يتكون من ذرتين من الهيدروجين وذرة واحدة من الاوكسجين . وفى هذه الحالة نقول انه تمكن من تحويل الكيف الى كم .

وبالمثل يقوم عالم الطبيعة بدراسة الصوت ورده الى ســـعة الذبذبة ، وبدراسة الضوء وارجاعه الى طول الموجات . وبهذه الصورة يتجه العـلم الى تحويل الكيف الى كم ، والتعبير عن الظواهر بلغة الأرقام .

ومن الملاحظ أن كل العلوم ــ خلال مراحل تطورها ــ قد مرت بالدور الكيفى . ففى البداية كان يقال ان الاشياء باردة أو ســاخنة ، ثقيلة أو خفيفة ، وأن الاشـخاص أذكياء أو أغبياء ، الى أن ظهرت مقاييس دقيقـة أمكن بمقتضاها تحديد هذه الصفات تحديدا كميا ، والتعبير عنهـــا تعبيرا رقميا دقيقا .

وتتفاوت العلوم المختلفة فى مقدار تقدمها بنفس المقـــدار الذى اختلفت فيه من حيث ضبطها لمفهوماتها ضبطا كميا . فعلم الفيزياء ــ مثلا ــ متقـدم

على علم النفس أو علم الاقتصاد بنفس الدرجة التى استطاع بها أن يتعامل مع ظواهره باستخدام الاساليب الرياضية ، وبنفس القدر الذى استطاع به أن يحول مفاهيمه الكيفية الى مفاهيم كمية .

***

٥ ـ الموضوعية Objectivity :

يقصد بالموضوعية معالجة الظواهر باعتبارها أشياء لها وجود خارجى مستقل عن وجود الانسان . والشىء الموضوعى هو ما تتساوى علاقته بمختلف الأفراد المشاهدين مهما اختلفت الزاوية التى يشاهدون منها . ويوضح « برتراند راسل » هذه النقطة بقوله :

« لكى توضح الفرق بين الموضوعية والذاتية نقول : افرض أن عددا كبيرا من المتفرجين فى مسرح كانوا يشاهدون فى آن واحد ما يجرى على خشبة المسرح ، وكذلك كان فى المسرح عدة آلات للتصوير وتلتقط فى آن واحد صور ما يحدث على خشبة المسرح ، فعندئذ تكون الصور التى تلتقطها آلات التصوير ، وكذلك الصور التى يتلقاها المتفرجون ، متفقة فى وجوه ومختلفة فى وجوه . ونستخدم كلمة « موضوعى » لتصف بها تلك الجانب الذى يشترك فيه المتفرجون جميعا ، أو آلات التصوير جميعا . كما نستخدم كلمة « ذاتى » لنصف بها الجوانب التى ينفرد بها متفرج دون غيره ، أو آلة من آلات التصوير دون غيرها ، فسيبدو الممثل على خشبة المسرح أطول عند المتفرج القريب منه مما هو عند المتفرج البعيد . وعلى هذا فالذاتية ليس لا يقتصر على مجرد الاهواء الشخصية ، بل هو أحد جوانب الطبيعة نفسها ، ومعناها أن المؤثر الواحد لا يبدو للاعين المختلفة فى أوضاعها على صورة واحدة ، أما اذا كان فى هذا المؤثر جوانب لا تتغير صورتها عند مختلف الأعين مهما اختلفت أوضاعها ، كانت تلك الجوانب المشتركة موضوعية (١) .

والباحث الذى يتحرى الموضوعية فى الدراسة يتناول الظواهر كما هى وفى صورتها الواقعية ، ويستعين بالاساليب التى تتسم بالصدق والثبات ، ويصل الى نتائجه بعد الموازنة والقياس ، ويعرضها بالطريقة التى هى عليها لا كما ينبغى أن تكون . أما الباحث ذو النظرة الذاتية ، فانه لا يهتم باستخدام الادوات والمقاييس التى تساعد على تقليل مخاطر التحيز الذاتى .

---

(١) برتراند راسل : الفلسفة بنظرة علمية ، ترجمة الدكتور زكى نجيب محمود ، ص ١٣١ .

ويترتب على التزام صفة الموضوعية فى البحث العلمى ، أن تكون نتائج البحث قابلة للاختبار بحيث اذا اختار باحث آخر نفس الظاهرة ، واتبع نفس الخطوات ، واستخدم نفس الاجراءات المنهجية ، أمكنه أن يحصل على نتائج مماثلة .

* * *

٦ ـ التجريد Abstraction :

يقصد بالتجريد استنباط الخصائص أو الصفات التى تتميز بها الظواهر أو الاشياء ، بحيث تتحول الى أفكار أو مفاهيم ذهنية تدرك بالعقل لا بالحواس . ويقوم التجريد على اغفال السمات الجزئية المشخصة Concrete من أجل الوصول الى معنى عام ينطبق على أفراد النوع الواحد . والفكرة المجردة اذا بلغناها وجدناها بالضرورة فكرة عامة تصدق ـ لا على فرد واحد ، أو موقف جزئى واحد ـ بل تصدق على مجموعة الافراد أو مجموعة المواقف المتجانسة . فكلمة ـ ثقافة ـ يمكن تجريدها بقولنا : انها ذلك الكل المركب الذى يشتمل على المعرفة والعقائد والفن والاخلاق والقانون والعرف وكل المقدسات والعادات الاخرى التى يكتسبها الانسان من حيث هو عضو فى المجتمع .

ويعبر برتراند راسل عن صفة التجريد بقوله :

ان العقل العلمى لا يعالج الاشياء الموجودة فى الواقع من حيث هى كذلك ، وانما من حيث أن لها خواصا معينة .. فنحن حين نتكلم عن المكان أو الحركة ، فليس ما نتكلم عنه هو المكان الفعلى أو الحركة الفعلية كما نعرفها فى التجربة ، بل نتكلم عن شىء له تلك الخواص العامة المجردة للمكان أو الحركة (١) .

* * *

٧ ـ التعميم :

لما كان العلم يعتمد على الاستقراء الناقص الذى لا تتيسر فيه ملاحظة كل مفردات الظاهرة ، فان الباحث يكتفى بملاحظة بعض النماذج ، ثم يحاول الكشف عن القوانين العامة التى تخضع لها جميع الحالات المتشابهة والتى لم تدخل فى نطاق البحث . وتفيد هذه التعميمات فى الانتقال من المعلوم الى المجهول ، وفى التنبؤ بما يمكن أن يحدث للظواهر تحت ظروف معينة .

* * *

---

(١) برتراند راسل : أصول الرياضيات ، ترجمة الدكتور أحمد مرسى أحمد والدكتور أحمد فؤاد الاهوانى ، الجزء الاول ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٨ ، ص ٢٤ .

أوجه الاختلاف بين ألوان المعرفة

(أ) تختلف المعرفة العلمية عن المعرفة الحسية (التجريبية) فيما يلى :

١ ـ تعتمد المعرفة الحسية على الملاحظة الذاتية البسيطة ، بينما تقوم الأولى على الملاحظة المنظمة للظواهر التى تعتمد على وسائل دقيقة القياس .

٢ ـ تختلف المعرفة العلمية عن الآراء البادهة المشتركة بين الناس ، ذلك لان الكثرة الكبرى من الآراء المشتركة بين الناس قريبة المتناول ، أشياء تدركها الحواس ثم يتقبلها العقل سريعا بلا روية ولا تمحيص ، اما المعرفة العلمية فانها تقوم على أساس من الدراسة الموضوعية المنظمة ، ولا يمكن التسليم بها الا بعد اختبار دقيق .

٣ ـ للمعارف العلمية ميزة كبرى بالقياس الى المعارف الحسية . فالقضايا التى تعبر عنها الحقائق العلمية تقبل الاندماج فى ـ أنظمة ـ دقيقة واضحة من التفسير ، فتساعد على التحقق من قضايا أخرى قريبة منها أو متماسكة معها بخلاف الحال فى المعارف الحسية .

***

(ب) تختلف المعرفة العلمية عن المعرفة الفلسفية فيما يلى :

١ ـ مسائل العلوم محسوسة ملموسة يمكن الرجوع فيها الى الواقع وحسمها بالتجربة ، بخلاف مسائل الفلسفة التى تختلف بأنها مجردة لا يمكن اخضاعها للتجربة .

٢ ـ تتميز المعرفة العلمية بأنها موضوعية objective ، فالباحث العلمى يتناول الظواهر والاشياء كما هى وفى حالتها الراهنة ، كما أنه حينما يدرس الظاهرة يوجه عنايته الى موضوع البحث دون التأثر بأفكاره ومعتقداته التى كونها من قبل حتى يستطيع أن يرى الاشياء على حقيقتها لا كما يود هو أن يراها . وهو يعمل على استخلاص القوانين من الوقائع المشاهدة دون أن يحفل بأن تكون هذه القوانين أو الوقائع حسنة أو قبيحة ، خيرا أو شرا .

أما الفلسفة وخصوصا فلسفة القيم ، فانها تخضع الاشياء لمعايير ذاتية Subjective وتضيف المعانى الاخلاقية الى الحقائق العلمية ، وتضفى عليها معنى انسانيا ، ولذا يمكن وصفها بأنها شخصية ، انسانية ، ذاتية .

٣ ـ تهتم العلوم بالعلل القريبة على حين أن الفلسفة تهتم بالعلل البعيدة .. فالبيولوجيا مثلا تنظر فى تركيب الاعضاء وأدائها وظائفها . بينما تحاول الفلسفة تفسير الحياة ذاتها التى هى علة الاعضاء وأفعالها ، وهكذا فى باقى المسائل . فإن الفلسفة اما أن تختص بمسائل كلية لا تتناولها العلوم ، واما أن تبحث مسائل مشتركة بينها وبين العلوم ولكن من وجهة كلية .

٤ ـ لا يستطيع العالم أن يبدأ فى بحثه الا اذا استعان بالحقائق والنتائج التى توصل اليها العلماء الذين سبقوه فى ميدان بحثه ، أما الفيلسوف فانه يستطيع أن يقيم دعائم مذهبه الفلسفى دون الاستعانة بالنتائج التى توصل اليها الفلاسفة السابقون .

٥ ـ يختلف الاسلوب الاستقرائى عن الاسلوب القياسى فى البحث فى أن الاستقراء يبدأ بالجزئيات ليتوصل الى القوانين . أما القياس فانه يبدأ بالقوانين ليستمد منها الحقائق الجزئية . وليست هذه المقابلة دقيقة تماما لأن الاستقراء يستخدم القياس فى احدى مراحله ، اى عند تطبيق القاعدة على بعض الحالات الخاصة .

وليس بوسع العلم أن يستغنى بالاستقراء عن القياس ، فبالاستقراء يتوصل العلم الى القضايا العامة ، وعن طريق القياس يستطيع العلم أن يتحقق من صدق القوانين العامة باختبارها على حالات جزئية لم تتناولها الملاحظة من قبل .

والقياس والاستقراء ــ كما هو ظاهر ــ يقطعان طريقا واحدا الى المعرفة ولكن فى اتجاه مضاد ، ذلك لانه اذا كان الطريق مجهولا لم يطرق من قبل ، فان العقل يفضل أن يقطع هذا الطريق فى اتجاه الاستقراء ، بمعنى أنه يبدأ من ملاحظة الظواهر متجها نحو الفروض والوصول الى القوانين العامة . أما اذا كان الطريق معروفا ، فان العقل يستطيع أن يرتكز على القوانين العامة ، ويهبط منها الى الحقائق الجزئية .

***

المراجــــع

(۱) باللغــة العربية :

۱ ــ السيد محمد بدوى : المجتمع والمشكلات الاجتماعية ، الفصــل الاول ، الاسكندرية ۱۹۵۷ .

۲ ــ برتراند راسـل : النظـــرة العلميـــة ، ترجمة عثمان نويه ، القاهرة ۱۹۵٦ .

۳ ــ ــــــــ : أصول الرياضيات ، ترجمة الدكتور أحمد مرسى أحمد والدكتور أحمد فؤاد الاهوانى ، الجزء الاول ، دار المعارف ، ۱۹۵۸ .

٤ ــ توفيق الطويل : خصائص التفكير العلمى ، مجـــلة عالم الفكر الكويتية ، المجلد الثالث ، ۱۹۷۳ .

۵ ــ زكى نجيب محمود : فلسفة وفن ، مكتبــة الانجلو المصرية ، ۱۹٦۳ .

٦ ــ محمود قاسم : المنطق الحـديث ومناهج البحث ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الثالثة ، القاهرة .

(۲) باللغــة الاجنبيــة :

1. Andrews, T., Methods of Psychology, 1948.
2. Furfey, P., The Scope and Method of Sociology : A. Meta-sociological Treatise, New York, 1953.
3. Goblot, E., Traite de Logique, 6 ed., 1937.
4. Goode, W., and Hatt., p., Methods in Social Research, New York, 1952.
5. Pearson, K. The Grammer of Science, London, 1911.
6. Robinson, W., «The Logical Structure of Analytic Induction», Amer Social Rev., 16, 1951, pp. 812-818.

* * *

الفصل الثانى

خطوات المنهج العلمى

يصطنع العلم الحديث — كما رأينا — منهج الاستقراء . ويتمثل هذا المنهج فى عدة خطوات تبدأ بملاحظة الظواهر واجراء التجارب ، ثم وضع الفروض التى تحدد نوع الحقائق التى ينبغى أن يبحث عنهـا ، وتنتهى بمحاولة التحقق من صدق الفروض أو بطلانها توصلا الى وضع قوانين عامة تربط بين الظواهر ، وتوجد العلاقات بينها .

وسنعرض لهذه الخطوات فيما يلى بشىء من التفصيل :

١ — الملاحظة والتجربة :

(أ) دور الملاحظة : يبدأ الاستقراء العلمى بملاحظـة الظواهر على النحو الذى تبدو عليه بصفة طبيعية . وتنصب الملاحظة فى أى علم من العلوم المستقلة على مجموعة الظواهر التى اتخذها ذلك العلم ميدانا له . ففى علم الفلك مثلا تدور الملاحظة حول حركة الأرض والكواكب ، وفى علم الطبيعة تنصب الملاحظة على خواص المـادة ومدى تأثرها بالعوامل الخارجية المختلفة ، وفى علـم الاجتمـاع يهتم الباحث بملاحظة المجتمع وبنيتـه وظواهره والعلاقات بين أفراده . وهكذا الحال فى كل علم من العلوم .

والملاحظة نوعان : بسيطة غير مقصودة ، وعلمية مقصودة . وتقوم التفرقة بين هذين النوعين على أساس قدرة العقل على التدخل فى ادراك العـلاقات التى تربط بين الظواهر . فاذا كان تدخل العقل بسـيطا ، ومساهمته فى فهم الظواهر محدودا ، كانت الملاحظة بسيطـة ، واذا كان نصيبه كبيرا فى ايجاد الصلات وادراك العـلاقات بين الظواهر ، كانت الملاحظة علمية .

وتعرف الملاحظة البسيطة عادة بأنها الملاحظة التى لا تهـدف الى الكشف عن حقيقة علمية محددة ، أو غاية نظرية واضحة . ويدخل هـذا النوع من الملاحظة فى نطاق المعرفة الحسية « التجريبية » التى سـبق

الحديث عنها ، والتى وصفناها بأنها تقف عند بعض المواقف العلمية المحدودة ، والتى تبدو قاصرة تماما فى محيط التفكير النظرى ، ومحاولة تفسير الظواهر وتعليلها .

على أن الملاحظة غير المقصودة قد تتحول فى بعض الاحيان الى ملاحظة مقصودة ، فيصل الباحث عن طريقها الى تقرير حقائق علمية على جانب كبير من الاهمية ، وتتميز الحقائق الجديدة بما يأتى .

١ — أنهــا لم تكن مقصــودة لذاتهــا ، فهى تأتى عن غير عمد Unanticipated ذلك لان الباحث كان يلاحظ ظاهرة أو يسعى الى تقرير حقيقة ، فاكتشف حقيقة أخرى لم يكن يسعى اليها .

٢ — وبأنها تدعو للدهشة anamolous لان الحقيقة الجديدة قد تقلب بعض الحقائق التى تواضــع عليها العرف العلمى السائد .

٣ — وبأنهــا تصبح ذات أهميــة استراتيجية من الناحية العلمية Strategic بمعنى أن الحقيقة الجديدة — بعد دراستها ومحاولة التثبت من صحتها — تصل بالباحث الى رفض نظرية قائمة ، او تقرير نظرية جديدة (١) .

ويمكن التمثيل لهذا النوع من الملاحظــات بما حدث لنيوتن حينما لاحظ تفاحة تسقط من شجرتها ، فاسترعى سقوطها انتباهه ، فشرع فى دراسة ظاهرة سقوط الاجسام ، وانتهى من دراسته الى تقرير قانون الجاذبيــة الارضية .

ومن الامثلة الاخرى ما حدث لاحد العلماء السويسريين حينما كان يقوم ببعض التجارب فى معمله . فقد كان ممسكا بنهايتى سلكين متصلين بدائرة كهربائية بها جلفانومتر حساس ، فلاحظ أن ابرة الجلفــانومتر تتحرك أحيانا بلا سبب ظاهر . وقد أثارت الملاحظة اهتمامه ، فحاول أن يهتدى الى سبب حدوث هذه الظاهرة ، فتبين له أن ابرة الجلفانومتر تنحرف عندما يكون هو فى حالة انفعالية كالخوف أو التألم وما اليهما ، وبما أن انحراف الابرة معناه سهولة مرور التيار الكهربى فى اليد الممسكة بنهاية السلكين ، فانه استنتج أن الحالة الانفعالية قد ينتج عنها سهولة مرور التيار الكهربائى فى جســم الانســان .

---

(١) R. Merton : Social Theory and Social Structure, 1957, pp. 103-180.

وكان العالم الروسى بافلوف Pavlov يقوم بأبحاث تجريبية على عملية الهضم عند الكلاب الجائعة ، فلاحظ سيلان اللعاب فى فم الكلب قبل أن يقدم له الطعام فعلا ، ووجد أن هذا الافراز للعاب يحدث عند رؤية الكلب للطعام أو عند رؤيته للشخص الذى يقوم باطعامه ، بل عند سماع الكلب وقع أقدام هذا الشخص فى حجرة أخرى مجاورة . وقد أثارت هـذه الملاحظة اهتمام بافلوف ، لأن المثير الطبيعى لاثارة نشاط الغدد اللعابية هو الطعام نفسه ، وليس رؤية شخص معين أو سماع وقع خطواته . وبدراسة هذه الظاهرة توصل بافلوف الى ما يسمى بالفعل المنعكس الشرطى Conditioned Reflex وقد كان لهذا الاكتشاف أثره فى الوصول الى نظرية التعلم الشرطى فى علم النفس (١) .

ونكتفى بالأمثلة السابقة للتدليل على أهمية هذا النوع من الملاحظة فى الوصول الى حقائق علمية على جانب كبير من الاهمية والخطورة . وواضح من الامثلة السابقة أنه ليس هناك تعارض بين الملاحظة العرضية والملاحظة العادية . فالملاحظة الثانية قد تكون امتدادا للاولى . كما أن الملاحظات العرضية — التى سبقت الاشارة اليها — هى التى أوحت بفرض الفروض وتنظيم التجارب واجرائها لاستنتاج النظريات .

وتعتبر الملاحظة العلمية أعلى مكانة وأسمى درجة من الملاحظـــة العرضية . فهى تتميز بوضوح الغاية التى تسعى اليها وهى الكشف عن الخواص الرئيسية للظاهرة المدروسة ، ومعرفة الظروف التى أوجبت وجودها توصلا الى كسب معرفة جديدة وتحقيق هدف علمى محدد .

وتستمد الملاحظة العلمية على نظريات دعمتها حقـائق العلم ، فكثيرا ما يسترشد الباحث باحدى النظريات العلمية فى توجيه ملاحظاته الى عوامل ومتغيرات Variables جديدة أو فى تفسير ملاحظاته تفسيرا علميا صحيحا . وقد استفادت العلوم الطبيعية من هذا الاسلوب فى البحث . وكلما زادت قوانين العلم ونظرياته ، كانت الملاحظة العلمية أكثر دقة ووضوحا .

---

(١) ومؤدى هذه النظرية أن من الممكن تعديل أى نشاط وظيفى اذا ما ارتبط حدوث المثير الاصلى بمثير أو منبه آخر لا يوجد فيه صفة المثير الطبيعى ، وينتج عن هذا الارتباط أن يكتسب المثير الجديد صفة المثير الاصلى ، وبذلك تحدث الاستجابة عندما يعرض هذا المثير بمفرده.

Wood worth : Contemporary Schools of Psychology, 1848. p. 61.

ولا يكتفي الباحث العلمي بالحواس في ملاحظة الظواهر ، بل يستعين بأجهزة مختلفة بعضها للتكبير والتقريب كالميكرسكوب والتلسكوب . وبعضها للقياس كالترمومتر والميزان ، وذلك ضماناً لدقة النتائج من ناحية وتلافيا لقصور الحواس من ناحية أخرى . وكلما كثرت الآلات المضبوطة ، والمقاييس الدقيقة ، كان ذلك ايذاناً بتقدم العلوم ونموها . وفي ذلك يقول كلود برنارد : انى أعتقد أن الكشف عن أداة جديدة للملاحظة والتجربة في العلوم التجريبية الناشئة أكثر فائدة من عدة أبحاث مذهبية أو فلسفية .

(ب) دور التجربة : لا تكفي ألوان الملاحظة التي عرضناها في التعرف على الحقائق العلمية . فقد رأينا أن الباحث في حال الملاحظة يرقب الظاهرة وهو يدرسها دون أن يحدث فيها تغييراً ، أو يعدل الظروف التي تجري فيها ، كما انه يكتفي بما تقدمه له الطبيعة من ظواهر دون أن يوجد ظروفاً مصطنعة تهيء له دراسة الظاهرة على النحو الذي يريده . ولذلك كان من الضروري استخدام التجارب في البحث العلمي .

والتجربة ليست الا ملاحظة علمية تحت الضبط الناتج عن التحكم فيها من جانب الباحث أو الطبيعة . فالقائم بالتجربة يستطيع أن يعدل الظاهرة بحيث تبدو في أنسب وضع صالح لدراستها ، كما أنه يستطيع أن يكرر التجربة ، ويعيدها تحت ظروف مختلفة ، ويلاحظ النتائج التي يحصل عليها في كل مرة ، ويقارن النتائج بعضها ببعض .

وللتجربة فضل كبير في وصول معظم العلوم — وخاصة العلوم الطبيعية — الى ما وصلت اليه من تقدم ورقي . وقد استفادت العلوم الاجتماعية كما استفادت العلوم العضوية من التجارب غير المباشرة ، وهي التجارب التي تمدنا بها الطبيعة دون تحكم من جانب الباحث . والتجارب غير المباشرة قيمة علمية كبرى ، وهي لا تقل في أهميتها عن التجارب التي يتحكم فيها الباحث بنفسه ، والتي تجري تحت ظروف صناعية (١) .

وتقوم الملاحظة والتجربة — في المرحلة الاولى للبحث — بتوجيه تفكير الباحث الى وضع الفروض العلمية . ولذا فكل ملاحظة لا توجه تفكير الباحث الى فكرة يمكن التحقق من صدقها تعد خطوة غير مجدية ، وكل تجربة لا تساعد على وضع أحد الفروض تعد تجربة عقيمة تافهة .

* * *

---

(١) راجع ما كتبناه في هذا الكتاب عن المنهج التجريبي .

٢ – وضع الفروض العلمية :

تعتبر الفروض العلمية مجرد أفكار مبدئية تتولد فى عقل الباحث عن طريق الملاحظة والتجربة ، وهذه الافكار ينبغى أن تكون قابلة للاختبار العلمى الدقيق .

وتعتمد الفروض على خبرة الباحث السابقة فى موضوع بحثه وما يتصل به من موضوعات . كما تعتمد على قدرة الباحث على استغلال معلوماته السابقة والمامه بمختلف جوانب الثقافة القائمة فى المجتمع . وقد تأتى الفروض للباحث كالهام مفاجىء نتيجة تفكيره المستمر وبحثه المتواصل فى الظاهرة التى يقوم بدراستها .

وليس الفروض قاصرا على ميدان البحث العلمى . فالانسان فى حياته اليومية تعرض له أمور تحتاج الى تفسير ، وتواجهه كثير من المشكلات . والانسان الواعى المستنير يواجه المشكلة بصبر وأناة ، ويستعين بتفكيره فى مواجهة الامور التى تعرض له . فيضع احتمالات ، ويفترض فروضا ، ثم يحاول التحقق من صحة هذه الفروض ليستبقى منها ما يراه كفيلا بتفسير الموقف . ولذا فاننا نستطيع القول بأن التفكير السليم هو البحث العلمى السليم ، وأساليب البحث العلمى السليمة هى بعينها أساليب التفكير السليم .

وبالرغم من أهمية الفروض فى التفكير وفى البحث العلمى ، فان بعض العلماء يحاربون مبدأ فرض الفروض قائلين انها تبتعد بالباحث عن الحقائق الخارجية لانها تعتمد على تخيل العلاقات بين الظواهر ، فى حين أن الملاحظة والتجربة تكفيان فى الكشف عن القوانين . كما أنها تدعو الى تحيز الباحث ناحية الفروض التى يضعها مع اهمال باقى النواحى الاخرى المحتملة . ومن العلماء من يكتفى بمحاربة الفروض التى لا يمكن التحقق من صحتها لانها تحجب الحقائق وتشوهها ، ومنهم من يقف منها موقف الحذر ، ويرفض أن يعترف بوظيفتها الاساسية فى المنهج العلمى .

وفى رأينا أن للفروض أهمية كبرى وخاصة فى البحوث التجريبية ، فهى توجه الباحث الى نوع الحقائق التى يجب أن يبحث عنها بدلا من تشتت جهوده دون غرض محدد ، كما أنها تساعد على الكشف عن العلاقات الثابتة التى تقوم بين الظواهر . وقد أبرز كلود برنارد أهمية الفروض وضرورتها بقوله : ان المنهج التجريبى لا يتحقق الا اذا اجتمعت فيه أمور ثلاثة هى : الحدس ، والتجربة ، والاستدلال . أما الحدس فهو الشعور الغامض الذى يعقب ملاحظة الظواهر ، ويدعو الى نشأة فكرة علية يحاول

بها الباحث تفسير الظواهر قبل أن يستخدم التجارب . وهذه الفكرة العامة ـ أو الفرض بعبارة أدق ـ هي أساس المنهج لانها هي التي تثير التجارب والملاحظات وتحدد شروط القيام بها . أما الاستدلال فيأتي بعد ذلك ، وهو يستخدم في استنباط نتائج الفروض لمعرفة مدى مطابقتها التجارب (١) .

أما من ناحية تحيز الباحث للفرض الذي يضعه ، فاننا نفترض في الباحث المثالية والامانة العلمية ، ومن الممكن غرس الامانة العلمية في نفس الباحث عن طريق تعويده على الدقة في الملاحظة ، وتدريبه على طرق البحث السليمة ، كما أن من الممكن ضمان الموضوعية العلمية باستخدام وسائل دقيقة للقياس .

ومن الضروري الا يتسرع الباحث في وضع الفروض . وأن يستمدها من الملاحظات والتجارب التي يقوم بها ، وألا يجعلها مخالفة للحقائق المقررة والقوانين العلمية ، كما يجب عليه أن يصوغ الفروض بطريقة تجعلها قابلة للاختبار .

* * *

٣ ـ اختبار الفروض :

تعتبر هذه المرحلة من أهم مراحل البحث . فالفرض في حد ذاته ليست له قيمة علمية ما لم تثبت صحته اثباتا موضوعيا مقنعا . وغالبا ما يؤدي الفرض الى اجراء التجارب ، والقيام بملاحظات جديدة ، وذلك للتأكد من صدقه ، والتثبت من صحته .

وتهدف التجربة الى التعرف على ما يحدث في جانب أو متغير معين من جوانب الظاهرة التي ندرسها بدلالة جانب أو متغير آخر في حالة ثبات سائر المتغيرات . فاذا كنا ندرس مثلا أثر الوراثة والبيئة في السلوك الاجرامي أو في الذكاء ، فاننا نحاول تثبيت أحد المتغيرين لندرس أثر الآخر . ولقد سار العلماء في هذا الاتجاه حينما حاولوا معرفة أثر البيئة في الذكاء . فانهم ثبتوا عامل الوارثة باجراء ابحاثهم على التوائم المتشابهة التي تمت تنشئتهم في بيئات منفصلة (٢) . وحينما درسوا اثر الوراثة في الذكاء ، فانهم

---

(1) Bernard C., An Introduction to the Study of Experimental Medicine, Macmillan and Co., New York, 1865.

(٢) للرجوع الى هذه الدراسات يمكن استشارة الكتب الآتية :

Twins : A Study of Heredity and Environment, Chicago, the University of Chicago Press, 1937. F. Goodnough : Intelligence. Its Nature and Nurture, 1, pp. 331-362.

ثبتوا عامل البيئة وأجروا أبحاثهم على أطفال منتسبين لآباء مختلفين وأجريت تنشئتهم معا كما هو الحال فى أطفال الملاجىء (١) .

وبالرغم من أن بعض البحوث العلمية لا تشتمل على التجريب أو الدراسات المعملية ، وتعتمد على مناهج أخرى كالمنهج التاريخى مثلا ، الا أن التجريب يعد احدى الدعائم القوية التى تعتمد عليها العلوم ، وبفضله وصلت كثير من العلوم الى درجة كبيرة من التقدم والرقى .

ومن الأمور الهامة فى البحوث التجريبية أن تكون هناك قواعد علمية يسترشد بها الباحث فى التحقق من صحة الفروض التى يختبرها . وتعتبر طريقة الحذف Elimination من الطرق المتبعة فى البحوث العلمية التى تحاول ايجاد العلاقة بين عامل واحد وبين الظاهرة موضوع الدراسة . وتنحصر هذه الطريقة فى أن يضع الباحث جميع الفروض الممكنة لتفسير ظاهرة معينة ، ثم فى حذف الفروض التى لا يؤيدها الواقع ، أو التى لا يمكن اثباتها . وكثيرا ما تتمخض هذه الطريقة فى العلوم الطبيعية عن استبقاء فرض واحد يقوم عليه البرهان بطريقة عملية . أما اذا ثبت خطأ الفروض جميعا فمعنى ذلك أن الباحث لم يستوعب جميع الحلول الممكنة ، ولم يصل بعد الى الفرض الصحيح . ولذا وجب عليه أن يعيد الملاحظات والتجارب ، ويضع فروضا جديدة ثم يحاول التحقق من صدقها حتى يصل الى الفرض الذى يمكن اثبات صحته اثباتا علميا . وقد وضع كل من فرنسيس بيكون F. Bacon ، وجون ستيوارت ميل J. S. Mill قواعد للتحقق من صدق الفروض باستخدام المنهج التجريبى سنشير اليها فيما بعد .

ومن الضرورى عند اجراء التجارب العلمية ألا يختبر الباحث أكثر من فرض واحد فى الوقت نفسه ، وألا ينتقل من فرض الى آخر الا اذا تأكد من خطأ الفرض الاول . ومن الضرورى أيضا الا يقتنع الباحث باختبار الادلة الموجبة التى تؤيد الفرض لان دليلا واحدا يتنافى مع الفرض كفيل بنقضه ولو أيدته مئات الشواهد . فاذا وجد قتيل مصابا بطلقة نارية فى صدغه الايسر ، وظهر أن البندقية التى استخدمت فى الاصابة ملك للقتيل ، وأن أصدقاء القتيل الموثوق بصحة كلامهم يذكرون أنه كان مكتئبا بسبب وفاة زوجته ، وأن القتيل ذهب الى محاميه فى اليوم السابق لقتله لكى يرتب الامور الخاصة بوصيته ، ثم تبين أن ذراع القتيل اليسرى كانت مشلولة منذ سنوات ، فبالرغم من أن معظم الادلة تؤيد الفرض القائل بأن القتيل

---

(١) راجع ما كتبناه عن تاريخ التفكير العلمى ، والمنهج التجريبى .

قد انتحر ، الا ان الدليل الذى يقول بأن ذراع القتيل اليسرى شلت منذ سنوات يكاد ينفى الفرض نهائيا اذ أنه ليس من المحتمل أن يستخدم القتيل ذراعه المشلولة فى اطلاق الرصاص على صدغه الايسر .

ومن الضرورى أيضا الا يتحيز الباحث لفروضه ، بل يكون على استعداد تام لان يستبعد جميع الفروض التى لا تؤيدها نتائج التجارب والملاحظات العلمية . فالعلم لا يستفيد فقط من الفروض الصحيحة ، وانما يستفيد أيضا من الفروض التى يثبت بطلانها . فعن طريق المحاولة والخطأ يستطيع الباحث أن يصل الى الفرض الصحيح ، وقد قيل أن كبلر لم يهتد الى القول بأن مدارات الكواكب السيارة لها شكل بيضاوى الا بعد أن اختبر تسعة عشر فرضا متتالية كان آخرها الفرض الصادق . ثم ان الباحث كلما اثبت خطأ فرض من الفروض اقترب فى بحثه من الحقيقة . وللتدليل على هذا القول نضرب مثلا لما حدث فى مصنع « هاوثورن » التابع لشركة «ويسترن اليكتريك Western Electric» بالولايات المتحدة . ففى الفترة بين ١٩٢٧ ، ١٩٣٢ أجريت تجارب فى ذلك المصنع كان الهدف منها دراسة الصلة بين الكفاية الانتاجية وبين الظروف الفيزيقية للعمل ، والصلة بينها وبين التعب والملل وطول ساعات العمل اليومى وفترات الراحة ومستوى الاجور ، وقد افترض الباحثون وجود صلة وثيقة بين انقاص ساعات العمل وادخال فترات للراحة وزيادة الاجور وبين زيادة الكفاية الانتاجية لدى العمال . ولاجراء التجربة أختار الباحثون ست عاملات ووضعوهن فى حجرة اختبار خاصة . فلاحظ الباحثون ان زيادة الاضاءة تؤدى الى زيادة فى كفايتهن ، وكلما امتد التحسين الى ظروف خارجية أخرى كادخال فترات الراحة أو انقاص ساعات العمل ، أو زيادة الأجر ، اطردت الزيادة فى الكفاية الانتاجية فى كل مرة يدخل فيها تحسين جديد ، غير ان الباحثين لاحظوا شيئا لم يكونوا يتوقعونه ، ذلك أن العاملات كانت كفايتهن الانتاجية تستمر فى التحسن حتى بعد أن أعيدت ظروف العمل الى ما كانت عليه من قبل ، أى بدون فترات للراحة وبدون تقليل لساعات العمل اليومية أو الأسبوعية ، وقد حاول الباحثون الاهتداء الى الحقيقة العلمية ، فوضعوا فروضا جديدة . ثم تبين فى النهاية أن السبب فى زيادة الكفاية الانتاجية لا يرجع الى الظروف والبواعث الخارجية بقدر ما يرجع الى ارتفاع الروح المعنوية لدى العاملات . فقد شعرن انهن نخبه اختيرت من بين زميلاتهن للتجربة ، وأن المصنع يهتم بهن كأفراد لا كمجرد آلات فى المصنع ، كما نشأت بين الفتيات الست علاقات أولية كان لها أثرها فى تقوية روحهن المعنوية ، ولذا زاد تحمسهن للعمل . وبعبارة أخرى وجد

الباحثون أن الفـروض الصحيح يشير الى أن العوامل الحاسـمة فى زيادة القدرة الانتاجية نفسية اجتماعية وليست مادية (١) .

واذا وجد الباحث أمامه فرضـين متناقضـين ، فعليه أن يبرهن على خطأ أحدهمـا حتى يتأكد من صدق الآخر . واذا وجـد الباحث أن التجارب تؤيد صحة الفرض الذى وضعه ، فعليه أن يقوم باحصاء جميع الفـروض المرتبطة بالفـرض الأول ثم يتأكد من صدقهـا لاكتشـاف القـانون الذى تخضع له الظاهرة التى يقوم بدراستها .

ويشترط فى التجارب أن تكون موضوعية غير متأثرة بذات البـاحث وأهوائه . ويقتضى هذا من القائم بالتجربة أن يتوخى الدقة فى التعبير عن النتائج التى يحصل عليها ، وأن يكون منزها عن الغرض حتى يرى الاشياء على حقيقتها لا كما يود هو أن يراها ، وأن يكون أمينا فى عرض النتـائج حتى يستفيد بها غيره من الباحثين . فليست حقائق العلم وقفا على فـرد دون فرد ، أو شعب دون آخر ، وانما هى تراث مشترك بين الانسـانية جمعـاء .

* * *

٤ ــ الوصول الى تعميمات علميـة :

اذا أيدت التجارب والملاحظات العلمية صحة فرض من الفروض دون أن يوجد فرض آخر يناقضه أو يتعارض معه ، فان الفرض الصادق ينتقل الى مرحلة القانون . وكثيرا ما توحى عدة فروض صحيحة بتكوين قانون واحد ، كما توحى فروض غيرها بتكوين قانون ثان وثالث وهكذا . وكلمـا تقدم علم من العلوم ، حاول الاقلال من عدد القوانين المستقلة فيه ، ومد نطاق العلاقات القائمة بينها ، وذلك بالربط بينها فى قانون عام واحـد يطلق عليه قانون القوانين . ويتميز هـذا القانون الاخير عن غيره من القوانين الجزئية بأنه أكثر عمومية وأكثر تجريدا . وقد اقترب علم الفيزياء شيئا ما من هذا الكمال . وبلغ مرحلة من النمو تسمو على ما بلغـه أى علم آخر ، وذلك لتقدم وسائل القياس فيه ، ولان العلماء توافروا على تهذيب قوانينه منذ زمن طويل .

---

(١) وللوقوف على تفاصيل هذه التجربة ، راجع كتابنا : علم الاجتماع الصناعى ، مكتبة غريب ، ١٩٧٨ ، الفصل الثانى .

D. Pelz, «Some Social Factors Related to Perfimance in a Research Organization», Administrative Science , Quarterly, 1, 1956, pp. 310-325.

وقد سبق ان بينا أنه بفضل منهج الاستقراء الناقص يستطيع الباحث ان يربط بين الحقائق الفردية المتفرقة التى يجمعها ، ولا يقتصر على الحالات التى يدرسها ، بل يضع القوانين التى تنطبق على الحالات المشابهة والتى لم تدخل فى نطاق بحثه . والباحث الذى يقتصر على جمع الحقائق ، ويتركها منفصلة عن بعضها دون أن يربط بينها ، ودون ان ينتقل من الحقائق التى درسها الى الحقائق المجهولة التى لم تدخل فى نطاق بحثه ، يكون شأنه كمن يعتقد أن البناء قد تم حين يتم له جمع الأحجار : غير ان العلم لا يكوم الحقائق كقوالب الطوب ، وانما يصل بينها ليقيم بناء متكاملا على أساس التعميمات .

ولا ينتهى المطاف بالعلماء عند وضع القوانين العلمية . فاكتشاف القوانين يدعو الى وضع النظريات التى تعمل على تفسير الحقائق والقوانين . والنظرية العلمية تصبح أكثر احتمالا للصدق اذا فسرت أكبر عدد من الحقائق والقوانين . ومجال تكوين النظريات مجال هام للتفكير العلمى . والتفكير النظرى الخلاق هو فى رأى « تالكوت بارسونز » أعلى مراتب النشاط الفكرى فى الميادين العلمية . ولا ينبغى أن يقلل من شأنه اعتقاد البعض بأنه لا يعتمد على الحقائق قدر اعتماده على التفكير الفلسفى . فالواقع أنه لا تعارض مطلقا بين الحقيقة والنظرية العلمية . فكلاهما مكمل للآخر ، متمم له . والنظرية العلمية لاتقوم الا على أساس من الحقائق الموضوعية ، ولا يكتب لها البقاء اذا كانت تحتوى على عناصر غيبية لا تخضع للبحث العلمى أو للتجريب ، وما لم تتأيد بالحقائق الجديدة التى يصل اليها العلماء . كما ان الحقيقة فى حد ذاتها لا تصبح لها قيمة علمية الا اذا ارتبطت مع غيرها من الحقائق فى اطار نظرى ، ومالم تساعد على اثبات أو رفض نظرية قائمة ، أو تؤدى الى اكتشاف قوانين ونظريات جديدة .

* * *

المراجـــع

(١) باللغــة العربية :

١ ـــ برتراند راسل : النظرة العلمية ، ترجمـــة عثمـــان نويه ، القاهرة ، ١٩٥٦ .

٢ ـــ محمود قاسم : المنطق الحديث ومناهج البحث ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الثالثة ، القاهرة .

(٢) باللغــة الاجنبيــة :

1. Bernard, C., An Introduction to the Study of experimental Medicine, McMillan and Co., New York, 1865.

2. Fisher, R., The Design of Experiments, Oliver and Boyd, London, 1935.

3. Goblot, E., Traite de Logique, 6 ed., 1937.

4. Merton, R., Social Theory and Social Structure, the Free Press, Glencoe, Illinois, 1956.

5. Pearson, K., The Grammer of Science. London, 1911.

6. Sjoberg, G. and Nett, R., A. Methodology for Social Research, Harper, New York, 1968.

* * *

الفصل الثالث

القوانين والنظريات العلمية

● خصـــائصها وأهميتهـــا :

سبق أن بينا أن العلم يصطنع منهج الاستقراء الناقص للوصول الى القوانين العامة التى تحكم ظواهر الحيـــاة ، وانه لا يقف عنـــد الحـــالات الجزئية التى يتعرض لدراستها ، بل يحاول الربط بينها وبين الحـــالات المتشابهة التى لم يتعرض لها بالدراسة والبحث عن طريق التعميم .

وقد أوضحنا فى الفصل الثانى خطوات المنهج العلمى ، والطريقة التى يسير عليها الباحث العلمى للوصول الى القوانين والنظريات العـــامة ، وسنحاول فى هذا الفصل تحـديد خصائص القوانين والنظريات العلمية ، ومدى الفائدة التى تحققها فى مجال العلم والعمل .

أولا ـــ القـــوانين

● تعريفهـــا وانواعهـــا :

يعرف القانون بأنه عبارة عن « علاقة ضرورية تقوم بين ظاهرتين أو أكثر » . والقوانين العلمية نوعان : سببية ووظيفية . والقانون السببى هو الذى يعبر عن كل علاقة ثابتة بين ظاهرتين يؤدى التغير الذى يطرأ على خواص احـــداهما الى تغير فى خـــواص الظـــاهرة الاخرى . وقد عرف جون ستيوارت ميل السبب بأنه « ظاهرة أو مجموعة ظواهر تلزم عنهـــا ضرورة ظاهرة أخرى تكون بمثابة نتيجة لها » كالحرارة بالنسبة الى تمدد الاجســـام الصلبة ، أو النار بالنسبة الى التبخر . وينطوى مفهوم السبب على معانى القدرة على التأثير . فالحرارة قادرة على التأثير فى الأجســـام الصلبة وجعلها تتمدد بالضرورة ، وكذلك الحال بالنسبة للنار وقدرتها على التبخر .

ويعبر القانون الوظيفي عن العلاقات بين الظواهر دون أن يشرح سلوك تلك الظواهر من الناحية السببية . وتعبر العلاقة الوظيفية عن كل ترابط بين امرين توجدان في آن واحد ، وتتغيران تغيرا نسبيا بحيث تعد كل منهما ... دا في الاخرى ، دون امكان القول بأن احداهما مقدمة والاخرى نتيجة ... ون الضغط الجوي مثلا يعبر عن علاقة وظيفية تربط بين الضغط وبين ... ارتفاع الزئبق في البارومتر ، بمعنى أن كل ارتفاع او انخفاض في الضغط يصحبه في الوقت نفسه ارتفاع أو انخفاض في أنبوبة البارومتر .

هذا ومن الممكن القول بأن الاتجاه الى وضع قوانين سببية يؤدي بالباحثين في كثير من الاحيان الى اخطاء أو مواقف متحيزة كان يمكنهم التخلص منها بسهولة لو أنهم اتجهوا الى وضع قوانين وظيفية هدفها ايجاد الارتباطات القائمة بين الظواهر . فالقانون السببي يفسر حدوث الظاهرة بسبب واحد ، نهائي ، وقاطع . وهو في معظم الأحيان مستحيل بالنسبة لظواهر الكون . ولو تناولنا ظاهرة طبيعية معقدة مثل حالة الطقس ، لوجدنا أن العوامل التي تتدخل فيها تبلغ من التشابك حدا يستحيل معه الكلام عن « سبب » في هذا الصدد ؛ على حين ان فهم حالة الطقس عن طريق تحديد مدى ارتباطها بمختلف العوامل المؤثرة فيها ، كالحرارة والرطوبة والضغط .. الخ . يؤدي الى القاء ضوء واضح على المشكلة موضوع البحث . وفي العلوم الانسانية تبدو فكرة الارتباط بالقياس الى فكرة السببية أوضح بكثير . خذ مثلا محاولات العلماء تعليل ظاهرة الاجرام ، فكثير من هؤلاء العلماء يأتون بقوانين ونظريات يتضمن كل منها سببا واحدا يعللون به هذه الظاهرة ، كعوامل البيئة الاجتماعية أو الأسرة أو العامل الاقتصادي أو الوراثي أو التكوين الجسمي . ولكن الواقع يثبت دائما أن ظاهرة الجريمة من الصعب ارجاعها الى عامل واحد فقط ، وعلى العكس من ذلك فاننا لو بحثنا هذه الظاهرة من خلال فكرة الارتباط ، أي اذا حددنا مقدار ارتباطها بالعامل الاقتصادي وبعامل تفكك الاسرة وغيرها من العوامل لوصلنا الى نتائج عظيمة الفائدة دون أن نقيد أنفسنا بعامل واحد له طبيعة مطلقة .

وقد عارض كثير من المفكرين من بينهم جون ستيوارت ميل ، وأوجيست كونت ، ودفيد هيوم ، فكرة القوانين السببية قائلين ، انه اذا كان العقل البشري في صباه يميل الى التساؤل عن العلل والاسباب — كما هو الحال عند البدائيين والاطفال — فان من الواجب في مرحلة النضوج العلمي أن يقنع بالتساؤل عن العلاقات .

ويرى « برتراند راسل » أن القانون السببي ليس جديرا بأن يسمى

قانونا ، لانه لا يتضمن فكرة الضرورة ، فمن المحتمل جدا ألا يؤدى السبب الى نتيجته . كما أن من العسير ان نجد حادثة واحدة تعد سببا فى حادثة أخرى .

أما أوجيست كونت فيرى أن العلم الوضعى لا يتجه الا الى الظواهر والى العلاقات بينها ، أما محاولة الكشف عن الاسباب فهى فى نظره من مخلفات عصر التفكير الغير علمى .. ذلك التفكير الذى يغلب عليه الطابع اللاهوتى أو الميتافيزيقى (١) .

هذا ومن الملاحظ أن العلوم المتقدمة قد استعاضت عن القوانين السببية بالقوانين الوظيفية . ولم تعد القوانين العلمية تبحث عن علل الظواهر ، بل صارت تهتم بدراسة نظام الظواهر ، وطريقة تشابكها . وانواع العلاقات القائمة بينها .

***

● خصائصها :

١ ــ تعبر القوانين العلمية عن سلوك ظواهر مقيدة تحت ظروف معينة . ومن الخطأ الاعتقاد بأن القوانين العلمية مطلقة بمعنى أنها غير محدودة بحدود الزمان والمكان . والحقيقة أن قوانين العلوم وخاصة العلوم الاجتماعية نسبية وغالبا ما تكون محدودة بحدود المكان والزمان . فالقانون الذى ينطبق على ظاهرة معينة فى مجتمع معين قد لا ينطبق على نفس الظاهرة فى مجتمع آخر . والقانون الذى ينطبق على ظاهرة معينة فى مجتمع معين فى فترة معينة قد لا ينطبق على نفس الظاهرة فى نفس المجتمع ولكن فى فترة زمنية أخرى .

٢ ــ القوانين العلمية تقريبية ، فهى تعبر عن مقدار معرفة الباحثين الظواهر التى يقومون بدراستها . ولما كان من الممكن أن تتسع دائرة هذه المعرفة ، فان هذه القوانين تتعرض للتعديل والتبديل لتصبح أكثر دقة وصدقا، ولكنها على الرغم من ذلك لا تصل أبدا الى درجة الدقة المطلقة (٢) .

ومما يساعد على عدم دقة القوانين العلمية أن العالم يستنبطها من نتائج الملاحظات والتجارب التى يقوم بها . وهذه النتائج ليست فى الغالب

---

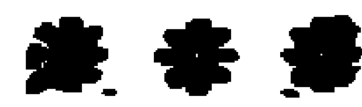
(١) ليفى بريل : نفس المصدر ، ص ٦٥ .

(٢) W. Jevons : Principles of Science, Chap. 3.

الا نتائج تقريبية نظرا لان أدوات القياس التى تستخدم فى التجارب ليست دقيقة كل الدقة ، وكل تحسين يطرأ على المقاييس والادوات العلمية ، يؤدى الى تعديل فى صيغ القوانين التى سبق تحديدها .

ويعبر برتراند راسل عن هذا المعنى بقوله : ان العلم الدقيق تسيطر عليه فكرة التقريب . واذا اخبرك أحد من الناس أنه يعرف الحقيقة عن أى شىء ، فثق بأنه رجل غير دقيق ... ولا يوجد انسان علمى فى روحه يؤكد أن ما يعتقد الآن فى العلم هو الحق تماما ، بل هو يؤكد انه مرحلة فى الطريق الى الحق التام (١) .

٣ — حينما تتغير صيغ القوانين فليس معنى ذلك أن العلم يلقى بالقوانين القديمة جانبا ، بل يضع مكانها شيئا ادق منها قليلا . ويقرب برتراند راسل هذه الفكرة الى الاذهان بالمثال التالى : انك ان قست نفسك بجهاز تقريبى ، فعرفت ان طولك ستة أقدام بالضبط . لم تفترض — ان كنت حكيما — أن طولك ستة أقدام بالضبط ، بل تفترض أن طولك يتراوح مثلا بين خمسة أقدام واحدى عشرة بوصة وبين ستة أقدام وبوصة واحدة . واذا قيس طولك بعناية فظهر أنه يبلغ خمسة أقدام ، ١١٫٩ بوصة ، فلا تظن أن هذا قد ألقى بالنتيجة السابقة عرض الحائط . فالنتيجة السابقة كانت تقول بأن طولك يبلغ ستة أقدام ، وقد ظل هذا صحيحا وأمر التغيرات فى القوانين العلمية يشبه ذلك تماما (٢) .



● أهميتها :

١ — لما كانت القوانين تيسر لنا ضم عدد كبير من الحقائق فى صيغة واحدة ، فانها تحقق لنا نوعا من الاقتصاد الفكرى الثمين ، وتسهل لنا معرفة كثير من الحقائق التى تشتمل عليها .

٢ — تهيىء القوانين العلمية للانسان فهم كثير من الحقائق التى عجز العقل الانسانى عن تفسيرها فترة طويلة من الزمان كما تسمح له بالكشف عن علاقات جديدة . مثل ذلك قانون باستير القائل بأن الجراثيم هى سبب التعفن كان سببا فى فهم كثير من الظواهر كظاهرة تعفن السوائل والأجسام العضوية وانتشار الاوبئة؛ كما أنه استخدم فى الكشف عن كثير من الحقائق المتعلقة بالبكتريا والطفيليات واصل الامراض .

---

(١) برتراند راسل : المصدر السابق ص ٥٣ .
(٢) برتراند راسل : نفس المصدر ص ٥٤ .

ونظرا لما للقوانين من أهمية نظرية كبرى ، فان جميع العلوم على اختلاف موضوعاتها تسعى الى تحديد القوانين التى تخضع لها الظواهر التى تقوم بدراستها . فعلم الكيمياء مثلا حينما يدرس ظواهر المادة انما يقوم بذلك لكى يستخلص منها القوانين التى تخضع لها تلك الظواهر ، وعلم الاجتماع لا يدرس الظواهر الاجتماعية كحقائق متفرقة ، وانما يدرسها ليصل الى القوانين العامة التى تسير بمقتضاها المجتمعات الانسانية المختلفة وهكذا الحال فى جميع العلوم .

٣ — للقوانين قيمة علمية كبرى ، نظرا لانها تسمح لنا بأن نتنبأ بما سوف يطرأ على الظواهر من تغيرات فى المستقبل . وقد هيأت هذه المعرفة للانسان سبيل السيطرة على الطبيعة ، وتسخيرها لخدمة البشرية ، والتنبؤ بالمشكلات قبل وقوعها ، ورسم أحسن الطرق لمواجهتها والتغلب عليها .

* * *

ثانيا — النظريات العلمية

● تعريف النظرية :

يمكن تعريف النظرية بأنها « عبارة عن اطار فكرى يفسر مجموعة من الحقائق العلمية ، ويضعها فى نسق علمى مترابط » (١) ، وبأنها « مجموعة من القضايا تتوافر فيها شروط متعددة من أهمها : أن تكون القضايا مستنده الى أفكار محددة تماما ، وأن تكون القضايا متسقة الواحدة مع الأخرى ؛ وأن تكون على صورة يمكن أن تستمد منها التعميمات باتباع الأسلوب الاستدلالى ، وأن تكون القضايا المكونة للنظريات ذات فائدة بحيث يمكن أن تقود الباحثين الى مزيد من الملاحظات والتعميمات لتوسيع نطاق المعرفة » (٢) ، وبأنها « تفسير لظاهرة معينة من خلال نسق استنباطى deductive system » (٣) ، وبأنها مجموعة من القضايا التى ترتبط معا بطريقة علمية منظمة ، والتى تعمل على تحديد العلاقات السببية بين المتغيرات » (٤) ، وبأنها عبارة عن « مجموعة مترابطة من المفاهيم Definitions ، والتعريفات Concepts ،

---

(١) W. Goode and P. Hatt, Methods in Social Research, 1952, p. 56.

(٢) N. Timasheff, Sociological Theory, N.Y. 1955.

(٣) R. Braithwaite, Scientific Explanation, Cambridge, 1953.

(٤) P. Black, and D. Champion, Methods and Issues in Social Research, N.Y., 1976, p. 56.

والقضايا Propositions التى تكون رؤية منظمة للظواهر عن طريق تحديدها للعلاقات بين المتغيرات بهدف تفسير الظواهر والتنبؤ بها .. » (١).

ووفقا للتعريفات السابقة ، فان بناء النظرية العلمية يستلزم توفر العناصر الآتية :

١ — وجود اطار تصورى Conceptual Scheme ، أو مجموعة من المفاهيم تتناول موضوع النظرية ، ويمكن أن يميز فى بناء النظرية بين نوعين من المفاهيم ، يعرف أولهما بالمفاهيم الوصفية ، وهى التى تتناول موضوع النظرية كمفهوم الانتحار ، والفردية ، والتكامل ، والامتثال ، واللامعيارية . ويعرف الثانى بالمفاهيم العلمية أو الواقعية ، ومن أمثلتها معدل الانتحار ، وانتشار البروتستنتية ، ويطلق على النوع الاخير اصطلاح المتغيرات (٢) .

وتقتضى صياغة النظرية ضرورة التحديد الاجرائى لكافة المفهومات التى تتضمنها النظرية بل ويقتضى الامر فى نظر بعض الاجرائيين Operationalists ضرورة ربط كل مفهومات النظرية ربطا مباشرا بالشواهد الامبيريقية ، ويترتب على ذلك ضرورة منطقية أخرى وهى خضوع كل التعميمات التى يحتويها بناء النظرية للاختبار الامبيريقى فى ضوء الوقائع المشاهدة .

٢ — اشتمال النظرية على مجموع من القضايا بحيث تقرر كل قضية علاقة معينة بين متغيرين على الاقل ، مثل ذلك القضية القائلة بأنه كلما ازداد انتشار العقيدة البروتستنتية زادت النزعة الفردية ، والقضية التى تقول بأنه ازداد انتشار العقيدة البروتستنتية ازداد الميل الى الانتحار .

٣ — ترتيب القضايا التى تشكل فى نسق استنباطى (استنتاجى) ، أى وضع المقدمات فى البداية ثم الانتقال منها الى النتائج . ومن الضرورى عند بناء النظرية مراعاة مبدأ عدم التناقض وهو ما يعرف بمبدأ « الاتساق المنطقى » أى استنباط كل قضية من القضية التى تسبقها حتى تصل الى أدنى المستويات .

---

(١) F. Kerlinger. Foundations of Beavioral Research, N.Y., 1965, p. 11.

(٢) G. Homans. Contemporary Theory in Sociology in Paris, R. Handbook of Modern Sociology, 1964, pp. 915-977.

٤ — قيام النظرية بتفسير الوقائع التى تشتمل عليها ، وكلما فسرت النظرية قدرا أكبر من الوقائع زادها ذلك قوة ويقينا (١) .

وبناء النظرية العلمية يعتمد على جهد عقلى تركيبى من جانب الباحث . يتميز بالنظرة الكلية الى الحقائق الجزئية ، ويحرص على تنظيم الاجزاء فى نطاق كل موحد ، ولذا تعتبر دائما أعلى مستويات المعرفة .

ولتوضيح هذا القول نضرب المثـــال التالى بنظرية اميل دوركايم فى الانتحار . قام دوركايم بدراسة ظاهرة الانتحار معتمدا عـلى الاحصائيات والارقام ، فلاحظ أن معدل الانتحار يختلف من مجتمع لآخر ، ومن جمـاعة لأخرى . فمعدل الانتحار فى المجتمعات البدائية والريفية أقل منه فى المجتمعات المتحضرة ، كما أن معدل الانتحار بين المتزوجين أقل منه بين العزاب ، وبين المتزوجين ذوى الأطفال أقل منه بين من لم ينجبوا ، ويصل المعدل الى أقل نسبة بين الاشخاص المتزوجين الذين يعولون عائلات كبيرة ، كمـا وجد أن الانتحار بين المفكرين الاحرار يصل الى أعلى نسبة ، ويلى ذلك الانتحار بين البروتستانت ثم الكاثوليك ، وأن أقل نسبة هى التى توجد بين اليهود . وقد حاول دوركايم أن يفسر كل تلك الحقائق الجزئية مبتعدا عن التفسيرات السيكلوجية والبيولوجية والكونية ، فوضع نظريته التى تقول بأن الميل الى الانتحار يتناسب عكسيا مع درجة التكامل الاجتماعى . فكلما زادت درجـة التضامن الاجتماعى فى أية جماعة انخفض معدل الانتحار . ويلاحظ أن هــذه النظرية تفسر الحقائق الكثيرة التى وجدها دوركايم عن اختلاف معــدلات الانتحار . فالتكـــامل الاجتماعى فى المنــاطق الريفية أقـوى منه فى المناطق الحضرية ، والمتزوجون يرتبطون بروابط أسرية قوية تؤلف بينهم بخلاف الحال بين العزاب ، والكاثوليك تؤدى الى تكــامل اجتماعى أكبر مما تؤدى اليه البروتستانتية التى تتميز بالطابع الفردى ، كما أن شعور اليهود بالاضطهاد المزعوم هو الذى يجعلهم يرتبطون مع بعضهم ارتباطا وثيقا .

* * *

● **شروط النظرية العلمية :**

يشترط فى النظرية العلمية الصحيحة ما يأتى :

١ — الايجاز : يجب أن تكون النظرية العلمية موجزة فى التعبير عن الحقائق التى تشتمل عليها ، وفى بيان الغرض الذى وضعت من أجله .

---

(١) P. Cohen, Modern Social Theory, pp. 1-10. G. Homans, Contemporary Theory in Sociology, in Paris, B. Handbook of Modern Sociology, 1964, pp. 951-977.

٢ — الشمول : يجب أن تشتمل النظرية على جميع الحقائق الفرعية التي تنطوى عليها ، وأن تفسر أكبر عدد من الظواهر . فنظرية دوركايم فى الانتحار مثلا تشتمل على كثير من الحقائق الفرعية ، وتعمل على تفسيرها جميعا .

٣ — الانفراد : يجب أن تنفرد النظرية بتفسير الحقائق التى تشتمل عليها . فوجود نظرية أخرى تفسر نفس الحقائق التى تفسرها النظرية الأولى يضعف الأهمية العلمية للنظريتين . ويلاحظ أن تقدم الدراسة والبحث فى موضوع ما يؤدى الى اختفاء ظاهرة التفاوت الكبير بين النظريات .

٤ — القدر على التنبؤ : يجب أن تساعد النظرية العلمية على التنبؤ بما يحدث للظواهر المختلفة قبل حدوثها ، فاذا ظهر ان هذه التنبؤات صحيحة ازدادت قوة ويقينا .

* * *

● خصائص النظرية :

تشترك النظرية العلمية مع القوانين فى كونها نسبية وتقريبية ، الا أنها فى الوقت نفسه أقل تأكيدا من القوانين ، ولذا ينظر اليها على أنها فرض من الدرجة الثانية . ويعبر أوجيست كونت عن هذا المعنى بقوله : ان المعانى المطلقة تبدو لى مستحيلة جدا ، الى درجة أنه على الرغم من دلائل الصدق التى أراها فى نظرية الجاذبية ، فانى لا أكاد أجرؤ على ضمان استمرارها (١) .

ويقـــــر « سوليفان Sullivan » فى كتابه « حدود العلم » ان النظرية العلمية الحقة ليست الا فرضا عاملا ناجحا ، وانه لاحتمال كبير جدا ان كل النظريات العلمية خاطئة (٢) . ويربط أندروز بينها وبين التجربة فيقول : النظريات تقترح نموذج المتاهة ، والتجربة تقدر المسالك المســـــدودة والمختصرة . فاذا تبين ان المتاهة لا تحتوى الا على مسالك مسدودة عدلت أو تركت . أو هذا ما ينبغى أن يحدث .

ويزداد يقين العلماء بالنظريات كلما أيدتها التجارب من ناحية ، وكلما فسرت أكبر عدد من الظواهر والقوانين من ناحية أخرى . ولابد للنظريات ان تتطور دائما مع تطور العلم . ويدلنا تاريخ أى علم من العلوم على أن

---

(١) ليفى بريل : المرجع السابق ، ص ٧٠ .

(٢) J. Sullivan : The Limitations of Science, A. Mentor-book, N.Y., 14, p. 158.

نظرياته تتطور مع الزمن . ولهذا يقول كلود برنارد : ان النظريات العلمية ليست الا درجات نستريح لديها حتى نتقدم فى البحث ، وهى تعبر عن المرحلة الراهنة لمعرفتنا ، ولذا يجب ألا نؤمن بها ايماننا بعقائد الدين ، وأن نعدلها تبعا لتقدم العلم .

***

● أهميتهــــا :

تقوم النظريات العلمية بعدة وظائف أهمها :

١ ـ تحدد النظرية ميادين الدراسة فى مختلف العلوم كما تحدد نــوع الحقائق التى ينبغى أن يتجه اليها الباحث فى ميــدان دراسته . وبدون النظرية تتداخل ميادين البحث ، وتتلاشى الحدود التى تفصلها بعضهــا عن بعض .

فالظاهرة الواحدة أو الموضـــوع الواحد يمكن أن ينظر اليـــه من زوايا مختلفة . فموضوع التليفزيون مثلا قد يدرسه عالم الاجتماع من ناحية تأثيره فى قضاء الناس لأوقات فراغهم ، وقد يدرسه عالم النفس من ناحية تأثير برامجه فى سلوك الافراد ، وقد يدرسه عالم الاقتصاد كاحدى السلع المتأثرة بقانون العرض والطلب . كل حسب تخصصـــه ، ووفق النظـريات التى يسترشد بها فى بحثه ، والتى تحدد ميدان دراسته .

ولا ريب فى أن النظريات العلمية توجه تفكير الباحثين ناحية الموضوعات التى تشتمل عليها . وكثيرا ما تحدث تلك النظريات ثورة كاملة فى نطاق العلم ذاته . مثال ذلك نظرية دارون فى النشوء والارتقاء . فقد كان لهذه النظرية أثر عميق فى توجيه التفكير الانسانى ، وفى توجيه الدراسات المتعلقة بأصل الانســـان وبسلوكه وجهـــة جـديدة بحيث دارت حولهـــا كثير من البحوث البيولوجية والنفسية والاجتمـاعية . كذلك الحال بالنسبة لنظرية العقـد الاجتماعى والنظرية البيولوجية والنظرية الانثروبولوجية التى حددت اتجاهات الدراسة والبحث فى علم الاجتماع لفترة طويلة . وفى علـم النفس كـان للنظريات المختلفة ـــ التى ظهــرت فى أواخـر القـــرن الماضى ومطلع القرن الحالى ـــ كالنظرية التركيبية التى تهتم بتحليل الشعور والحالات الشعورية، والنظرية الوظيفية التى تهتم بوظيفة العمليـــة السيكولوجيـــة قبل الاهتمـــام بالتركيب ، والنظرية الترابطية ، والنظرية السلوكية ... الى آخـــر تلك النظريات ، أثر كبير فى تحديد اتجاهات الدراسة والبحث فى علم النفس ، وهكذا الحال فى مختلف الميادين .

٢ — تقدم النظرية عددا كبيرا من المفاهيم والمصطلحات العلمية التى لا غنى عنها لاى علم من العلوم ، وبزيادة المفاهيم والمصطلحات التى تقدمها النظريات ، تنمو العلوم وتتقدم سريعا . فكل مفهوم concept يتضمن خبرة اجتماعية وعلمية طويلة ، وهو بمثابة تلخيص لكثير من الحقائق التى تشتمل عليها النظرية العلمية .

٣ — تقوم النظرية بتلخيص كثير من الحقائق العلمية وتصنيفها وايجاد العلاقات بينها . فمن العسير على أى باحث أن يقف على جميع التفاصيل المتعلقة بالظواهر بسبب كثرتها وتشعبها . كما أن الحقائق لا تصبح لها دلالة علمية الا اذا ارتبطت مع غيرها من الحقائق فى اطار نظرى شامل . ولذا فان النظرية تقوم بتلخيص الحقائق ، وتعمل على تصنيفها والربط بينها فى اطار علمى متكامل .

٤ — تكشف النظرية عن مدى القصور فى المعارف العلمية . لانها بتلخيصها للحقائق العلمية المعروفة تشير الى النواحى التى لم تبحث من قبل. وهذه النواحى قد تكشف عن حقائق لها دلالتها العلمية اذا خضعت للبحث العلمى الدقيق .

فقد تشير احدى النظريات الى العلاقة القائمة بين الجريمة والطبقة الاجتماعية فيتبين أحد الباحثين المدققين فى الجريمة أن النظرية لا تحيط الا بجرائم المحترفين . فيحاول أن يكشف عن أنواع أخرى من الجرائم وهذا ما فعله « سذرلاند Sutherland » فاكتشف نوعا آخر من الجرائم أطلق عليه «جرائم الخاصة White — Collar Crime» .وقد دل هذا الاكتشاف على أن خرق القانون سائد فى طبقات القادرين اقتصاديا ، الا أن الجماعة تحترم الاغنياء ومن ثم تتسامح معهم (١) .

وقد تشير نظرية أخرى الى أن الجريمة فى المدينة ذات طابع مادى ، فيرى أحد الباحثين أن هذه النظرية لا تكشف عن طابع الجريمة فى الريف ، كما انها لا تكشف عما اذا كانت ظروف الحياة بالمدينة هى التى تدعو للجريمة المادية ، أم أن ذوى الاستعدادات والميول الاجرامية هم الذين يتجهون الى المدينة . فيحاول الكشف عن هذه الحقائق والوصول الى نتائج جديدة .

من هذا يتضح أن النظرية العلمية تفيد فى الكشف عن نواحى القصور

---

(١) E. Sutherland : White Collar Crime, New York 1949.

فى المعرفة العلمية . وبذلك تفتح مجالات جديدة للدراسة والبحث . وقد توحى النظرية بفروض جديدة ، وتفضى هذه بدورها الى معرفة بعض الظواهر الخفية التى يمكن دراستها وتحليلها ، والى الكشف عن بعض القوانين الجزئية التى يمكن ارجاعها الى النظرية العلميــة ، فتزداد هذه قوة ويقينا .

٥ — تساعد النظرية على التنبؤ بما يمكن أن يحدث للظواهر المختلفة تحت ظروف معينة وأساس التنبؤ هنا هــو الانتقال من الحالات المعلومة الى الحــالات المجهولة أو الحالات المشــابهة . فالنظرية الايكولوجيــة فى الجريمة مثلا تذهب الى أنه فى خلال عمليات التحضر ونمو المدن ، تظهر مراكز تجمع فى مناطق معينة تسودها التقاليد والقيم الاجرامية وهى ما أطلق عليه « كليفورد شو » اسم « شقة الجريمة Delinquency Area » . ويرى « شو » أن هذه الشقة تتميز بالمبانى المتهالكة ، والازدحام بالسكان ، وقربها من الاحياء الصناعية والتجارية بالمدينة . وتتميز من الناحية الاجتمــاعية والخلقية بضعف الروادع والقيم السائدة مما تجعل منها « جيبا » معزولا عن الجو الخلقى العام ، وعن قيم الجماعة وقوانينها (١) .

فهذه النظرية تنطبق على كثير من المدن الصناعية الحديثة . وتساعد على التنبؤ بما قد يحدث من مشكلات فى مناطق المدينة المختلفة خــــلال عمليات التحضر ، وبالمثل يمكن الاســتفادة بالنظريات العلمية المختلفة فى التنبؤ بما يحدث للظواهر المختلفة قبل حدوثها . فاذا طابق التنبؤ الواقع ازدادت صحة النظرية وازدادت أهميتها .

٦ — يمكن الاستفادة بالنظريات العلمية فى مجال التطبيق . وبفضلها يستطيع الانسان أن يتحكم فى ظواهر الطبيعة المختلفة ، ويوجهها لخــدمة الانسانية ويتنبأ بالمشكلات قبل حدوثهـا ، ويضع أحسن الحلول لمواجهتها .

* * *

---

(١) T. Morris : The Criminal Area, London, 1958, p 19.

المراجـــع

(١) باللغـة العربية :

١ — برتراند راسل : النظـرة العلميـة ، ترجمـة عثمـان نوية ، لقاهرة ١٩٥٦

٢ ـ ليفى بريل : فلسفة أوجيست كونت ، ترجمة محمود قاسم والسيد بدوى ، القاهرة ١٩٥٢

٣ — محمود قاسم : المنطق الحديث ومناهج البحث ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، بدون تاريخ .

(٢) باللغة الانجليزية :

1. Andrews, T. Methods of Psychology, 1948.
2. Bernard, G., An Introduction to the Study of Experimental Medecine, McMillan and C., New York, 1895.
3. Black, C. and Champion, D., Methods and Issues in Social Research, Harper, New York, 1976
4. Cohen, M., and Nagel, E., An Introduction to Logic and Scientific Method, New York, Harcourt, 1934, Chaps, 6 and 7.
5. Goode, W., and Hatt P. Methods in Social Research, New-York, 1952, Chap. 2.
6. Kerlinger, F., Foundations of Behavioural Research, New-York, 1965.
7. Merton, R., Social Theory and Social Structure, Glencoe, Ill., 1949, Chaps. 2 and 3.
8. Sullivan, J., The Limitations of Science, A mentor book New York, 1952, p. 158.

* * *

الفصل الرابع

تاريخ التفكير العلمى

اصطلح كثير من المفكرين على أن يبدأوا الكتابة فى تاريخ التفكير العلمى بدراسة الاتجاهات العلمية التى ظهرت فى عصر النهضة الأوروبية . غير أن هذا الاتجاه من شأنه أن يقلل من قيمة المحاولات التى سبقت عصر النهضة الاوروبية بزمن طويل ، والتى قام بها بعض علماء الاغريق والعرب لوضع قواعد المنهج العلمى الصحيح .

وسنعرض فى هذا الفصل للاتجاهات العلمية عند قدماء المصريين والاغريق والعرب لنرى الى أى حد ساهم هؤلاء فى وضع أسس التفكير العلمى ، ثم ننتقل الى بيان الاتجاهات العلمية فى العصور الحديثة ، والتى تعتبر ولا ريب امتدادا للمحاولات السابقة لها .

١ ــ التفكير العلمى عند قدماء المصريين :

كان المصريون القدماء أصحاب مدنية انسانية عريقة ، وتشهد الاهرامات والمعابد والآثار التى خلفوها بذلك المستوى الحضارى العريق الذى وصلوا اليه .

واذا حللنا اتجاهات التفكير فى مصر القديمة لوجدنا أن له طابعين .

أحدهما : اتصاله الوثيق بالدين . فقد انصب معظم تفكير المصريين القدماء حول الخلود ويوم الحساب ، واسترضاء الآلهة . ومن أمثلة ما خلفوه لنا كتاب الموتى الذى يعتبر اثرا ناطقا بقوة ايمانهم بالخلود ، وسمو آدابهم . ولقد كان من اثر ايمانهم بالدين أن أصبح للكهنة نفوذ كبير عليهم حتى فى النواحى العلمية . فكانت العلوم تمارس بواسطة الكهنة ، ولم يسمحوا لاحد من عامة الشعب بأن يشاركهم فى معارفهم ، كما حرصوا على أن تظل معرفتهم للعلوم سرا من الأسرار المقدسة . ومن هنا اختلط العلم بالدين ، واصطبغ بلون من الغموض والسحر والتصوف .

وثانيهما : اتجاهه الى الناحية التطبيقية لتحقيق غايات نفعيه ، ولذلك برعوا فى التخطيط والهندسة والحساب والطب ، والفلك والزراعة ، فقد اتضح من دراسة أوراق البردى أنهم أخذوا بقسط وافر من كل هذه العلوم .

ولم تكن فكرة البحوث الاجتماعية غريبة عليهم . فقد سجل هيرودوت الأبحاث التى كان يجريها ملوك مصر عن السكان والثروة لمعرفة حالة السكان واحتياجاتهم ، وحاجة كل اقليم من انغلال والمقدار الذى يجب أن يحفظ لكل اقليم .

ويؤخذ على المصريين القدامى انهم ربطوا كل شىء وكل ظاهرة بالآلهة ولم يتركوا لنا قوانين أو نظريات علمية تفسر الظواهر المختلفة ، ولم ينظموا معلوماتهم تنظيما منهجيا سليما . أى انهم لم يوفقوا فى الوصول الى فكرة العلم المنظم القائم على الملاحظة والتجريب .

* * *

٢ — التفكير العلمى عند الاغريق :

برع اليونانيون فى كثير من نواحى النشاط الانسانى ، وبلغوا شأوا عظيما فى العلوم التأملية التى تستند الى النظر العقلى المجرد ، فبحثوا فى كثير من مسائل الفلسفة متحررين من قيود الدين ، وألفوا علما للأخلاق يوازن بين اللذة والفضيلة موازنة جدلية ، ويعرف الفضيلة وشروطها وانواعها .

وكانت فلسفتهم تعبر عن روح العصر وطبيعة المجتمع الذى يعيشون فيه . فالمجتمع اليونانى فى مرحلة انهياره كان مجتمعا عبوديا طبقيا ، ينظر الى كل عمل يدوى على أنه عمل غير دمث . لذلك فكل دراسة تحتاج الى التجربة كانت فى نظرهم سوقية حوشية الى حد ما (١) . وكان ينظر الى الفكر والتأمل على أنهما من نصيب السادة ، أما العمل والفاقة فهما من نصيب العبيد .

وجدير بنا أن نذكر أن أفلاطون كان فيلسوفا من طبقة الاشراف ، ولهذا كانت فلسفته تعبر عن هذا الوضع تعبيرا دقيقا . فهو يحرص على ابقاء الأوضاع الطبقية التى تحقق مصالح طبقته ، ويميز فى جمهوريته بين الفلاسفة والعمال ، فيفرد للفلاسفة مكانا قياديا ، ويجعل لهم الحق فى وضع القوانين ورسم السياسة العادلة المستقيمة .

---

(١) برتراند راسل : نفس المصدر ص ٥٢

واذا جاوزنا افلاطون الى ارسطو وجدنا أنه قريب الشبه بافلاطون . فهو يرى أن كمال المعرفة يكون بمقدار بعدها عن الحياة العملية ، كما أنه يرى أن بعض الأفراد يولدون عبيدا بالفطرة ، وأنهم لا يصلحون الا للعمل اليدوى .

ومن الناحية المنهجية وضع أرسطو ـ كما أشرنا سابقا ـ قواعد المنهج القياسى ، وعرفه بأنه الاستدلال الذى اذا سلمنا فيه بمقدمات معينة لزم عنها بالضرورة شىء آخر غير تلك المقدمات .

وبالرغم من اهتمام ارسطو بالقياس الصورى الذى يعتبره علما مطلقا الا أنه فطن الى الاستقراء ، ودعا الى الاستعانة بالملاحظة ، واستخدمها بالفعل فى بعض دراساته ، ولكنه على الرغم من ذلك لم يفصل فى تحديد خطوات المنهج الاستقرائى ، والأسس التى يقوم عليها ، وظل الطابع التأملى هو الغالب على تفكيره وتفكير من تبعوه (١) .

وقد اهتم الاغريق بالهندسة والفلك الى جانب اهتمامهم بالمنطق . فقرروا من البداية أن الأرض مستديرة ، ووصل بعضهم الى نظرية كوبرنيكس ، فأرجعوا الحركة اليومية للشمس والنجوم الى دوران الارض لا دوران الأجرام السماوية ، وكذلك كشف الاغريق طرقا سليمة لقياس محيط الأرض . وكان أقرب الاغريق الى العلم أرشميدس (٢٥٧ — ٢١٢ ق . م .) الا أنه استخدم الأسلوب القياسى فى الدراسة كغيره من اليونانيين . فكتابه عن الاستاتيكا كتاب ذائع الشهرة ، ولكنه يبدأ من المسلمات التى يفترض فيها أنها لا تحتاج الى برهان ، وأنها ليست نتيجة التجربة . وكذلك كتابه فى الأجسام الطافية يسير على المنهج القياسى .

من هذا العرض يتبين لنا أن نصيب الاغريق فى خلق المنهج العلمى القائم على الأسلوب الاستقرائى كان ضئيلا غاية الضآلة ، ذلك لأن عبقريتهم كانت قياسية اكثر مما كانت استقرائية ، كما كانت نظرتهم الى العالم « نظرة الشاعر لا نظرة العالم » (٢) .

* * *

---

(١) J. Le Bland : Logique et Methode chez Aristotle, Paris, 1939, pp. 120-146.

(٢) برتراند راسل : المصدر السابق ص ٦ .

٣ ـ التفكير العلمي عند العرب :

اذا انتقلنا الى الدولة العربية لنتتبع الأثر الذى استحدثه علماء العرب فى تقدم الطريقة العلمية وجدنا أن نصيبهم فى خلق المنهج العلمى كان كبيرا . فالفكر العربى فى جوهره كان تجريبيا ، تجاوز الحدود الصورية لمنطق أرسطو ، واتخذ الملاحظة والتجربة مصدرا لعلمه . وكان هذا الفكر التجريبى يربط بين التأمل النظرى والممارسة العملية ويتجه الى التحديد الكمى .

ولقد أفادت الحضارة العربية فى أول أمرها من الحضارات السابقة لها زمنيا ومنها حضارة اليونان ، لان تطور الحضارة البشرية متصل الحلقات ويقوم على استفادة الخلف من جهود السلف . ولكن العرب لم يقنعوا بما أخذوه عن غيرهم وانما بحثوا وابتكروا ، واضافوا اضافات جديدة للعلم ومنهجه .

ولقد كان أمرا طبيعيا أن يستفيد العرب بمنهج الاغريق فى الدراسة والبحث ، ثم كان أمرا طبيعيا أيضا أن يختلف موقف العرب بعد ذلك من هذا المنهج اختلافا بينا . وهذا هو ما تحقق بالفعل . فقد عارض العرب المنهج القياسى وخرجوا على حدود الملاحظة والتجربة ذلك لان الاقيسة المنطقية ـ كما يقول ابن خلدون ـ أحكام ذهنية ، والموجودات الخارجية متشخصة ، فالتطابق بينهما غير يقينى ، لان المادة قد تحول دونه ، اللهم الا ما يشهد له الحس من ذلك ، فدليله شهوده لا تلك البراهين المنطقية .

واهتم العرب بالعلوم التى تصطنع منهج الاستقراء ، واتخذوا الملاحظة والتجربة أداة لتحصيل المعارف العلمية ، واستعانوا بالأدوات العلمية فى القياس ليحصلوا على نتائج جديدة ، ومن العلوم التى نبغوا فيها الفلك والطبيعة والكيمياء والطب . وظهرت أسماء لامعة فى هذه الميادين من بينها ـ على سبيل المثال لا على سبيل الحصر ـ البيرونى ، والخازن البصرى ، والحسن بن الهيثم ، وجابر بن حيان ، وأبو بكر الرازى ، وابن سينا ، واصطنع هؤلاء جميعا المنهج الاستقرائى .

وقد بلغت الحساسية العلمية عند بعض المفكرين العرب مبلغا كبيرا . فمما يقوله جابر بن حيان : ان واجب المشتغل فى الطبيعيات والكيمياء هو العمل واجراء التجارب ، وان المعرفة الحقيقية لا تحصل الا بها . ويروى عن أبى بكر الرازى أنه استخدم المنهج التجريبى على نطاق واسع . فكان

يجرى تجاربه على الحيوانات — كما يفعل العلماء المحدثون — فيجرع القردة الزئبق ، ويختبر تأثير الأدوية عليها ، ويسجل ما يشاهده تسجيلا دقيقا . ولم يكتف بالمنهج التجريبى فى أبحاثه ، بل استخدم ما يسمى بمنهج دراسة الحالة . فكان يدع المريض يروى تاريخ حياته ، ويسأله عن أحواله الحاضرة والظروف الاجتماعية المحيطة به ، ويدون جميع ذلك فى سجل خاص يحفظه للرجوع اليه كلما لزم الأمر .

وقد حدد الحسن بن الهيثم أصول المنهج الاستقرائى تحديدا دقيقا فقال : « نبتدىء فى البحث باستقراء الموجودات ، وتصفح حال المبصرات ، وتمييز خواص الجزئيات » . فهو فى ذلك يدعو الى البدء بدراسة الحقائق الجزئية ، واستخدام الملاحظة العلمية المقصودة فى دراسة الحقائق ، تمهيدا لاكتشاف خواصها ، ومعرفة صفاتها ، والوصول الى القوانين التى تحكمها .

وقد أشار فى نص آخر الى أهمية التجربة التى يسميها « بالاعتبار » فى دراسة الظواهر تحت ظروف مختلفة ، ويوصى باستقراء أكبر عدد ممكن من مفردات الظاهرة التى يعرض الباحث لدراستها تفاديا للخطأ فى نتائج الاستقراء ، ويطالب الباحث بأن يكون موضوعيا فى دراسته ، بعيدا عن التحيزات الشخصية فيقول : « ولنجعل غرضنا فى جميع ما نستقريه ونتصفحه استعمال العدل لا اتباع الهوى ونتحرى فى سائر ما نميزه وننتقده طلب الحق لا الميل مع الآراء » .

من هذا العرض السريع للتفكير العلمى عند العرب ، يتبين لنا أن العرب ساهموا بنصيب كبير فى ارساء قواعد البحث العلمى ، وتحديد المنهج الاستقرائى تحديدا دقيقا ، ولم يكتفوا بما وضعوه من قواعد ، بل استفادوا بها فى دراساتهم وأبحاثهم . فوصلوا الى كثير من النتائج العلمية الهامة .

* * *

٤ — التفكير العلمى فى عصر النهضة الأوروبية :

جاءت بداية نهضة الأوروبيين فى أعقاب اطلاعهم على تراث العرب العلمى والفكرى وأخذ يساورهم شعور عظيم بالعجز والفشل أمام تيار الفكر العربى الجارف مازجه اعجاب ودهشة وتقدير .

وبمرور الوقت استفاد الاوروبيون بما نقلوه عن العرب ، وأخذوا فى التحرر التدريجى من سلطان الكنيسة ورجال الدين الذين نصبوا أنفسهم رقباء على الحركات العلمية والتفكير بكافة أنواعه . ومن مظاهر ذلك التحرر أنهم وضعوا آراء أرسطو موضع النقد بعد أن كانت الكنيسة تدافع عنها وتعتبر كل مخالف لها عاصيا-أو ملحدا ، كما طالبوا بتحكيم العقل فيما يعرض لهم من مسائل والنظر الى الأمور نظرة موضوعية . وفاضل بعض المفكرين بين القياس والاستقراء ملاحظين أن الثانى هو سبيل الوصول الى المعرفة العلمية ، على حين أن الأول يقوم على حقائق معروفة من قبل . ولذا نادوا باستخدام الملاحظة والتجربة للوصول الى الحقائق ، واستخدام الأجهزة والآلات لضمان دقة الملاحظات وصحتها .

وفى مقدمة من أرسى دعائم التفكير العلمى فى أوروبا « روجربيكون : ١٢١٤ — ١٢٩٤ م » الذى دعا الى استخدام الملاحظة والتجربة وفرض الفروض للوصول الى الحقائق العلمية . وكان يرى أن هناك ثلاث طرق يمكن أن تؤدى الى المعرفة وهى الاخذ بأقوال رجال الدين اذا أمكن التحقق من صدقها بالعقل ، والاستدلال القياسى الذى مهما بدت نتائجه محتملة للصدق فلا قيمة له الا اذا أمكن التحقق من صدق هذه النتائج ، واخيرا توجد التجربة العلمية وهى تكفى نفسها بنفسها .

ومن العلماء الذين أحدثوا ثورة فى التفكير العلمى بأوروبا ابان عصر النهضة : بطرس ريموس ١٥١٥ — ١٩٧٢ ، وليونورد دى فينشى ١٤٥٢ — ١٥١٥ م . فقد حارب الأول منهج أرسطو وآراءه ، واعتبر كل ما قاله باطل وضلال ووهم ، وغلا فى حملته غلوا كبيرا . أما ثانيهما فقد نادى بضرورة الحذر من الخيال الذى لايستند على الملاحظة ، كما أوجب الاعتماد على التجربة لانها تؤدى الى نتائج دقيقة .

ومما نلاحظه أن مفكرى عصر النهضة وان كانوا قد طالبوا باستخدام المنهج العلمى فى الدراسة والبحث ، الا أنهم لم يستفيدوا من القواعد التى وضعوها فى دراساتهم وأبحاثهم ولم يستخدموها الا على نطاق ضيق ، وظلوا متأرجحين بين أساليب القياس والاستقراء . ومن أجل هذا يعتبر هذا العصر بمثابة مرحلة انتقالية فى تاريخ التفكير العلمى بأوروبا ، وقد اكتملت صورة ذلك التفكير فى أوروبا ابان العصور الحديثة .

***

٥ — التفكير العلمي في أوروبا في العصر الحديث :

اكتملت صورة التفكير في أوروبا خلال تاريخها الحديث . ويرجع الفضل في ذلك الى جهود عدد كبير من المفكرين والباحثين وعلى رأسهم فرنسيس بيكون ، وجون ستيوارت ميل ، وكلود برنارد .

حمل فرنسيس بيكون على المنهج القياسي حملة قاسية ، ودعا الى استخدام التجربة التي يعتبرها المعلم الصادق ، والوسيلة الناجحة لفهم ظواهر الحياة . وقد وضع كتابه « الارجانون الجديد Novum Organon » ليفصل فيه قواعد المنهج التجريبي وخطواته . فبدأ ببيان بعض الاخطاء الشائعة التي كثيرا ما وقفت حجر عثرة في سبيل البحث العلمي . وجمعها في أربع طوائف منفصلة .

(أ) أوهام الجنس التي ترجع الى نقص العقل الانساني وضعفه بوجه عام . فهو يعمم حيث لا يجوز التعميم ، ويتوهم وجود أشياء لا أساس لها لمجرد أنها صادفت هوى أو رغبة خاصة .

(ب) أوهام الكهف التي هي ضرب من الضعف العقلي أيضا ، فلكل فرد مغارته وكهفه الخاص به . فهو يتأثر بظروف تربيته ، والعوامل التي أثرت في تكوينه الشخصي . ولذا يصبح أسيرا لعاداته وظروف تربيته وتكوينه ، ويصدر عنها في كثير من آرائه وأقواله .

(ج) أوهام السوق : وهي التي تنشأ عن الأخطاء الناشئة عن التخاطب والتعامل مع الناس ، ومصدرها الأول اللغة وعجزها عن أداء المعاني على وجهها الصحيح .

(د) أوهام المسرح : وهي تنشأ عن تسليمنا بما يقوله العلماء والفلاسفة دون نقد أو تمحيص .

وقد أوضح بيكون بعد ذلك أصول المنهج التجريبي الصحيح . وتتلخص مراحل منهجه التجريبي فيما يلي :

١ — جمع الحقائق التي هي المادة الأولى للبحث العلمي وأساس المنهج الاستقرائي . فلابد للباحث من أن يكون لكل ظاهرة يريد دراستها

تاريخا يمكنه من تتبع الظاهرة فى أحوالها المختلفة . ووسيلته الى ذلك الملاحظة والتجربة .

٢ — تقسيم الحقائق المتجمعة الى طوائف منفصلة وقوائم متميزة ، وهذه القوائم هى : قائمة الحضور ، وقائمة الغياب ، وقائمة التفاوت فى التدرج . ففى القائمة الأولى يجمع الباحث كل الأحوال التى تبدو فيها الظاهرة ، والامثلة التى تثبت حضورها . وقد درس بيكون ظاهرة الحرارة فسجل فى قائمة الحضور سبعة وعشرين مصدرا من مصادرها منها أشعة الشمس ، والصواعق ، ولهب النار ، والاحتكاك . وفى القائمة الثانية يحصى الباحث جميع الاحوال التى تتخلف فيها الظاهرة لتخلف ظرف من الظروف أو سبب من الأسباب . وقد وضع بيكون أمام كل حال من السبع والعشرين المثبتة لوجود الحرارة أحوالا أخرى لا حرارة فيها كالقمر والأجرام السماوية المختلفة . وأما القائمة الثالثة فيثبت فيها الباحث تنوع الظاهرة الماثلة بين يديه والأحوال التى تحدث فيها على درجات مختلفة . وقد أثبت بيكون فى هذه القائمة ٤١ مثالا تبين تغير الحرارة زيادة ونقصا تبعا لتغير الظروف .

٣ — القيام بعملية مقارنة بين القوائم المتجمعة وموازنة بعضها ببعض لاستنتاج الخصائص الذاتية للظواهر المدروسة . وليس ثمة خاصية ذاتية الا تلك التى تلازم الظاهرة وجودا وعدما ،وتزيد بزيادتها وتنقص بنقصها . وعلى هذا فكل صفة لا يظهر أثرها فى القوائم الثلاث لا يمكن أن تعد بين الخصائص الذاتية . والاستقراء على هذه الصورة انما هو عملية عزل وتنحية ، فبعزل الصفات غير الذاتية تبقى الصفات الذاتية .

٤ — التحقق من النتائج واثبات صحتها أو خطئها . فالنتائج الأولى التى يصل اليها الباحث ليست الا مجرد فروض عملية ولابد من اختبار هذه الفروض وتحرى مبلغ صحتها . وقد حذر بيكون من التسرع فى التعميم واستنباط القواعد والقوانين .

وفى اختصار ، يمكننا أن نقول أن بيكون وفق الى وضع مبادىء المنهج التجريبى ، وقد سار العلماء الذين تبعوه من أمثال جون ستيوارت ميل . وكلود برنارد على هدى مبادئه . وعلى أيديهم نضج المنهج التجريبى ، وأصبح دعامة أساسية فى البحث العلمى .

ويرجع الفضل الى جون ستيوارت ميل فى صياغة المنهج التجريبى فى قالب أشمل ، وعلى وجه أعم ، فحدد شروط التجربة ، ووضع القواعد التى

يستطيع الباحث بواسطتها أن يتحقق من صدق الفروض العلمية أو خطئها . وقد أسمى هذه القواعد « طريقة الاتفاق » وطريقة الاختلاف ، وطريقة الجمع بين الاتفاق والاختلاف » وطريقة التلازم فى التغير (١) وقد أفاد الى حد كبير عند وضعه لهذه القواعد بقوائم الحضور والنفى والتفاوت فى الدرجة التى وضعها فرنسيس بيكون .

أما كلود برنارد فانه دعا الى استخدام المنهج التجريبى على أوسع نطاق . ومن رأيه أن من الواجب أن ينشأ الانسان فى المعامل ويحيا فيها حتى يشعر شعورا واضحا بأهمية أساليب البحث . وقد هاجم استقاء الحقائق عن طريق الأدلة النقلية » وحذر من الاطمئنان الى شهرة السلف . فالمنهج العلمى – كما يقول – لا يعترف بسلطان آخر سوى سلطان الظواهر الواقعية » فعلى الباحث أن يلجأ الى الظواهر التى تقررها التجربة » لا الى أقوال السابقين . فالدراسات الجديدة يجب ألا تكون فى نبش الماضى بنظرياته بل فى المعامل .

وقد نادى باستخدام الملاحظة العلمية » وطالب بأن تكون موضوعية . فالمجرب عليه أن يوجه أسئلته الى الطبيعة . ولكن بمجرد أن تتكلم الطبيعة يجب عليه أن يلزم الصمت » وأن يلاحظ ما تجيب عليه وأن يسمعها حتى النهاية . والمجرب الذى يصر على فكرته السابقة » ولا يلاحظ نتائج التجارب الا من وجهة نظره الخاصة يتردى فى الخطأ لانه يهمل ملاحظة الاشياء التى لم يتوقعها » ويقوم حينئذ بملاحظة ناقصة (٢) .

وقد أشاد بقيمة الفرض واستطاع أن يبرز أهميته فى المنهج العلمى » كما طالب الباحث بضرورة التأكد من صحة الفروض التى يضعها » وبضرورة المقابلة بين الفروض والواقع . وهذه المقابلة هى التى تميز التجربة عن الملاحظة البحتة . فالملاحظة التجريبية تقوم على التحليل الواقعى » أما الملاحظة البحتة فتكتفى بالتحليل المنطقى .

ويتكون العلم فى نظره من جزئين : جزء مكتسب » وجزء آخر لم يكتسب بعد . أما فى الجزء المكتسب فجميع الناس سواء على وجه التقريب . وليس

---

(١) كلود برنارد : مقدمة لدراسة الطلب التجريبى . القسم الأول : الفصل الأول » الفقرة السادسة .

(٢) راجع ما كتبناه عن المنهج التجريبى .

من الممكن تمييز صغارهم من كبارهم ، بل قد يحدث فى كثير من الاحيان أن يكون أقلهم استعدادا ، أحسنهم الماما بالمعلومات المكتسبة . أما فى الجزء الذى لم يكتسب بعد من العلم فيمكن التعرف على المفكر الكبير الذى يتميز عن غيره بآراء عبقرية تلقى ضوءا على الظواهر الغامضة ، وتدفع العلم الى الامـــام .

هذه باختصار لمحة من جهود هؤلاء الاعلام الذين ساهموا فى ارسـاء قواعد العلم ، وتحديد منهجـه الاســتقرائى . وعلى هدى آرائهم سار المحـدثون والمعاصرون ممن يؤمنون بأن العلم قوامـه المنهج الاستقرائى ، وغايته الوصول الى الحقائق العلميـة ، والكشف عن القوانين العامة التى تحكم ظواهر الحياة على اختلاف أنواعها .

* * *

المراجـــع

(١) باللغـة العربيـــة :

١ ــ فيليب حتى : تاريخ العرب ، الجزء الثـــانى ، بيروت ١٩٥٠ .

٢ ــ محمود قاسم : المنطق الحديث ومناهج البحث ، مكتبـــة الانجلو المصرية ، الطبعة الثالثة ، القاهرة .

(٢) باللغة الانجليزية :

1. Dampier., A History of Science, New York : McMillan Co., 1944.

2. Farrington, B., Greek Science, New York : Penguin Books, 1944.

3. Martindale, D., and Monachesi, E., Elements of Sociology, New York, 1951, Chap. II.

* * *

الملخص

للمعرفة مستويات ثلاثة : تجريبية ، وفلسفية ، وعلميه . وتقوم التفرقة بين هذه المستويات الثلاثة على أساسين :

أولهما : قدرة العقل على التدخل فى ايجاد العلاقات التى تربط بين الظواهر .

ففى المعرفة التجريبية يتدخل العقل تدخلا بسيطا فيما يلاحظه من ظواهر ، أما فى المعرفتين الفلسفية والعلمية فان العقل يقوم بنصيب كبير فى ملاحظة الظواهر وتفسيرها وايجاد العلاقات القائمة بينها . ويتجه العقل فى المسائل الفلسفية إلى العلل البعيدة للظواهر ، بينما يتجه فى المسائل العلمية الى العلل القريبة .

وثانيهما : طبيعة المنهج الذى يستخدم فى الوصول الى المعرفة . فالمعرفة التجريبية تعتمد أساسا على الملاحظة الحسية الساذجة التى لا تستخدم فيها أدوات دقيقة للقياس . أما المعرفة الفلسفية فتعتمد على مناهج مختلفة تختلف باختلاف الفلاسفة أنفسهم . ففلاسفة الهند مثلا كانوا يعتمدون على التأمل الذاتى ، وكانوا ينطوون على أنفسهم لالتماس الحقيقة الكبرى فى داخلها . وكان منهج فلاسفة اليونان عقليا ، انتهى عند أرسطو الى أن يكون هو القياس المنطقى الذى يبدأ بالقوانين العامة ليستمد منها الحقائق الجزئية . أما المعرفة العلمية فقوامها المنهج الاستقرائى الذى يعتمد على الملاحظة المنظمة للظواهر ، والتجريب العلمى الدقيق ، والذى يبدأ بالحقائق الجزئية ليصل منها الى القوانين العامة .

ويتمثل المنهج العلمى فى عدة خطوات تبدأ بملاحظة الظواهر واجراء التجارب . ثم وضع الفروض التى تحدد نوع الحقائق التى ينبغى أن يبحث عنها ، وتنتهى بمحاولة التثبت من صدق الفروض أو بطلانها باجراء التجارب والقيام بملاحظات جديدة توصلا الى وضع قوانين عامة تربط بين الظواهر ، وتوجد العلاقات بينها . ولا ينتهى المطاف بالعلماء عند وضع القوانين العلمية . فاكتشاف القوانين يدعو الى وضع النظريات التى تعمل على تفسير الحقائق الجزئية والقوانين العامة .

ومن خصائص القوانين أنها تكشف عن العلاقات السببية أو العلاقات الوظيفية بين الظواهر . والقانون السببى هو الذى يعبر عن كل علاقة ثابتة بين ظاهرتين يؤدى التغير الذى يطرأ على خواص احداهما الى تغير

فى خواص الظاهرة الأخرى . أما القانون الوظيفى فيعبر عن كل ترابط بين ظاهرتين توجدان فى آن واحد وتتغيران تغيرا نسبيا بحيث تعتبر كل منهما شرطا فى الأخرى دون امكان القول بأن احداهما مقدمة والأخرى نتيجة . وتعبر القوانين عن سلوك ظواهر تحت ظروف معينة . وحينما تتغير صيغتها فانها تخضع لتعديل جزئى محدود لتصبح اكثر دقة وصدقا .

والنظريات العلمية تشترك مع القوانين فى كثير من خصائصها . فهى غير يقينية الا انها فى الوقت نفسه أقل تأكيدا من القوانين . ويزداد يقين العلماء بالنظريات كلما أيدتها التجارب من ناحية ، وكلما فسرت أكبر عدد من الظواهر والقوانين من ناحية أخرى . ومن شروط النظرية العلمية : الايجاز ، والشمول ، والانفراد ، والقدرة على التنبؤ .

والقوانين أهمية كبرى . فهى تهيىء للانسان معرفة كثير من الحقائق ، وفهم كثير من الظواهر . وهذه المعرفة تهيىء للانسان سبيل السيطرة على الطبيعة ، والتنبؤ بالمشكلات قبل وقوعها ، ورسم أحسن الحلول لمواجهتها .

وتقوم النظرية العلمية بوظائف كثيرة أهمها تحديد ميادين الدراسة ومجالات البحث فى مختلف العلوم . كما أنها تثرى العلم بعدد كبير من المفاهيم والمصطلحات العلمية وتقوم بتلخيص عدد كبير من الحقائق العلمية وتصنيفها وايجاد العلاقات بينها ، ثم انها تكشف عن مدى التصور فى المعارف العلمية ، فتفتح بذلك مجالات جديدة للدراسة والبحث . والى جانب هذه الاهمية النظرية ، يمكن الاستفادة بالنظريات فى مجال التطبيق ، واستخدامها فى التحكم فى ظواهر الطبيعة ، وتوجيهها لخدمة الانسانية جمعاء .

والمنهج العلمى على الرغم من بساطة جوهره ، لم يكتسب الا بمشقة بالغة .

وقد ساهم العرب فى ارساء قواعده مساهمة فعالة ، وكان لأبى بكر الرازى ، وجابر بن حيان ، والحسن بن الهيثم ، وابن سينا ، وغيرهم ، فضل كبير فى تحديد المنهج الاستقرائى تحديدا دقيقا ، وارساء قواعد البحث العلمى القائم على الملاحظة والتجريب . ثم تابع الاوروبيون فى عصر النهضة وفى التاريخ الحديث والمعاصر ما بدأه العرب . فظهر عدد كبير من الاعلام فى هذا الميدان نذكر من بينهم : روجر بيكون ، وبطرس ريموس ، وليونورد دى فينشى ، وفرنسيس بيكون ، وجون ستيوارت ميل ، وكلود برنارد . وقد ساهم هؤلاء جميعا فى ارساء قواعد العلم ، وتحديد منهجه الاستقرائى . ثم انتهت محاولاتهم الى اتخاذ المنهج العلمى أداة لدراسة الوقائع الموضوعية ، ووسيلة لتحصيل المعارف العلمية .

* * *

الباب الثانى

المنهج العلمى فى دراسة المجتمع

مقـــــــدمة .

الفصل الخامس : الدعوة الى استخدام المنهج العلمى فى دراسة المجتمع .

الفصل السادس : حدود المنهج العلمى فى الدراســـات الاجتماعية .

الفصل السابع : المدخل التكاملى فى دراسة المجتمع .

الملخص .

تقديم

حاول أعلام الفكر الانسانى فى مختلف العصور التاريخية دراسة كثير من المسائل الاجتماعية ، الا أنهم اقتصروا على التفكير الفلسفى والقياس المنطقى فى الحكم على الأمور ، وتفسير ما يحيط بهم من ظواهر الحياة .

ولم تكن هذه المحاولات سوى مراحل فى تطور العلوم الاجتماعية . فالعلم الحديث — كما رأينا — لا يقنع بتلك الوسائل والأساليب التى اتبعها المفكرون الأقدمون فى الدراسة والبحث ، وانما يعتمد على الأسلوب الاستقرائى القائم على الملاحظة والتجريب للوصول الى قوانين علمية تكشف عن أنواع العلاقات القائمة بين مختلف الظواهر .

ولما كانت العلوم الطبيعية هى التى بدأت باستخدام المنهج العلمى ، وساعدها ذلك المنهج على فهم كثير من ظواهر الطبيعة ، وهيأ لها سبيل السيطرة على قوى الطبيعة ، وتسخيرها لخدمة الانسانية ، فقد نادى كثير من المفكرين الاجتماعيين بضرورة استخدام المنهج العلمى فى الدراسات الاجتماعية للوصول الى نتائج مماثلة تساعد على فهم ظواهر الاجتماع .

وكان من نتيجة هذه الدعوة أن اتجه عدد من الباحثين والعاملين فى الميدان الاجتماعى الى استخدام الأسلوب العلمى فى دراسة المجتمع ، وما ينبعث عنه من ظواهر ، وما يحدث فيه من مشكلات ، وقد ترتب على هذه الدراسات تقدم الأساليب العلمية المستخدمة فى البحوث الاجتماعية ، والوصول الى مجموعة كبيرة من القوانين والنظريات فى ميدان الدراسات الاجتماعية .

وسنعرض فى هذا القسم للموضوعات الآتية :

الدعوة الى استخدام المنهج العلمى فى دراسة المجتمع ، وحدود المنهج العلمى فى الدراسات الاجتماعية ، والمدخل التكاملى فى دراسة المجتمع .

* * *

الفصل الخامس

الدعوة الى استخدام المنهج العلمى
فى دراسة المجتمع

ساهم عدد كبير من المفكرين الاجتماعيين فى الشرق والغرب فى الدعوة الى استخدام المنهج العلمى فى الدراسات الاجتماعية ، نذكر من بين هؤلاء العالم العربى ابن خلدون ، وفيكو الايطالى : وأوجيست كونت ، واميل دوركايم الفرنسيين ، الى جانب عدد كبير من علماء الاجتماع فى الولايات المتحدة الامريكية . وفيما يلى عرض لطرق البحث وقواعد المنهج التى طالب هؤلاء باستخدامها فى الدراسات الاجتماعية .

أ — عبد الرحمن بن خلدون (١٣٣٢ — ١٤٠٦ م) :

كان ابن خلدون أول عالم يدعو فى صراحة ووضوح الى ضرورة استخدام المنهج العلمى فى دراسة المجتمع . ولقد كانت الفكرة السائدة بين المفكرين الاجتماعين من قبل ابن خلدون أن ظواهر الاجتماع خارجة عن نطاق القوانين وخاضعة لأهواء القادة وتوجيهات الزعماء المشرعين ودعاة الاصلاح . ولذا لم يكن من الممكن أن تدرس الظواهر الاجتماعية بنفس الطرق والأساليب المستخدمة فى العلوم الطبيعية .

وقد هداه تفكيره حينما حاول دراسة التاريخ دراسة علمية منظمة الى ضرورة وضع علم جديد يدرس العمران وتنظمه دراسة علمية صحيحة . ولم يقتصر ابن خلدون على تحديد موضوع علمه الجديد الذى اطلق عليه « علم العمران » . بل حدد القواعد المنهجية التى يجب استخدامها فى دراسة المجتمع .

وقد بدأ ابن خلدون منهجه بنقد الطرق التقليدية السائدة فى عصره وخاصة الطريقة التاريخية . فهو يرى أن الروايات التاريخية التى ذكرت عن الماضى ليست جميعها صحيحة . فبعضها قد حدث فعلا ، وبعضها زائف لم يقع أصلا ، وبعضها يستحيل حدوثه لانه لا يتفق مع طبائع الأشياء . ويذكر ابن خلدون عدة أمور تؤدى بالمؤرخين الى الوقوع فى أخطاء علمية . وهذه الامور هى :

١ ـ الأمور الذاتية : وهذه تتعلق بشخص الباحث وميوله وأهدافه وميول من ينقل عنهم وأهوائهم ، ومدى انقياده الى هذه الميول والاهواء وفى ذلك يقول « فان النفس اذا كانت على حال الاعتدال فى قبول الخبر ، أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى يتبين صدقه من كذبه ، ولكن اذا خامرها تشيع لرأى أو نحلة فان التشيع يجرد الباحث من حريته ، ويجعله أسيرا لهذا الرأى » (١) . وهو يرى أن تقرب العلماء الى أصحاب المراتب العالية يؤدى بهم الى قلب الحقائق وتزييفها . « فالناس متطلعون الى الدنيا وأسبابها من جاه أو ثروة ، وليسوا فى الأكثر راغبين فى الفضائل ولا متنافسين فى أهلها » (٢) .

ويرى ابن خلدون أن علاج هذه الناحية يكون بتجرد نفس الباحث من الهوى ، وعدم الثقة بالناقلين ، وعدم التسليم بما يكتبون تسليما مطلقا .وهذه المبادىء التى يذكرها ابن خلدون تعتبر من القواعد الضرورية فى أى بحث علمى .

٢ ـ يتمثل فى الجهل بالقوانين التى تخضع لها الظواهر الطبيعية كظواهر الفلك والكيمياء والطبيعة والحيوان والنبات وما الى ذلك . وعلاج هذه الحالة يكون بالالمام بالعلوم الطبيعية وقوانينها ، واستبعاد كل ما يتنافى مع هذه القوانين .

٣ ـ يتمثل فى الجهل بالقوانين التى تخضع لها الظواهر الاجتماعية . فالالمام بطبائع العمران وأحواله من الأمور الضرورية لمعرفة حقيقة الحوادث وتمحيصها . فكل حادث لابد له من طبيعة تخصه فى ذاته وفيما يعرض من

---

(١) مقدمة ابن خلدون ، ص ٣٦٢ .
(٢) مقدمة ابن خلدون ، ص ٣٦١ ، ٣٦٢ .

احواله .فاذا كان السامع عارفا بطبائع الحوادث والاحـوال فى الوجـود ومقتضياتها اعانه ذلك فى تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب (١) .

ولما كانت الظواهر الاجتماعية من قبل ابن خلدون تدرس لمجرد وصفها ، أو الدعوة اليهـا وذلك ببيـان محاسـنها ، وترغيب الناس فيها ، أو ببيان ما ينبغى أن تكون عليه ، فقد نادى ابن خلدون بضرورة دراسـتها دراسة تحليلية تهدف الى الكشف عن طبيعتها ، والوصول الى القـوانين التى تحكمها ، وهذا هو الهدف الذى ترمى اليه العلوم جميعا .

وقد نصح ابن خلدون ـ بصـدد نقـده للطـرق التقليدية فى عصره ـ باستخدام الملاحظة والمنهج المقارن فى دراسـة المجتمع . ويتلخص المنهج الذى حدده ابن خلدون فيما يلى :

١ ـ ملاحظة الظواهر ملاحظة مباشره . وقد استفاد ابن خلدون من اسـفاره الطويلة وملاحظته للشـعوب التى تتيح له الاحتكاك بهـا ، وهى شعوب العرب والبربر ، فى استقراء كثير من ظواهر الاجتماع .

٢ ـ تعقب الظـاهرة الواحـدة فى تاريخ الشعب الواحـد فى مختلف الفترات التاريخية مع تحرى صدق الروايات التاريخية ، وقياس الاخبـار على أصول العادة وطبائع العمران . « فاذا لم يقس الغائب من الأخبـار بالشاهد منها ، والحاضر بالذاهب ، فربما لا يؤمن من العثور ومزلة القدم ، والحيد عن جادة الصدق » (٢) . « والقانون فى تمييز الحق من الباطل فى الأخبار بالامكان والاستحالة ، أن ينظر فى الاجتمـاع البشرى الذى هو العمران ، وتمييز ما يلحقه لذاته وبمقتضى طبعه ، وما يكون عارضا لا يعتد به ، وما لا يمكن أن يعرض له ، اذا فعلنا ذلك ، كان ذلك لنا قانونا فى تمييز الحق من الباطل فى الاخبار ، والصدق من الكذب ، بوجه برهانى لا مدخل للشك فيـه (٣) .

٣ ـ مقارنة الظاهرة بغيرها من الظواهر المرتبطة بها فى نفس المجتمع .

---

(١) مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٦٢

(٢) مقدمة ابن خلدون ، ص ٧ .

(٣) مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٦٥ ، ٢٦٦

وفى غيرها من المجتمعات . فكما تختلف الظواهر الاجتماعية فى المجتمع الواحد باختلاف العصور ، فانها تختلف كذلك بين مجتمع وآخر . وقد ادرك ابن خلدون اهمية الدراسة المقارنة نظرا لكثرة أسفاره واختلاف البلاد التى عاش فيها من النواحى الجغرافية والطبيعية والاجتماعية .

٤ ـ الاهتمام بدراسة الجوانب الديناميكية (التطورية) للظواهر الاجتماعية الى جانب العناية بدراسة الجوانب الاستاتيكية (التشريحية). « فأحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر ، وانما هو اختلاف على الأيام والازمنة ، وانتقال من حال الى حال . وكما يكون ذلك فى الأشخاص والأوقات والامصار ، فكذلك يقع فى الافاق والاقطار والازمنة والدول » (١) .

٥ ـ بعد جمع المواد الاولية المتعلقة بالظاهرة موضوع الدراسة عن طريق الملاحظة الحسية والدراسة التاريخية والمقارنة ، يمكن استخدام منطق التعليل للوصول الى القوانين العامة التى تحكم الظواهر المختلفة . وفى هذا يقول « انا نشاهد هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على هيئة من التركيب والاحكام ، وربط الاسباب بالمسببات ، واتصال الأكوان ، واستحالة بعض الموجودات الى بعض لا تنقضى عجائبه فى ذلك ولا تنتهى غاياته » (٢).

من هذا العرض يتبين لنا أن المنهج الذى دعا اليه ابن خلدون منهج قوامه الاستقراء والموضوعية ، وهو منهج شامل يجمع الحقائق الاجتماعية على المستويين الاستاتيكى والديناميكى .

واذا كان ابن خلدون قد ربط التاريخ بعلم الاجتماع فى هذا المنهج ، فان مدرسة علم الاجتماع الفرنسية ما زالت تسلك هذا السبيل ، وهى ترى أن المقارنة التاريخية ضرورة لا غنى عنها فى الدراسات الاجتماعية ، وفى ذلك يقول اميل دوركايم « أن المنهج المقارن نوع من التجريب غير المباشر ، وان علم الاجتماع المقارن ليس فرعا خاصا لعلم الاجتماع ، وانما هو علم الاجتماع بعينه » (٣) .

* * *

---

(١) مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٥٢ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ، ص ٨٩ ، ٨١ .

(٣) E. Durkheim : Les Règles de la Méthode Sociologique pp. 124-137.

٢ ــ فيكــو (١٦٦٨ ــ ١٧٧٤ م) :

دعا العلامة الايطالى فيكو الى استخدام منهج علمى مشابه للمنهج الذى حدد قواعده ابن خلدون . فبدأ ــ كما بدأ ابن خلدون ــ بنقد الطريقــة التقليدية التى كانت سائدة فى عصره . ثم نصح باستخدام المنهج الاستقرائى والمقارنة فى دراسة ظواهر الاجتماع . واتفق مع ابن خلدون فى اعتقــاده بأن الظواهر الاجتماعية تسير وفقا لقوانين كظواهر الطبيعة تماما .

وقد اهتم فيكو بفلسفة التاريخ . فانصرف الى دراسة الوثائق الخاصة بالحوادث التاريخية ، والمعتقد الدينية ، والتقاليد التشريعية ، والعادات الخلقية واللغات التى كتبت بهــا هذه الوثائق . دعا فى كتابه « العلم الحديث La Science Nouvelle » الى اســتنباط النظريات من الحقائق التاريخية كما دعا الى تطبيق منهج العلوم الطبيعية على دراسة الظواهر الانسانية وباستخدام المقارنة لاستنباط القوانين ، ولجاز الاستدلال بما هو معــروف عما هو مجهول . فاذا أراد البــاحث مثلا أن يقف على أحــوال الشــعوب المتأخرة فى العصور القديمة ، وتعذر عليه أن يقف على أســاليب الحيــاة ومستوياتها بالرجوع الى الوثائق لزوال هذه الحالات من الحياة المتأخرة ، فان من الممكن الرجوع الى الاقوام المعاصرة التى تعيش فى نفس المستوى الذى كانت تعيش فيه الشعوب التى يدرسها الباحث . وهــذه الدراســة المعاصرة تعتبر نوعا من الاستدلال بما هو معروف عما هو مجهول (١) .

ولاريب فى ان ابن خلدون كان أسبق من فيكو فى تحديده لقواعد المنهج الصحيح ، وفى اعتقاده بمبدأ الجبرية الاجتماعية . وهو يمتاز على فيكو فى أنه فطن الى تأثير الظواهر الاجتماعية بعضها فى بعض ، والى وجود عوامل أخرى تؤثر فيها كالعــوامل الجغرافيــة والمناخيــة ، والعــوامل النفســية والفردية . ولذا يقول عالم الاجتماع الأمريكى وارد : كانوا يظنون أن أول من قال وبشر بمبدأ الحتمية فى الحياة الاجتماعية هو مونتسكيو أو فيكو مع أن ابن خلدون قد قال بذلك ، وأثبت خضوع الظواهر الاجتماعية لقوانين ثابتة قبل هؤلاء بمدة طويلة .

* * *

---

(١) راجع عبد العزيز عزت : فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع الحضارى . الفيلسوف فيكو ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٩٥١ ص ٧١ ــ ٩٨ .

٣ - أوجيست كونت (١٧٩٨ — ١٨٥٧ م) :

دعا أوجيست كونت الى استخدام المنهج الوضعى فى الدراسات الاجتماعية . وكلمة « وضعى » مرادفة لكلمة « علمى » فى لغة كونت . ولذا فهو يهدف من وراء هذا المنهج الى دراسة الظواهر الاجتماعية دراسة وصفية تحليلية منظمة لمعرفة ما تخضع له من قوانين .

ولكى نقف على حقيقة المنهج الوضعى لابد لنا من الاشارة الى قانون الحالات الثلاث الذى انتهى اليه أوجيست كونت ، والذى اهتدى بفضله الى وضع علم الاجتماع ، وما يلزمه من أساليب منهجية . ويتلخص هذا القانون فى أن الانسانية مرت بمراحل ثلاث غلب فى كل منها منهج خاص من التفكير وهذه المراحل الثلاث هى : المرحلة الدينية ، والمرحلة الميتافيزيقة ، والمرحلة الوضعية (١) وقد غلب فى المرحلة الاولى أسلوب الفهم الدينى الذى يرجع الظواهر الى ارادة الآلهة أو الملائكة أو الشياطين . ويقول « كونت » ان هذه الحالة كانت طبيعية وملائمة للحياة الانسانية فى بدء أمرها ، لان الانسان ما كان يستطيع تفسير الكون الا اذا تخيل أنه يخضع لارادات شبيهة بارادته . كذلك كانت هذه الحالة الدينية ضرورية من الوجهة الاجتماعية لان العقائد المشتركة بين أفراد مجتمع ما هى السبب فى تجانس هذا المجتمع وبقائه . وفى المرحلة الثانية كان العقل يفسر الظواهر بارجاعها الى أسباب لا يقوى على اثباتها كقوة النفس فى الانسان أو الانبات فى النبات . ويرى « كونت » أن هذه الحالة امتداد للحالة السابقة ، وهى تتجه الى الاختفاء بعد القضاء على التفكير الدينى . أما المرحلة الثالثة فان العقل يحاول تفسير الظواهر وما تخضع له من قوانين .

وقد اعتمد كونت على هذا القانون فى تصنيف العلوم التى رأى أنها تبدأ بالرياضة ثم علم الفلك ثم علم الطبيعة وعلم الكيمياء وعلم الحياة وتنتهى بالعلم الأخير وهو علم الاجتماع . وقد جاء ترتيبها على هذا النحو تبعا لاختلافها فى سرعة الانتقال من استخدام المنهج الدينى الى المنهج العلمى . ويرى كونت أن تعقيد الظواهر التى تدرسها هذه العلوم يزداد

---

(1) A. Comte : Philosophie positive, Vol. I, pp. 4-5.

كلما انتقلنا من علم الى العلم الذى يليه . ولذا وجب ان تزداد الأســاليب المنهجية اللازمة لدراسة ظواهر العلوم المختلفة بالانتقــال من علم الى علم آخـــر .

وفى رأى كونت أن الناس فى عصره وقفوا فى فهمهم للظواهر الاجتماعية عند الأسلوب الدينى ــ الميتافيزيقى ، بينما تخطوا هذا الأسلوب فى فهمهم لظواهر الطبيعة فكانوا يفهمونها على الطريقة الوضعية (١) . وكان لهــذا التناقض فى فهم الأشياء أثره فى فساد التفكير الذى أدى بدوره الى فســاد الاخلاق التى نتج عنها اضطراب فى سير المجتمع . ولم يكن أمامه من سبيل لاصلاح المجتمع الا باصلاح التفكير ، فبصلاحه يصلح ما فسد من الأخلاق وبصلاح الاخلاق يصلح المجتمع . وقد استعرض كونت الوسائل المختلفة التى تؤدى الى اصلاح التفكير ، فوجد أن السبيل الوحيدة لاصلاحه هى القضاء على الطريقة الدينية ــ الميتافيزيقية فى التفكير ، وجعل النــاس يفهمون جميع الظواهر طبيعية كانت أو اجتماعية على أساس المنهج الوضعى .

ولفهم الظواهر الاجتماعية على الطريقة الوضعية لابد من توافر شرطين:

أولهما : أن تكون هذه الظواهر خاضعة لقوانين علمية ، ولاتسير حسب الاهواء والمصادفات . وقد رأى كونت أن هذا الشرط متوافر تماما فى الظواهر الاجتماعية لانهــا جــزء من ظواهر الحيــاة . وجميع ظواهر الكون تسير وفق قوانين لا وفق الاهواء والمصادفات .

ثانيهما : وهو معرفة الناس لهذه القوانين . وذلك أن يكــون الا بقيــام الباحثين بالكشف عنها وتعريف الناس بها . ولن يتم ذلك الا بدراســة الظواهر الاجتماعية دراســة وضعية منظمة . ويرى كونت أن معــرفة المنهج الوضعى لا تكتسب الا عن طريق الخبرة العمليــة . ولذا فمن الواجب على الباحث أن يكون نفســه تكوينا صحيحا عن طريق التربية العلمية الكاملة مبتدئا بالرياضة التى تشعره بالفكرة الوضعية حتى ينتهى الى علم الحيــاة الذى يعلمه منهج المقارنة .

وقد قسم كونت ظواهر الاجتماع الى شعبتين كما فعل ابن خلدون ، وسمى احــداهما « الاستاتيكا الاجتماعية » والاخــرى « الديناميكــا الاجتماعية » وتختص الأولى بدراســة الاجتماع الانسانى فى تفاصيله ومن ناحية استقراره ، كدراسة الاسرة والمجتمع والحكومة وتقســيم العمــل وما الى ذلك من موضوعات ، وتختص الثانيــة بدراسة الاجتماع الانسانى فى

(1) Ibid., p. 3.

جملته ومن ناحية تطوره . وقد حدد كونت القواعد المنهجية اللازمة لدراسة هاتين الشعبتين

فمن ناحية الدراسة الاستاتيكية طالب كونت بأن تكون القاعدة المنهجية الرئيسية هي النظر الى ترابط الظواهر الاجتماعية ، والبحث عن قوانين التضامن الاجتماعي (١) . ويقرر كونت ان لا فائدة ترجى من وراء دراسة أي نظام اجتماعي في معزل عن غيره من الانظمة . فظواهر الحياة الاجتماعية — كما يراها — تتضامن بعضها مع بعض ، وتسير وظائف كل طائفة منها منسجمة مع وظائف ما عداها ، وهي تشبه أجهزة الكائنات الحية . ويرى انه على الرغم من أن العناصر الفردية في المجتمع تظهر أكثر انفصالا من اجزاء الجسم الحي ، الا ان التضامن بين الاجزاء الاجتماعية يكون أشد قوة من تضامن الاجزاء الحيوية .

ومن ناحية الدراسة الديناميكية يرى انها أهم بكثير من الدراسة الاستاتيكية ذلك لان الثانية تعتمد على الاولى الى حد كبير ، ولا يمكن الوصول الى القوانين الاستاتيكية الا بعد معرفة القوانين الديناميكية التي تخضع لها الظواهر (٢) . وينادي بجعل قانون التقدم الذي انتهى اليه اساسا للدراسة الديناميكية (٣) . ثم يدعو الى استخدام الملاحظة والتجربة والمنهج المقارن والطريقة التاريخية للوصول الى القوانين المتعلقة بالجانب الديناميكي (٤) . وسنبين رأيه بصدد كل من هذه الادوات والمناهج بشيء من التفصيل .

١ — الملاحظة : ليس استخدام هذا الأسلوب في دراسة الظواهر الاجتماعية التي يلاحظها ويجدها ملونة لديه . وهذان الطرفان يجعلان الملاحظة الاجتماعية من أشق الأمور لأن الانسان لا يلاحظ جيدا الا اذا وضع خارج الشيء الذي يلاحظه ، ولتلافي هذا النقص يطالب كونت بتدخل العقل لاعداد ما يريد ملاحظته .

واذا كان الباحث غير مزود في اثناء ملاحظة الظواهر بنظرية سابقة

---

(١) A. Comte : Cours de Philosophie positive, Vol. IV, p. 324

(٢) Ibid., pp. 363-364.

(٣) Ibid., pp. 365-366.

(٤) Ibid., p. 412.

تمهد له السبيل فانه يعجز عن معرفة الشيء الذي يجب عليه أن يلاحظه في الظواهر التي تمر أمام عينيه ، فالظواهر اللاحقة لا تفهم الا بربطها بالظواهر السابقة . وهنا موطن الصعوبة الكبرى في دراسة المجتمع حيث يضطر الباحث الى تحديد الظواهر وقوانينها في وقت واحد . وهو لا يؤيد دراسة الظواهر المنعزلة ويرى أن من الضروري أن تكون هناك وجهة نظر عامة تخضع لها ملاحظة الظواهر المختلفة .

٢ ـ التجربة : يرى كونت أن استخدام التجربة التي تعتمد على الضبط الصناعي أمر عسير في الدراسات الاجتماعية ، لأن التجربة الصناعية اذا أخلت بأحد العناصر الاجتماعية سواء فيما يتعلق بالقوانين الديناميكية أو القوانين الاستاتيكية فان هذا الاخلال قد يؤثر في باقي العناصر الأخرى لشدة ارتباطها وتفاعلها فتفسد التجربة وتصبح لا قيمة لها من الوجهة العلمية . ونظرا لصعوبة استخدام هذا النوع من التجريب فان كونت يشير باستخدام التجربة غير المباشرة في دراسة الظواهر الاجتماعية ، وذلك بالمقارنة بين الحالات الطبيعية والحالات الباثولوجية (المرضية) . وهذه الحالات الاخيرة كثيرة في المجتمع كالثورات والقلاقل والازمات الاقتصادية والاضطرابات الداخلية (١) .

٣ ـ المنهج المقارن : وذلك بالمقارنة بين المجتمعات المختلفة للوقوف على اوجه التشابه والاختلاف بينها . فيستطيع الباحث أن يماثل بين الحالات التي توجد في وقت واحد في مختلف أنحاء العالم . ويستطيع أن يماثل أيضا بين شعوب منفصل بعضها عن بعض . غير أن استخدام المقارنة على هذا النحو قد يحول دون ملاحظة المراحل المختلفة في التطور الاجتماعي عند شعب معين ، أو لظاهرة واحدة في مجتمع واحد . وينادي كونت بضرورة اخضاع المقارنة ـ كالملاحظة والتجربة ـ لفكرة عقلية عن تطور الانسانية . وهذا التطور يتوقف بدوره على استخدام طريقة مبتكرة للملاحظة تتلاءم مع طبيعة الظواهر الاجتماعية وهي الطريقة التاريخية .

٤ ـ الطريقة التاريخية : ويهدف كونت من وراء استخدام هذه الطريقة الى الوصول الى قوانين عامة تحكم الظواهر الاجتماعية في نموها وتطورها . فجميع الظواهر تتطور في وقت واحد ، ويؤثر بعضها على البعض الآخر كما يتأثر به ، ولا نستطيع تفسير سير التطور المستمر لاحدى هذه الظواهر دون أن تكون لدينا أولا فكرة عامة عن تقدم الانسانية جمعاء . ومعنى ذلك ان يقوم الباحث بملاحظة الظواهر المختلفة والرابط

---

(١) L. Bruhl, La Philosophie d'A Comte, p. 278.

بينها ليكون لنفسه فكرة علمية عن التقدم الذى أحرزته الانسانية . ثم يشرع بعد ذلك فى تقسيم طوائف الظواهر التى قام بملاحظتها وتحديد الفترات والعصور التاريخية تحديدا دقيقا ليسهل عليه معرفة الاتجاهات العامة لكل مظهر من مظاهر التطور ، كالتطور السياسى ، أو الدينى أو الاقتصادى .. الخ . والوصول الى القوانين الخاصة بكل مظهر من هذه المظاهر .

وهذه الاتجاهات الرئيسية المختلفة ، تطابق ما سماه كونت : « بالسلاسل الاجتماعية » . وهذه السلاسل متى حددت ، سهل على الباحث أن يحدد النمو المتواصل لكل استعداد أو قوة طبيعية أو خلقية أو سياسية مستعينا فى ذلك بمجموع الحوادث التاريخية . ولابد للباحث من ان يظهر علاقة النمو بالتناقص ، فكل عوامل الزيادة فى أحد الاتجاهات قد تقابلها عوامل نقصان . وباتباع هذا الأسلوب يستطيع الباحث أن يتكهن علميا بانتصار أحد الاتجاهات على الآخر بشرط أن تكون هذه النتيجة مطابقة للقوانين العامة لتطور الانسانية .

* * *

● تقويم منهج أوجيست كونت :

كانت دعوة أوجيست كونت الى استخدام المنهج العلمى فى دراسة المجتمع ومطالبته باتباع أساليب المنهج الطبيعى كالملاحظة والتجربة ثم بالاستعانة بالمنهج المقارن وبالطريقة التاريخية الاجتماعية ، ذات أثر كبير فى توجيه الدراسات الاجتماعية وجهة تجريبية أمبيريقية .

وقد دعمت هذه الدعوات الاتجاهات العلمية فى الدراسات الاجتماعية ، الا أن « كونت » نفسه لم يستطع التحرر تماما من أساليب التفكير الفلسفى . فبدلا من أن يبتدىء بدراسة الحالات الجزئية ليصل منها الى القوانين العامة ، كما هو الحال فى المنهج الاستقرائى ، اتجه كونت وجهة أخرى : فوضع القوانين والنظريات العامة ثم حاول أن يفسر على ضوئها حقائق الاجتماع .

وقد أرجع كونت تطور الظواهر الاجتماعية الى تطور التفكير ، مع أن تطور التفكير ذاته ليس الا مظهرا من مظاهر تطور المجتمع ، ولا يعتبر هو نفسه سببا لهذا التطور . ثم ان « كونت » وضع قانونا يسرى على جميع المجتمعات بلا استثناء ، مع أن الملاحظ هو وجود مجتمعات جزئية تختلف على بعضها فى بنياتها وانظمتها وطبيعتها .. ولما كان منهج « كونت » التاريخى قائما على هذه القوانين والنظريات التى لا تعتبر فى نظرنا أكثر من فروض فلسفية ، فان ذلك يقلل من قيمة ذلك المنهج وأهميته .

وقد أساء « كونت » الى منهجه بيعده عن الاساليب العلمية التى وضعها ، وباعتماده على التفكير الفلسفى والافكار القبلية التى كونها فى تفسيره لحقائق الاجتماع ، ولو أنه تحرر من قيود التفكير الفلسفى . لكان من الممكن أن تقطع الدراسات الاجتماعية اشواطا أبعد مما وصلت اليه . فقد أثر كونت فى توجيه الدراسات الاجتماعية من بعده تأثيرا كبيرا ، وسار على هدى طريقته عدد كبير من المفكرين الاجتماعيين . فكانوا يبداون بوضع القوانين والنظريات العامة ثم يحاولون تطبيقها على ظواهر الاجتماع . ومن بين هؤلاء مثلا هربت سبنسر وليبنفلد وانصار المدرسة البيولوجية الذين حاولوا تفسير الظواهر الاجتماعية على ضوء القوانين التى تسير عليها الظواهر البيولوجية ، وجمبلوفتش ورانزنهوفر ونكارو الذين وضعوا نظريات فى الصراع الاجتماعى وحاولوا أن يستخلصوا أسس الاجتماع الانسانى من مبادىء تنازع البقاء وصراع الأجناس وبقاء الأصلح وما اليها ، و « براون وميشيليه » وغيرهم من أنصار المدرسة الجغرافية الذين حاولوا تفسير كل ما يحدث فى المجتمع بالرجوع الى الظواهر الجغرافية ، وغير هؤلاء كثيرون ممن تزخر بهم وبنظرياتهم المؤلفات التى تتناول تاريخ التفكير الاجتماعى .

وجدير بالذكر أن هؤلاء جميعا لم يحاولوا تطبيق قواعد المنهج العلمى فى دراساتهم ولم يقوموا بدراسات ميدانية ، بل اكتفوا بجمع الحقائق التى رأوا أنها كفيلة بتأييد وجهات نظرهم من الكتب التى اطلعوا عليها فى مختلف مجالات المعرفة .

* * *

٤ – اميل دوركايم (١٨٥٨ – ١٩١٧ م) :

ويعتبر اميل دوركايم زعيم المدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع ، والتى أثرت وما تزال تؤثر حتى وقتنا هذا فى توجيه البحوث الاجتماعية ، وقد اهتم « دوركايم » بتحديد مناهج البحث التى ينبغى استخدامها فى الدراسات الاجتماعية . ويعتبر كتابه « قواعد المنهج فى علم الاجتماع » (١) من خير ما كتب فى هذا الميدان .

وقد ابتدأ دوركايم بتعريف الظاهرة الاجتماعية وتحديد خواصها . فقال انها تتميز بخاصيتين رئيسيتين هما :

E. Durkheim : Les Règles de la Méthode Sociologique, Paris 2nd. ed., 1901. (١)

١ — القهر : فالظاهرة الاجتماعية تستطيع أن تفرض نفسها على الفرد أراد ذلك أم لم يرد . والفرد لا يشعر بهذا القهر أو لا يكاد يشعر به حينما يستسلم له بمحض اختياره . ومما يدل على وجود القهر الاجتماعى أن الفرد اذا حاول الخروج على احدى الظواهر الاجتماعية فانها تتصدى لمقاومته بصور مختلفة .. مثل ذلك العقاب المادى كما هو الحال فى الجريمة ، أو الجزاء الخلقى كما هو الحال فى الخروج على المألوف مما يدعو الى استهجان الناس لسلوكه . « فان شعور الجماعة يحول دون نفاذ أي فعل يتصدى لمهاجمة القواعد الخلقية ، وذلك لأن هذا الشعور يعتمد على نوع من الرقابة التى يباشرها على سلوك المواطنين ، ويستعين على ذلك ببعض العقوبات التى ترجع اليه حرية التصرف فيها وفى بعض الحالات الأخرى يكون القهر أخف وطأة من ذلك . وليس معني ذلك أن هذا القهر غير موجود . فانى اذا خرجت علي العادات المرعية ، ولم أتم وزنا للعرف المتبع فى وطنى وفى طبقتى بخصوص الزى فان ما اثيره من عاطفة السخرية ، وما بعثه حولى من الاشمئزاز تنتجان ، ولو بصورة مخففة ، نفس النتيجة التى يؤدى اليها العقاب الحقيقى .. الخ » (١) .

٢ — الموضوعية : فالظواهر الاجتماعية لها وجود مستقل خارج شعور الفرد وهى سابقة فى الوجود على الوجود الفردى بمعنى أن الأفراد منذ ولادتهم يخضعون لنظم وظواهر اجتماعية سابقة على وجودهم فى الحياة .

ويرى دوركايم أن العموم ليس صفة جوهرية فى الظواهر الاجتماعية ، وانما هو نتيجة للقهر . فالظواهر لا تكون عامة الا لانها اجتماعية — اى لأنها تقهر الأفراد الى حد كبير أو قليل — بعكس ما قد يفهم من أنها اجتماعية لانها عامة (٢) .

وقد طالب « دوركايم » بتطبيق قواعد المنهج الاستقرائى فى الدراسات الاجتماعية ووضع قواعد خاصة بملاحظة الظواهر الاجتماعية أهمها ما يأتى :

أ — يجب ملاحظة الظواهر الاجتماعية على انها أشياء (٣) . وذلك بالتخلص من طريقة المعانى الشائعة والافكار غير الممحصة . لان المعانى أو المدركات الكلية لا تقوم بحال ما مقام الاشياء نفسها ، كما قد تنشأ

(١) الترجمة العربية ص ٣٣ . (٢) المصدر السابق : ص ٤١

(٣) قواعد المنهج فى علم الاجتماع : ص ٤٨ وما بعدها .

بطريقة غير علمية . ويرى دوركايم أن هذه المعـانى تشبه الأصنام : أى الاشباح التى تشوه المنظر الحقيقى للاشياء والتى يخيل للانسان ، على الرغم من ذلك ، انها هى هذه الاشياء نفسها . فعلى الباحث الاجتماعى أن ينظر الى الظواهر الاجتماعية على انها أشياء خارجية منفصلة عن شعوره الداخلى . وفى ضوء هذا الاعتبار تتحقق موضوعية الظاهرة وشخصيتها العلمية .

٢ ـ يجب على الباحث الاجتماعى أن يتحرر من كل فكرة سابقة على الظاهرة التى يدرسها (١) . ويرى دوركايم أن هذه القاعدة أساس لكل طريقة علمية .

وطريقة الشك المنهجي لدى « ديكارت » لم تكن الا احدى التطبيقات الفرعية على هذه القاعدة ، وكذلك كانت نظرية الاوهام التى أشار اليها فرنسيس بيكون ترمى الى نفس الغرض (٢) ويرى دوركايم أن من الواجب على الباحث أن يراعى هذه القاعدة سواء أكان بصدد تحديد موضوع بحثه أو كان يريد البرهنة على صدق النتائج التى يؤدى اليها هذا البحث . ويجب عليه أيضا أن يتحرر من تلك الآراء البديهية الكاذبة التى تسيطر على عقول العامة من الناس ، وان يزيح عن كاهله نير قواعد التفكير التقليدى ، وهى تلك القواعد التى تنقلب مستبدة قاهرة فى نهاية الأمر ؛ وذلك بسبب شدة الفه اياها ، ولكن اذا اضطر الى استخدام هذه القواعد فى بعض الاحيان ، وجب عليه أن يستخدمها مع شعوره بقلة جدواها . وذلك حتى لا يعهد اليها بدور لا يجدر بها أن تقوم به فى مذهبه العلمى .

٣ ـ من الواجب أن ينحصر موضوع البحث فى طائفة خاصة من الظواهر التى سبق تعريفها ببعض الخواص الخارجية المشتركة بينها . ومن الواجب أن ينصب البحث على كل الظواهر التى تتوفر فيها شروط ذلك التعريف (٣) . ومثال ذلك أننا نلاحظ وجود طائفة خاصة من الأفعال التى تشترك جميعها فى الخاصة الخارجية الآتية وهى : أن وقوعها يثير لدى المجتمع رد فعل خاص يسمى العقاب . ولذا فاننا ندخل هذه الأفعال فى طائفة قائمة بذاتها ، ونطلق عليها اسما مشتركا ، فنطلق اسم الجريمة على كل فعل يجلب العقاب على مرتكبه ، ثم نجعل الجريمة التى عرفناها على هذا النحو موضوعا لعلم قائم بنفسه هو علم الجريمة .

---

(١) المصدر السابق : ص ٧٠ وما بعدها .

(٢) أنظر الفصل الخاص بتاريخ التفكير العلمى .

(٣) قواعد المنهج فى علم الاجتماع ص ٧٦ .

٤ ـ يجب على الباحث الاجتماعي - لدى شروعه في دراسة طائفة خاصة من الظواهر الاجتماعية ، أن يبذل جهده في ملاحظة هذه الظواهر من الناحية التي تبدو فيها مستقلة عن مظاهرها الفردية (١) . وتنص هذه القاعدة على الاعتماد فقط على المدركات الحسية التي تنطوي على الطابع الموضوعي . فكما أن عالم الطبيعة يستعيض عن الاحساسات الغامضة التي يشعرها لديه الطقس أو الكهرباء بملاحظته للذبذبات التي يسجلها كل من « الترمومتر » و « الاليكترومتر » ، فمن الواجب على الباحث الاجتماعي أن يتخذ هذه الحيطة نفسها ، وأن تكون الخواص الخارجية التي يستعين بها هذا الباحث على تحديد موضوع بحثه أقرب ما يمكن الى الواقع .

هذه هي القواعد الخاصة بملاحظة الظواهر الاجتماعية . أما من ناحية القواعد الخاصة بتفسير الظواهر الاجتماعية فتتلخص فيما يلي :

١ ـ يجب على من يحاول تفسير احدى الظواهر الاجتماعية أن يبحث عن كل من السبب الفعال الذي يدعو الى وجود هذه الظاهرة والوظيفة التي تؤديها ، عن كل من هذين الامرين على حدة (٢) .

٢ ـ يجب تفسير الظواهر الاجتماعية بظواهر اجتماعية مثلها لان الفرد لا يصلح أساسا لتفسير ظواهر الاجتماع (٣) . ووظيفة الظاهرة الاجتماعية لا يمكن الا أن تكون اجتماعية . ومعنى ذلك أن وظيفة الظاهرة تنحصر في خلق بعض النتائج التي تعود على المجتمع بالفائدة . واذا كانت الظاهرة تعود على الفرد بالنفع ، فان من الواجب البحث دائما عن الوظيفة التي تؤديها الظاهرة عن طريق دراسة الصلة التي تربط بين هذه الظاهرة وبين احدى الغايات الاجتماعية .

أما من ناحية القواعد الخاصة باقامة البراهين فيرى « دوركايم » أن طريقة المقارنة هي الطريقة الوحيدة التي تتناسب مع طبيعة الظواهر الاجتماعية . ولما كانت المقارنة أساسا لمختلف الطرق الاستقرائية ، فقد فرق بين تلك الطرق من جهة ملاءمتها للدراسات الاجتماعية (٤) . ورأى أنه من العسير استخدام كل من « طريقة الاتفاق » و « طريقة الاختلاف » لأنهما تقومان على فرض أن جميع الحالات التي يقارن بينها الانسان تتفق

---

(١) المصدر السابق : ص ٩٠ .
(٢) المصدر السابق : ص ١٥٨ .
(٣) المصدر السابق : ص ١٧٧ .
(٤) قواعد المنهج في علم الاجتماع : ص ٢٠٤ وما بعدها .

تختلف فى جميع المتغيرات ما عدا متغيرا واحدا فقط . غير أن تحقيق
ا الشرط — كما يقول دوركايم — عسير فى الدراسات الاجتماعية . ويرجع
سبب فى ذلك الى شدة تركيب الظواهر الاجتماعية ، وعجز الباحث
القيام باحصاء كامل لجميع الظواهر التى توجد فى مجتمع معين ، أو لجميع
واهر التى تتابعت فى ذلك المجتمع فى أثناء التاريخ .

ويرى « دوركايم » أن طريق التغير النسبى Methode de Variations Concomitan أفضل الطرق الاستقرائية فى البرهنة على وجود قانون
علاقة سببية بين ظاهرتين اجتماعيتين . وهى تمتاز على سائر الطرق
جريبية الأخرى بأنها « لا توقفنا على العلاقة السببية من الخارج ،
هو الحال فى الطرق الاخرى ، ولكنها توقفنا على هذه العلاقة من الداخل .
بارة أخرى لا ترينا هذه الطريقة فقط أن الظاهرتين توجدان معا
تختفى احداهما لدى وجود الاخرى بحسب الظاهر ، ولكنها
نا أن كلا من هاتين تتأثر دائما بالاخرى ، من جهة الكم
ى أقل تقدير » (١) .

وتتخذ المقارنة فى رأى دوركايم صورا ثلاث :

١ — أن تكون المقارنة بين عدد كبير من الظواهر فى مجتمع واحد
ا . وهذه الطريقة تكفى متى كان الباحث بصدد دراسة بعض الظواهر
يدة العموم والتى تتوافر فيها البيانات الاحصائية . مثال ذلك المقارنة
، سير ظاهرة الانتحار فى فترة تاريخية طويلة الأمد وبين التغيرات
ختلفة التى تطرأ على هذه الظاهرة نفسها باختلاف الاقاليم والطبقات
سماكن القروية أو الحضرية ، وتبعا لاختلاف الجنس والعمر والحالة
شخصية وغير ذلك من الأمور .

٢ — أن تكون المقارنة بين مجموعات من الظواهر فى مجتمعات
جانسة . وهنا يجد الباحث أمامه مجالا أوسع للمقارنة .

٣ — أن تكون المقارنة بين ظواهر مختلفة فى مجتمعات غير متجانسة .
، يتسنى الباحث أن يفسر أية ظاهرة اجتماعية معقدة بعض الشىء
بشرط أن يقوم بملاحظة جميع مراحل التطور التى تمر بها الظاهرة
جميع الأنواع الاجتماعية (٢) .

---

(١) نفس المصدر : ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .
وللوقوف على طرق البرهنة فى البحوث التجريبية يمكن الرجوع
، ما كتبناه فى هذا الكتاب عن المنهج التجريبى .
(٢) نفس المصدر : ص ٢١٣ وما بعدها .

● تقويم منهج دوركايم :

كان لـ «دوركايم» فضل كبير فى تحديد خصـــائص الظواهر الاجتماعية ، وفى تفصيل قواعد المنهج التى يمكن اتباعها فى البحوث الاجتماعية . وقد اجتهـــد دوركايم فى البرهنة على أن الظواهر الاجتماعية أشياء خارجية ، وأن لها صفاتها النوعية التى تتميز بها عن غيرها .. فهى توجـد خـــارج شـعور الفرد ، وتجبره على أنواع معينة من التفكير والشعور والسلوك — وهى مســـتقلة عن الظواهر البيولوجيـة والظواهر النفسـية ؛ وليس فى استطاعة الانسان أن يغير من طبيعتهـــا كما يشـــاء ، بل لابد له من معرفة القوانين التى تخضع لها ، ولذا أوجب دوركايم على البـــاحث الاجتماعى أن يتبع قواعد المنهج العلمى فى دراسته للظواهر الاجتمـــاعية حتى يتسنى له الوصول الى نتائج سليمة من الوجهة العلمية .

وقد اجتهد « دوركايم » أيضا فى المطالبة بتفسير الظواهر الاجتمـــاعية بظواهر اجتماعية أخرى . فالظواهر الاجتماعية وان كانت أشـــياء خارجية الا أنها من نوع خاص ، وهى تنشأ بسبب الشعور الجمعى . « وكل ما هو اجتماعى قوامه التصورات ، وهو حاصل هـــذه التصورات » ، وليســت أصالة « دوركايم » فى رد كل ما هو اجتماعى الى حالات عقلية ، وانمـــا الشىء المبتكر لديه هو النظر الى هذه الحالات العقلية على نحـــو خـــاص ، ومباشرة دراستها كأن لم تكن عقلية ، على الرغم من كونها عقلية . فان هذه التصورات الجماعية موجودة من جهة ، وهى مع ذلك ليست موجودة فى أى شـعور فردى بتمامها ، وهى تتجاوز الافراد وتخرج عن أن تكون خاصة بهم لكونهـــا شـائعة فى الجمـــاعة ، ولذا طالب دوركايم بالرجوع الى الوســـط الاجتماعى ، والى تركيبه المورفولوجى ، لا الى ذاتية المشاعر الفردية لاكتشاف الأسباب الحقيقية للظواهر وحتميتها الفعلية .

ويؤخذ على « دوركايم » أنه لم يفطن الى أهمية الفروض فى البحوث الاجتماعية ، وكان يرى أن من الممكن الانتقال مباشرة من الملاحظة والمقارنة الى القانون كما أن طريقة التغير النسبى التى نادى باستخدامها تضيق مجال المقارنة وتؤدى الى التعميم السريع . ولذا نبه موريس جنزبرج M. Ginzberg الى ضرورة توسيع مجال المقارنات بقوله : من الضرورى أن يستخدم منهج المقارنة على نحو أكثر اتساعا وحذرا مما كان يفعل دوركايم .

* * *

٥ ـ الإتجاهات المنهجية فى الولايات المتحدة الأمريكية

اتجه العلماء الاجتماعيون فى الولايات المتحدة الأمريكية منذ الحرب العالمية الأولى الى دراسة الظواهر والمشكلات الاجتماعية وجهة تجريبية امبيريقية. وقد كان للدراسة التى قام بها « توماس » و« زنانيكى » وموضوعها: « الفلاح البولندى فى أوروبا وأمريكا » (١) . أثر كبير فى توجيه الانظار الى اهمية البحوث الميدانية ، وفى التعريف بأهمية الوثائق الشخصية كالمذكرات او الخواطر أو تواريخ الحياة فى الوقوف على التفاصيل الدقيقة للظواهر الاجتماعية .

ويبدأ الجزء الأول من كتاب « الفلاح البولندى فى أوروبا وأمريكا » بعرض بعض الرسائل المتبادلة بين بعض العائلات البولندية التى هاجرت الى الولايات المتحدة وبين بعض أقاربهم فى الريف البولندى . وكان الغرض من عرض وتحليل هذه الرسائل هو دراسة تكوين الاسرة الريفية البولندية ، والروابط التى تربط بين أفرادها . ويهدف القسم الثانى الى دراسة النظم الاجتماعية فى الريف البولندى . أما القسم الثالث فيصف مراحل انفصال المهاجرين عن تقاليدهم القديمة ، وتكيفهم مع البيئة الجديدة فى الولايات المتحدة . ومن الاجزاء الهامة فى الكتاب ذلك الجزء الذى يسرد تاريخ أحد المهاجرين كما كتبه بنفسه . وقد قدم المؤلفان لهذا الجزء بقولهم : اننا حين نرغب فى البحث عن القوانين العامة للحياة الاجتماعية ، فلن نجد طريقة تفوق سرد تاريخ الحياة ، وفى اعتقادنا أن هذه الوثائق الحية ، اذا كانت كاملة ودقيقة ، كفيلة بأن تعطينا نموذجا حيا للمادة التى يجب أن يعكف عليها عالم الاجتماع .

وما لبثت هذه الطريقة التى تعالج الظواهر والمشكلات الاجتماعية بالاعتماد على الحالات الفردية ، وبالرجوع الى الوثائق الشخصية أن استخدمت على نطاق واسع ، وأمكن الاستفادة بها فى مجال الوصف والتحليل، وذلك بوضع بعض الفروض العلمية ، ثم التأكد من صدقها بالرجوع الى ما تتضمنه الوثائق من حقائق ومعلومات .

ولم يقتصر العلماء الاجتماعيون فى الولايات المتحدة على جمع الوثائق والاستعانة بها فى الدراسة ، بل حاولوا الكشف عن مناهج جديدة فى ميدان البحث الاجتماعى والارتقاء بطرق البحث القديمة ، كما التزموا حدود

---

(١) W. Thomas and F. Znaniecki : The Polish Peasant in Europe and America (5 Vols.), Chicago : Uni. of Chicago, 1918-20.

المنهج العلمي في دراساتهم مبتعدين عن أساليب التفكير الفلسفي التي غلبت على الدراسات الاجتماعية في أوروبا خلال القرن الماضي .

ومما يذكر بالفضل للعلماء الاجتماعيين في الولايات المتحدة قيامهم بتقنين قواعد البحث العلمية وتأليفهم عددا كبيرا من المراجع التي تعالج كثير من المسائل المنهجية التي تهم الباحث الاجتماعي كتصميم البحوث ، واختيار العينات ، ومناهج البحث وأساليب جمع البيانات ، وما الى ذلك من موضوعات (١) . وقد سهلت هذه المراجع للباحثين مهمة الدراسة والبحث على أساس علمي سليم .

وقد كان لضخامة الامكانيات الامريكية ومبلغ ما رصدته الحكومة والمؤسسات المختلفة كمؤسستي روكفلر وكارنيجي من معونات ومنح للباحثين الاجتماعيين ، واشتراك علماء الاجتماع وعلماء النفس والاحصاء في دراسة المسائل الاجتماعية على هيئة فريق متعاون ، أثر كبير في تقدم البحوث الاجتماعية وغلبة الطابع العلمي عليها . وقد اتجه العلماء الأمريكيون الى دراسة مسائل أكثر واقعية مما قام بدراسته العلماء الاوروبيون . من بين تلك المسائل دراسة الظواهر والمشكلات المتعلقة بالمجتمعات الريفية والحضرية ، ودراسة السلوك الاجرامي ، ومشكلات الاقليات ، والتركيب السكاني ، والايكولوجيا الانسانية ، والاجتماع الصناعي ، والحضاري ، والاسري ، وقياس الرأي العام . وقد تميزت معظم هذه الدراسات بموضوعيتها ، واعتمادها على القياس الكمي : والتحليل الاحصائي .

ومن لهم فضل لا ينكر في الدعوة الى تطبيق قواعد المنهج العلمي في الدراسات الاجتماعية بالولايات المتحدة جورج لوندبرج G. Lunberg وستيوارت شابين S. Chapin و ج . مورينو G. Moreno, وستيوارت دود S. Dodd وصمويل ستوفر S. Stouffer ، وكثيرون غيرهم (٢).

دعا « لوندبرج » الى دراسة الظواهر الاجتماعية بنفس الطرق والأساليب التي تدرس بها الظواهر الطبيعية ، كما طالب باستخدام الوسائل الكمية .

---

(١) من بين هذه المراجع ما يلي :

F.S. Chapin : Field Work and Social Research New York. 1920= -

« فالتعميمات العلمية لا تقوم الا على أساس كمي ، كما أن درجـــه التأكد من صدق النتائج التي يصل اليها الباحث تتوقف الى حد كبير على سلامة الطرق الاحصائيه التي يستخدمها في الدراســـه » (١) . وقــد اهتم « لوندبرج » بالمفـــاهيم Concepts وطالب بتعريفها اجرائيا (٢) . والمقصود بالتعريف الاجرائي Operational definition هو تحديد المفهوم باستخدام ما يتبع في ملاحظته أو قياسه أو تسجيله . فاذا قلنا مثلا : ما هو الذكاء ؟ كان تحديدنا له بأنه هو الذي يقيسه اختبار الذكاء . وقد دافع « لوندبرج » عن امكانية استخدام المنهج العلمي في الدراسات الاجتماعية بقوله : على الرغم من أن الطريقـــة التي يتبعها علماء الطبيعة تعتمد اعتمادا كليا على المختبر العلمي وعزل العوامل المختلفـــة ، الا أن علماء الفلك نظـــرا لعـــدم تمكنهم من خلق بيئة مشابهة في المعمل ، لجأوا الى تطوير أدوات الملاحظة وأجهزتها التي مكنتهم من التغلب على صعوبة العزل ، وعن هـــذا الطريق تمكنوا من فهم العوامل المحيطة بالفضاء الجوى .. كذلك علماء الاجتماع فانهم يســـيرون في طريق لا يقل من ناحيـــة الضبط العلمي عن هـــذين الاسلوبين من التجريب ، ذلك هو الطريق الاحصائي . فاذا لم يتمـــكنوا من

=

E.S. Bogardus : The New Social Research, Los Angeles, 1926;
V.M. Almer; Field Studies in Sociology, Chicago, 1928 ;
H.M. Odum and K. Jocher, Introduction to Soc. Research, New-York, 1929;
C.L. Fry : The Technique of Social Investigation, New York, 1934 ;
F. Znaniecki : The Method of Sociology, New York, 1934.
E.S. Bogardus : Introduction to Social Research, Los Angeles, 1936 ;
P. V. Young : Scientific Social-Surveys and Research, New York, 1939 :
G.A. Lundberg : Social Research, New York, 1929 ;
W.J. Goode and P.K. Hatt : Methods in Social Research : New-York, 1952.
R.L. Ackoff : The Design of Social Research, Chicago, 1952.

(١) G. Lundberg : Foundation of Sociology, New York, 1939, pp. 54-58.

(٢) G Lundberg : Social Research, pp. 88-93.

التحكم فى الظروف والبيئة فانهم يحسبون لتدخلها فى التجربة حسابا . وأهم الطرق الاحصائية التى تساعدهم على تحقيق ذلك اختبار العينات ، والدالة الاحصائية ، والثبات الاحصائى (١) .

أما « شابن » فقد ناقش مبدأ تحكم الباحث فى التجربة وقال « ان الضبط عنصر أساسى فى التجربة ، ولكن ليس من الضرورى أن يكون ثمة تحكم من جانب الباحث فى التجربة التى يجريها . فكما توجد التجارب الصناعية التى تتم فى المختبر العلمى ، توجد التجارب التى تخلقها الطبيعة ، والتى لا يسعى الانسان الى تهيئتها ، أو خلق الظروف اللازمة لها » (٢) . ووضع « شابن » قواعد جديدة للتصميمات التجريبية ، وقد أصبحت هذه التصميمات عمادا للباحثين فى الميدان الاجتماعى ، يهتدون بها فى بحوثهم . ويطبقونها فى تجاربهم (٣) . وقد حاول « شابن » أن يوسع نطاق التجارب فى مختلف الميادين الاجتماعية ، كميدان قياس الرأى العام (٤) ، وميادين العلاقات الانسانية (٥) ، ونشر عددا كبيرا من المقالات والمراجع التى تناولت مناهج البحث بالدراسة والتحليل ، وعرضت لأنواع التصميمات التجريبية التى يمكن استخدامها فى البحوث الاجتماعية ، كما عرضت لبعض الدراسات التجريبية التى أجراها « شابن » بنفسه . ولقد وجهت كتابات « شابن » وأبحاثه أنظار الباحثين الاجتماعيين الى التصميمات التجريبية وطرق استخدامها فى ابحاثهم بعد أن كانوا يصرفون كثيرا من الوقت والجهد فى بحث امكانية الاستفادة بالمنهج التجريبى فى الدراسات الاجتماعية .

أما « مورينو » فقد اهتم بقياس العلاقات الاجتماعية ، واقترح استخدام المقاييس السوسيومترية Sociometric scales لتقدير مدى التجذب والتنافر بين أعضاء الجماعة . وقد أقبل عدد كبير من علماء الاجتماع وعلماء النفس والاخصائيين فى الطب النفسى على استخدام هذه المقاييس ، وطبقوها فى مواقف اجتماعية كثيرة فى السجون والمصانع والمدارس ووحدات الجيش ،

---

(١) G. Lundberg : Ibid. pp. 54-58.

(٢) F. S. Chapin : Experimental Designs in Sociological Research, New York, 1947, pp. 92-93.

(٣) راجع ما كتبناه عن هذه التصميمات فى « المنهج التجريبى » .

(٤) F.S. Chapin : «The Role of Experimental Designs in Public Opinion Research», Int. J. Opin. Attitude Res. 2 (1948). pp. 333-340.

(٥) F.S. Chapin : «The Experimental Method in the study of Human Research», Sci. Mon., 68 (1939), pp. 363-364.

وغير ذلك من المؤسسات والمجتمعات الأخرى ، وأمكن عن طريقها اكتشاف كثير من خصائص الجماعة ، ومدى تأثير كل فرد على الآخر مما يفيد فى دراسة عوامل تماسك الجماعة وتفككها وفى دراســـة ظاهرة الزعامـــة والانقيـــاد والصداقة (١) .

وقد حاول « دود » كمـــا حاول « مورينو » أن يستخدم القياس الكمى فى دراسة العـــلاقات الاجتمـــاعية ، واســـتعان بالرموز الرياضية لدرس ظواهر الاجتمـــاع بنفس الدقـــة التى تدرس بهـــا الظواهر الرياضيـــة وحقائقها (٢) .

أما « ستوفر » فيعتبر من أعظم من طبقوا المنهج التجريبى فى دراساتهم، واستفادوا به فى اختبار الفـــــروض العلميـــة . وقد ساهم مساهمة فعالة فى ارساء قواعد المنهج التجريبى فى الدراسات الاجتماعية منذ أن كان يقوم بدراساته العليا فى جامعة شيكاغو . وقد عمل فى انجلترا فترة من الزمن مع « كارل بيرسون » و « فيشر » فلما عاد الى الولايات المتحدة ساهم بنصيب كبير فى ادخال المنهج الاحصائى فى البحوث الاجتماعية . وحتى الحـــــرب العالمية الثانية كان قياس الاتجاهات قاصرا على الميدان التجـــارى لدراسة كمية الاستهلاك واتجاهاته ، وطبقات المستهلكين واتجاهاتهم ، وعـــادات الشراء عند الجماعات المختلفة ... الخ ، واستخدم « ستوفر » هذا الأسلوب القياسى فى الدراسة التى أجراها عن « الجندى الامريكى » ، فاســتطاع بذلك أن يرشد الباحثين الاجتماعيين الى طريقة تطبيق هذا الاســـلوب العلمى فى الدراسات الاجتماعية ، ومما يذكر « لصمويل ستوفر » أيضـــا انه اســـتخدم النمـــاذج الرياضية **Mathematical Models** فى البحوث الاجتماعية ، وذلك ضمانا لدقة النتـــائج التى يحصـــل عليهـــا الباحث الاجتماعى » (٣) .

من هذا العرض يتبين لنا أن الباحثين الامريكيين ساهموا بنصـــيب كبير فى توجيه الدراسات الاجتماعية وجهة تجريبية امبيريقية ، وانهــــم حاولوا الارتقاء بأساليب البحث القديمة ، كما حاولوا الكشف عن منـــاهج جديدة فى ميدان البحث الاجتماعى ، كما بعدوا كل البعد عن اســـاليب التفكير الفلسفى التى غلبت على الدراسات الاجتماعية ردحـــا طويلا من الزمان .

* * *

---

(١) راجع ما كتبناه فى هذا الكتاب عن القياس السوسيومترى .

(٢) S. Dodd. Dimensions of Sociology, 1912.

(٣) يمكن الرجـــوع الى قائمـــة مؤلفـــاته فى مجمـــوعات الملاحق التى نشرت بكتابه :

Social Research to Test Ideas, the Free Press of Glencoe 1962, pp. 301-306.

المراجـــع

(١) باللغـة العربيـــة :

١ ـ اميل دوركايم : قواعد المنهج فى علم الاجتماع ، ترجمة محمـود قاسم ومراجعة السيد محمد بدوى ، النهضة المصرية ١٩٥٠ .

٢ ـ عبد الرحمن بن خلدون ، تمهيد وشرح وتعليق : على عبد الواحد وافى ، القاهرة : ١٩٥٧ ، ١٩٥٨ ، ١٩٦٠ .

٣ ـ على عبد الواحد وافى : عبد الرحمن بن خلدون ، سلسلة أعلام العرب ، مكتبة مصر : ١٩٦٢ .

٤ ـ ليفى بريل : فلسفة أوجيست كونت ، ترجمة محمود قاسـم والسيد محمد بدوى ، القاهرة : ١٩٥٢ .

(٢) باللغـة الاجنبيـة :

1. Bogardus, E., The New Research, Los Angles, 1962.
2. Chapin, S. Field work and Soc. Research, New York 1920.
3. —— Experimental Designs in Sociological Research, New-York, 1927.
4. Comte, A., Cours de Philosophie Positive, 6 Vols. Paris, 1930-42.
5. Dodd. S., Dimension of Society, 1942.
6. Lundberg, G., Social Research, New York, 1939.
7. —— Foundations of Sociology, New York, 1939.
8. Stouffer, S., Social Research to Test Ideas, the Free Press of Glencoe, 1962.
9. Thomas, and Znaneicki, The Polich Peasant in Europe and America, 5 Vols. Chicago, 1918-20.
10. Znaneicki, F., The Methods of Sociology, New York, 1934.

* * *

الفصل السادس

حدود المنهج العلمي في الدراسات الاجتماعية

عارض فريق من العلماء والفلاسفة في القرن الماضي مبدأ تطبيق المنهج العلمي في الدراسات الاجتماعية ، وكانوا يرون أن دراسة الظواهر الاجتماعية باتباع الأساليب العلمية الدقيقة أمر لا يمكن تحقيقه لما بين ظواهر العلوم الطبيعية والاجتماعية من اختلافات وفوارق جوهرية .

وبالرغم من أن تاريخ العلم يدل على أن كثيرا من الموضوعات التي لم يكن في الاستطاعة دراستها في القرن الماضي دراسة علمية صحيحة ، قد أمكن اخضاعها في الوقت الحاضر للبحث العلمي الدقيق ، فلا يزال بعض العلماء والفلاسفة يرددون الادعاءات القديمة ، ويقولون باستحالة دراسة الظواهر الاجتماعية باتباع قواعد المنهج العلمي . وتتركز دعاوى هؤلاء المعارضين حول عدد من المسائل المتعلقة بتعقد المواقف الاجتماعية ، واستحالة اجراء التجارب في الدراسات الاجتماعية ، وتعذر الوصول الى قوانين اجتماعية ، وبعد الظواهر الاجتماعية عن الموضوعية ، وعدم دقة المقاييس الاجتماعية . وسنعرض لهذه الاعتراضات ثم نرد عليها فيما يلي بشيء من التفصيل .

١ – تعقد المواقف الاجتماعية :

تخضع الحياة الاجتماعية لعدد كبير من المؤثرات النفسية والطبيعية والثقافية والاجتماعية . فالجماعات البشرية تتكون من مجموعات من الافراد يختلفون فيما بينهم من النواحي النفسية ، كما انهم يتأثرون بالوسط الطبيعي الذي يعيشون فيه ويخضعون للمؤثرات الجغرافية كالموقع والسطح والمناخ والموارد ، ثم انهم يتأثرون في نفس الوقت بالظروف الثقافية والاجتماعية التي تسود مجتمعهم كالعرف والتقاليد وأنظمة الحكم ونماذج العلاقات الاجتماعية التي تحددها التكتلات والطبقات الاجتماعية . ولذا فان الظواهر الاجتماعية التي تنبثق في الجماعة من اجتماع الافراد ، ومن تبادل آرائهم ووجهات نظرهم ، وانصهار رغباتهم وارادتهم الخاصة تبدو في نظر

المعارضين غاية فى التعقيد وعدم الوضوح بحيث يصعب فهمها ، واكتشاف القوانين العامة التى تحكمها .

والواقع أنه لا ينبغى التسليم بهذا القول تسليما مطلقا ، فالقول بأن المواقف الاجتماعية أكثر تعقيدا من المواقف الفيزيقية ناشىء من أن المعارضين يقومون بمقارنة الظواهر الاجتماعية التى بدأ العلماء الاجتماعيون فى دراستها دراسة علمية منظمة منذ وقت قريب بظواهر العلوم الطبيعية التى توفر العلماء على دراستها منذ قرون طويلة . ومما لا شك فيه أن الظواهر الطبيعية فى القرن الحادى عشر الميلادى كانت تبدو فى غاية التعقيد والغموض ، وقد أمكن تبسيطها بفضل الجهود الطويلة التى بذلها العلماء الطبيعيون طوال القرون الماضية . فاذا أردنا أن نقيم مقارنتنا على أساس علمى سليم ، فنتمكن المقارنة بين الصورة التى تبدو عليها الظواهر الاجتماعية فى الوقت الحاضر ، وبين ما كانت تبدو عليه الظواهر الطبيعية فى القرن الحادى عشر .

ثم ان التعقيد شىء نسبى فالظاهرة تبدو للناس معقدة اذا صعب عليهم فهمها أو ادراك حقيقتها . فالطفل الذى يحاول السير فيتعثر فى مشيته ، أو يحاول الكلام فلا يقدر عليه ، يعتقد أن المشى معقد ، بينما لا يبدو الأمر كذلك بالنسبة لمن يحسنون المشى أو الكلام . والشخص الذى يجهل قوانين انعكاس الضوء وانكساره ، ولايعرف شيئا عن النظريات الخاصة بالمادة وقوانينها كنظرية الجاذبية التى تفسر العلاقة بين الاجرام السماوية، ونظرية وحدة المادة ، ونظرية النسبية ، تبدو له الظواهر المتصلة بهذه القوانين والنظريات فى غاية التعقيد ، وبالمثل يمكن القول بأن التعقيد الذى ينسب الى الظواهر الاجتماعية ناشىء عن الجهل بها وكلما تمكن العلماء من تبسيطها وتحليلها وتحديد العوامل المؤثرة فيها ، وقياسها بوسائل دقيقة سهل عليهم بعد ذلك فهمها وزالت عنها صفة التعقيدالتى تنسب اليها.

ويشير « هربرت سيمون H. Simon » الى أن الرياضيات سوف تساعد على التغلب على ما ينسب الى الظواهر الاجتماعية من تعقيد فيقول : ان الرياضيات أصبحت هى اللغة السائدة فى العلوم الطبيعية ، ولا يرجع ذلك الى أنها كمية — وهو وهم شائع — وانما لانها تسمح فى المحل الأول بايجاد صيغة واضحة ودقيقة تعبر عن الظواهر المعقدة التى يتعذر تناولها بالكلمات . ومثل هذه المزية التى تجعل الرياضيات متفوقة على اللغة العادية سوف تكشف عن فائدة أكبر بالنسبة للعلوم الاجتماعية (١) .

* * *

---

(1) H. Simon, Models of Man : Social and Rational, New-York, Wiley, 1957, p. 89.

٢ – استحالة اجراء التجارب فى العلوم الاجتماعية :

يرى المعارضون لمبدأ تطبيق المنهج العلمى فى الدراسات الاجتماعية ان استخدام التجارب فى العلوم الاجتماعية أمر مستحيل . فالتجارب – فى نظرهم – تقوم على مبادىء أساسية أهمها التحديد والضبط والتحكم من جانب الباحث أو بعبارة أوضح يقوم الباحث فى العلوم بتحديد عناصر الظاهرة التى يريد دراستها ويعمل على عزلها عن غيرها من العناصر ثم يتحكم فيها صناعيا حتى يمكنه أن يتوصل الى تحقيق الظروف المماثلة مرة أخرى على اعتبار ان عوامل الزمان والمكان ثابتة لا تتغير . ولما كان المنهج التجريبى يعتمد على الفكرة القائلة بأن الأمور المتماثلة تحدث فى الظروف المتماثلة ، فان هذا المنهج – فى رأيهم – يمتنع تطبيقه فى العلوم الاجتماعية، لأن الظواهر الاجتماعية فردية فريدة فى نوعها ، ولا تتكرر بنفس الصورة وحتى لو أمكن تطبيقه ، فهو منهج عديم النفع ، لأنه ما دامت الظروف المتماثلة لا تتحقق الا فى حدود ضئيلة ، فلن يكون لأية تجربة تجرى فى الدراسات الاجتماعية الا دلالة محدودة جدا (١) .

كما أن الباحث فى العلوم الاجتماعية « حين يحلل ويحدد ويفرد ، لابد من أن ينتزع عناصر من موقف كلى عام ، تتداخل فيه هذه العناصر المكونة وتتشابك ، لا كتشابك اللحمة والسداة . وانما تتداخل تداخلا معقدا تعقيدا تاما » (٢) . وعلى هذا فان عزل عناصر الظاهرة الاجتماعية من شأنه أن يجردها من دلالتها الاجتماعية والتاريخية ، ويجعلها غير ذات معنى .

وردنا على هذه الاعتراضات أنه ليس من الضرورى – كما سبق أن أوضحنا – أن يكون ثمة تحكم من جانب الباحث فى التجربة التى يجريها ، فكما توجد التجارب الصناعية التى تتم فى المختبر العلمى ، توجد التجارب التى تخلقها الطبيعة والتى لا يسعى الانسان الى تهيئتها ، أو خلق الظروف اللازمة لهـا .

ثم ان التاريخ حافل بكثير من الحالات التـى يستطيع الباحث أن يتخذها مادة لتجاربه . فالثورات الاجتماعية والأزمات الاقتصادية والاضطرابات الداخلية يمكن أن تكون مجالا خصبا لكثير من التجارب التى لا تقل فى أهميتها

---

(١) كارل بوبر : عقم المنهج التاريخى ، دراسة فى مناهج العلوم الاجتماعية ترجمة عبد الحميد صبره : ص ١٩ .

(٢) حامد عمار : المنهج العلمى فى دراسة المجتمع ، وضعه وحدوده : ص ١٠ .

عن التجارب التى يقوم بها العالم الطبيعى . ومن الممكن أن يلجأ الباحث الى المقارنة بين عدد من المجتمعات الانسانية فى مختلف فترات تاريخها ، وفى وسعه أن يقارن بين المجتمعات التالية أو المخططة وبين المجتمعات العادية ، كما يمكنه أيضا الاستفادة بالتجارب التى تجريها الدول بقصد التطبيق العلمى لمنهج اصلاحى أو نظام اقتصادى أو سياسى معين .

أما عن الرأى القائل بأن المنهج التجريبى لا يمكن تطبيقه فى العلوم الاجتماعية لأننا لا نستطيع — فى الميدان الاجتماعى — تحقيق الظروف التجريبية المتماثلة تماما مرة بعد أخرى فهو مردود على قائليه ، لأنه قائم على سوء فهم للمنهج التجريبى فى العلوم الطبيعية . فمن المعروف للعلماء الطبيعيين أنه قد تحدث فى التجارب الطبيعية أمور مختلفة فى ظروف تبدو متماثلة تماما ، فقد تبدو لنا قطعتان من السلك متشابهتين تمام التشابه . ولكننا اذا وضعنا الواحدة منهما مكان الأخرى فى جهاز كهربائى كان الخلاف فى النتيجة كبيرا جدا ، وربما تبين لنا عند فحصهما فحصا دقيقا بالميكروسكوب مثلا — أنهما ليسا من التشابه كما يبدو عليهما من قبل . والحق أن كثيرا ما يصعب علينا جدا أن نكتشف اختلافا فى الظروف بين التجربتين يرجع اليه اختلاف النتائج . وقد نحتاج الى بحث طويل ، تجريبى ونظرى معا ، حتى نكشف أى نوع من التماثل ينبغى تحققه ، والى أى درجة يكفى أن يتحقق . واذن يمكن القول ان السؤال عما يجب اعتباره « ظروفا متماثلة » يتوقف على نوع التجربة التى نريد اجراءها ، ولا يمكن الاجابة عليه الا باستخدام التجارب (١) . والقول بوجود اختلافات بين الفترات التاريخية لا يلزم عنه استحالة القيام بالتجارب الاجتماعية ، وانما ينبغى علينا أن نستمر فى اجراء تجاربنا على أن نتوقع مواجهة النتائج المفاجئة أو التى لا تتفق وما كنا نتوقعه .

أما عن القول بفردية الظواهر الاجتماعية فاننا نسلم بأن موضوع كل ظاهرة فريد فى نوعه . فثورة سنة ١٩٥٢ فى مصر لم تحدث الا مرة واحدة على مدى التاريخ ، وفى مكان واحد وهو مصر ، الا أن العوامل والظروف التى تحكمت فى قيام الثورة ، والتغيرات التى أتت بها الثورة تكررت فى كثير من المجتمعات ، ومن الممكن دراسة هذه الثورات جميعا والوصول الى القوانين العلمية التى تؤثر فى قيامها أو تطورها (٢) .

* * *

---

(١) كارل بوبر : نفس المصدر ، ص ١١٩ .

(٢) راجع ما كتبناه عن القوانين العلمية للثورات فى كتابنا : أصول علم الاجتماع ، الفصل السادس .

٣ ــ تعذر الوصول الى قوانين اجتماعية :

يرى المعارضون لمبدأ تطبيق المنهج العلمى فى الدراسات الاجتماعية أن الوصول الى قوانين اجتماعية تشبه فى دقتها قوانين العلوم الطبيعية أمر بعيد المنال لعدة أسباب أهمها :

١ ــ تخضع المجتمعات المختلفة للتغير الاجتماعى المستمر . ولذا فان الظروف المماثلة لا تظل على حالها فقط خلال الفترات التاريخية المختلفة ، ومن ثم لا يوجد فى المجتمع اطراد طويل الأمد يصلح أن يكون أساسا للتعميمات البعيدة المدى (١) .

٢ ــ لا تخضع الظواهر الاجتماعية لمبدأ « الحتمية » الذى تخضع له الظواهر الطبيعية وذلك بسبب الحرية التى يتمتع بها الانسان . فالناس هم الذين يصنعون أقدارهم ، وفى استطاعتهم أن يغيروا سلوكهم طبقا لحالاتهم النفسية ، وتبعا للظروف التى تحيط بهم لذا فان من المستحيل التنبؤ بسلوكهم الاجتماعى ووضع مبادىء علمية لهذا السلوك . ولا يمكن أيضا باصطناع هذه المبادىء اكتشاف أنماط سلوكهم الماضية أو المستقبلة . فاذا لاحظت مثلا أن العمال العاطلين لا يقرأون كثيرا أثناء تعطلهم ، فانك لا تستطيع أن تعمم هذه الملاحظة وتجعلها قاعدة علمية ، لأن البطالة الطويلة قد تدفع العمال العاطلين الى القراءة دفعا للسآمة والملل ، وبذلك لا يصدق التعميم لتغير السلوك الانسانى .

٣ ــ مما يزيد من صعوبة وضع القوانين التى تساعد على التنبؤ الصحيح فى العلوم الاجتماعية ذلك التأثير المتبادل بين التنبؤات والحوادث المتنبأ بها . فاذا قلنا مثلا أن احدى السلع الموجودة فى الأسواق سوف تختفى بعد شهر فان الأفراد سيتسابقون على شراء هذه السلعة وتخزينها فى منازلهم ، فتختفى من الأسواق بعد يوم واحد فقط أو يومين ، واذا تنبأنا مثلا بأن سعر الأسهم سوف يأخذ فى الارتفاع مدى ثلاثة أيام ثم يهبط بعدها ، فمن الواضح أن كل من له صلة بالسوق سوف يبيع أسهمه فى اليوم الثالث ، وذلك من شأنه أن يسبب هبوط الاسعار ويكذب التنبؤ (٢) .

وفى رأينا أن سرعة التغير الاجتماعى لا تتعارض مع كون الظواهر الاجتماعية تسير وفقا لقوانين ثابتة من الممكن اكتشافها والوصول اليها . ثم أن التغير الاجتماعى لا ينبغى أن يصرفنا عن البحث العلمى بل ينبغى أن

---

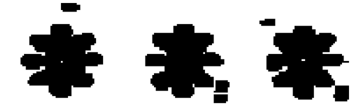
(١) كارل بوبر : نفس المصدر ، ص ١٦ .

(٢) كارل بوبر : نفس المصدر ، ص ٧٤ .

يحفزنا الى ابتداع مناهج واساليب متنوعة تختلف عن المناهج والأساليب التى يستعملان بها فى دراسة المجتمعات المستقرة نسبيا .

أما عن مبدأ الحتمية ، فنحن نرى أن الأفراد فى المجتمعات لا يتصرفون بطريقة عشوائية ، وانما يخضعون لمؤثرات البيئة الطبيعية والاجتماعية والثقافية . وهذه المؤثرات تجعلهم يسلكون سلوكا معينا لايمكنهم أن يحيدوا عنه . وقد دلت البحوث فى ميدان علم النفس الاجتماعى على أن الأفراد فى المجتمعات المختلفة — ريفية كانت أو حضرية — لا يمكنهم أن يتحرروا من قوة العادات والتقاليد بالصورة التى تجعل كلا منهم يواجه التأثيرات والقوى الاجتماعية الخارجية بمفرده وانما يتصرف باعتباره عضوا فى جماعة لها معاييرها وقيمها وقوانينها التى لا يمكنه أن يحيد عنها . وقد أشار دوركايم الى صفة الجبر والالزام التى تتميز بها الظواهر الاجتماعية ، وبين أن الفرد اذا حاول الخروج على احدى الظواهر الاجتماعية فانها تتصدى لمقاومته بصور مختلفة (١) . كما أشار الى أن الفرد لايشعر بالقهر الاجتماعى حينما يستسلم له بمحض اختياره . ولذا فاننا نستطيع القول بأن مبدأ الحتمية متوفر فى الميدان الاجتماعى كما هو متوفر فى الميدان الطبيعى ، وأن من الممكن الوصول الى القوانين العلمية التى تحكم الظواهر الاجتماعية والتى تساعد على التنبؤ بما يحدث للظواهر المختلفة تحت ظروف معينة .

اما عن التأثير المتبادل بين التنبؤات والحوادث المتنبأ بها وامكان تغيرها، فقد سبق أن بينا أن من شروط القانون العلمى ألا يكون مطلقا ، وانما يشترط لحدوثه توافر ظروف معينة . فاذا تغيرت الظروف فاننا نكون بصدد حالة جديدة غير التى نص عليها القانون . وتغير الظروف لايغير من صحة القانون فى شيء لانه يظل صحيحا وصادقا فى الأحوال والظروف التى أشار اليها . ومن الضرورى أن نشير هنا الى أن التنبؤات غير المشروطة — كتلك الأمثلة التى يسوقها المعارضون عن ارتفاع الأسهم فى الاسواق ، او اختفاء احدى السلع — تختلف اختلافا كليا عن التنبؤات العلمية المشروطة التى تشير اليها القوانين .



٤ — بعد الظواهر الاجتماعية عن الموضوعية :

يرى المعارضون لاستخدام المنهج العلمى فى الدراسات الاجتماعية أن الظواهر الاجتماعية مرتبطة بالجانب الذاتى للانسان ، ولا يمكن دراستها بالطرق الموضوعية .. فالباحثون الاجتماعيون أفراد يعيشون فى المجتمعات ويتفاعلون مع أوضاع الحياة القائمة فيها ، ويؤثرون ويتأثرون بما يقومون

---

(١) راجع ما كتبناه عن اميل دوركايم فى هذا الكتاب .

بدراسته ، ويقبلون ألوانا معينة من أساليب التفكير والسلوك القائمة فى مجتمعاتهم . ومن هنا يذهب المعارضون الى أننا ينبغى أن نتوقع أن آراء الباحثين ونظرياتهم ستتأثر بمصالحهم وأوضاعهم الاجتماعية ، وبسمات العصر الذى يعيشون فيه . ولذا فان من العسير - فى نظرهم - تحقيق الموضوعية وضمانها فى الدراسات الاجتماعية .

ويمكن أجمال العوامل التى قد تبعد الباحثين عن الموضوعيه فيما يلى : تأثير الدوافع الخاصة ، وتأثير العادة ، وتأثير الموقف الاجتماعى ، وتأثير قيم الأفراد فيما يقومون بدراسته .

فالدوافع الخاصة كثيرا ما تلون نظرة الانسان الى الأمور ، فتجعله يتعصب لأفكاره ومعتقداته ، أو يتحيز لرأى دون آخر مبتعدا عن الحقائق الموضوعية التى يسفر عنها البحث العلمى . أما عن تأثير العادة ، فان كثيرا من المعتقدات التى تنتشر فى المجتمعات لا تقوم على أساس علمى صحيح ، وبالرغم من ذلك فان الأفراد يتقبلونها بحكم العادة ويسلمون بها دون نقد أو تمحيص . وقد يصعب على الباحث الاجتماعى أن يجرد نفسه من تأثيرها أى يكتشفها لشدة ذيوعها والتسليم المطلق بصحتها . أمـــا عن تأثير الموقف الاجتماعى ، فان المركز الذى يشغله الانسان ، والطبقة الاجتماعية التى ينتمى اليها ، والعصر الذى يعيش فيه ، هذه المواقف وغيرها قد تؤثر فيما يصـــل اليه الباحث من نتائج ، أو فيما يصدره من أحكام . أما عن تأثير القيم values ، فان الباحث الاجتماعى لا يمكنه أن يتجاهل قيمه وهو بســـبيل البحث عن الحقائق . وكثيراً ما ينظر الى الظاهرة التى يقوم بدراستها لا كما هى ، ولكن على الوجه الذى يريدها عليه . و مما لا ريب فيه أن الباحث حينما يتجه الى دراسة ما هو مرغوب فيه ، يغفل كثيرا من الحقائق الموضوعية المتعلقة بالحياة الاجتماعية (١) . ولذا يرى المعارضون لمبدأ تطبيق المنهج العلمى فى الدراسات الاجتماعية أن الموضوعية فى العلوم الاجتماعية أقرب الى أن تكون مثلا أعلى من أن تكـــون حقيقة واقعة . وتقول احدى الباحثات « ان العلماء الاجتماعيين يهدفون الى تحقيق غاية غريبة . فهم يريدون أن يكونوا موضوعيين فى مجال يمثل الجانب الذاتى من الحياة » (٢) .

والواقع أن الموضـــوعية المطلقة أمر عســـير التحقيق فى البحـــوث

---

(١) راجع ماكتبه جيبسون فى كتابه « منطق البحث الاجتماعى » :
Gibson, The Logic of Social Inquiry, chap. 7.

(٢) Eleanor Bisbee, «Objectivity in the Soc. Sciences», in Phil. of Sciences, IV., July, 1939.

الاجتماعية . غير أن المعارضين يبالغون فى تقدير أثر العوامل الذاتية فى الدراسات الاجتماعية . فقد أمكن الوصول فعلا الى عدد كبير من القوانين والنظريات العلمية فى الميدان الاجتماعى ، ولا يمكن القول بأنها كانت قائمة على تحيزات شخصية ، أو أن أصحابها كانوا يغلبون الجانب الذاتى على الجانب الموضوعى فى دراساتهم .

وتتوقف الموضوعية فى البحث الاجتماعى على ضمير الباحث العلمى ، ورغبته فى اظهار الحقائق كما هى دون تحيز لرأى ، أو تعصب لمذهب معين . وكلما تمرن الباحث الاجتماعى على اجراء البحوث الاجتماعية تحررت نظرته الى الأمور ، وابتعد عن التحيز . ثم ان التقدم المطرد فى وسائل القياس الاجتماعى ، سيجعل من اليسير الاتجاه بالدراسات الاجتماعية وجهة موضوعية خالصة ، وجعلها أقرب الى التعبير عن الحقائق الواقعية مما هى عليه الآن . ويرى جيبسون أن حرية الرأى هى الضمان الأكيد للموضوعية ، فعن طريقها يستطيع الناقد أن يخضع جميع الآراء والنظريات للنقد والتمحيص دون تمسك بوجهة نظر معينة ، ودون تأثر بالعوامل الانفعالية والمواقف التى كان يعيش فيها الباحث ، والتى تجعله يتمسك بوجهة نظره عنها ويرى فيها الكمال مهما بدا فيها من قصور .

* * *

٥ — عدم دقة المقاييس الاجتماعية :

يرى البعض أن العلوم الطبيعية تخضع للقياس الكمى الذى يساعد على التنبؤ الدقيق بخلاف العلوم الاجتماعية التى يغلب عليها الطابع الكيفى . وتتميز النواحى الكمية على النواحى الكيفية فى أن الأخيرة تكشف عن وجود الصفة ومدى اختلافها عن الصفات الأخرى ، بينما تكشف الاولى عن مقدار وجود الصفة أو مستواها . فاذا قلنا مثلا أن الجوانب المادية للثقافة تتغير بسرعة أكبر من الجوانب المعنوية ، فان هذا القول يعبر تعبيرا كيفيا عن الاختلاف فى سرعة التغير دون أن يعبر بالقياس الكمى الدقيق عن مدى هذا الاختلاف . ويتمسك المعارضون بأن القوانين الاجتماعية ، اذا فرض وجودها، فان من الممكن وصفها بالالفاظ ، والتعبير عنها تعبيرا كيفيا فقط ، ولا يمكن صياغتها أو التعبير عنها فى صور كمية دقيقة ..

غير أن هذه الصعوبة ليست ذات خطر . فالطابع الكيفى أو الكمى ليس أصيلا فى الظواهر ، وانما توصف الطرق التى تستخدم فى وصف الظواهر أو قياسها بأنها كيفية أو كمية . ومن الملاحظ أن كل العلوم التى وصلت الى المرحلة الكمية قد مرت بالدور الكيفى . فقديما كان يقال ان الاشياء باردة أو ساخنة ، ثقيلة أو خفيفة ، الى أن ظهرت مقاييس دقيقة أمكن بمقتضاها تحديد هذه الصفات تحديدا كميا ، والتعبير عنها بلغة الارقام .

وبتقدم العلوم الاجتماعية سيصبح من المستطاع اخضــاع جميع الظواهر الاجتماعية للقياس الكمى الدقيق . وقد أمكن فى الوقت الحــالى التغلب على كثير من الصــعوبات المتصلة بالقياس ، وذلك بتطبيق الأساليب الاحصائيه واستخدم النماذج الرياضية فى الدراسات الاجتماعية . وسيأتى اليوم الذى تصبح فيه نتائج الدراسات الاجتماعية من أدق النتائج ، وأقربهــا الى الصواب .

* * *

● تعقيـــب :

بعد أن ناقشنا الاعتراضات التى اثيرت حول تطبيق المنهج العلمى فى الدراسات الاجتماعية ، نود أن ننبه الاذهان الى أننا لا نقلل من أهمية هذه الاعتراضات ، ولكننا نفرق بين ما هو عسير وما هو مستحيل . فاذا كانت هناك صعاب تعترض الباحث الاجتماعى ، وتجعل الطريق أمامه شاقا عسيرا، فليس معنى هذا أن نطلب اليه أن يكف عن المحاولة ، ولكننــا نطــالبه بالمثابرة والاستمرار فى البحث حتى يتمكن من تقليل هذه الصعاب . وليتمكن من الصعوبات المتصلة بالقياس ، وابتكار أنواع جديدة من المناهج والأدوات والاحــكام .

وقد اثبت تاريخ العلم أن كثيرا من الموضوعات — التى لم يكن فى الاستطاعة دراستها فى الماضى باستخدام الاســاليب العلمية — قد أمكن اخضاعها فى الوقت الحاضر للبحث العلمى الدقيق ، بفضل الجهود المتواصلة التى قام بها العلماء والباحثون ، والتى أمكنهم عن طريقها التغلب على كثير من الصعوبات المتصلة بالقياس ، وابتكار أنواع جديدة من المناهج والأدوات التى تتفق مع طبيعة الظواهر التى يقومون بدراستها .

* * *

المراجـــع

(١) باللغـة العربيـة :

١ — حامد عمار : المنهج العلمى فى دراسة المجتمع ، وضعه وحدوده : معهد الدراسات العربية العالية : ١٩٥٦ — ١٩٦٠ .

٢ — كارل بوبر : عقم المنهج التاريخى ، دراسة فى مناهج العـلوم الاجتماعية ، ترجمة عبد الحميد صبره ، منشأة المعارف بالاسكندريه : ١٩٥٩ .

(٢) باللغـة الانجليزية :

1. Bisbee, E., «Objectivity in the Soc. Sciences, in Phi. of Sciences», IV. July, 1939.

2. Franck, L.K., «Research For What», The Journal of Issues, 1957, pp. 5-22.

3. Gibson, Q., The Logic of Soc. Inquiry, London : Routledge and Kegan Paul, 1960.

4. Inkeles, A., What is Sociology ? An Introduction to the Discipline and Profession, Prentice-Hall, New Jersey, 1964.

5. Lundberg, G., Social Research, New York, 1942, Chap. 1.

6. Rex, J., Key Problems of Sociological Theory, Routledge and Kegan Paul, London, 5th Impression, 1970.

* * *

الفصل السابع

المدخل التكاملي في دراسة المجتمع

اذا كنا قد أشرنا الى أهمية المنهج التجريبي ، ومدى ما يمكن أن يحققه من نفع فى الدراسات الاجتماعية ، الا أننا نود أن ننبه الى أن للمنهج التجريبي حدودا . فالمنهج التجريبي يقوم على عاملين هما التحليل والتركيب . وبالتحليل يمكن تبسيط الظاهرة وتحليلها وعزل اجزائها بعضها عن بعض . وبالتركيب يمكن التأليف بين هذه العناصر من جديد ، للتحقق مما اذا كان التركيب يؤدى الى وجود نفس الظاهرة التى سبق تحليلها أم لا . ولكننا نود أن نشير الى أن الامر مختلف بالنسبة للظواهر الاجتماعية ، فليست العلاقة بين أجزاء الظاهرة الاجتماعية علاقة آلية ميكانيكية ، وانما هى علاقة ديناميكية . ولذلك يقول « آشبى Ashby » : ليس الطريق الى دراسة النظام الاجتماعى أن نتناوله بالتحليل ، لأن عملية التحليل لا تعطينا سوى عددا هائلا من الاجزاء المنفصلة ، أو العناصر المتفرقة التى لا يستطيع أحد ان يتنبأ بنتائج تفاعلاتها ، واذا عملنا على تجزئة هذا النظام ، فاننا لانستطيع جمع شمله ثانية (١) .

واذا كانت النظرة الشاملة ضرورية بالنسبة للدراسات العلمية ، فنحن أحوج ما نكون اليها فى الدراسات الاجتماعية . وليس معنى هذا أننا ننكر قيمة التحليل وأهميته فى الميدان الاجتماعى . فقد سبق أن أوضحنا أن التحليل هو سبيلنا الى تبسيط الظاهرة وفهمها ، ولكننا فى حاجة الى جانب الاسلوب التحليلى الى اطار نرد اليه العناصر التى حللناها ، والا فقدت هذه العناصر دلالتها وأهميتها .

ومن الضرورى أن يتجه الباحث الاجتماعى وجهة تكاملية ، فيحاول فهم الظواهر الاجتماعية فى مجالها الاجتماعى والثقافى ، وعلى أساس التفاعلات القائمة بينها ، حتى يتمكن من تكوين صورة حقيقية عن الواقع الاجتماعى بأبعاده المتعددة ، وعلاقاته المتشابكة ، وفى صورته الكلية .

(١) Ashby, R., The Effect of Experience on a Determinate Dynamic System, Behavioral Science, Vol. 1, 1956.

● أسس الدراسة التكاملية :

يستند المدخل التكاملى الى نموذج تصورى عضوى يقوم على النظرة الكلية للمجتمع على أساس الترابط والتساند بين مختلف الظواهر والنظم الاجتماعية .

ويرى « سوروكن Sorokin» أن التصور المتكامل لظواهر الحياة الاجتماعية تستند الى مجموعة من العناصر منها ما يشير الى طبيعة الواقع الاجتماعى ، ومنها ما يرتبط بالمكونات البنائية للظواهر الاجتماعيه،ة ومنها ما يعبر عن الصورة التى تترابط بها الظواهر الاجتماعية (١) .

فالواقع الاجتماعى يسمو على كل من الواقع الفيزيقى والواقع العضوى الحيوى ، ذلك أن الواقع الاجتماعى يحتوى على عناصر رمزية تتمثل فى المعانى والقيم والمعايير .. وهذه العناصر لها دلالتها الجوهرية فى التفرقة بين المستويات الثلاثة من الواقع : العضوى ، وما دون العضوى ، وما فوق العضوى (٢) .

وافتراض وجود واقع متميز للظواهر الاجتماعية تترتب عليه نتيجتان منطقيتان هما تفسير هذه الظواهر — أساسا — بظواهر من نفس مستواها ، واستخدام بناء منهجى يتلاءم مع الطبيعة الخاصة للظواهر الاجتماعية فى حدود المنطق العام للبحث العلمى دون الالتزام بالبناء المنهجى الذى يستخدم فى العلوم الطبيعية (٣) .

أما من حيث مكونات الظواهر الاجتماعية فهى تتألف من عناصر ثلاثة رئيسية ، يتمثل العنصر الاول منها فى المعانى والقيم والمعايير التى تفرض نفسها على الظواهر العضوية وما دونها من ظواهر . ويتمثل العنصر الثانى فى مجموعة كائنات بشرية — أفراد — يخضعون لتفاعل اجتماعى تمليه وتتطلبه المعانى والقيم والمعايير . أما العنصر الثالث فيتمثل فى الوسائل والأدوات المادية التى تتجسد بمقتضاها ما تحمله المعانى والقيم والمعايير من رموز وهو ما يمكن تسميته بالأساس المادى للمجتمع (٤) .

---

(١) Sorokin P., «Sociology of Yesterday, Today, and Tomorrow», Amer. Social. Review, Secember, 1965.

(٢) Sorokin, P., Society, Culture, and Personality, 1947.

(٣) يناقش الدكتور محمد عارف هذه النقطة بالتفصيل فى كتابة : المنهج فى علم الاجتماع ، الجزء الثانى ، نظرية التكامل المنهجى فى علم الاجتماع ، ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(٤) Sorokin, P., Sociology, pp. 838, 839.

ويتحقق وجود الظواهر الاجتماعية – استنادا الى مكوناتها – فى ثلاثة : المستوى الايديولوجى القائم فى عقل الفرد والجماعة ، والمستوى السلوكى ويتحقق فى التفاعل الاجتماعى والعلاقات المتبادلة بين أفراد الجماعة ، والمستوى المادى الذى تجسده كل ما يحويه الاساس المادى للمجتمع من ادوات ووسائل مادية (١) .

ولهذا كانت هناك ثلاثة جوانب رئيسية لظواهر الحياة الاجتماعية هى: الجانب الثقافى ، والجانب الاجتماعى ، والجانب الشخصى . وهذه الجوانب الثلاثة ترتبط فيما بينها برباط عضوى وثيق ، ويترتب على هذا الترابط نتيجة منطقية هامة هى أن أى نظرية تحاول وصف وتفسير ظاهرة من ظواهر المجتمع دون أن تأخذ فى الاعتبار مكونات المجتمع وعناصر الثقافة والشخصية تعتبر نظرية قاصرة .

ومن ثم كانت أهمية النظرة الكلية الى المجتمع ، تلك النظرة التى تستند الى التصور الاجتماعى لطبيعة الانسان ، والى ترابط الظواهر الاجتماعية فيما بينها وارتباط هذه الظواهر ببناء المجتمع وثقافته . وهى نظرة تتجنب القصور الذى يعتور النظريات الذرية التى تفتت عناصر المجتمع والثقافة ، والتى تعمل على تفسير ظواهر الحياة الاجتماعية بارجاعها الى عامل واحد فقط .

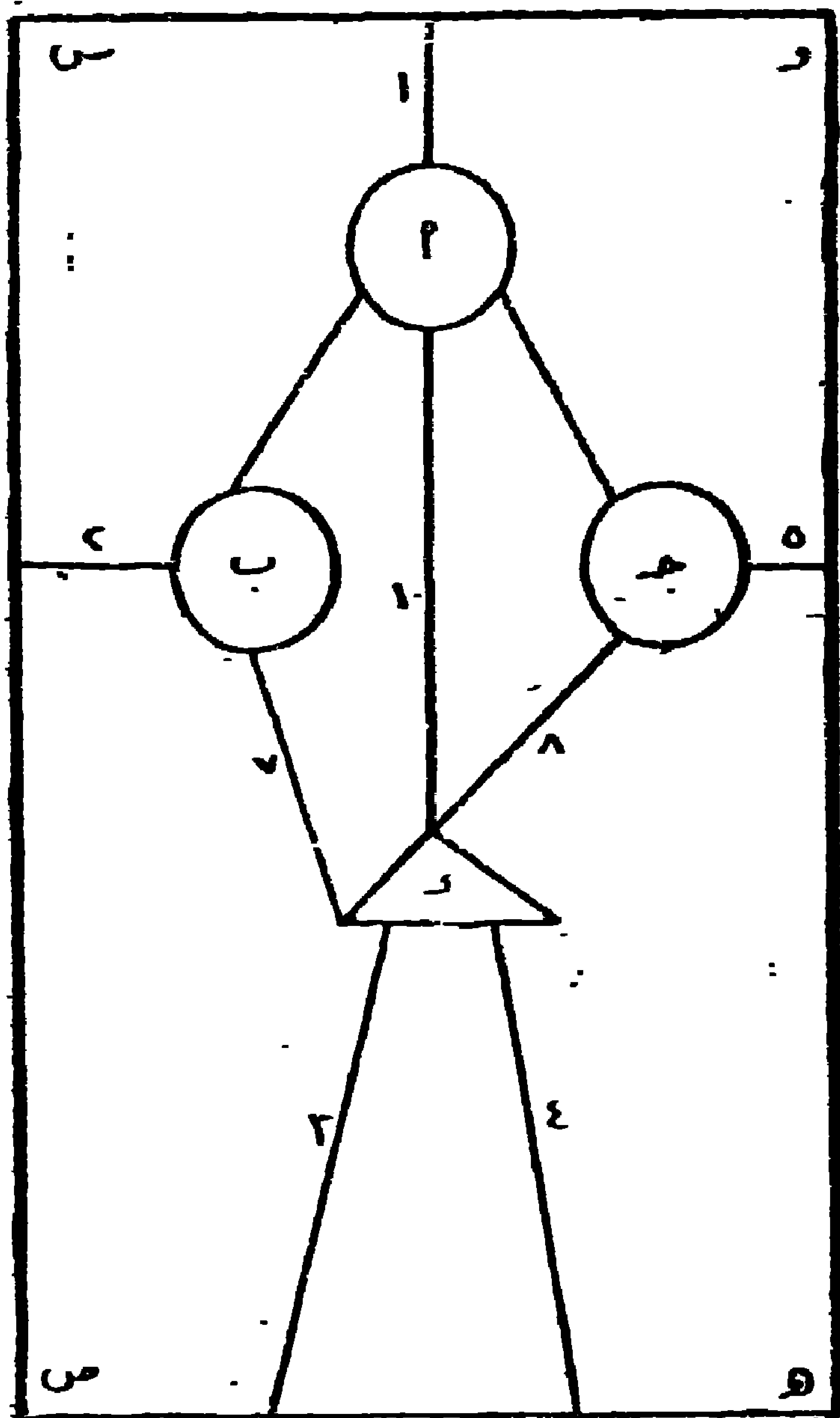
أما عن الصور التى تترابط بها الظواهر الاجتماعية ، فهناك صورتان أساسيتان لهذا الترابط هما : الترابط الذرى للعناصر الاجتماعية والثقافية، والترابط النسقى لهذه العناصر . أما الترابط الذرى فأساسه التجاور المكانى، أو الاقتران الزمانى بين العناصر الاجتماعية والثقافية دون أن تقوم رابطة عليه أو وظيفية أو يقوم بينها وحدة فى المعنى تحقق رابطة منطقية (٢) .

أما الترابط النسقى فيتسم بارتباط العناصر بعضها ببعض بحيث يؤثر كل عنصر منها فى غيره من العناصر . ويوضح « هندرسون «Henderson فكرة الترابط النسقى وفقا للنموذج الموضح فى الشكل رقم (١) .

---

(١) Ibid., p. 839.

(٢) محمد عارف : المنهج فى علم الاجتماع ، الجزء الثانى ، ص ٢١٢ .



شكل رقم (١)

نموذج يوضح فكرة الترابط النسقى

ويتكون هذا النموذج من أربعة أجسام (أ ، ب ، جـ ، د) مثبتة فى اطار بواسطة خمسة خيوط مرنة قليلة الشد (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) وتتصل الاجسام الأربعة ببعضها بواسطة خمسة خيوط مرنة هى (٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠) فاذا حركنا الخيط رقم (٥) الذى يربط الجسم (جـ) بالاطار ليصل الى نقطة (و) مع ترك بقية الخيوط ثابتة فى مكانها . فما الذى يحدث ؟

اذا أخذنا الجسم (أ) لنرى ما يحدث له فاننا سنجد أنه يتأثر بفعل الجذب الواقع عليه من الخيوط (٥ ، ٦) ، وكذلك بفعل الخيوط(٥،٨،١٠)، وبفعل الخيوط (٥ ، ٨ ، ٧ ، ٦) وفى كل مرة لن تتوقف عملية الجذب عند الجسم (أ) ، بل سيكون هناك تأثير عكسى يأتى من الخط (١٠) ثم ينتقل الى الخيط رقم (٨) ثم ينتقل الى الخيط رقم (٥) .

ويستخلص هندرسون من هذا المثال النقاط التالية :

١ — يتكون النسق من جملة أجزاء متميزة .

٢ — يقوم بين هذه الاجزاء نوع من الاعتماد المتبادل بحيث أن كل جزء يؤثر فى بقية الأجزاء كما يتأثر بها .

٣ — يتألف النسق بصورته الكلية من كل هذه الأجزاء (١) .

ولتوضيح فكرة الترابط والتشابك بين عناصر الحياة الاجتماعية نضرب المثال التالى : اذا افترضنا أنه حدث تغير فجائى فى مجتمع ما نتيجة لاحتراق مصنع كان يتعيش منه جزء كبير من سكان هذا المجتمع بحيث لا يتسنى اعادة انشائه ، فان النتيجة المباشرة لهذا التغير هى توقف المؤسسة التى تمتلك المصنع عن العمل ، وتعطل العمال ، وبالتالى انخفاض الدخول ، وقلة الطلب . وستؤدى قلة الطلب بدورها الى انخفاض الدخول ، وانتشار البطالة فى المشاريع الاخرى التى كانت تبيع لموظفى المصنع المحترق أوتقوم بخدمتهم . واذا لم تحدث تغيرات من الخارج ، فان هذا المجتمع سيفقد قدرته على جذب أصحاب العمل والعمال من الخارج ، بل ان أصحاب العمل والعمال الذين كانوا يعيشون فيه سيفكرون فى الانتقال منه الى أسواق أفضل . فاذا حدث

---

(1) Henderson, L., Pareto's General Sociology, Cambidg Harvard University Press, 1937, pp. 13, 14, Cited in : Riley, M.W. Sociological Research ; A case approach, New York, 1963, p. 10.

ذلك ازدادت الدخول انخفاضا ، والطلب قلة ، وتغير هيكل العمل لسكان المنطقة . وانكماش الدخول معناه أيضا ارتفاع معدل الضريبة ، وهذا يدفع أصحاب العمل والعمال الى مغادرة المنطقة وبالتالى الى مزيد من انخفاض الدخول ، والى مزيد من الارتفاع فى معدل الضريبة وهكذا . واختلال توزيع السكن فى المنطقة سيؤدى الى انخفاض الدخول التى تحصل عليها الضرائب كما يؤدى الى ازدياد الحاجة للخدمات العامة ، ولكن السلطات المحلية تضطر الى تقليل الخدمات العامة ، كاعداد المدارس للاطفال ، والمساكن للعجزة ، والنتيجة الطبيعية هى اضعاف جاذبية المجتمع المحلى فى نظر أصحاب العمل والعمال (١) .

وهكذا ترى أن كل جانب من جوانب الحياة الاجتماعية يرتبط بغيره من الجوانب ارتباطا عضويا وثيقا ، ولا يمكن فهمه الا عن طريق معرفة التفاعلات القائمة بينه وبين غيره من الجوانب .

هذا ويأخذ الترابط بين الظواهر صورتين هما : الترابط السببى ، والترابط الوظيفى (٢) . ويترتب على وجود هذين النوعين من الترابط ضرورة ملاءمة البناء المنهجى للعلوم لطبيعة الوقائع الاجتماعية ، ويتطلب ذلك استخدام الاساليب والاجراءات التى تتلاءم مع صورة الترابط الذرى ، وكذلك الاساليب والاجراءات التى تعتمد على التصور المتكامل لعناصر الواقع الاجتماعى . وبعبارة أخرى يمكن القول بأننا اذا كنا فى حاجة الى تحليل الظواهر الاجتماعية لفهمها ، فاننا فى الوقت ذاته فى حاجة الى اطار ترد اليه العناصر التى حللناها ، والا فقدت هذه العناصر دلالتها وأهميتها ، وهذا الاطار هو الذى يتفق وأبعاد الدراسة التكاملية .

* * *

● دراسة المجتمع وأبعاد الدراسة التكاملية :

لما كان المدخل التكاملى يستند الى نموذج تصورى عضوى نسقى ينظر الى المجتمع كوحدة متكاملة متماسكة ، فان من الضرورى أن تتضمن أبعاد الدراسة جميع الوقائع الاجتماعية بجوانبها المتعددة ، وعلاقاتها المتشابكة . وهذه الأبعاد هى :

---

(١) Myrdal, G. Economic Theory and underdeveloped Regions London, 1957, chaps, 2, 3.

(٢) راجع ما كتبناه عن الترابط الوظيفى والسببى فى الفصل الثالث من هذا الكتاب .

١ — البعد الايكولوجى :

لكل مجتمع أقليم خاص يرتبط به ، ويشغل رقعة محدوده من الارض ، وتحيط به ظروف بيئية وجغرافية معينة تؤثر بطريق مباشر أو غير مباشر فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية السائدة فيه ، وتطبعها بطابع مميز ، وقد تقبل العلماء الاجتماعيون هذه الحقيقة ، وان كان بعضهم قد بالغ فيها أشد المبالغة . فذهب الى حد القول بنوع من الحتمية الجغرافية ،فأرجع الى البيئة الجغرافية اختلاف الامم فى القوانين والشرائع والتقاليد والعادات ومستوى الحضارة وشكل الحكومة ونظم السياسة والاقتصاد والحروب والاخلاق ودرجة تكاثف السكان وتخلخلهم ، ومدى ما ينعم به الشعب من حرية واستقلال أو ما يعانيه من تبعية وخضوع .

بيد أن العلماء المحدثين لم يعودوا فى جملتهم يسلمون بهذه الحتمية الجغرافية الجامدة رغم أعترافهم بوجود علاقات قوية بين ظروف البيئة والحياة الاجتماعية .

ولذا فان من الضرورى عند دراسة المجتمع التعرف على الظروف الجغرافية التى تميز كل مجتمع عن غيره من المجتمعات ، ومدى تأثير تلك الظروف على التوزيعات السكانية والاوضاع الاقتصادية والأحوال الاجتماعية والثقافية السائدة .

٢ — البعد البشرى :

الافراد فى المجتمع هم القوة المؤثرة فى تطوره . ولذا فان من الضرورى الاهتمام بدراسة البناء الديموجرافى فى المجتمع من حيث حجم السكان ، وفئات السن ، وتوزيع الذكور والاناث ، ونسب الكثافة السكانية ، وعلاقتها بالموارد الاقتصادية ، ومعدلات النمو السكانى ، ونسب المواليد والوفيات ، وحجم الهجرة الداخلية والخارجية ، والاثار المترتبة على هذه الهجرات ، والسياسات السكانية ، ذلك لأنه لا توجد ظاهرة اجتماعية او سياسية او اقتصادية أو عمرانية الا ولها اتصال مباشر أو غير مباشر بالجانب الديموجرافى ، أى تغير يحدث فى البناء الديموجرافى كفيل بأن يحدث تغييرات كبيرة فى التنظيم الاجتماعى القائم .

٣ — البعد الاجتماعى :

يتألف البعد الاجتماعى من الجماعات والعلاقات والظواهر والنظم والانساق التى يتألف منها المجتمع .

ولذا ينبغى لتكوين صورة متكاملة عن المجتمع دراسة الجماعات القومية

والسلالية والثقافية ، وكذلك دراسة البناء الطبقي للوقوف على طبيعة ونوعية العلاقات الاجتماعية السائدة بين مختلف الجماعات والطبقات .

كما ينبغي دراسة النظم الاجتماعية الاساسية كالنظام الاقتصادي ، والنظام السياسي ، والنظام الأسري ، والنظام الديني ، والنظام التربوي، والنظام الترويحي ، ونظام الرعاية الاجتماعية ، الى غير ذلك من نظم .

٤ — البعــد الثقافي :

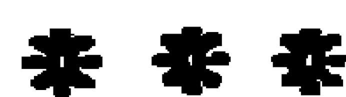
يقول « كنجزلي ديفيز K. Davis » أو أن هنـاك عاملا وحيـدا لتفسير تفرد الانسان ، وتفرد مجتمعه الانساني وتميزه ، فلا شك أن هذا العامل هو الثقافة culture . فذكاء الانسان ، وحديثه ولغتــه كلهـا أمور تحكمها الثقافة التي تقوم بتجسيد طرق التفكير والسلوك من خلال التفاعل الاجتماعي القائم على الاتصال بين مكونات المجتمع . ويذهب ديفيز الى أبعد من ذلك بإشارته الى أن الثقافة لا تكسب الانسان تفرده وتميزه فحسب ، بل أنها تميز المجتمع الذي يعيش فيه عن غيره من المجتمعات (١) .

والثقافة تشتمل على الأفكار والعادات والمعتقدات والعــرف والرموز وأنماط القيم وجوانب التكنولوجيا . ولذا ينبغي أن تتضمن الدراسة التكاملية للمجتمع كافة الجوانب الثقافية — سواء أكانت مادية أو معنوية — حيث انها توجه وتضبط سلوك الافراد في المواقف الاجتمــاعية المختلفــة ، كما أن العلاقات الاجتماعية التي هي جوهر البنــاء الاجتماعي عبارة عن أنماط منظمة ومتكررة من التفاعل بين النــاس ، وهذه الانماط تأخذ شكلها وانتظامها وتكرارها من خلال الثقافة .

٥ — البعــــد التاريخي :

الظواهر الاجتماعية كالظواهر التاريخية زمانية في أغلب الاحوال ، وان كان أغلب الاجتماعيين يميلون الى سلب الظواهر الاجتماعية صفة الزمانية ، إلا أنها ولا شك ترتبط ارتباطا وثيقا بوقائع المجتمع الماضية ، تأثرت بها في نشأتها ونموها ، كما تدين اليها بوجودها الحالي .

ولذا فلابد للباحث أو الدارس من الرجوع الى الماضي لتعقب الظواهر منذ نشأتها ، والوقوف على عوامل تغيرها وانتقالها من حال الى حال .



(1) Davis, K., Human Society, New York, 1960, pp. 2-4.

• **التجسس :**

دعا عدد كبير من المفكرين فى الشرق والغرب الى استخدام المنهج العلمى فى دراسة المجتمع ، وما ينبعث فيه من ظواهر ، وما يحدث فيه من مشكلات. وقد سبق ابن خلدون هؤلاء العلماء جميعا الى هذه الدعوة ـ فطالب فى القرن الرابع عشر الميلادى بضرورة دراسة الظواهر الاجتماعية دراسة تحليلية تهدف الى الكشف عن طبيعتها ، والوصول الى القوانين التى تحكمها بعد ما كانت تدرس لمجرد وصفها أو الدعوة اليها أو بيان ما ينبغى أن تكون عليه . ولتحقيق هذه الغاية نصح ابن خلدون باستخدام المنهج الاستقرائى والاعتماد على الملاحظة والمقارنة فى الدراسة ، كما أشار الى ضرورة الاهتمام بالجوانب الديناميكية للظواهر الاجتماعية الى جانب العناية بدراسة الجوانب الاستاتيكية .

ثم جاء بعد ابن خلدون عدد كبيرا من المفكرين الأوربيين الذين قاموا بدعوات مشابهة لما قام به ابن خلدون ، نذكر من بينهم فيكو فى ايطاليا وأوجيست كونت واميل دوركايم فى فرنسا .

اهتم فيكو بفلسفة التاريخ . فدعا الى استنباط النظريات من الحقائق التاريخية كما دعا الى تطبيق منهج العلوم الطبيعية على دراسة الظواهر الانسانية وباستخدام المقارنة لاستنباط القوانين ، وأجاز الاستدلال بما هو معروف عما هو مجهول .

ودعا كونت الى استخدام المنهج الوضعى الذى يهدف الى دراسة الظواهر الاجتماعية دراسة وصفية تحليلية منظمة لمعرفة ما تخضع له من قوانين . وقسم كونت ظواهر الاجتماع الى شعبتين كما فعل ابن خلدون وسمى احداهما « الاستاتيكا الاجتماعية » والأخرى « الديناميكا الاجتماعية » وطالب كونت بأن تكون القاعدة المنهجية الرئيسية فى الدراسة الاستاتيكية هى النظر الى ترابط الظواهر الاجتماعية والبحث عن قوانين التضامن الاجتماعى ، ودعا الى استخدام الملاحظة والتجربة والمنهج التاريخى للوصول الى القوانين المتعلقة بالجانب الديناميكى ، كما نادى بجعل قانون التقدم الذى انتهى اليه أساسا للدراسة الديناميكية . وقد دعمت دعوة كونت الاتجاهات العلمية فى الدراسات الاجتماعية ، وكان لها أثر كبير فى توجيه هذه الدراسات وجهة تجريبية امبريقية .

أما دوركايم فقد اهتم بتعريف الظــاهرة الاجتماعية وقال انها تتميز بخاصيتين هما القهر ، والموضوعية ، كما طالب فى كتابه « قواعــد المنهج الاجتماعى » بتطبيق المنهج الأســتقرائى فى الدراســات الاجتمـاعية - ووضع قواعد خاصة بملاحظة الظواهر الاجتمـاعية وتفســيرها ، ونصح باستخدام المنهج المقارن فى اقامة البراهين - ومن رأيه ان طريقة التغير النسبى هى أفضل الطرق الاستقرائية فى البرهنة على وجود تلازم أو علاقة سببية بين ظاهرتين اجتماعيتين - ويمكن أن تكون المقــارنة بين عــدد كبير من الظواهر فى مجتمع واحد فقط ، أو بين مجموعات من الظواهر فى مجتمعات متجانسة ، أو بين ظواهر مختلفة فى مجتمعات غير متجانسة -

وفى الولايات المتحدة اتجه العلماء الاجتماعيون منذ الحــرب العالمية الاولى الى دراسة الظواهر والمشكلات الاجتماعية وجهــة امبيريقية - وكان لدراسة « توماس » و « زنانيكى » عن الفلاح البولندى فى أوروبا وأمريكا أثر كبير فى توجيه الأنظار الى أهمية البحوث الميدانية ، وفى التعريف بأهمية الوثائق الشخصية فى الوقوف على التفاصيل الدقيقة للظواهر الاجتماعية -

وقد حاول العلماء الاجتماعيون فى الولايات المتحدة الكشف عن مناهج جديدة فى ميدان البحث الاجتماعى ، والارتقاء بطرق البحث القديمة - كما التزموا حدود المنهج العلمى فى دراساتهم مبتعدين عن أساليب التفكير الفلسفى كما قاموا بتقنين قواعد البحث العلمية ، والفوا عددا كبيرا من المراجع التى تتناول المسائل المنهجية كتصميم البحوث واختيار العينات ومناهج البحث وأدوات جمع البيانات وما الى ذلك من موضوعات - وممن كان لهم فضل كبير فى تدعيم هذه الاتجاهات فى الولايات المتحدة لوندبرج ، وشابن - ومورينو ، ودود ، وستوفر ، وغيرهم كثيرون -

هذا وقد كان لهذه الدعوات التى ظهرت بغير انقطاع منذ بداية القرن العشرين مطالبة بتطبيق المنهج العلمى فى الدراسات الاجتماعية رد فعل عند كثير من العلماء والفلاسفة - فعارضوا مبدأ تطبيق المنهج العلمى فى الدراسات الاجتماعية قائلين باستحالة دراسة الظواهر الاجتماعية بنفس الأســاليب التى اتبعت فى العلوم الطبيعية - وتتركز دعاواهم حول عدد من المســائل المتعلقة بتعقد المواقف الاجتماعية ، واستحالة اجراء التجارب فى الدراسات الاجتماعية ، وتعذر الوصول الى قوانين اجتماعية - والواقــع أن معظم هذه الدعاوى غير صحيحــة - فالتعقيد ليس صــفة جوهرية فى الظواهر الاجتماعية ، وانما ينسب اليها لجهل النــاس بهــا ، وكذلك بالنسبة للطابع الكيفى ، فالظاهرة ليست فى ذاتها كيفية أو كمية ، وانما المقاييس التى نستخدمها هى التى توصف بالكيفية أو الكمية ، ومن الممكن جــدا

التغلب على معظم الصعاب التى تعترض الباحث الاجتماعى ، واستخدام التجارب المباشرة وغير المباشرة فى الدراسات الاجتماعية فى الوصول الى قوانين تتميز بدقتها وصرامتها ، خاصة وان مبدأ الحتمية متوفر فى الميدان الاجتماعى كما هو متوفر فى الميدان الطبيعى . ومن ناحيــة أخرى فان الموضوعية المطلقة وان كانت عسيرة التحقيق الى حد ما فى البحوث الاجتماعية الا ان المعـارضين يبالغون فى تقـدير اثر العوامل الذاتيــة فى الدراسات الاجتماعية ، وهنــاك كثير من النظـريات والقوانين الاجتمــاعية التى أمكن الوصول اليهــا ، والتى تقوم على أســاس موضوعى سليم ، ولا يمكن القــول مطلقــا بأن أصــحابها كانوا يغلبون الجانب الذاتى على الجانب الموضوعى . ومن المتوقع بعد تقـدم وسائل القياس فى العـلوم الاجتماعية أن تختفى معظم هذه الاعتراضات ، ولا يصبح لهــا أساس . وتاريخ العلم أعظم شــاهد على ذلك . ففى الماضى كانت نفس هــذه الاعتراضات توجه الى العـلوم الطبيعية الا أن كثيرا من الموضوعات فى العـلوم الطبيعية التى لم يكن فى الاستطاعة دراسـتها فى الماضى دراســة كمية صـحيحة ، قد أمكن اخضاعها فى الوقت الحالى للبحث العلمى الدقيق .

وفى النهاية نود أن نشير الى أن المنهج التجريبى وان كان ذا نفع كبير فى الميدان الاجتماعى ، الا أن من الواجب الا ننظر اليه باعتباره المنهج العلمى الوحيد الذى يصلح للدراســات الاجتماعية . فالمنهج التجريبى وان كان يساعدنا فى فهم الظواهر الاجتماعية بتبسيطها وتحليلها ، الا اننا فى حاجة فى الوقت ذاته الى أن ننظر الى الظواهر نظرة شاملة متكاملة . ولتحقيق هذه الغاية لابد لنا من اطار نرد اليه هذه الظواهر بعد تبسيطها . وهــذا الاطار يكون أكثر اتفاقا مع المجال الاجتماعى الثقافى ، ووسيلتنا الى تحقيق هذه النظرة التكاملية هى الاعتماد على مناهج البحث الاجتماعى الاخــرى كمنهج دراسة الحالة والمنهج التاريخى وكل ما يساعدنا على فهم الظواهر الاجتماعية فى اطارها المجالى الثقافى الى جانب المنهج التجريبى .

* * *

المراجـــع

1. Ashby, W.R., The Effect of Exprience on a Determinate Dynamic System, Behavioral Science, Vol., 1, 1956.

2. Davis, K. Human Society, New York, 1969.

3. Riley, M.W., Sociological Research : A case Approach, New-York, 1963.

4. Sorokin, P., «Sociology of Yesterday, Today, and Tomorrow», Amer, Social., Review, December, 1965.

* * *

الباب الثالث

تصميم البحوث الاجتماعية

مقـــــدمة .

الفصل الثامن : التصميم المنهجى للبحث ، ماهيته واجراءاته .

الفصل التاسع : اختيار مشكلة البحث وصياغتها .

الفصل العاشر : تحديد المفاهيم والفروض العلمية .

الفصل الحادى عشر : أنواع الدراسات الاجتماعية .

الملخص .

مقـــدمة

كثيرا ما يحاول الانسان قبل اقدامه على تنفيذ أمر من الامور ، أن يفكر فى هذا الأمر ، محاولا تحديد الأهداف والغايات التى يسعى الى تحقيقها ، والوسائل التى تمكنه من تحقيق هذه الأهداف وبلوغ هذه الغايات . ثم لا يقف به الأمر عند المستوى الفكرى ، بل يحاول أن يربط بين المجال الفكرى ومجال التنفيذ ناظرا للأمور نظرة واقعية ، محاولا تفهم الظروف التى يعمل فى ظلها ، ومقدرا الامكانيات المتوفرة لديه ، والصعاب التى يحتمل أن تعترض سبيله . ثم يشرع فى رسم أحسن الحلول التى تمكنه من مواجهة هـذه الصعاب والتغلب عليها ، ليتمكن من تحقيق أقصى ما يمكنه من أهـداف وغايات . واذا كان التدبر والتوقع والتفكير من مستلزمات الحياة العادية ، فان هذه الأمور تصبح من الضرورات التى لا غنى عنهـا للباحث الاجتماعى الذى يواجه كثيرا من المواقف التى تحتاج الى تدبر وروية . والباحث الناجح هو الذى يستطيع أن يصمم بحثه تصميما منهجيا دقيقا للحصول على أدق النتائج ، وأقربها الى الصحة ، وادناها الى الصواب .

ولابد للباحث عند تصميم بحثه تصميما منهجيا أن يضع خطة متناسقة، ومشروعا متكاملا يوضح الاهداف التى يرمى اليها البحث ، والمنـــاهج والأدوات التى يمكن استخدامها لتحقيق هذه الأهداف .

ولا يكفى فقط أن يضع الباحث الخطوط الرئيسية للبحث ، بل عليه أن يفكر فى جميع التفاصيل والخطوات التى يسير البحث وفقا لهـا مع مراعاة الزمن المناسب لجمع البيانات ، وتقدير الامكانيات المالية ، والتحقق مما اذا كان التنفيذ العملى للبحث ممكنا أم لا ، واستبعاد جميع العوامل غير المرغوب فيها والتى قد تؤثر فى جمع البيانات المطلوبة .

وقد يبدو لمن يقرأ التقرير النهائى لأى بحث من البحوث ، أن خطوات البحث تبدو متمايزة بحيث يمكن فصلها بعضها عن بعض ، ولكن الواقع غير ذلك ، فكل خطوة من خطوات البحث تتداخل مع غيرها من الخطوات ، تؤثر فيها وتتأثر بها . وكل تغير فى احد جوانب البحث قد يستلزم تعديل جوانب البحث الأخرى أو تغيرها . ولذا فان الباحث حينما يصمم بحثـــه يحاول التفكير فى جميع خطوات البحث كوحدة متلازمة دون أن يفصل بينها

فصلا صناعيا . غير انه يقوم بابراز هذه الخطوات واحـدة بعـد الاخـرى كلما تقدم فى دراسته . وسنعرض فى هـذا القسم لخطوات البحث . فتبدأ بالتعريف بالتصميم المنهجى ، ثم ننتقل الى اختيار المشكلة وصياغتها ، ثم تحديد المفاهيم والفروض العلمية ، ونحاول بعد ذلك أن نلقى ضوءا على انواع الدراسات الاجتماعية ، ذلك لأن تصميم البحث يختلف فى مرونته ودقته باختلاف هذه الدراسات . اما بقية خطوات البحث فاننا نعرض لها عرضا تفصيليا فى الفصول التالية من الكتاب .

* * *

الفصل الثامن

التصميم المنهجي للبحث

● ماهيته وأهميته وإجراءاته :

البحث العلمي ذو طبيعة متماسكة ، تتصل فيه المقدمات بالنتائج ، كما ترتبط فيه النتائج بالمقدمات ، لذا فإن من الضروري أن يقوم الباحث — منذ اختياره المشكلة — بوضع تصميم منهجي دقيق لكافة الخطوات التي يشتمل عليها البحث . ويتطلب هذا التصميم بلورة المشكلة وصياغتها صياغة دقيقة ، وتحديد نوع الدراسة ومناهج البحث والأدوات اللازمة لجمع البيانات ، والطريقة التي تعالج بها البيانات من حيث التحليل والتفسير . مع مراعاة الزمن المناسب لاجراء البحث ، واستبعاد جميع العوامل والظروف غير المرغوب فيها والتي قد تؤثر في سير الدراسة .

ونظرا لأهمية التصميم المنهجي للبحث ، فاننا نحاول في هذا الفصل أن نحدد ماهيته ، وأهميته ، والعمليات والاجراءات المتصلة به .

أولا — معنى البحث :

حاول كثير من المشتغلين بمناهج البحث الاجتماعي وضع تعريف دقيق لمفهوم البحث . من بين تلك التعريفات أنه « سعي وراء المعرفة باتباع أساليب علمية مقننة » (١) ، ومنها أنه « استقصاء منظم يهدف الى اضافة معارف علمية يمكن توصيلها Communicable ، والتحقق من صحتها، عن طريق الاختبار العلمي Verifiable (٢) ، ومنها أنه « استقصاء دقيق يهدف الى

---

(١) E. Greenwood, «Social Work Research : A Decade of Reappraisal» Social Service Review, 31, Sep. 1957, 31.

(٢) Macdonald, N. «Social Work Research : A Perspective in N. Polansky Social Work Research, p. 2.

كتشاف حقائق وقواعد عامة يمكن التحقق منها مستقبلا » (١) ، ومنها أنه « وسيلة للدراسة يمكن بواسطتها الوصول الى حل لمشكلة محددة ، وذلك ن طريق الاستقصاء الشامل والدقيق لجميع الشواهد والادلة التى يمكن لتحقق منها ، والتى تتصل بهذه المشكلة المحددة » (٢) .

ومن الممكن تعريف البحث بأنه « الدراسة العلمية المنظمة لظاهرة معينة باستخدام المنهج العلمى للوصول الى حقائق يمكن توصيلها والتحقق ن صحتها » .

ووفقا لهذا التعريف ، فان من الممكن تقسيم عناصر البحث الأساسية لى ثلاثة : الموضوع ، والمنهج ، والهدف .

فمن حيث الموضوع يستلزم البحث وجود ظاهرة أو مشكلة معينة تتحدى تفكير الباحث وتدفعه الى محاولة الكشف عن جوانبها الغامضة . ومن الممكن أن تكون الظاهرة المدروسة ظاهرة سوية أو ظاهرة مرضية ، كدراسة نظام الزواج فى المجتمعات الريفية أو الحضرية ، أو مشكلة الطلاق ، أو جناح الاحداث ، أو البطالة بين المتعلمين .

ومن الضرورى أن يتجه البحث الى تحقيق أهداف عامة غير شخصية. صحيح أن كل بحث يبدأ بشعور الباحث بمشكلة معينة ، غير أن من الضرورى أن تكون المشكلة ذات قيمة علمية ، أو دلالة اجتماعية عامة . ومن حيث المنهج يستلزم كل بحث استخدام المنهج العلمى فى الدراسة ، ويتطلب ذلك اتباع خطوات المنهج العلمى التى سبقت الاشارة اليها (٣) ، والالتزام بالحياد والموضوعية ، والاستعانة بالأدوات والمقاييس التى تعين على دقة النتائج ، والاقتصار على دراسة الوقائع المحسوسة بالصورة التى توجد عليها لا كما ينبغى أن تكون . ويترتب على استخدام المنهج العلمى أن نتائج البحث تكون قابلة للاختبار والتحقق بحيث اذا اختار باحث آخر نفس المشكلة ، واتبع نفس الخطوات ، واستخدم نفس المناهج والادوات التى استخدمت فى البحث لمكنه أن يحصل على نفس النتائج .

---

(١) Whitney, F., The Elements of Research, New York, Boston 1967, p. 5.

(٢) Hillway T., Introduction to Research, 2nd ed., 1964 p. 18.

(٣) راجع الفصل الثانى من الكتاب .

أما من حيث الهدف فان البحث يهدف الى تقديم اضافة جديدة ، وهذه الاضافات تختلف من بحث الى آخر . فقد يسعى باحث وراء حقيقة علمية جديدة لم يسبقه اليها احد ، فى الوقت الذى يسعى فيه باحث آخـــر الى التحقق من صدق بعض النتائج التى توصل اليها غيره من الباحثين . وفى بعض الأحيان تكون الاضافة غير قابلة للتعميم الا فى أضيق المجالات ، وفى أحيان أخرى تكون الاضافة على مستوى عال من التجريد والعمومية .

وليس من الضرورى فى كل بحث أن يوفق الباحث فى الوصول الى الحقيقة فقد يضع فروضا معينة يحاول التحقق من صحتها ثم يثبت له بطلانها وليس فى ذلك ما يقلل من قيمة البحث ، فالعلم يستفيد من الفروض الصحيحة والفروض غير الصحيحة ، وكلما اثبت البحث خطــأ فــرض من الفروض ، كلما اقترب الباحثون من الحقيقة (١) .

ومن الضرورى أيضا نقل وتوصيل نتائج البحث الى الأشخاص الذين تعنيهم هــذه النتائج ، ولذا فان كل بحث لا يكتب عنه تقرير مفصل تعرض فيه الخطوات وتدون فيه النتائج يعتبر ناقصا .

* * *

ثانيا – معنى التصميم المنهجى :

يعرف التصميم بأنه « عملية اتخاذ قرارات قبل ظهور المواقف التى ستنفذ فيها هذه القرارات » . وبعبارة أخرى يمكن تعريفه بأنه عبارة عن « عملية توقعات متعمدة تتجه نحو اخضاع موقف متوقع تحت الضبط (٢) .

ونستطيع ان نضرب مثالا نوضح به معنى التصميم بما يقوم به القائد فى الميدان . فالقائد الذى يضع تصميما للمعركة ، انما يفـكر مقدما فى الظروف الموضوعية التى تواجهه ، ثم يتخذ قرارات محددة بالنســبة لكل موقف من تلك المواقف المستقبلة : فيقـــرر عدد الوحدات وانواع الاسلحة التى سيستخدمها فى المعركة ، وطريقة الوصول الى العدو ، ثم يحاول رسم نموذج للخطة على ضوء القرارات التى يتخذها . وهذا النموذج يمكنه من معرفة مدى ارتباط القرارات بعضها ببعض ، كما يمكنه من تعديل الخطة أو تغييرها اذا لزم الامر .

---

(١) راجع ما كتبناه فى هذا الكتاب . الفصل الثانى .

(٢) R.L. Acoff, op. cit., p. 5.

ولا شك فى أن تطبيق هذا المثل على البحث واضح . فلو أننا نظرنا فى المشكلة موضوع الدراسة ، والمشكلات المتفرعه منها ، وقررنا ما الذى سنعمله لحل هذه المشكلات ، فاننا بالتالى سنزيد من فرص ضبط اجراءات البحث عند التنفيذ العملى لهذا البحث .

ويستـــلزم التصميم المنهجى من الباحث معرفته بالأسس التى يبنى عليها قرارات التصميم . فاذا قرر الباحث اختيار عينة طبقية من افراد المجتمع بدلا من اختيار عينة عشوائية بسيطة ، أو الاعتماد على الاستبار Interview فى جمعه للبيانات التى تلزمه عن موضوع بحثه بدلا من الاعتماد على الاستبيان البريدى Mailed Questionnaire وكان قادرا على تقديم المنهج الذى اتبعه للوصل الى هذه القرارات ، أو على الاقل جعله قابـــلا للتقويم ، فاننا نكون بصدد تصميم منهجى للبحث .

وعلى هذا فان التصميم يستلزم ما يأتى :

١ ــ تخطيط البحث بدرجة كافية قبل تنفيذه .

٢ ــ تقويم المنهج الذى اتبع للوصول الى قرارات التصـــــميم ، أو جعل هذا المنهج قابلا للتقويم (١) .

* * *

ثالثا ــ الاستراتيجية والتكتيك فى التصميم :

تشير الاستراتيجية الى القدرة على التفكير فى المشكلة بأسرها تفكيرا شاملا يهدف الى وضع خطة عامة أو تنظيم شامل . أما التكتيك فانه يعنى الاستخدام الصحيح للوسائل المتاحة لتحقيق الهدف . ولكى يتم استخدام هذه الوسائل استخداما صحيحا لابد وأن تكون هذه الوسائل موزعة وفقا لخطة حسنة الاعداد من شأنها أن تمكن واضع التكتيك من أن يستغل جميع الادوات التى تحت تصرفه استغلالا كاملا .

ومن مستلزمات التصميم المنهجى للبحث الاجتماعى أن تكون هنـــاك خطط استراتيجية وأخرى تكتيكية تعين الباحث على تحقيق أهداف البحث، وتساعد على الحصول على أحسن النتائج . فالخطط الاستراتيجية تساعده على تعيين المراحل الكبرى للبحث ، والمعالم الرئيســـية لنـــوع المعـــلومات المطلوبة فى كل مرحلة ، ونوع الادوات اللازمة لجمع هذه المعلومات ونوع

---

(١) R.L. Ackoff, Ibid, p. 6.

للتحليلات الكمية أو الكيفية التى ستجرى عليها الخطط الاستراتيجية . أما الخطط التكتيكية فانها تنشأ لمواجهة المواقف العملية أثناء جمع البيانات والتصرف فى هذه المواقف سواء كانت متوقعة أو غير متوقعة تصرفا سليما (١) .

ومن الضرورى أن يتصف التصميم بالمرونة لمواجهة التغيرات الطارئة ، والمواقف غير المتوقعة ، ولتصحيح انحرافات التقدير التى لا مفر منها مهما ارتفع مستوى التقدير والتصميم .

* * *

رابعا - أهمية التصميم :

يتساءل بعض الباحثين : هل هناك ضرورة لتصميم البحث تصميما منهجيا قبل البدء فى جمع البيانات ؟ أليس من الممكن النزول الى الميدان واجراء الملاحظات وجمع البيانات دون ما حاجة الى تصميم ؟ ولماذا لا نحدد الوسائل التى تعين على تصنيف البيانات وتحليلها بعد جمع البيانات .

ويرى أصحاب هذا الرأى أن الوقت المطلوب للتصميم يضيع عبثا ، كما أن التصميم الشامل للبحث يكلف الكثير ، ومن الممكن الحصول على البيانات الدقيقة دون الحاجة الى الانتظار الطويل حتى تتم اجراءات التصميم (٢) .

ويرى كثير من المشتغلين بمناهج البحث أن هذه الحجة قد تصدق بالنسبة لبعض المواقف الطارئة فى البحث ، ولكنها لا تصدق بالنسبة لجميع مواقف البحث العلمى وذلك لعدة أسباب أهمها :

١ - يفيد التصميم فى أنه يهيء للباحث سبيل الحصول على بيانات دقيقة بأقل جهد . وفى هذه الحالة يمكن أن ينظر الى التصميم على أنه اقتصادى فى المدى الطويل ، وعلى أنه عامل رئيسى فى نجاح أى بحث من البحوث .

٢ - يحدث فى كثير من البحوث التى لا تقوم على أساس التصميم

---

(١) L. Beveridge. The Art of Scientific Investigation London, 1953, p. 121.

(٢) R.L. Ackoff, op. cit., pp. 6-7.

المنهجى أن يكتشف الباحث أثناء جمعه للبيانات أنه لابد من إحداث بعض التعديلات التى لم تكن فى الحسبان ، أو أن بعض جوانب الدراسة يستأهل الحذف أو التغيير لانها بالصورة التى هى عليها لا تجدى كثيرا

وقد كان من الأفضل أن يقدم الباحث على البحث الاصلى وقد أعد خطته على أساس من الحذف أو التعديل بدلا من الاندفاع الى الميدان معرضا نفسه للخطأ المستمر ، ومضيعا وقته وجهده فيما لا جدوى من ورائه .

٣ — يحدث فى بعض الاحيان أن يقوم الباحث ببحث يستغرق عدة أعوام ، ثم يتبين له بعد جمعه للبيانات أنها عديمة الجدوى ، وأنه لا يستطيع تبويبها أو تصنيفها فى نسق معين ، بحيث يمكنه استخلاص النتائج منها . وقد كان من الممكن تفادى هذه الأخطاء بتصميم البحث قبل البدء فى عمليات جمع البيانات .

٤ — هناك مسائل جديدة لا يستطيع الباحث أن يواجهها بنفس الاساليب القديمة . وفى هذه الحالة يجد الباحث نفسه مضطرا لاصطناع أدوات ومناهج جديدة تمكنه من دراسة الموضوع بالاسلوب الذى يناسبه . ومن الملاحظ أن الباحث الذى لايعنى بتصميم البحث يحاول استخدام الادوات القائمة دون أن يعمل على تحسينها أو تطويرها بخلاف الباحث الذى يعنى بالتصميم . وليس من شك فى أن على الباحث الاجتماعى فى هذه الظروف واجبا يلزمه باعادة النظر فى المناهج والادوات التى يستخدمها حتى يستطيع أن يرتقى بطرق البحث ، وحتى يستطيع أن يساهم مساهمة ايجابية فى دراسة الظواهر والمشكلات والعلاقات الاجتماعية بأساليب أكثر دقة واتقانا . ونحن لا نستطيع أن ننتظر اكتشافا يأتى لنا عن طريق الصدفة وحدها لتحسين مناهج البحث وأدواته . ولن يتأتى لنا ذلك الا عن طريق التصميم المنهجى الدقيق للبحوث الاجتماعية (١) .

ونود أن نشير فى هذا المجال الى أن التصميم المنهجى للبحث قد يختلف عن الاجراءات العملية التى تستخدم أثناء تنفيذ البحث ، ذلك لأن التصميم المنهجى ينصب على تحديد طرق البحث المثالية التى يمكن اتباعها اذا لم توجد عقبات عملية أثناء اجراء البحث ، غير أن الباحث قد تصادفه ظروف تضطره الى التنازل عن المثل الاعلى الذى ينبغى تحقيقه ، والعمل على الملاءمة بينه وبين الواقع العملى الذى يمكن تحقيقه . وعلى

---

(١) Ibid., pp. 6-8.

الرغم من وجود بعض الاختلافات بين النماذج المثالية التى يضعها الباحث وبين ما يقوم به فعلا أثناء التنفيذ العملى للبحث ، فان هذا لا يعنى عدم جدوى التصميم المنهجى ، بل يؤكد أهميته لان الباحث عن طريق النموذج الذى يضعه يستطيع أن يحدد العوامل المختلفة التى تؤدى الى الانحراف عن ذلك النموذج ، ومدى تأثيرها فى نتائج البحث . وباستبعاد أثر هذه العوامل يستطيع الباحث أن يحدد ما يمكنه الوصول اليه من نتائج فى حالة عدم وجود هذه العوامل .

* * *

خامسا — عمليات الاتصال فى البحث الاجتماعى :

يهتم العلماء الاجتماعيون بعمليات الاتصال التى تنشأ بين الأشخاص المشتركين فى عملية البحث وبينهم وبين البيئة الاجتماعية التى يتفاعلون معها . ويحاول العالم الامريكى « أكوف Ackoff » تحديد الاشخاص الذين يقومون بأدوار مختلفة (١) ، كما يخطط نموذجا لعملية البحث (انظر الشكل رقم (٢) يوضح فيه أوجه الاتصال القائمة بينهم . ويتضح من النموذج أن هناك أربعة أشخاص موضع اتصال فى البحث ، وهؤلاء الأشخاص هم :

١ — المستفيد أو المستفيدون — The consumer (s)

٢ — العالم أو العلماء — The scientist (s)

٣ — الملاحظ أو الملاحظون — The observer (s)

٤ — الملاحظ (المبحوث) — The observed

فاذا قلنا ان مدير أحد المصانع طلب الى أحد الباحثين أن يقوم بدراسة ميدانية لمعرفة أسباب غياب العمال فى مصنعه . فى هذه الحالة يكون المستفيد هو صاحب المصنع ، والعالم هو الباحث الذى يضع تصميم البحث ، أما الملاحظون فهم جامعو البيانات ، على حين أن الملاحظين لا يخرجون عن كونهم عمال المصنع المتغيبين .

ومن الملاحظ أن هؤلاء الأربعة لا يمثلون بالضرورة أربعة أشخاص يتميزون بعضهم عن بعض ، ولكنهم فى الواقع يمثلون أدوار اتصالية

وكثير من هذه الادوار قد يملؤها شخص واحد . فقد يكون العالم في أحد البحوث هو الملاحظ والمستفيد ، ومن ناحية أخرى فان كل دور من الأدوار الاربعة قد تملؤه جماعة بدلا من أن يملأه فرد واحد . وبصرف النظر عن الأفراد الذين تشملهم العملية سواء أكانوا واحدا ، أو جملة أفراد ، فان الأدوار الاتصالية توجد في كل بحث . وتنحصر أوجه الاتصال فيما يلي :

١ — يقوم المستفيد باحالة المشكلة على الباحث .

٢ — يقوم الباحث بتصميم البحث ، وتدريب الملاحظين (جامعي البيانات) والاشراف عليهم .

٣ — يجمع الملاحظون البيانات اللازمة سواء عن طريق الملاحظة أو باستخدام أية وسيلة أخرى من وسائل جمع البيانات .

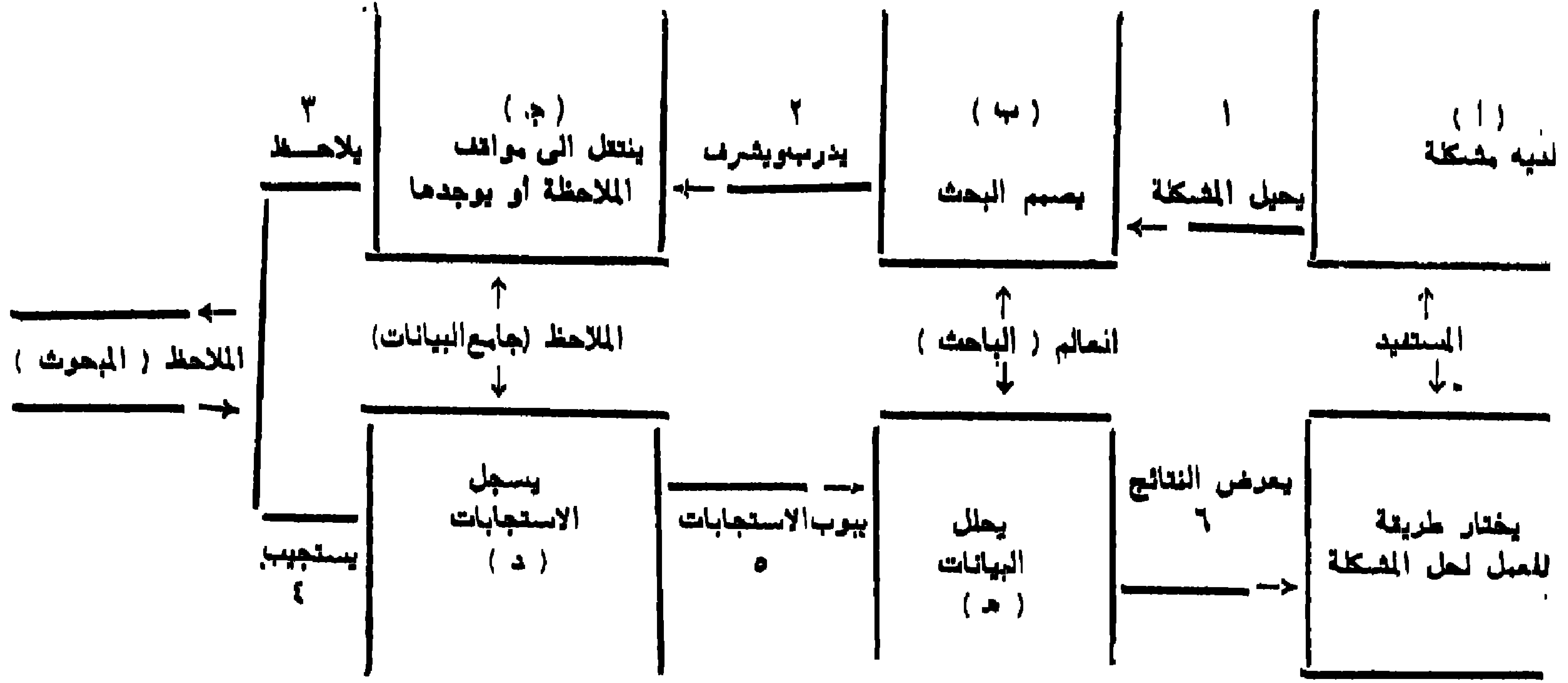
٤ — يحصل الملاحظون على استجابات المبحوثين .

٥ — يسجل الملاحظون الاستجابات ويقومون بتبويبها ثم احالتها الى البحث .

٦ — يحلل الباحث البيانات التي يحصل عليها ويستخلص النتائج ويضع المقترحات ثم يعرضها على المستفيد ليختار منها الحلول المناسبة .

ولا ريب في أن فهم أوجه الاتصال المختلفة يساعد الى حد كبير على اكتشاف مصادر الخطأ المحتملة في البحوث وخاصة في المسوح الاجتماعية ذلك لأن المسوح الاجتماعية تعتمد على عدد كبير من الملاحظين والمستجيبين، وتتجه الجهود دائما نحو التقليل من الاخطاء التي قد يقع فيها جامعو البيانات ، الا أن عمليات الاتصال المختلفة تكشف لنا عن حقيقة أخرى وهي أن المستفيد ومصمم البحث ، والمستجيب قد يكونون مصدراً محتملا للخطأ .

ولذا فان من الضروري عند تصميم البحث ، العمل على تقليل الاخطاء المحتملة والتي قد يكون مصدرها جميع المشتركين في عمليات الاتصال .



شكل رقم (٢)

نموذج لعملية البحث عن كتاب أكوف ، ص ٩

سادسا – مراحل البحث الاجتماعي وخطواته :

تمر عملية البحث فى مراحل ثلاثة رئيسية هى : المرحلة التحضيرية ، والمرحلة الميدانية ، والمرحلة النهائية (١) وتتضمن كل مرحلة من المراحل مجموعة من الخطوات . ففى المرحلة التحضيرية يقوم الباحث باختيار مشكلة البحث وصياغتها وتحديد المفاهيم والفروض العلمية ، وتحديد نوع الدراسة التى يقوم بهـا ، وكـذا نوع المنهج المستخدم فى البحث والادوات اللازمة لجمع البيانات ، كما يقوم بتحديد مجالات البحث الثلاثة البشرى ، والمكانى ، والزمنى . وفى المرحلة الميدانية يقوم الباحث بجمع البيانات اما بنفسـه أو عن طرق مجموعـة من الباحثين الميدانيين الذين يستعان بهم فى أغلب الأحيان فى البحوث الكبيرة التى تجريها مراكز البحث العلمى والهيئات والمؤسسـات العـامة ، وتتضمن هـذه المرحـلة مجموعة من الخطوات أهمهـا : عمل الاتصالات اللازمة بالمبحوثين وتهيئتهم لعملية البحث ، واعداد الباحثين الميدانيين وتدريبهم ، والاشراف عليهم أثناء جمع البيانات من الميدان للوقوف على ما يعترضـهم من صعاب ، والعمـل على تذليلها أولا بأول ، ثم مراجعة البيانات الميدانيـة لاستكمال نواحى النقص فيهـا والتأكد من أنها صحيحـة ودقيقـة ومسـجلة بطـريقة منظمة ، وفى المرحلة النهائية يقوم الباحث بتصنيف البيانات وتفريغهـا وجدولتها وتحليلها وتفسيرها ، ثم يقوم بكتابة تقرير مفصل يشتمل على كل الخطوات التى مرت بها عملية البحث .

وقد سبقت الاشـارة الى أن مراحل البحث وخطواته تترابط فيمـا بينها ترابطا عضويا وثيقا بحيث يصعب وضع الحدود والفواصل فيمـا بينها ، ولذا فان الباحث حينما يصمم بحثه يفكر فى جميع المراحل والخطوات باعتبارها وحدة متكاملة ، الا أنه يقوم بابراز الخطوات واحدة بعد الاخرى كلما تقـدم فى دراسـته . وليس ترتيب خطوات البحث واحدا من حيث الأولوية ، وانما تقتضى طبيعة كل بحث تقديم أو تأخير بعضها عن بعض . ونعرض فيما يلى لهذه الخطوات بشىء من الايجاز :

١ – اختيار مشكلة البحث وصياغتها :

تعتبر هـذه الخطوة من أهم خطوات البحث لانهـا تؤثر فى جميع الخطوات التى تليها ، وفى كل ميدان عدد كبير من المشكلات التى تتحدى تفكير البـاحث وتدفعه الى دراستهـا للكشف عنها واستجلاء جوانبها

---

(١) عبد الحميد فراج وسعد برغوت : تصميم البحوث ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٠ ، ص ١٩ .

الغـامضة . وليست كل الموضوعات فى حاجـة الى بحث علمى ؛ فبعض التســاؤلات يمكن الاجابة عنها بسهولة ويسر . وفى مثـل هـذه الاحوال يجدر بالباحث أن يوفر على نفسه عناء البحث والاســتقصاء وأن يتخير مشكلة تتميز بالاصالة والعمق ، وتكون لها دلالتهـا العلمية أو أهميتهـا المجتمعية .

ومن الضرورى عند اختيار مشكلة البحث تحديد النقاط الرئيسـية والفرعية التى تشتمل عليها ، وصياغتها فى مصطلحات واضحة محددة . ويؤكد « روبرت مرتون » أهمية هذه النقطة وبخاصة فى البحوث التطبيقية لان المســتفيد من البحث نادرا ما يصوغ مشــكلته العملية فى مصطلحات كافية الدقة ، ووضع المشكلة على هذهالصورة يجعلها تؤدى الى تضليل الباحث تضليلا قد يكون خطيرا (١) . ولذا فإن من الضرورى تحديد المشكلة وصياغتها بدقة تامة حتى يسهل وضع تصميم منهجى دقيق لدراســـــتها ، وبحث الجوانب المختلفة لها .

٢ — تحديد المفاهيم والفروض العلمية :

من الضرورى بعد اختيار المشكلة أن يحدد الباحث المفاهيم الأسـاسية المرتبطة بموضوع الدراسة . ويعتبر تحديد المصطلحات العلمية أمرا لازما فى كل بحث ، وكلما اتسم هذا التحديد بالدقة أمكن للباحث أن يجرى بحثه على أساس علمى سليم ، وسهل على القراء الذين يتابعون البحث ادراك المعانى والافكار التى يريد الباحث التعبير عنها دون أن يختلفوا فى فهم ما يقول .

وبعد أن ينتهى الباحث من تحديد المفاهيم العلمية، فانه ينتقل الى خطوة وضع الفروض وخاصة فى الميادين التى ارتادها الباحثون من قبل ؛ والتى وصلت فيها البحوث السابقة الى درجة عالية من التطور العلمى . أما فى الميادين التى لاتزال جديدة فلا بأس من أن يقوم الباحث بدراسات استطلاعية تساعد على استنباط الفروض التى يمكن اختبارها فى بحوث تالية .

٣ — تحديد نوع الدراسة أو نمط البحث Type of Research :

يتحدد نوع الدراسة على أساس مستوى المعلومات المتوفرة لدى الباحث، وعلى أساس الهدف الرئيسى للبحث . فاذا كان ميدان الدراسة جديدا لم يطرقه أحد من قبل اضطر الباحث الى القيام بدراسة استطلاعية (كشفية) تهدف أساسا الى اســتطلاع الظروف المحيطة بالظـاهرة التى يرغب فى

---

(١) R. Merton : «Applied Social Science in Formulation of Policy», Phill. of Science, 16, No. 3, July, 1949.

دراستها ، والتعرف على أهم الفروض التى يمكن اخضاعها للبحث العلمى الدقيق ، أو ليتمكن من صياغة المشكلة صياغة دقيقة تمهيدا لبحثهـا بحثا متعمقـا فى مرحلة تاليـة . واذا كان الموضوع محـــددا عن طريق بعض الدراسات التى سبق اجراؤها فى الميدان أمكن القيام بدراسة وصفية تهدف الى تقرير خصائص الظاهرة وتحديدها تحديدا كيفيا أو كميا . واذا كان الميدان أكثر تحديدا ودقة ، استطاع البـاحث أن ينتقل الى مرحلة ثالثـة من مراحل البحث فيقوم بدراسة تجريبية للتحقق من صحة بعض الفروض العلمية .

ويلاحظ أن وضع الفروض يرتبط بنوع الدراسـة . فالدراسـات الاستطلاعية تخلو من الفروض ، على حين أن الدراسـات الوصفيـة قـد تتضمن فروضا اذا كانت المعلومات المتوفرة لدى الباحث تمكنه من ذلك ، أما الدراسـات التجريبية فان من الضرورى أن تتضمن فروضا دقيقة محددة بحيث تدور الدراسة بعد ذلك حول محاولة التحقق من صحتها أو خطئها .

٤ — تحديد المنهج أو المناهج الملائمة البحث Methods of Research :

يشير مفهوم المنهج الى الكيفية أو الطريقة التى يتبعها الباحث فى دراسة المشكلة موضوع البحث . وهو يجيب على الكلمة الاستفهامية : كيف ؟ فاذا تساءلنا كيف يدرس الباحث الموضوع الذى حدده ؟ فان الاجابة على ذلك تستلزم تحديد نوع المنهج .

ومن المناهج التى تستخدم فى البحوث الاجتماعية : المسح الاجتماعى والمنهج التاريخى ، ومنهج دراسة الحالة ، والمنهج التجريبى .

٥ — تحديد الأداة أو الأدوات اللازمة لجمع البيانات :

Techniques of Data Collection

يشير مفهوم الاداة الى الوسيلة التى يجمع بها الباحث البيانات التى تلزمه . وهو يجيب على الكلمة الاستفهامية ، بم أو بماذا ؟ فاذا تساءلنا : بم يجمع الباحث بياناته ؟ فان الاجابة على هذا التســاؤل تستلزم تحديد الاداة أو الأدوات اللازمة لجمع البيانات .

ويستخدم المشتغلون بمناهج البحث مفهوم الأداة للاشارة الى الوسيلة المستخدمة فى جمع البيانات أو تصنيفها ، غير أننا نقصر مفهوم الأداة فى هذا المجال على وسائل جمع البيانات .

وغالبا ما يستخدم الباحث عددا كبيرا من أدوات جمع البيانات من بينها الملاحظة ، والاستبيان ، والمقابلة ، ومقاييس العلاقات الاجتماعية والرأى العام ، وتحليل المضمون ، بالاضافة الى البيانات الاحصائية على اختلاف انواعها .

ويتوقف اختيار الباحث للأداة أو الأدوات اللازمة لجمع البيانات على عوامل كثيرة . فبعض أدوات البحث تصلح فى بعض المواقف والأبحاث عنها فى غيرها . فمثلا يفضل بشكل عام استخدام المقابلة والاستبيان عندما يكون نوع المعلومات اللازمة له اتصال وثيق بعقائد الأفراد واتجاهاتهم نحو موضوع معين ، وتفضل الملاحظة المباشرة عند جمع معلومات تتصل بسلوك الأفراد الفعلى نحو موضوع معين ، كما تفيد الوثائق والسجلات فى اعطاء المعلومات اللازمة عن الماضى . وقد يؤثر موقف المبحوثين من البحث فى تفضيل وسيلة على وسيلة أخرى . ففى بعض الأحيان يبدى المبحوثون نوعا من المقاومة ويرفضون الاجابة على أسئلة الباحث ، وفى هذه الحالة يتعين استخدام الملاحظة فى جمع البيانات .

وقد يعتمد الباحث على أداة واحدة لجمع البيانات ، وقد يعتمد على أكثر من أداة حتى يدرس الظاهرة من جميع نواحيها ، وليكشف عن أبعادها المتعددة .

وزيادة فى توضيح المعنى الذى نقصده باستخدامنا لمفهوم نوع الدراسة أو نمط البحث ، والمنهج ، والأداة نضرب المثل التالى :

اذا قمنا بدراسة عن ميزانية الأسرة المصرية ، وكان هدفنا من وراء هذه الدراسة معرفة مستوى معيشة الفرد ، وتحديد مصادر الدخل المختلفة ، ومتوسط الانفاق فى الغذاء والمسكن والملبس والمكيفات والترويح . والوصول الى تعميمات متعلقة بهذه النواحى ، ثم وقع اختيارنا على منطقة معينة لنقوم فيها بمسح اجتماعى ، وقمنا بارسال صحائف استبيان الى أفراد العينة التى حددناها ، فى هذه الحالة نستطيع أن نقول ان نمط البحث وصفى ، ومنهج البحث هو المسح الاجتماعى ، وأداة جمع البيانات هى الاستبيان أو الاستفتاء .

٦ — تحديد المجال البشرى للبحث : وذلك بتحديد مجتمع البحث Population . وقد يتكون هذا المجتمع من جملة افراد ، أو عدة جماعات ، وفى بعض الأحيان يتكون مجتمع البحث من عدة مصانع أو مزارع أو وحدات اجتماعية ، ويتوقف ذلك بالطبع على المشكلة موضوع الدراسة .

ولما كان من العسير فى كثير من البحوث الاجتماعية القيام بدراسة شاملة لجميع المفردات التى تدخل فى البحث ، فان الباحث لا يجد وسيلة اخرى يستطيع الاعتماد عليها سوى الاكتفاء بعدد محدود من الحالات أو المفردات فى حدود الوقت والجهد والامكانيات المتوفرة لديه ، ثم يقوم بدراسة هذه الحالات الجزئية ، ويحاول تعميم صفاتها على المجتمع الكبير . وتعرف طريقة جمع البيانات من جميع المفردات التى تدخل فى البحث بطريقة الحصر الشامل ، بينما تعرف الثانية بطريقة العينة .

٧ - **تحديد المجال المكانى للبحث** : وذلك بتحديد المنطقة أو البيئة التى تجرى فيها الدراسة .

٨ - **تحديد المجال الزمنى للبحث** : وذلك بتحديد الوقت الذى تجمع فيه البيانات . ويقتضى ذلك القيام بدراسة استطلاعية عن الأشخاص الذين تتكون منهم العينة لتحديد الوقت المناسب لجمع البيانات . فاذا كانت نسبة كبيرة منهم تذهب للحج أو الى المصايف صيفا ، أو تتغيب عن المدارس والجامعات قرب نهاية العام ، فلا يجب أن يقوم الباحث بجمع البيانات فى موسم الحج أو فى فصل الصيف ، أو قرب نهاية العام الدراسى .

٩ - **جمع البيانات من الميدان** : قد يجمع الباحث البيانات بنفسه ، وقد يجمعها عن طريق مندوبين عنه . ولما كانت عملية جمع البيانات هى التى تتوقف عليها صحة النتائج ودقتها ، فان جامعى البيانات يجب أن تتوافر لديهم الخبرة والدراية الكافية بالبحوث الميدانية ، وأن تكون لديهم من القدرات والمواهب الشخصية ما يؤهلهم لجمع البيانات كحسن التصرف واللباقة والصبر ، وان يكون لديهم الملم ببعض القضايا الاجتماعية الخاصة بالمجتمع بعامة ، ومجتمع البحث بصفة خاصة ، كما أن من الضرورى أن يقوم الباحث بتدريب جامعى البيانات قبل النزول الى الميدان وذلك عن طريق شرح الهدف من البحث وخطته وكيفية تطبيق أدوات البحث على أن يشمل ذلك التدريب الشروط الأساسية فى تطبيق كل أداة وكيفية التصرف فى المواقف المتوقعة ، ويفضل أن يطبع دليل للعمل الميدانى ليكون مرجعا لجامعى البيانات يسترشدون به وقت الحاجة .

ولكى يضمن الباحث استجابة المبحوثين وتعاونهم مع القائمين بجمع البيانات ، فان من الضرورى أن يقوم بتهيئة أذهان المبحوثين بموضوع البحث وعمل التوعية اللازمه لهم عن طريق وسائل الاعلام المختلفة أو عن

طريق الاتصال بالهيئات المسئولة أو القيادات المحلية التى يمكنها تهيئ المناخ الملائم لجمع البيانات .

ومن الضرورى أن يقوم الباحث بالاشراف على الباحثين الميدانيين أثناء جمع البيانات للوقوف على ما يعترضهم من صعاب ، والعمل على تذليلها أولا بأول ، ثم مراجعة البيانات لاستكمال نواحى النقص فيها ، والكشف عن الاجابات المتناقضة ، والتأكد من أن البيانات دقيقة ومسجلة بطريقة منظمة .

١٠ — تصنيف البيانات وتفريغها وتبويبها : بعد مراجعة البيانات ينبغى على الباحث أن يصنف البيانات فى نسق معين يتيح للخصائص الرئيسية أن تبدو واضحة جلية . والتصنيف عملية يهدف الباحث من ورائها الى ترتيب البيانات وتقسيمها الى فئات بحيث توضع جميع المفردات المتشابهة فى فئة واحدة . وبعد الانتهاء من عملية التصنيف ينبغى على الباحث أن يفرغ البيانات اما بالطريقة اليدوية أو بالطريقة الآلية . ويتوقف ذلك على عدد الاستمارات التى جمعها الباحث . وبعد تفريغ البيانات واحصاء الاستجابات ، تبدأ عملية تبويب البيانات فى جداول بسيطة أو مزدوجة أو مركبة .

١١ — تحليل البيانات وتفسيرها : من الضرورى بعد جدولة البيانات تحليلها احصائيا لاعطاء صورة وصفية دقيقة للبيانات التى أمكن الحصول عليها ، ولتحديد الدرجة التى يمكن أن تعمم بها نتائج البحث على المجتمع الذى أخذت منه العينة وعلى غيره من المجتمعات ، ويستعان فى ذلك بالأساليب الاحصائية المختلفة التى تفيد فى هذا المجال .

وبعد الانتهاء من التحليل الاحصائى ينبغى أن يفسر الباحث النتائج التى حصل عليها حتى يكشف عن العوامل المؤثرة فى الظاهرة المدروسة ، والعلاقات التى تربط بينها وبين غيرها من الظواهر ، وبدون التفسير تصبح الحقائق التى توصل اليها الباحث لا جدوى من ورائها ولا غناء فيها .

١٢ — كتابة تقرير البحث : بعد الانتهاء من تفسير البيانات، تبدأ خطوة كتابة التقرير عن البحث . وعن طريق هذه الخطوة يستطيع الباحث أن ينقل الى القراء ما توصل اليه من نتائج ، كما يستطيع أن يقدم بعض المقترحات والتوصيات التى خرج بها من البحث ، ويشترط أن تكون هذه المقترحات ذات صلة وثيقة بالنتائج التى أمكن الوصول اليها ، وأن تكون محددة تحديدا دقيقا . وتتجلى مهارة الباحث فى الربط بين ما يتوصل اليه من

نتائج وبين ما يقترحه من حلول للمشكلات التى أسفرت عنها الدراسة والتى تشير اليها نتائج البحث بدون مبالغة أو حشو أو تطويل .

هذا ومن الضرورى أن يسير كل بحث وفقا لحدود معينة من الوقت والتكاليف . ولابد للباحث أن يضع الخطوات الخاصة بكل مرحلة فى برنامج زمنى يتضمن توقيتا دقيقا لتنفيذ كل منها فى المواعيد المحددة . ولابد عند تحديد البرنامج الزمنى للبحث مراعاة العوامل التى قد تعوق سير العمل ، واضافة ٥٪ من الوقت على سبيل الحيطة ، كما يجب على الباحث أن يحدد الوقت المناسب للقيام بكل خطوة .

أما عن تقرير الميزانية فيجب على الباحث أن يعمل حسابا لكل النفقات التى يتطلبها البحث . ويرى البعض أنه لتقدير الوقت والمال اللازمين لاجراء أى بحث يمكن أن تتقاسم مراحل البحث الثلاثة (التحضيرية ، والميدانية ، والنهائية) الزمن والتكاليف بالتساوى تقريبا .

ولضمان سير العمل فى حدود الوقت والمال المخصص لكل مرحلة من مراحل البحث . يمكن اعداد بطاقة أو جدول يتضمن خطوات البحث ، ويقوم الباحث بملئه أثناء تنفيذ البحث ، موضحا فيه ما تم تنفيذه بالنسبة لكل خطوة من خطوات البحث ، وما استغرقه تنفيذ كل خطوة من وقت ونفقات .

* * *

سابعا — اعداد خطة البحث (الاطار المقترح Research Proposal) :

ترتبط بعملية التصميم المنهجى للبحث وضع خطة مقترحة تكون بمثابة الاطار التصورى لمشروع البحث . وغالبا ما تعرض هذه الخطة على مجموعة من الزملاء فى « حلقة بحث Seminar» ، أو على عدد من المتخصصين فى الموضوع ، أو على الأستاذ المشرف على الرسالة تمهيدا لاقرارها أو ادخال التعديلات عليها .

وينبغى أن تشتمل الخطة المقترحة على النقاط التالية :

١ — مقدمة عامة : يعرض الباحث فى هذه المقدمة التطور التاريخى لدراسة المشكلة ، والدراسات التى سبق اجراؤها فى نفس المجال ، ثم يحدد النقاط الأساسية والفرعية التى يرغب فى دراستها ، والأبعاد التى يحاول التركيز عليها .

٢ — تحديد أهداف البحث : غالبا ما تنحصر أهداف البحث فى هدفين :

أحدهما علمى والآخر عملى . ويقصد بالهدف العلمى تقديم اضافات نظرية الى العلم ، كاختبار احدى النظريات القائمة ، أو اضافة متغيرات جديدة الى نظرية قائمة ، أو الوصول الى حقائق يمكن أن تعتبر أساسا لنظرية جديدة . أما الهدف العملى فيقصد به دراسة مشكلة تواجه الأفراد أو الجماعات أو المجتمعات للتعرف على العوامل المؤدية اليها والنتائج المترتبة عليها بغرض تقديم حلول علمية تساعد على القضاء على المشكلة أو التخفيف من حدتها . وكثيرا ما يجمع البحث الواحد بين الهدفين حيث يتعذر اقامة الحدود والفواصل بين الجوانب العلمية والعملية فى البحث .

٣ — تحديد البنـــاء النظـرى للبحث : تعتبر النماذج Models والنظـريات Theories، والمداخل التصـورية Conceptual Approches موجهـات لا غنى عنها فى ترشيد البحوث ، وتوجيـه الملاحظات ، وصياغة القضايا ، ووضع الفروض ، وتفسير وقائع الحياة الاجتماعية .

ولذلك ينبغى أن يحدد الباحث من البداية البناء النظرى الذى يعتمد عليه فى توجيه البحث ، والذى يستمد منه مفاهيمه وفروضه ، والذى يستند اليه فى تفسير النتائج التى يتوصل اليها .

وقـد قـدم « اليكس انكليس Alex Inkeles» تصنيفا للنمـاذج المختلفة التى يمكن أن تشتق منها النظريات السوسيولوجية والتى تصلح لان تكون منطلقات أساسية للبحث . وهـذه النمـاذج هى : النمـوذج التطورى ، والنموذج العضوى (البنائى — الوظيفى) ، ونموذج التوازن فى مقـابل الصراع ، ونموذج العـلم الطبيعى ، والنمـوذج الاحصـائى الرياضى (١) .

٤ — تحديد المفاهيم والفروض المستخدمة فى البحث : يسـتطيع الباحث أن يحدد المفاهيم ويصـوغ الفروض فى ضـوء الاطار النظرى للبحث . ولابد للباحث من أن يكون ملما بالجوانب النظرية للموضوع الذى يدرسه الالمام الكافى الذى يمكنه من تحديد المفاهيم ، واستنباط الفروض ، وصياغة القضايا بطريقة علمية سليمة .

٥ — تحـديد الاجراءات المنهجيـة للبحث Methodology :

ويقتضى ذلك تحـديد المناهج التى يرى الباحث أنها تصـلح لدراسة

---

(١) راجع ذلك فى كتابنا : علم الاجتماع ، الكتاب الأول (المدخل) ، مكتبة غريب بالقاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٦٧ — ٧٨ .

المشكلة ، والتحقق من صحة فروض البحث ، وكذلك الادوات التى يمكن استخدامها لجمع البيانات ، فضلا عن التحديد الواضح لمجالات البحث الثلاثة : البشرى ، والمكانى ، والزمنى .

٦ — تحديد طرق التحليل الاحصائى البيانات :

من الضرورى أن يحدد الباحث المقاييس والاختبارات الاحصائية التى يمكنه الاستفادة بها فى تحليل البيانات كمقاييس النزعة المركزية ، والتشتت ، والارتباط ، واختبارات دلالة الفروق . فمن طريق هذه المقاييس والاختبارات يمكن تحديد الدرجة التى تعمم بها نتائج البحث على المجتمع الذى أخذت منه العينة وعلى غيره من المجتمعات .

٧ — تحديد طريقة عرض البيانات :

عند اعداد الخطة ينبغى تحديد الطرق التى يمكن استخدامها فى عرض نتائج البحث ، والتى من بينها الرسوم البيانية الخطية والمصورة ، والخرائط والمصورات والجداول الاحصائية .

٨ — تحديد نوع التفسيرات الممكنة :

لا يقف البحث العلمى عند مجرد جمع البيانات وتحليلها ، بل يتجه الى تفسيرها وتعميمها . ولذا ينبغى أن يحدد الباحث نوع التفسيرات المقترحة والتى تتمشى مع نتائج البحث بحيث لا يجاوز التفسير حده ومداه . وقد سبقت الاشارة الى أن ذلك غالبا ما يتم فى اطار النماذج والنظريات والمداخل التصورية التى يستخدمها الباحث فى توجيه البحث وترشيده (١) .

ولنضرب مثالا بخطة بحث عن « النمو الحضرى وآثاره الاجتماعية فى منطقة بولاق الدكرور » قام به المؤلف بالاشتراك مع كلية الخدمة الاجتماعية بالقاهرة . فقد كتبت خطة البحث بالصورة التالية :

تعتبر ظاهرة النمو الحضرى من الظواهر الهامة التى تشهدها المجتمعات الانسانية منذ بداية القرن التاسع عشر .. وتشير البيانات الاحصائية الموثوق بها الى حقيقتين هامتين :

أولاهما : أن معدلات التحضر (ويقصد بها نسبة سكان المدن الى

(١) J. Block and Champion, Methods and Issues in Social Research, New York, 1976, pp. 105-111.

المجموع العام للسكان) تسير بسرعة اكبر من معدلات الزيادة السكانية فى العالم .

والثانية : أن ظاهرة النمو الحضرى بلغت مداها فى البلاد المتقدمة خلال القرن التاسع عشر بحيث وصلت تلك المجتمعات الى حالة قريبة من التشبع الحضرى ، على حين أن المجتمعات النامية لم تبدأ فيها ظاهرة النمو الحضرى السريع الا منذ بداية القرن العشرين ، ولذلك فان المجتمعات النامية تعانى اليوم وبصورة واضحة من التدفق المستمر للسكان الريفيين الى المناطق الحضرية (١) .

ومن الملاحظ ان ظاهرة النمو الحضرى فى جمهورية مصر العربية كانت تسير بطريقة تدريجية . ثم اخذت فى الزيادة السريعة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . وليست زيادة نسبة سكان المدن فى مصر فى ذاتها مشكلة ، وانما ترجع المشكلة الى تركز سكان المدن فى الدلتا ، وعلى وجه التحديد فى مدينتى القاهرة والاسكندرية . فبمقتضى احصاء سنة ١٩٦٠ ، استوعبت القاهرة والاسكندرية مجتمعتين أكثر من ٥٢٪ من سكان الحضر ، أما المناطق المتلاحمة الواقعة داخل كردون هاتين العاصمتين فقد استوعبت اكثر من ٥٧ ٪ .

ومن الثابت علميا ان عملية التحضر فى المجتمعات المختلفة تصاحبها تغيرات فى البناء الاجتماعى ، وتنشأ عنها أنماط مستحدثة ، وقيم اجتماعية جديدة ، وترتبط بها مشكلات اقتصادية واجتماعية وحضارية متعددة ، لعل من أهمها حدوث تفكك فى العلاقات الاجتماعية ، وطغيان القيم الفردية على القيم الجمعية ، وارتفاع معدلات الجريمة ، وعجز المؤسسات والهيئات القائمة فى المدينة عن تقديم الخدمات المتعلقة بالاسكان والمواصلات والتعليم والصحة والترويح ، وظهور الاحياء المتخلفة .

ويتجه هذا البحث الى محاولة التعرف على الآثار الاجتماعية التى تحدثها عملية النمو الحضرى ، ومناقشة نظرية التحضر فى التراث الاجتماعى الغربى فى ضوء ما يتوافر لنا من حقائق . وقد وقع الاختيار على منطقة بولاق الدكرور لتكون مجالا مكانيا للدراسة ، ذلك لأن المسح الشامل الذى أجرى فى بولاق الدكرور سنة ١٩٧٢ أظهر أن معظم سكان بولاق من

---

(1) Philipe Hauser, «The Social Economic and Technological Problems of Rapid Urbanization» in Hoselitz and Moore, Industrialization and Society, Unesco, p. 199.

النازحين اذ بلغت نسبتهم ٨٦٫٠٥٪ ، بينما بلغت نسبة الأسر التى هى من بولاق الدكرور أصلا ١٢٫٩٥ ٪ (١) .

وتنحصر النقاط التى يهدف البحث الى التعرف عليها فيما يلى :

١ — تركيب السكان فى المنطقة ، وتحديد مصادر النمو السكانى مع محاولة التعرف على دور الهجرة من الريف فى هذا النمو .

٢ — النمو العمرانى فى المنطقة وتحديد مناطق التركز السكانى .

٣ — الحالة الاسرية .

٤ — الحالة الاقتصادية .

٥ — الحالة التعليمية .

٦ — الحالة الدينية .

٧ — الحالة الصحية .

٨ — الترويح وشغل اوقات الفراغ .

٩ — المشكلات الاجتماعية الاساسية بالمنطقة .

ويمكن تحديد اهداف البحث فيما يلى :

١ — التعرف على الملامح الاساسية لمجتمع بولاق الدكرور ، وتكوين صورة متكاملة عن الظواهر والنظم الاجتماعية السائدة بالمجتمع لتكون أساسا لدراسات متعمقة فى جانب أو أكثر من الجوانب التى يكشف عنها البحث .

٢ — الوصول الى تعميمات متعلقة بالآثار التى تحدثها عمليات التحضر فى مختلف جوانب الحياة الاجتماعية ، والمقارنة بين الحقائق التى يكشف عنها البحث وبين النتائج التى أسفرت عنها البحوث التى سبق اجراؤها فى المجتمعات الغربية .

٣ — الوقوف على المشكلات الاجتماعية بمنطقة بولاق الدكرور ومحاولة ايجاد الحلول العلمية لها ، ومحاولة التعرف على المشكلات الاجتماعية المصاحبة لظاهرة التحضر عموما ، ثم الخروج بمؤشرات تفيد فى وضع السياسة الاجتماعية للدولة ، وفى عمليات النهوض بالمجتمعات المحلية .

---

(١) هيئة اليونيسيف : تقرير عن المسح الشامل لمنطقة بولاق الدكرور ونتائجه : ص ٦ .

نوع الدراسة : وصفية .

المنهج المستخدم : المسح الاجتماعى بطريق العينة .

وسائل جمع البيانات :

١ — البيانات والنشرات الاحصائية ، ومن اهمها احصاءات السكان والمواليد والوفيات ، واحصاءات الصحة ، واحصاءات الأمن واحصاءات الخدمات الاجتماعية عموما .

٢ — استمارة مقابلة (استبار) تجمع بمقتضاها البيانات المطلوبة وفقا للنقاط المحددة فى البحث .

الفترة الزمنية المحددة للبحث :

تقدر لهذا البحث مدة عامين تبدأ فى أول يناير عام ١٩٧٥ وتنتهى فى ٣١ ديسمبر عام ١٩٧٦ .

* * *

وفى دراسة عن اتجاهات الصحف المصرية تجاه مشروع السد العالى ، بدأ الاعداد لها بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية فى أواخر سنة ١٩٧٥ ، صيغت خطة البحث بالصورة التالية :

يهدف هذا البحث الى تحديد اتجاهات الصحف والمجلات المصرية نحو مشروع السد العالى بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر . فالملاحظ أن مشروع السد العالى الذى كان مفخرة من مفاخر الثورة ورمزا للارادة المصريه فى تحدى الفقر والتخلف قد أصبح محورا للانتقادات فى السنوات الاخيرة . وبينما لم تحاول الصحف المصرية فى الفترة التى سبقت وفاة الرئيس جمال عبد الناصر أن تنتقد المشروع أو تسلط الاضواء على جوانبه السلبية أو آثاره الجانبية المحتملة ، الا أن بعضها ركز الأضواء بعد وفاته على تلك الجوانب السلبية والآثار الجانبية ، والمعروف انه لكى يعمل أى نظام بفاعلية لابد من وجود نقاش موضوعى حول الجوانب الايجابية والسلبية لأى مشروع من المشروعات أو فكرة من الأفكار . وما دامت جميع الآراء ستعرض بدون تقييد ؛ فمن المحتم أن يؤدى الحوار والنقاش الى معاونة المواطنين على تكوين فكرة واقعية تتسم بالتوازن عن الامور المختلفة .

لذلك تعتبر دراسة اتجاهات الصحف المصرية فى الفترة التى تلت سنة

١٩٧٠ نحو مشروع السد العالى ، دراسة لأسلوب معالجة الصحافة لقضية حيوية . والهدف اولا تحديد اتجاه الصحف بشكل عام نحو المشروع ، ثم تحديد الصحف التى ركزت على جوانب السد الايجابية وتلك التى ركزت على جوانبه السلبية ، وتلك التى قدمت عرضا متوازنا للحقائق والآراء ، وربما يكون ذلك البحث مقدمة لعمل دراسة عن اتجاهات الجماهير نحو المشروع ومدى تأثرها بما نشر فى الصحف عن مشروع السد العالى .

أهميـــــة البحث :

تعتبر وسائل الاعلام وسيلة هامة من وسائل تكوين الاتجاهات وتدعيمها وتغييرها . لذلك يعرب البعض عن تخوفه اذا ما ركزت تلك الوســـــائل هجومها على مشروع معين أو فكرة معينة . ولقد عملت وســـائل الاعلام ، كما عملت الظروف السياسية والاقتصادية التى وجدت فى مصر منذ سنة ١٩٥٥ على تكوين رأى عام مؤيد لمشروع الســـد العالى بشدة وحماس ، كما تحملت مصر اعباء حــرب سنة ١٩٥٦ بعد تأميم شركة قنـــاة السويس لكى تبنى السد مما جعل المشروع يرتبط فى الاذهان بمعانى كبيرة .

وكأى مشروع من المشروعات لابد أن يكون له آثار ايجابية وسلبية ، ولكن النقـــد « المبـــالغ فيه » الذى وجه الى مشروع السد بعد سنة ١٩٧٠ من جانب بعض الصحف المصرية أثار قدرا كبيرا من التساؤلات ، كمـــا اختلفت الآراء حول أسلوب عرض الصحف لمادتها الاعلامية ، لذلك كان من الضرورى اجراء دراسة لتحديد موقف الصحف والمجـلات المصرية من هذا المشروع ، ولتحـــديد اتجاهات كل جريدة ومدى تحيزها أو موضوعيتها فى عرض الحقائق والآراء .

الافتراضـــات :

الافتراض الاساسى فى هذه الدراسة هو أن :

١ — نسبة الحقائق السلبية عن مشروع السد العالى زادت فى بعض الصحف والمجلات المصرية بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر .

(أ) قبلت دوريات معينة حقائق سلبية عن مشروع الســـــد العـالى وبالغت فى أهميتها .

(ب) قبلت دوريات معينة الحقائق السلبية عن مشروع السد العـالى وأشارت الى أن السد غير مسئول عنها . أو عزت تلك الجـوانب السلبية الى قصور فى تنفيذ أعمال كان يجب أن تصاحب تنفيذ المشروع .

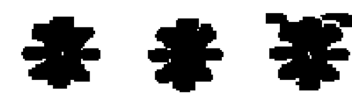
(جـ) رفضت بعض الدوريات نسبة كبيرة من الحقائق السلبية عن السد العالى واعتبرتها غير صحيحة .

٢ ـ زادت نسبة الآراء المعادية للسد العالى فى بعض الصحف المصرية فى الفترة التى تلت وفاة الرئيس جمال عبد الناصر .

مدة الدراسة : من سبتمبر سنة ١٩٧٠ حتى سبتمبر سنة ١٩٧٥ .

عينة البحث :

يتم تحليل جميع الصحف اليومية الصباحية وهى الأهرام والأخبار والجمهورية كما تتم دراسة بعض الدوريات الأسبوعية التى تصدر ، وهى آخر ســاعة والمصور وروز اليوسف وصباح الخير . وينصب البحث على كل ما كتب عن السد العالى دون اختيار عينة من هذه الكتابات .



المراجـــع

(١) باللغـة العربيـة :

١ ـ منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية : تعاطى الحشيش . التقرير الأول . استمارة الاستبار ، دار المعارف ، ١٩٦٠ .

(٢) باللغـة الانجليزية :

1. Aekoff, R.L., The Design of Social Research, the U. of Chicago Press, 1953, Chap. 1, 3.

2. Beveridge, W.L. The art of Scientific Investigation, London, 1953.

3. Black, J.A., and Champion, Methods and Issues in Social Research, John Wiley and Sons, New York, 1976.

4. Good, C.V., and Scates, D.E., Methods of Research Educational, Phsycological, Sociological, New York, 1954.

5. Hader, J., and Lindeman, E., Dynamic Social Ressearch, New, York, 1933.

6. Johada, M., Deutsch, M., and Cook, S., Research Methods in Social Relations, Part I, New York, 1953.

7. Lundberg, G.A. Social Research, New York, 1942.

8. Marquis, D., «Scientific Methodology in Human Relations». in Experiments in Social Process, James Miller, 1950.

9. Odum, H., Understanding Society, New York, 1947.

10. Selltiz, C., Johada., M. Deutsch M., and Cook, S. Research Methods in Social Relations, Henry Holt, Resived One- Volume Ed., April, 1960.

11. Whitney, F.L., The Elements of Research. New York, 1946.

***

الفصل التاسع

اختيار مشكلة البحث وصياغتها

يتفق اغلب المشتغلين بمناهج البحث العلمى على أهمية هذه الخطوة فى البحث ، وتأتى أهميتها فى انهـا تؤثر تأثيرا كبيرا على جميع اجراءات البحث وخطواته ، فهى التى تحدد للباحث نوع الدراسة التى يمكنه القيام بها ، وطبيعة المناهج وأنواع الأدوات التى ينبغى له أن يستخدمها ؛ وكذا نوع البيانات التى يجب أن يسعى للحصول عليها ، وبالتالى مدى ما يستطيع أن يسهم به فى تقدم المعرفة .

وفى كل ميدان عدد كبير من الموضوعات والمشكلات التى يمكن تناولها بالبحث العلمى الدقيق . وتنصب الدراسة فى الميدان الاجتمـاعى على الموضوعات المتعلقة بالظواهر والنظم والأنسـاق الاجتماعية والثقافيـة والعلاقات التى قد تحـدث بين الأفراد والجماعات والمجتمعات ، وما قد يحدث فى المجتمعات الانسانية من مشكلات نتيجة لاضطراب العلاقات والأوضـاع الاجتماعية . والبحوث الجيدة هى التى تلقى أضواء جديدة على الظـاهرة المدروسة ، وتفتح فى نفس الوقت آفاقا عديدة لدراسات قادمة .

ونحاول فى هذا المجال أن نحدد مفهوم المشكلة ؛ ثم نعرض للعوامل المؤثرة فى اختيار مشكلات البحث ، وكيفية اختيارها ، والأسس التى يقوم عليها ذلك الاختيار ، والنقاط التى ينبغى أن تشـتمل عليها الصياغة الصحيحة للمشكلة ، ثم نورد فى ختام هذا الفصل نماذج لبعض المشكلات فى البحوث الاجتماعية .

أولا — مفهـوم المشـكلة :

المشكلة ترجمة للكلمة الانجليزية Problem ، والكلمة الفرنسـيـة Problème ولكلمة نظائرها فى مختلف اللغات . تترجم احيـانا الى كلمة « مسألة » وهو اصطلاح شـائع فى لغة الرياضيات ، والى كلمـة « قضية » وهو اصطلاح شـائع فى لغة السياسة والقانون ، أما فى لغة

البحث الاجتماعى فان اصطلاح « المشكلة » هو الذى يشيع اســتخدامه وتداوله بين الباحثين .

وتعرف مشكلة البحث بأنها عبارة عن « موضوع يحيطبه الغموض » ، وبأنها « ظاهرة تحتاج الى تفسير » وبأنها « قضية موضع خلاف » (١).

ووفقا لهذه التعريفات ، فان مشكلة البحث ترتبط بموقف غامض غير محدد . أو بقضية موضع اختلاف ونظر ؛ ثم تدور عملية البحث فى جوهرها حول جمع الحقائق والمعلومات التى تساعد على ازالة الغموض الذى يحيط بالظاهرة ، والوصول الى تفسيرات علمية تتعلق بموضوع الدراسة .

ويخلط البعض بين مفهوم مشكلة البحث ، ومفهوم المشكلة الاجتماعية على الرغم مما بينهما من اختلاف . فالمشكلة الاجتماعية عبارة عن « موقف يتطلب معالجة اصلاحية ، وينجم عن ظروف المجتمع أو البيئة الاجتماعية، ويستلزم تجميع الوسائل والجهود الاجتماعية لمواجهته وتحسينه » (٢) . وهي عبارة عن « عقبة أو مجموعة عقبات تحول بين الظاهرة الاجتماعية وبين أدائها لوظائفها الاجتماعية الأساسية » كما تعرف أيضا بأنها عبــــارة عن « انحراف السلوك الاجتماعى عن القواعد التى حددها المجتمـــع للسلوك الصحيح » (٣) .

وواضح من هذه التعريفات أن المشكلات الاجتماعية ترتبط بالجوانب التى يصطلح على تسميتها بالجوانب المرضية ، أما مشكلات البحث فانها تنصب على الجوانب السوية والجوانب المرضية ، وعلى هـــذا فان من الخطأ الخلط بين المفهومين حيث ان اصطلاح مشكلة البحث أوسع حدودا ومدلولا، وأكثر شمولا وامتدادا من اصطلاح المشكلة الاجتماعية .

* * *

ثانيا — العوامل المؤثرة في اختيار مشكلة البحث :

يتأثر اختيار الباحث لمشكلة البحث بعدة عوامل أهمها : الهدف الذى

---

(١) Lilian Ripple, Problem Identification and Formulation, in Polansky, op. cit., pp. 25-27.

(٢) Fairchild, Dictionary of Sociology, New York, 1944, p. 289.

(٣) Clinard, M., Sociology of Deviant Behavior, New York 1961, p. 3.

يسعى اليه الباحث من وراء دراسته ، ونوع الفلسفة السياسية والاجتماعية القائمة فى الدولة ، وقيام بعض الافراد او الهيئات بالاتفاق على البحث ، ومدى توفر الامكانيات اللازمة للبحث ، ودوافع الباحث الشخصية . وتعرض فيما يلى لهذه النقط بشىء من التفصيل .

١ — الهدف من البحث :

توجد عدة عوامل تحدد الهدف من البحث . وهذه العوامل هى :

١ — الدافع العلمى : قد يكون الهدف من الدراسة هو مجرد البحث العلمى البحث Pure Research كاختبار نظرية من النظريات ، أو الوصول الى حقائق يمكن أن تعتبر أساسا لنظرية جديدة . وحينما يقوم الباحث بدراسة نظرية يكون هدفه الرئيسى هو مجرد اشباع الفضول العلمى ، وتقديم اضافات مبتكرة الى العلم فى حد ذاته دون نظر الى ما قد يترتب على البحث من تطبيقات عملية .

٢ — الدافع العملى : قد يكون الهدف من البحث هو الاستفادة المباشرة بالعلم فى خدمة المجتمع عن طريق الوصول الى حلول المشكلات التى تواجه الافراد والجماعات ، كمشكلة شغل أوقات الفراغ أو مشكلة الاحداث الجانحين أو مشكلات العمال المهاجرين الى المدينة . ويطلق على هذا النوع اسم « البحث العلمى Practical Research »

وقد حاولت « بولين يونج » أن تفرق بين أهداف البحث العلمى والعملى فقالت : « أن البحث الاجتماعى العلمى طريقة منهجية تمكننا من اكتشاف حوادث جديدة ، والتثبت من حوادث معروفة وملاحظة طبيعتها وصلاتها المشتركة ، واستنباط المبادىء السببية التى تربط بينها وبين القوانين المنظمة لها . أما البحث العملى فهو على النقيض من ذلك ، اذ أن غايته هى ايضاح المشاكل الراهنة لتمكين المجموع من حلها بشكل مناسب . وهو يعتمد فى ذلك على التحقيقات التى يقوم بها حول نقاط خاصة ، وعلى الاعمال الدائمة التى تنتهى بالاحصاءات » .

وقد أثيرت مناقشات كثيرة حول أهمية الدافع العلمى والدافع العملى فى البحث . أيهما أهم ؟ وهل من واجب الباحث أن يقوم ببحثه لغرض العلم فقط ، أو حلا لمشكلة قائمة فى المجتمع ؟

ويرى مؤيدو الجانب العلمى أن البحث النظرى لا يخدم الجانب العلمى فقط وانما يخدم الجانب العملى بطريق غير مباشر . فعن طريق البحث

النظرى يستطيع الباحث أن يستنبط المبـــادىء والقوانين المنظمة لظواهر الحياة ، وبمعرفة القوانين يستطيع الانسان أن يتنبأ بما يحـدث للظواهر المختلفة تحت ظروف معينة ، وبتطبيق القوانين يستطيع الانسان أن يساهم فى حل المشكلات الاجتماعية ، ويتحكم فى ظواهر الحياة لخـــدمة الانسانية جمعاء (١) .

فالابحاث الرياضية التى قام فاراداى وماكســـويل كانت تبدو لكل شخص يعيش فى عصرهم أنها لا تتصل بأية ناحية عملية ، الا انه تبين بعد ذلك أن هذه الابحاث هى الاساس لتقدم اللاسلكى . ويرون أيضا أن البحث النظرى كلما بعد عن المواضيع المحلية الوقتية كلما كانت الحقائق التى يصل اليها أعم وأقوى ، كما أنه يكون بعيدا عن التحيزات الميدانية .

ويرى مؤيدو الجانب التطبيقى أن تقـدم العـلوم يتوقف على مـدى الاستفادة منها فى حل مشكلات الحياة الواقعية . كما يرون ايضـا أن البحث التطبيقى قد يكشف عن معلومات وبيانات وحقائق لم يسبق للبحث العلمى اكتشافها والوصـــول اليها ، فتتحقق بذلك فائدتان : احـــداهما نظرية والأخرى تطبيقية . فدراسة المشكلات التعليمية فى المدارس مثــلا تفتح مجالا لدراسة التنشئة الاجتماعية أو الفروق الفـردية بين طلبـة المدارس ، أو غير ذلك من الموضوعات ذات القيمـة النظرية ، كمـا أن البحث التطبيقى قد يختبر احـدى النظريات العلمية فى ميدان من الميـادين العلمية ، وبذا يمكن التحقق من قيمة النظرية وصدقها (٢) .

والواقع أن من الصعب على الباحث أن يضع خطا فاصـلا بين المشكلات التى تعتبر من اختصاص أسلوب البحث الاجتماعى العلمى وبين المشكلات التى تدخل فى نطاق أسلوب البحث الاجتمـاعى العملى . وكثير من الظواهر الاجتماعية ليس لها وجود مادى ملموس الا فى نطاق الواقع العملى . وهذه الصلات بين البحث العلمى والواقع العملى تظهر بوضوح فى آثار كبار الباحثين امثال ميردال Myrdal الذى درس مشكلة الزنوج فى الولايات المتحدة والذى قام ببحوث علمية واستقصاءات عن المشكلة ، وكان غرضه من وراء هذه الدراسة تقديم حلول للمشكلات على أساس ديمقراطى سليم . وكذلك تتصل الأبحـاث العلمية التى قام بها التون مايو E. Mayo فى الولايات المتحدة وفريدمان فى فرنســا برباط وثيق بالجهود الرامية الى

---

(١) G. Landberg, Social Research, p. 31.

(٢) W. Goode, P. Hatt., Methods in Social Research, pp. 34-39

أهداف مماثلة . وهناك أمثلة كثيرة يمكن أن تضاف الى ما قدمنا تبين مدى الترابط بين البحث العلمى والوقائع العمليـــة فى دراســات كبار العلمــاء الاجتماعيين المعاصرين .

وعلى هذا يمكننا القول بأن هناك تداخلا وتيقا بين البحث العلمى والبحث التطبيقى ، واذا كانت هناك تفرقة بينهما من ناحية الاهداف فانها تفرقة فى المدى القريب ، أما فى المدى البعيد فانهما يلتقيان معا ويحققان أهدافا نظريه وعملية . أما من ناحية المنهج فانهما لا يختلفان معا فى قليل ولا فى كثير . فكلاهما يستخدم المنهج العلمى . والمنهج العلمى واحد مهما تنوعت المشكلات أو اختلفت أهداف القائمين على الدراسة .

٢ ـ الفلسفة الاجتماعية والسياسية للدولة :

فى البلاد التى تتولى فيها الحكومة سياسة التخطيط ، تعمل الحكومة على تشجيع البحوث التى تساعد على جمع الحقائق والبيانات التى تلزم لعملية التخطيط والتى تفيد فى التعرف على الاهداف المختلفة للافراد والجماعات وقياسها كما وكيفا ، وترتيبها حسب أولويتها ، والتعرف على ميول الافراد واتجاهاتهم ، والوقوف على المشكلات الاجتماعية القائمة ، وتحديد مدى تأثيرها فى المجتمع ، والتعرف على الجماعات المهتمة بحل هذه المشكلات وتقدير الموارد والامكانيات ، والتى يمكن استخدامها لعلاج المشكلات ثم اقتراح الحلول لها . ومن الامثلة على ذلك المذكرة التى تعرض فيها لجنة التخطيط القومى لميادين البحث الاجتماعى المتصلة بالتخطيط القومى والتى جاء فيها : نفى هذا الاطار ـ اطار التخطيط القومى للتنمية الاقتصادية والاجتماعية لتكوين مجتمع اشتراكى ديمقراطى تعاونى ـ تقترح اللجنة أهم ميادين البحث فى جوانب التنمية الاجتماعية وتركيزها فى خمسة عناصر : دالة التفضيل Preference Function ، وأثر الاقتداء Demonstration Effect وحوافز النشاط والعمل ، والنظم الاجتماعية ، والمقاييس الاجتماعية (١) .

---

(١) ابراهيم حلمى عبد الرحمن وأمام سليم : نخبة من ميادين البحث الاجتماعى المتصلة بالتخطيط القومى . مذكرة مقدمة الى اجتماع ممثلى الدول الناطقة باللغة العربية لبحث مصادر العلوم الاجتماعية المنعقدة بالقاهرة من ١٨ — ٢٥ نوفمبر ١٩٥٩ .

وقد نشرت فى كتاب « التكنولوجيا والمجتمع » اعداد وتقديم الاستاذ الدكتور حسن الساعاتى ، دار المعرفة ، ١٩٦٢ ، ص ٩٢ — ١٠٢ .

وتوضح المذكرة أهمية دالة التفضيل فى التخطيط القومى على النحو التالى : من الناحية الاقتصادية يؤدى الدخل الى نمط جديد من الانفاق ، ومن الناحية الاجتماعية يدفع كل تغير اجتماعى الى مجموعه جديده من الانفعال والاتجاهات السياسية والشعور بالانتماء الى المجتمع ، ولهذا أهميته وخاصة بالنسبة للتطور القومى ، وله أثر بالغ فى النشاط الاقتصادى . والتفضيل يؤدى الى الطلب الذى يمكن تغطيته عن طريق العرض ، فيجب اذن دراسة نسب الطلب والعرض من حيث توافرها وآثارها الاقتصادية والاجتماعية .

والجماعات تفضيلاتها وطلباتها ، وليست تفضيلات الجماعة هى مجموعة تفضيلات الافراد الذين تتكون منهم الجماعة ، وانما هى عملية تجميع وتوفيق ومزج وتمثيل يبدأ من الفرد وينتهى بالجماعة ، لذلك كان من الواجب دراسة التماسك الاجتماعى وتضامن الجماعة عن طريق النظر الى تفضيلات الأفراد .

وتقول المذكرة عن الاطار النظرى الذى توضع فيه مشكلات البحث الخاصة بهذا الجانب : « لا يمكن أن يكون التقدم الاقتصادى المطمع الوحيد للافراد أو الأمم ، بل لابد من أهداف أخرى سياسية واجتماعية . ان الطموح السياسى يأتى فى المقدمة ، يليه التنمية الاقتصادية ، ثم يأتى دور التقدم الاجتماعى ،وليس ضروريا أن تتسلسل الاحداث على هذا النحو فى كل بلد يحقق استقلاله ، وخير من ذلك أنه يبحث تكامل الآمال السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ثم يستنبط منه طريقة العمل المناسبة لتحقيق هذه الآمال ، ويتطلب هذا التكامل القومى دراسة تفضيلات الافراد والجماعات فى الدولة » (١) .

وتستمر المذكرة فى عرض ميادين البحث فى بعض الجوانب الاجتماعية المرتبطة بالتخطيط ، داعية الى اختيار المشكلات وتخطيط البحوث فى ضوء الفلسفة الاجتماعية والسياسية للدولة .

وبالرجوع الى القانون رقم ٢٢١ لسنة ١٩٥٩ الخاص باعادة تنظيم المعهد القومى للبحوث الجنائية وجعله ــ المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ــ فاننا نراه يوضح اغراض المركز بأنها النهوض بالبحوث العلمية التى تتناول المسائل الاجتماعية المتصلة بسائر مقومات

---

(١) المرجع السابق ، ص ٩٧ .

المجتمع العربى ، والمشاكل التى يعانيها ، لوضع الاسس اللازمة لسياسة اجتماعية وقائية وعلاجية وجزائية تتفق واحوال البلاد . وقد أوضح المركز أنواع البحوث التى يقوم بها والاتجاهات التى يسير فيها بقوله فى أحد منشوراته : « والعلم الذى يأخذ المركز بأساليبه لا يمكن أن ينفصل عن التطبيق ، لذلك فان بحوث المركز ودراساته يقصد بهما الكشف عن الحقائق العلمية التى تتخذ أساسا لسياسة تخطيطية وتطبيقية سليمة . وان هذا الاتجاه الذى سار فيه المركز منذ انشائه يعتبر تحقيقا لما جاء فى الميثاق من أن : على مراكز البحث العلمى فى هذه المرحلة من النضال أن تطور نفسها بحيث يكون العلم للمجتمع ، فان العلم للعلم فى حد ذاته مسئولية لا تستطيع طاقتنا الوطنية فى هذه المرحلة أن تتحمل أعباءها » .

من هذا العرض يتبين لنا أن فلسفة الدولة السياسية والاجتماعية تؤثر تأثيرا كبيرا فى تحديد مشكلات البحث واتجاهاته وميادينه .

٣ ـ تمويل البحث :

ان القيام بالبحوث يحتاج الى كثير من المال الى جانب الجهد العلمى والبشرى . وفى كثير من البلاد تتولى الهيئات والمؤسسات العامة تقديم معونات ومنح مالية للباحثين ، وتدعوهم للعمل فى مجموعات متعاونة ، وفى أغلب الاحيان تحدد هذه الهيئات والمؤسسات أنواع المشكلات التى ترغب فى دراستها ، أو على الاقل ميادين الدراسة (١) .

ويلاحظ فى هذا النوع من البحوث التى تمولها الحكومات والهيئات المختلفة أن الباحثين يحاولون اقناع القائمين بتمويل البحث بأهمية الانفاق على البحوث ، فيعملون على توسيع حدود المشكلة التى يتناولونها بصورة تجعل لها قيمة أو دلالة اجتماعية كبيرة ، غير أن الباحثين يواجهون صعوبة كبيرة عندما يوازنون بين ما يقتضيه توسيع حدود المشكلة وبين ما تحتمه الامكانيات العلمية والعملية التى يستطيعون الاستعانة بها فى انجاز بحوثهم .

وقد يتخذون فى بعض الاحيان حلا وسطا ، فيختارون مشكلة لها دلالة اجتماعية كبرى ، ثم يقتصرون على دراسة بعض جوانبها دون البعض الآخر . وقد واجه المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية هذه المشكلة فى بداية انشائه . فكما يقول التقرير الاول الذى نشر عن

---

(١) الجمهورية العربية المتحدة : المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ٢٣ يوليو ١٩٦٢ ، ص ٥ .

تعاطى الحشيش فى جمهورية مصر العربية : « والدولة شديدة الحساسية فى هـذه المرحلة بمعنى أنها تريد أن تطمئن على أن البحوث التى تنفق عليهـا سوف تنتهى الى نتائج اجتماعية ذات فائدة عملية تتناسب وما أنفق عليها ، وفى مثل هـذا الجو الاجتماعى يكون من الحكمة انتقاء مشكلة للبحث ذات أهمية اجتماعية ملموسة . ومن الحكمة أيضا الا يتأخر ظهور النتائج كثيرا ».

وفى البحوث التى تمولها الحـكومات والهيئـات ، ينبغى ألا يتخلى الباحث عن موضوعيته ، وعليه أن يلتزم بالحقائق العلمية التى توصـل اليها فعلا ، وأن يكون أمينا فى عرض نتائج البحث ، ذلك لأن الأمانـة العلمية ينبغى أن توضع فوق كل اعتبار .

٤ ــ مدى توافر الامكانيات العلمية اللازمة للبحث :

تؤثر الامكانيات العلمية المتاحة للبحث من مناهج وأدوات قيـاس واحصائيـات وباحثين متخصصين تأثيرا كبيرا فى تحـديد مشكلات البحث . فبعض الباحثين يقتصرون على دراسـة المشكلات التى يمكن دراسـتها بالمناهج والأدوات العلمية التى تحت أيديهم ، بينما يحـاول البعض الآخر دراسة المشكلات التى تعرض لهم دون تقيد بهذه المناهج والأدوات .

وقد تعرض « ردل Redl » لهذه النقطة حينما تحـدث عن العلاقة بين المستفيد من البحث وبين الباحث فقال : ان الباحث حينما يدعى لدراسة موضوع كجناح الأحداث مثلا فانه يسأل نفسه : ماذا ينبغى أن نستعمل من أدوات البحث بدلا من أن يسأل نفسه : ماذا نحتـاج لنعرف عن الشباب المنحرف ؟ ثم يعنى بعد ذلك بتحديد المشكلة بصورة تمكنه من الاستفادة من أدوات بحثه المألوفة فى معالجة المشكلات . ويبدو هذا بوضوح فى الموضوعات التى تقدمت فيها وسائل القياس حتى أنه ليبدو أن الافلات من اجراءات البحث المعتادة قد يكون شجاعة فنية (١) .

وقد سبقت الاشارة الى أن من الضرورى أن يعنى الباحث بتصميم أدوات جديدة للقياس وتطوير مناهج البحث القائمة بما يتلاءم مع نوعيـة الظواهر التى يدرسها ، فالتقدم العلمى مرتبط بتقدم وسائل القياس ، كما هو مرتبط بما يتوصل اليه الباحثون من قوانين ونظريات .

وتختلف حـدود مشكلات البحث بعـدد البـاحثين المتخصصين الذين

---

(١) F. Redl, Research Needs in Delinquency Field, the Child, Vol. 4, No. 1, Jan., 1957, p. 16.

يمكنهم الاشتراك فى الدراسة ، فكلما توافرت الكفاءات العلمية اللازمة للبحث ، أمكن توسيع حدود المشكلة وبحثها من جميع جوانبها . فمشكلة البحث التى يدرسها باحث واحد تختلف عن المشكلة التى يتناولها عشرة من الباحثين فى حدودها وطريقة تناولها والنتائج التى يمكن أن يسفر عنها البحث .

ومن الأمور المألوفة فى الوقت الحاضر ، اشتراك عدد كبير من الباحثين فى بحث واحد وهو مايعرف باسم « فريق البحث المختلط Miexed team» وذلك لدراسة جميع أبعاد المشكلة موضوع الدراسة ، وتحديد الاوجه المختلفة لها . ويشبه فريق البحث المختلط الفريق المشترك فى بناء عمارة ، اذ يشارك كل عضو بجزء من عمليات البناء مستندا الى خبرته التى تغاير خبرات الآخرين بحيث أن المجهود المتكامل للاعضاء يسفر عن انجاز البناء أو البحث المطلوب (١) .

ومن الأمثلة على ذلك ما قام به المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية بالاشتراك مع منظمة اليونيسيف فى دراسة احتياجات الطفولة فى جمهورية مصر العربية . فنظرا لاشتراك عدد كبير من المتخصصين فى هذا البحث ، فقد أمكن دراسة تلك الاحتياجات من النواحى الطبية والنفسية والاجتماعية والتربوية والاقتصادية والقانونية ، كما أمكن دراسة تلك الاحتياجات فى الريف والحضر ، وجمع البيانات من عدد كبير من الاطفال والآباء والأمهات (٢) .

٥ ــ العامل الشخصى :

كثيرا ما يكون للخبرات التى يمر بها الباحث ، والقيم التى يؤمن بها والاتجاهات السائدة فى تفكيره أثر كبير فى اختياره المشكلة . فاذا كان منتميا الى أقلية دينية أو عنصرية مثلا ، فقد يفكر فى بحث أحوال الاقليات ودراسة مشاكلهم . وفى هذه الحالة يجب عليه أن يتحرر من نزعاته وأهوائه الشخصية بقدر الامكان ، وأن يكون موضوعيا فى دراسته ، غير متأثر بهذه الاتجاهات الفردية أو النزعات الخاصة .

***

---

(1) L. Frank, Research For What ? The Journ. of Social Issues 1957.

(٢) كان مؤلف الكتاب مقررا للجنة الاجتماعية لهذا البحث خلال الفترة من سنة ١٩٦٨ حتى سنة ١٩٧٠ .

ثالثا — كيفية اختيار المشكلة :

يرى كثير من العلماء أن تحديد المشاكل أصعب بكثير من ايجاد الحلول لها . وفى ذلك يقول دارون : انك لتعجب كم قضيت من الوقت لاتبين بوضوح نوع المشاكل التى تحتاج الى بحث أو تفسير . وانتى اذ أعود بذاكرتى الى الوراء — وبعد أن أتممت أبحاثى بنجاح — أرى أن تحديد المشكلات كان أصعب بكثير من ايجاد الحلول لها .. الا أن ذلك لشىء عجيب حقا !! (١) . وهذا الذى يعجب له دارون يراه العلماء المحدثون أمرا عاديا . فقد أشار عدد كبير من الباحثين المعاصرين الى أن الصعوبة الكبرى فى معظم البحوث تتمثل فى ايجاد الاسئلة أكثر مما تتمثل فى الاجابة عليها .

ويذهب « جـون ديـوى «John Dewey» الى أن المشـكلة تنبع من الشعور بصعوبة معينة ، وهذا الشـعور يرتبط بموقف غامض يتحـدى تفكير الباحث ، ويدفعه الى استجلاء غوامضه ، والكشف عنه .

وكثيرا ما يحدث أن تكون المشكلة التى يراد دراستها تحت نظر كثير من الناس ، الا أن الباحث المدرب وحده هو الذى يتبين وجودها ويلاحظها ويدفعه الفضول العلمى الى التساؤل عن أسبابها وحقيقتها . ففلتـات اللسان كانت ظاهرة عادية الى أن استطاع فرويد Freud أن يكشف عن أهميتها فى اظهار الدوافع اللاشعورية عند الفرد .

وأحيانا يكون للصدفة وحدها الفضل فى الكشف عن مشاكل لم يكن الباحث يسعى اليها . وقد سبق أن عرضنا للعلاقة بين الملاحظـة غير المقصودة والملاحظة العلمية المقصودة ، وبينا كيف أن الثـانية قد تكون امتدادا للاولى (٢) .

وقد يحدث فى بعض الاحيان أن تعترض الباحث ظروف ، أو تعن له أفكار تجعله يتساءل عن حقيقتها . فقـد يتبادر الى الذهن مثلا أن وجـود التليفزيون فى المنزل يؤدى الى زيادة عدد المترددين على الاسرة من أقارب وجيران ، أو أنه يؤثر فى مواعيد نوم الاسرة ، وراحة أفرادها ، أو أنه يشغل أفراد الاسرة — وخاصـة الطلبـة منهم — عن أداء أعمالهم .. الى غير ذلك من الأفكار التى تعن للفـرد ، والتى يمكن أن تتخـذ أساسا لبحث علمى .

---

(١) R. Merton, Notes on Problem Finding in Sociology, in «Sociology today» 1959, p. IX.

(٢) راجع ما كتبناه عن الملاحظة غير المقصودة فى الفصل الثانى .

وقد يسترشد الباحث فى بعض الأحيان فى تحديد مشكلته بنظرية لها سندها . فيحاول أن يختبر النظرية فى ميدان جديد أو يدخل متغيرات جديدة الى النظرية القائمة ، أو يستفيد من تقدم المقاييس والاختبارات العلمية فى القاء ضوء جديد على النظرية القائمة ، وقد سبق أن بينا أن النظرية العلمية بتلخيصها للحقائق العلمية المعروفة تشير الى النواحى التى لم تبحث من قبل ، وضربنا لذلك عدة أمثلة منها ما قام به « سذرلاند Sutherland» حينما وجد أن نظريات الجريمة لا تحيط الا بجرائم المحترفين، فحاول أن يكشف من أنواع أخرى من الجرائم . وقد هدته دراسته الى ذلك النوع من الجرائم الذى نطلق عيه اسم « جرائم الخاصة » . وتعتبر طريقة البحث المبنى على نظرية سابقة أعلى درجات البحث العلمى ، اذ أن الباحث يسترشد بقوانين علمية صحيحة ، ونظريات لها سندها وقوتها، ولذا ينبغى أن يتجه الباحث الأكاديمي الى هذا النوع من البحوث.

ولاختيار مشكلة البحث يرى العلماء أن من الممكن النظر الى اية حادثة اجتماعية ، ثم يوجه الباحث لنفسه هذا السؤال : لم حدثت هذه الظاهرة ؟ ويحاول أن يجعل من سؤاله نقطة البدء فى بحث جديد ، فيضع الاحتمالات والفروض ، ويحاول التأكد من صحتها أو خطئها . فلو أضرب عمال مصنع من المصانع أو زادت نسبة الانتحار فى مجتمع من المجتمعات فى فترة زمنية ، فما على الباحث الا أن يسأل عن أسباب حدوث هذه الظواهر ، ثم يحاول أن يجيب عليها ويسعى الى ايجاد تفسيرات لها .

ونحن نرى أن اضافة لم ؟ الى أية حادثة أو ظاهرة ليست كافية لاختيار مشكلة لها قيمتها العلمية ... ولو كان الأمر بسيطا الى هذا الحد لما صعب على الباحثين ايجاد مشاكل لدراساتهم . ثم ان التساؤل عن العلل والأسباب كثيراً ما يكون عقيما . وقد سبق أن ذكرنا ما قاله جون ستيوارت ميل وديفيد هيوم وغيرهما من أنه اذا كان العقل البشرى فى صباه يميل الى التساؤل عن العلل والأسباب ، فان من الواجب فى مرحلة النضوج العلمى أن يحاول العقل الكشف عن العلاقات .

هذا ويستطيع الباحث أن يستمد مشكلات البحث من عدة مصادر اهمها :

١ ـ ميدان التخصص :

يعتبر مجال تخصص الباحث المصدر الأول لاختيار مشكلات البحث، وكلما كان الباحث متعمقاً فى ميدان تخصصه ، سهل عليه أن يحصر الموضوعات

التى لم تدرس من قبل أو التى لا تزال فى حاجة الى مزيد من البحث والاستقصاء . وينبغى على الباحث أن يقوم بعملية مسح مكتبى للبحوث التى سبق اجراؤها فى ميدان تخصصه .

وتتضمن عملية المسح هذه الاطلاع على الأبحـــاث التى تم نشرها ، والأبحاث التى لم تكتمل بعد والتى تنشر فى المجلات والدوريات العلمية ملخصا لما تم اجراؤه منها ، والرسائل العلمية غير المطبوعة والتى تقدم بها أصحابها لنيل درجات جامعية كرسائل الماجستير والدكتوراة اذ أنها كثيرا ماتتضمن اقتراحات لموضوعات جديدة .

ومن المفيد أن يقوم الباحث بتحليل تلك الدراســـات والبحوث تحليلا وافيا ، فاذا وجد أن الباحثين السابقين قد أغفلوا بعض الجوانب التى يشعر بأهميتها ، أو اختلفوا فى الرأى حولها ، فانه يستطيع أن يستفيد من تناقض النتائج ، واختلاف الآراء ، ثم يحاول البدء فى بحث جديد لاكمال الجوانب التى أغفلها الباحثون السابقون أو اختلفوا فى تفسيرها .

وفيما يلى مقترحات أربعة تدور حول هذه النقطة وتوجـــه للباحث لتكون هاديا له ومرشدا عند اختيار احدى المشكلات .

١ — حاول أن تحلل ما أمكن الوصول اليه من معلومات ومعارف .

٢ — تبين الجوانب الناقصة أو الغامضة فى البحـــوث السابقة Areas of Darkness .

٣ — لاحظ النقاط التى تضاربت حولها آراء الباحثين أو التى لم يتم اختبارها بالبحث العلمى السليم .

٤ — استفد بمعارفك التى حصلتها ، وحاول أن تلقى ضوءا على النقاط التى لم يتم بحثها ، أو التى تضــــاربت حولها الآراء ، واختلفت بشأنها وجهات النظر (١) .

ويرى البعض أن الأبحاث العلمية يجب أن تمس موضوعات جديدة لم يسبق تناولها ، بينما يرى فريق آخر أن ذلك يؤدى الى بعثرة وضــــياع جهود الآلاف من الباحثين بين موضوعات واسعة مختلفة لا رابط بينها .

---

(١) F.L. Whitney, the Elements of Research, p. 70.

ولذا يقترح لونديرج وكثيرون من المشتغلين بمناهج البحث العلمى تشجيع الباحثين على اختيار موضوعات سبق لغيرهم دراستها ، وذلك للتأكد من صحة النتائج التى توصل اليها الباحثون السابقون (١) .

٢ — الدراسات الفرعية :

لا يشترط أن يكون مجال تخصص الباحث هو المصدر الوحيد الذى يستمد منه مشكلات البحث . فالباحث يستطيع أن يجد فى دراساته الفرعية — وأن بعدت نوعا ما عن ميدان تخصصه — ذخيرة من الموضوعات التى تصلح للدراسة ، فيذكر داروين مثلا أنه استوحى كثيرا من المشكلات المرتبطة بنظرية التطور من قراءته لكتابات مالتس عن السكان ، كما أن كثيرا من النماذج التى استخدمها الباحثون الاجتماعيون — على اختلاف تخصصاتهم — قد استعاروها من علوم أخرى ، ويذكر كثير من الباحثين أن المشكلات التى تناولوها بالبحث قد استوحوها من المناقشات العلمية التى درسوها بالجامعة سواء أكانت هذه المواد فى ميدان تخصصهم أو بعيدة عن الميدان .

ويستطيع الطالب الجامعى — وطالب الدراسات العليا على وجه الخصوص — أن يستفيد من المناقشات التى تثار أثناء المحاضرات وحلقات البحث ، وعليه أن يسجل النقاط التى تدور حولها المناقشة ، فقد تساعده يوما ما فى اختيار مشكلة للبحث اذا أراد . ومما يروى عن « كلارك هل Hull » عالم النفس المشهور أنه كان يشكو من ضعف ذاكرته ، ولذا عمد منذ التحاقه بقسم الدراسات العليا بالجامعة الى تسجيل النقاط الرئيسية التى كانت تدور حولها المناقشات كما كان يدون كل ما يعن له من أفكار ، وما يقع تحت بصره من ملاحظات . ولم تفده هذه الطريقة فقط فى التغلب على ضعف الذاكرة ، بل أفادته فائدة كبرى فى التعرف على النقاط الهامة التى تستحق الدراسة ، وفى التوصل الى كثير من مشكلات البحث (٢) .

٣ — الاطلاع العلمى :

لا ريب فى أن كل دراسة تبدأ من حيث انتهت الدراسات السابقة . كما أن ما يصل اليه الباحث من نتائج يعتبر بداية لأبحاث جديدة . وعلى هذا فان الباحث يستطيع أن يستفيد من اطلاعه ومن قراءاته الخارجية فى مختلف الميادين .

---

(١) G. Lundberg, op. cit., pp. 33-34.

(٢) C. Good and D. Scates, Methods of Research, p. 49.

وتتضمن اطلاعات الباحث على ما تنشره الجرائد والمجلات عن بعض المشكلات الاجتماعية التى تحتاج الى حلول علمية ، كمشكلة الأخذ بالثأر أو تعاطى المخدرات أو التعطل ، أو مشكلة الهجرة ، أو الطلاق أو زيادة السكان ... الى غير ذلك من الموضوعات .

وكثيرا ما يستفيد الباحث من قراءته للكتب الأدبيـــة ، فالقصص الأدبية التى تتميز باتجاهها الواقعى كثيرا ما تثير تســـاؤلات عديدة قد تدفع الباحث الى محاولة التثبت من صحتها بالقيام بدراســـة علمية جديدة .

***

رابعـــا — الأسس التى يقوم عليها اختيار المشكلة :

سبقت الاشارة الى أن خطوة اختيار المشكلة تعتبر من أهم خطوات البحث وأكثرها صعوبة ، وغالبا ما يجد الباحث نفسه فى حيرة من أمره امام عدة مشكلات للبحث ، أيها يترك وأيها يختار ؟ ولذا ينبغى أن يضع الباحث أمامه عدة أسس ومعايير يتم بمقتضاها الاختيار السليم للمشكلة المناسبة ، وهذه الأسس تتحدد فى اطار النقـــاط التى عرضنا لها من قبل ، وبخاصة فيما يتعلق منها بالعوامل المؤثرة فى اختيـــار المشكلة ، ومصادر المشكلات ، وفيما يلى أهم هذه الأسس :

١ — احساس الباحث بالمشكلة وشعوره بها . فهذا الشـــعور هو الحافز الطبيعى الذى يحفز العقل على التفكير ، ويدفعه الى البحث والاستقصاء .

٢ — أهمية المشكلة ومدى ما يمكن أن تحققه من فائدة بالنسبة للعلم والمجتمع . فبعض المسائل يمكن الاجابة عنها والحصول على بيانات بشأنها دون القيام ببحث علمى ، وفى مثل هذه الأحوال يجدر بالباحث أن يوفر على نفسه عناء البحث والاستقصاء ، وأن يتخير مشـــكلة تتميز بالأصـــالة والعمق ، وتكون لها دلالتها العلمية .

وبالمثل يستطيع الباحث أن يتخير الموضوعات التى تحقق أهدافا علمية . وقد سبق أن بينا أن هذا النوع من المشكلات كثيرا ما يتحدد فى ضوء الاطار السياسى والاجتماعى للدولة ، أو فى ضوء حاجة الممول الذى يقـــوم بالانفاق على البحث .

٣ — تدريب الباحث : يجب أن تكون المشكلة فى ميدان تخصص الباحث حتى يمكنه أن يحصر مختلف العوامل المؤثرة فى المشكلة ، وحتى يستطيع القيام بالبحث على أساس سليم . ويجب على المبتدىء فى البحث أن يحسن التصرف فى الاختيار . فلا يتعرض لموضوع عام واسع ، بل يركز جهوده على نواح محددة واضحة ويمكن الاستعانة بالأســـتاذ المشرف على البحث فى تحديد أبعاد المشكلة وحدودها اذا لزم الأمر .

٤ — جدة الموضوع وتجنب التكرار غير المقصود : يجب على الباحث أن يتأكد من أن موضوع البحث لم يسبقه اليه أحد . وليس فى هذا القول تناقض مع ما سبق أن ذكرناه من أن فى وسع الباحث أن يدرس احدى المشكلات التى سبقت دراستها . فهناك فارق كبير بين أن يقوم الباحث بدراسة مقصودة هدفها التحقق من صدق النتائج التى توصل اليها غيره من الباحثين ، وبين أن يقوم بدراسته ثم يكتشف فى نهاية الأمر أن آخرين قاموا بدراسة مماثلة ، وأنهم سبقوه الى النتائج التى توصل اليها . وكثيرا ما نسمع عن باحثين أكاديميين كانوا يعدون دراساتهم للماجستير أو الدكتوراة ، ثم تبينوا — قرب انتهائهم من دراساتهم — أن غيرهم قد تقدموا بنفس الموضوعات الى جامعات أخرى . وهنا يجدر بنا أن ننبه الى أن من الضرورى على الباحث أن يقوم بمسح كامل للبحوث التى سبق اجراؤها حتى لا يقع فى مثل هذا الخطأ .

٥ — توفر المصادر والمراجع العلمية والبيانات المطلوبة لمشكلة موضوع الدراسة : فلا يجوز لباحث أن يتخير مشكلة اذا تبين له أن المراجع المطلوبة غير متوفرة أو أن البيانات اللازمة لتحقيق اغراض البحث غير موجودة ولا يمكنه الحصول عليها لأى سبب من الأسباب .

٦ — توفر الامكانيات المادية والبشرية اللازمة للبحث : يجب على الباحث أن يتخير مشكلته فى حدود الامكانيات المادية والبشرية القائمة حتى يستطيع القيام بالبحث على أكمل وجه وأحسنه .

٧ — مراعاة الزمن المحدد للبحث : من الضرورى أن يضع الباحث فى اعتباره عند أختياره للمشكلة الوقت الذى يستطيع أن ينفقه فى البحث . فكلما كان الوقت متوفرا أمكنه أن يوسع حدود المشكلة ، وبالعكس اذا كان الزمن محدودا ، والوقت ضيقا .

***

خامسا — صياغة المشكلة :

بعد أن يتخير الباحث الموضوع الذى يرغب فى دراسته ، عليه أن يعمل على تحديد المشكلة تحديدا دقيقا . وينبغى أن تتضمن الصياغة الصحيحة للمشكلة عدة نقاط أهمها :

١ — تحديد الموضوع الرئيسى الذى وقع عليه أختيار الباحث .

٢ — تحديد النقاط الرئيسية والفرعية التى تشتمل عليها المشكلة .

٣ — تحديد العوامل الرئيسية التى دفعت الباحث الى أختيار المشكلة ، وما يرجو تحقيقه من وراء اجراء البحث من فوائد نظرية وعملية .

٤ — التعريف بأهم الدراسات التى أجريت فى موضوع البحث ، الموضوعات القريبة الصلة به ، ثم تحليل أهم النتائج التى توصل اليها الباحثون السابقون ، والتعريف بالاضافات التى يبغى الباحث تقديمها فى دراسته

٥ — التعريف بالصعاب التى يتوقع الباحث أن يواجهها فى بحثه. وتضيف سيلتيز وزملاؤها نقاطا أخرى هى : تحديد مسلمات البحث وفروضه ، وتحديد نوع الدراسة ومصادر البيانات والأدوات التى يمكن استخدامها فى البحث ، غير أن هذه النقاط يمكن أن تتضمنها خطة البحث المقترحة ولا داعى لتحديدها فى خطوة صياغة المشكلة .

وقد تكون صياغة المشكلة على هيئة أسئلة يضعها الباحث ثم يحاول الاجابة عنها فى بحثه . ومن أمثلة هذا النوع من الصياغة ماجاء فى التقرير الأول لبحث تعاطى الحشيش فى جمهورية مصر العربية فقد صيغت المشكلة بالصورة التالية :

« والهدف الرئيسى لهذا البحث هو الكشف عن العوامل المؤدية — بشكل مباشر أو غير مباشر — الى تعاطى بعض الذكور المصريين الحشيش والآثار المترتبة على هذا التعاطى بالنسبة للفرد والمجتمع على السواء »

ويمكن زيادة توضيح هذا الهدف بصياغة عدد من الاسئلة الهامة التى نطوى عليها ، والتى يحاول هذا البحث الاجابة عنها ، ومن الأمثلة على هذه الأسئلة ما يأتى :

١ — ما هى طبيعة الظروف الاجتماعية التى تحيط بالفرد عندما يبدأ تعاطى الحشيش ؟

٢ — ما هى الدوافع التى تدفعه الى أن يستجيب لهذه الظروف بأن تعاطى ؟

٣ — ما هى مرحلة العمر التى يبدأ عندها معظم المتعاطين ؟ أم ليست هناك مرحلة بعينها ؟

٤ — لماذا يستمر البعض فى التعاطى حتى يصبح متعاطيا منتظما فى حين أن البعض الآخر لا يستمر وقد لا يعود الى هذه الخبرة اطلاقا ؟

٥ — ما هو نوع التأثير المباشر الذى يقع على متعاطى الحشيش ؟ هل تتغير حالته الوجدانية الراهنة من الانقباض أو الملل الى السرور مثلا ؟ وهل يتغير مزاجه العام فبعد أن يكون ميالا الى العزلة مثلا يصبح أشد ميلا الى مخالطة الناس والاندماج فيهم ، وهل يطرأ أى تغيير على

نشاط حواسه ؟ وماذا عن وظائفه العقلية العليا كالقدرة على الموازنة والاستدلال والتعميم وايجاد الحل السليم لما يعتور طريقه من مشكلات ؟

٦ — هل هناك آثار دائمة أو مزمنة لتعاطى الحشيش ؟

٧ — هل ينتهى الحشيش بمتعاطيه الى الادمان اذا تناولنا هذا المفهوم بمعناه السائد فى دراسات الطب العقلى ؟

٨ — هل يؤثر الحشيش على انتاجية الشخص سواء أكان عمله يدويا أم كان فكريا ؟ وهل يؤثر فى كل العاملين فى اتجاه واحد أم أن له فى كل منهما تأثيرا نوعيا ؟

٩ — ما نصيب كثير من الأفكار الشائعة حول الحشيش من الصحة ؟ يقال مثلا ان للحشيش تأثيرا معينا على النشاط الجنسى لدى متعاطيه ، فهل هذا صحيح ؟ كما يقال ان له تأثيرا منشطا للقدرة على التفكير الابتكارى وخاصة فى الفنون الأدبية فهل هذا صحيح أيضا ؟

١٠ — هل ترجع آثار التعاطى — أيا كان نوعها أو اتجاهها — الى التأثير الفارماكولوجى للحشيش ، أم ترجع الى نوع من الايحاء الذاتى نتيجة معتقدات اجتماعية سائدة ؟

هذه عينة محدودة تمثل عددا كبيرا من الأسئلة التى يتناولها البحث ، ويحاول الاجابة عليها اجابة دقيقة ، تقوم على الملاحظة المضبوطة ، والتحليل الاحصائى لنتائج هذه الملاحظة ، والتجريب العلمى للتحقق من صحة الملاحظات التى جمعت وما قد يقوم عليها من استنتاجات » (١) .

***

سادسا — نماذج لبعض مشكلات البحث :

قبل أن نختتم هذا الفصل ، نود أن نعطى القارىء فكرة عن بعض المشكلات فى البحوث الاجتماعية ، ونعرض فى هذا المجال لبعض الموضوعات التى قدمت الى الجامعات العربية خلال الفترة من ١٩٧٤ — ١٩٨١ للحصول على درجات الماجستير والدكتوراة فى الاجتماع والأنثروبولوجيا والخدمة الاجتماعية ، كما نعرض لنماذج من البحوث الاجتماعية الميدانية التى تجرى فى كل من مصر والاتحاد السوفييتى .

(أ) رسائل الماجستير والدكتوراة فى الاجتماع :

١ — تماسك الجماعات العاملة فى المصنع وأثره فى انتاجيتها ، كلية آداب عين شمس ، دكتوراه ، ١٩٧٤ .

---

(١) منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، تعاطى الحشيش : التقرير الأول ، استمارة الاستبار . ديسمبر ١٩٦٠ ، ص ٢٠١ .

٢ ــ السلطة والطبقات الاجتماعية فى مصر : دراســــة اجتماعية تاريخية ، كلية آداب عين شمس ، دكتوراة ، ١٩٧٥ .

٣ ــ الاتصال الثقافى كمتغير أساسى فى النمو الحضرى . دراســـة ميدانية على عينتين بالمجتمع السعودي من سكان مدينتى مكة وجدة . كلية آداب القاهرة ، دكتوراة ، ١٩٧٥ .

٤ ــ التحليل البنائى الوظيفى للجماعات : دراسة على عينة من الجماعات الصناعية بمنطقة حلوان ، كلية آداب القــاهرة ، ماجستير ، ١٩٧٥ .

٥ ــ التنظيم الاجتماعى فى المصنع الحديث : دراسة اجتماعية لصناعة الدواء فى جمهورية مصر العربية . كلية بنات عين شمس . ماجستير ، ١٩٧٥ .

٦ ــ دراسة ميدانية لظاهرة الهجرة الداخلية فى احــدى المنــاطق الحضرية وارتباطها بتغير عادات المهاجرين وقيمهم ، كلية بنات الأزهر ، ماجستير ، ١٩٧٥ .

٧ ــ هجرة النوبيين الى القاهرة : دراسة اجتماعية للمهاجرين النوبيين فى القاهرة من قرية أبو سنبل ، كلية آداب عين شمس ، ماجستير ، ١٩٧٥ .

٨ ــ التغير الاجتماعى فى قرية بسنديلة كنموذج لاثر تنظيم المجتمع، كلية آداب القاهرة ، ماجستير ١٩٧٥ .

٩ ــ حجم الأسرة وعلاقته بالكفاية الانتاجية للعامل : دراسة ميدانية على عمال الغزل الرفيع بالمنيا ، كلية آداب المنيا ، ماجستير ١٩٧٦ .

١٠ ــ دراسة سوسيولوجية للشائعات كأحد عوامل الضبط الاجتماعى مع التركيز على قرية مصرية ، كلية آداب القاهرة ، دكتوراة ١٩٧٦ .

١١ ــ البناء الاجتماعى للمؤسسة الصناعية : دراسة لشركة البترول الوطنية الكويتية ، كلية الآداب والتربية بالكويت ، ماجستير ، ١٩٧٦ .

١٢ ــ دراسة اجتماعية وديموجرافية للمنطقة الشــعبية الصناعية الكويت ، ماجستير ، ١٩٧٦ .

١٣ ــ المدرسة الثانوية فى الكويت كنسق اجتماعى ، كلية الآداب التربية بالكويت ، ماجستير ، ١٩٧٦ .

١٤ ــ الكهرباء والتغير الاجتماعى ، كليــة آداب عين شــمس ، دكتوراة ، ١٩٧٧ .

١٥ ــ النظرية السوسيولوجية فى الانحراف مع دراسة على القـوى العاملة فى احدى شركات القطاع العام ، كلية آداب الاســكندرية ، دكتوراة ، ١٩٧٧ .

١٦ — الدور الوظيفى للنقابات العمالية ، مع دراسة للنقابة العامة لعمال الغزل والنسيج ولجانها النقابية ، كلية بنات عين شمس ، ماجستير ، ١٩٧٨ .

١٧ — دراسة سوسيولوجية للزوجة العاملة فى ميدان صناعة الادوية فى مدينة القاهرة ، كلية بنات الأزهر ، ماجستير ، ١٩٧٨ .

١٨ — العادات الاجتماعية لدورة الحياة فى المجتمع الكويتى ، كلية الآداب والتربية بالكويت ، ماجستير ، ١٩٧٨ .

١٩ — أبحاث الخصوبة فى الريف والحضر ، كلية آداب عين شمس ، دكتوراه ، ١٩٧٨ .

٢٠ — تخطيط التعليم الثانوى فى العراق ، كلية آداب عين شمس ، ماجستير ، ١٩٧٨ .

٢١ — المشاركة الاجتماعية ودورها فى تنمية المجتمع المحلى ، كلية آداب المنيا ، دكتوراه ، ١٩٧٨ .

٢٢ — ديناميات التحديث فى المجتمع القطرى ، كلية آداب القاهرة ، دكتوراه ، ١٩٧٨ .

٢٣ — اتخاذ القرار فى مجال تحديد النسل ، كلية آداب المنيا ، دكتوراه ، ١٩٧٩ .

٢٤ — السلوك الانجابى وعلاقته بالمستوى التعليمى ، كلية آداب المنيا ، ماجستير ١٩٧٩ .

٢٥ — التحول الاجتماعى وبناء القوة فى القرية المصرية ، كلية آداب عين شمس ، ماجستير ، ١٩٧٩ .

٢٦ — دراسة سوسيولوجية عن دور السينما فى التنمية الاجتماعية بالتطبيق على ثلاث قرى مصرية ، كلية آداب سوهاج ، ماجستير ، ١٩٧٩

٢٧ — التنمية الاجتماعية وأثرها فى توطين البدو بالكويت ، كلية الآداب والتربية بالكويت ، ماجستير ، ١٩٧٩ .

٢٨ — العوامل الاجتماعية والاقتصادية المؤثرة على تعليم الاناث فى المجتمع السعودى ، كلية آداب عين شمس ، دكتوراة ، ١٩٧٩ .

٢٩ — بعض القيم الاجتماعية فى الأسرة الريفية والحضرية ، كلية بنات الأزهر ، ماجستير ، ١٩٧٩ .

٣٠ — البناء القرابى وعلاقته ببناء السلطة فى القرية المصرية ، كلية بنات الأزهر ، ماجستير ، ١٩٧٩ .

٣١ — التنظيمات النقابية العمالية وعلاقتها بمشكلات العمل ، كلية آداب عين شمس ، دكتوراه ، ١٩٨٠ .

٣٢ — الوضع الاجتماعي للمرأة في القانون المصري المعاصر، كلية آداب عين شمس، دكتوراه، ١٩٨٠ .

٣٣ — أثر التصنيع على الحراك الاجتماعي لعمال الغزل والنسيج، كلية آداب المنيا، دكتوراه، ١٩٨٠ .

٣٤ — البيئة الاجتماعية واتجاهات المرأة نحو العمل المنزلي ورعاية الأطفال، كلية آداب المنيا، دكتوراه، ١٩٨١ .

٣٥ — التنشئة الاجتماعية في القرية المصرية، كلية الدراسات الانسانية بجامعة الازهر، ماجستير، ١٩٨١ .

٣٦ — التنمية والاتصال الثقافي : دراسة للآثار الاجتماعية الناتجة عنهما في مجتمع الغجر بالعراق، كلية آداب القاهرة، ماجستير، ١٩٨١ .

٣٧ — الرعاية الاجتماعية للمعوقين كمؤثر أساسي في التنمية : دراسة ميدانية في منطقتي جدة والمدينة المنورة، كلية آداب القاهرة، ماجستير، ١٩٨١ .

٣٨ — التفاعل الاجتماعي بين جماعات الصفوة القديمة والصفوة الجديدة في الريف المصري : تحليل تاريخي ودراسة ميدانية، كلية آداب القاهرة، دكتوراه، ١٩٨١ .

٣٩ — الفروق الريفية الحضرية في بعض عناصر التراث الشعبي : دراسة اجتماعية عن الأولياء والطب الشعبي في الريف والحضر، كلية آداب القاهرة، دكتوراه، ١٩٨١ .

٤٠ — عمل المرأة وأثره على دورها في الأسرة : دراسة اجتماعية ميدانية على النساء العاملات وغير العاملات بمدينة بغداد، كلية آداب عين شمس، ماجستير، ١٩٨١ .

٤١ — العوامل المؤثرة على التنمية الاجتماعية في القرية اليمنية وأثرها على تغيير اتجاهات القرويين، كلية آداب عين شمس، ماجستير، ١٩٨١ .

٤٢ — نظام القرابة عند بعض الجماعات السكانية المتميزة في منطقة أسوان، كلية بنات عين شمس، ماجستير، ١٩٨١ .

٤٣ — النظرية الوظيفية في دراسة التراث الشعبي : دراسة ميدانية لتكريم الأولياء في المجتمع المصري، كلية بنات عين شمس، ماجستير، ١٩٨١ .

٤٤ — التنشئة الاجتماعية ومقومات تنمية المجتمع المحلي : دراسة ميدانية مقارنة في محافظة المنيا، كلية آداب المنيا، ماجستير، ١٩٨١ .

٤٥ — تجربة التنمية الريفية فى مصر بين النظرية والتطبيق : دراسة تحليلية نقدية للفترة من ١٩٥٣ الى ١٩٧٦ مع دراسة ميدانية فى مجتمعات محلية بمحافظة المنيا ، كلية آداب المنيا ، ماجستير ، ١٩٨١ .

٤٦ — موقف علم الاجتماع من دراسة التخلف الاجتماعى : دراسة ميدانية مقارنة ، كلية آداب المنيا ، دكتوراه ، ١٩٨١ .

٤٧ — دور الاعلام الدينى فى تغيير بعض قيم الأسرة الريفية والحضرية ، كلية آداب الزقازيق ، دكتوراه ، ١٩٨١ .

٤٨ — الصفوة المثقفة ودورها فى عملية التحديث السياسى فى مصر : دراسة اجتماعية تاريخية فى علم الاجتماع ، كلية الدراسات الانسانية بجامعة الأزهر ، دكتوراه ، ١٩٨٢ .

٤٩ — التنشئة الاجتماعية وظاهرة التحديث فى مصر ، كلية الدراسات الانسانية بجامعة الأزهر ، ماجستير ، ١٩٨٢ .

٥٠ — العزلة والاندماج فى المجتمع الكويتى فى ضوء الاتجاه التكاملى ، كلية آداب سوهاج ، دكتوراه ، ١٩٨٢ .

٥١ — هجرة العقول المصرية وعلاقتها بالتنمية فى مصر ، كلية آداب سوهاج ، دكتوراه ، ١٩٨٢ .

٥٢ — الجيش والتنمية فى الدول النامية : دراسة ميدانية لمشاركه القوات المسلحة المصرية فى مجالات التنمية الاجتماعية ، كلية آداب سوهاج ، دكتوراة ، ١٩٨٣ .

٥٣ — الدين وسيلة من وسائل الضبط الاجتماعى فى البيئات الريفية والحضرية ، كلية الدراسات الانسانية ، دكتوراه ، ١٩٨٤ .

٥٤ — المشاركة الشعبية فى تنمية المناطق الحضرية المتخلفة ، كلية آداب سوهاج ، دكتوراه ، ١٩٨٤ .

٥٥ — التنظيم الاجتماعى فى المستشفيات كمؤسسات طبية : دراسة ميدانية لمستشفى كفر الزيات العام ، كلية الدراسات الانسانية ، دكتوراة ، ١٩٨٤ .

٥٦ — القيم الاجتماعية وعلاقتها بالتنمية الاجتماعية : دراسة ميدانية فى المجتمع الريفى ، كلية الدراسات الانسانية ، ماجستير ، ١٩٨٤ .

٥٧ — النفقة الشرعية ووظيفتها الاجتماعية : دراسة على عينة من المطلقات ذوات الأبناء ، كلية الدراسات الانسانية ، ماجستير ، ١٩٨٤ .

٥٨ — نظام العقوبة وعلاقته بتفكك الأسرة : دراسة ميدانية على بعض نزلاء سجن الزقازيق العمومى وعينة من أسرهم ، كلية الدراسات الانسانية ، ماجستير ، ١٩٨٤ .

***

(ب) رسائل الماجستير والدكتوراة فى الانثروبولوجيا :

١ ـ العلاقات الاجتماعية بين الجماعات الاثنية (العرقية) فى منطقة غرب مريوط ، كلية آداب الاسكندرية ، دكتوراه ، ١٩٧٥ .

٢ ـ التحديات الاجتماعية للتنمية ، كليـة آداب الاسـكندرية دكتوراه ، ١٩٧٧ .

٣ ـ مقومات الزعامة فى المجتمعـات التقليدية ، كليـة آداب الاسكندرية ، ماجستير ، ١٩٧٩ .

٤ ـ جماعات الغجر فى مصر ، كلية آداب القاهرة ، دكتـوراة ، ١٩٧٩ .

٥ ـ التأثيرات الثقافية على الأسلوب المعرفى لدى المرأة المصرية ، دراسة مقارنة فى مجتمعين محليين ، كلية آداب الاسكندرية ، دكتـوراة ، ١٩٧٩ .

٦ ـ أثر برامج التنمية الاجتماعية والاقتصادية على القيم : دراسة أنثروبولوجية فى مجتمع شبه حضرى ، كلية آداب الاسكندرية ، دكتوراة ، ١٩٧٩ .

٧ ـ موضوع استثمار الطاقة البشرية فى المجتمع البدوى : دراسة انثروبولوجية ، كلية آداب الاسكندرية ، ماجستير ، ١٩٨١ .

٨ ـ البناء الاجتماعى للدير القبطى : دراسة أنثروبولوجية فى أديرة وادى النطرون ، آداب الاسكندرية ، ماجستير ، ١٩٨١ .

٩ ـ العادات الاجتماعية بإحدى مجتمعـات الصـيد ، دراسـة أنثروبولوجية لقرية مصرية بإدكو ، آداب الاسكندرية ، ماجستير ، ١٩٨١ .

١٠ ـ العصابة الجانحة : دراسة سسيوثقافية ، آداب الاسكندرية ، دكتوراه ، ١٩٨١ .

***

(جـ) رسائل الماجستير والدكتوراة فى الخدمة الاجتماعية :

١ ـ دراسة اجتماعية للأطفال فى الأسر البديلة ، كلية الخـدمة الاجتماعية ، ماجستير ، ١٩٧٤ .

٢ ـ دراسة تجريبية عن جماعة للأحداث بدور التربية بالجيزة ، كلية الخدمة الاجتماعية ، ماجستير ، ١٩٧٤ .

٣ ـ العلاقة بين حجم الجماعة وتماسكها ، كلية الخدمة الاجتماعية ، ماجستير ، ١٩٧٤ .

٤ — العلاقة بين المشاركة فى اتخاذ القرارات وتماسك الجماعة ، كلية الخدمة الاجتماعية ، ماجستير ، ١٩٧٥ .

٥ — علاقة تنظيم الجماعة بتماسكها ، كلية الخدمة الاجتماعية ، ماجستير ، ١٩٧٥ .

٦ — القيادات الريفية ودورها فى تنمية المجتمع المحلى ، كلية الخدمة الاجتماعية ، ماجستير ، ١٩٧٥ .

٧ — دور رعاية الشباب فى التعليم العالى فى تحقيق أهداف التنمية ، كلية الخدمة الاجتماعية ، ماجستير ، ١٩٧٥ .

٨ — دور الخدمة الاجتماعية فى رفع الكفاية الانتاجية للعمال فى المصنع، كلية الخدمة الاجتماعية ، دكتوراة ، ١٩٧٧ .

٩ — دور المؤسسات الايوائية فى رعاية الفتيات القاصرات المعرضات للانحراف ، كلية الخدمة الاجتماعية ، ماجستير ، ١٩٧٧ .

١٠ — دور الخدمة الاجتماعية فى مواجهة ظاهرة تغيب سائقى هيئة النقل العام ، كلية الخدمة الاجتماعية ، ماجستير ، ١٩٧٩ .

١١ — العلاقة بين قيام الاخصائى الاجتماعى بأعمال الريادة مع جماعة الفصل المدرسى ونموها الاجتماعى، كلية الخدمة الاجتماعية، دكتوراه، ١٩٧٩

١٢ — العلاقة بين ممارسة طريقة العمل مع الجماعات وتنمية المجتمع المحلى ، كلية الخدمة الاجتماعية ، دكتوراه ، ١٩٧٩ .

١٣ — العلاقات المتبادلة بين الاخصائيين الاجتماعيين العاملين مع الجماعات وأعضائها فى مراحل نموها ، كلية الخدمة الاجتماعية ، دكتوراه ، ١٩٨١ .

١٤ — ممارسة خدمة الجماعة مع الجماعات التلقائية وعلاقتها بتنمية المجتمعات المحلية الحضرية بحى القللى ، كلية الخدمة الاجتماعية ، دكتوراه ، ١٩٨١ .

١٥ — ممارسة تنظيم المجتمع فى المؤسسات الصناعية ودورها فى تطوير الخدمات الاجتماعية العمالية ، كلية الخدمة الاجتماعية ، دكتوراه، ١٩٨٢ .

١٦ — دراسة تحليلية لاتجاهات التغير الاجتماعى بقرية ميت أبو الكوم، كلية الخدمة الاجتماعية ، دكتوراة ، ١٩٨٤ .

***

(د) نماذج من البحوث التى حددها المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية :

١ ـ الأسرة : الزواج ، الطلاق الأسرة والمسألة السكانية ، مقومات الأسرة العربية .

٢ ـ التنشئة الاجتماعية : دور الأسرة فى التنشئة الاجتماعية، دور المدرسة ، أوقات الفراغ ووسائل الترويح ، وسائل الاعلام والترويح الحديثة (المطبوعات والصحف والسينما والاذاعة والتليفزيون) .

٣ ـ وسائل التنظيم الاجتماعى : ايجاد مقاييس الرأى العام ، وقياس لآثار أدوات توجيه الرأى العام ، التأمين الاجتماعى والمساعدات الاجتماعية ، التنمية الاجتماعية فى الريف ، التنمية الاجتماعيه فى المدن، التعاون .

٤ ـ الظواهر الاجتماعية : الهجرة الداخلية ، التصنيع وآثاره الاجتماعية .

٥ ـ بحث لبعض المجتمعات الخاصة : أسوان ، أحياء المدن ، المجتمع الريفى ، بعض المناطق النائية من الجمهورية .

٦ ـ بعض المشاكل الاجتماعية : تخطيط المدن والاسكان، تدهور القيم الخلقية ، مشكلة الجنس ، البطالة بين المتعلمين ، انحراف الشباب ، القمار .

***

(هـ) نماذج من البحوث الميدانية التى تجرى فى الإتحاد السوفييتى :

١ ـ دراسات التغير فى البناء الاجتماعى للمجتمع .

(أ) التغير فى بناء الطبقة العمالية والفلاحية .

(ب) العمل الذهنى والعمل اليدوى .

(جـ) الهجرة الداخلية من الريف الى الحضر .

(د) الاستخدام الرشيد للقوى العاملة .

٢ ـ المشكلات الاجتماعية للعمل :

(أ) تغير شكل العمل ومضمونه .

(ب) تغير الاتجاهات ازاء العمل .

(جـ) اختيار المهنة .

(د) جاذبية بعض المهن للشباب .

(هـ) المستوى الثقافى والفنى للعمال فى المشاريع الصناعية .

(و) التقدم التكنيكى وأثره على مضمون العمل وشكله .

(ز) أهمية العوامل الاجتماعية والنفسية فى رفع الانتاجية وفى تنظيم الانتاج .

٣ ـ المشكلات الاجتماعية للحياة اليومية والخدمات العامة :

(ا) تغير بناء الأسرة ووظائفها .
(ب) أثر اشتغال النساء على مراكزهن فى المجتمع والأسرة .
(جـ) الأسس الأدبية للحياة اليومية ولحياة الأسرة .
(د) التغيرات الاجتماعية والثقافية لدى النساء .
(هـ) وقت العمل والوقت الحر ووقت الترفيه .
(و) طرق الحياة والتحضر .
(ز) طرق غرس قيم الجماعة فى نفوس الأفراد .
(ح) تطوير الخدمات العامة لتلافى ضياع الوقت خارج ساعات العمل .
(ط) تخطيط المدن والقرى .
(ى) طرق جعل الثقافة والعلم تلعب الدور البارز فى حياة الانسان .
(ك) طرق شغل أوقات الفراغ .

٤ ـ دراسة مشكلات التوجيه الاجتماعى :

وتنصب على دراسة فاعلية النصوص القانونية فى التوجيه الاجتماعى .

٥ ـ دراسة المشكلات الاجتماعية المصاحبة لمحو الفروق بين المدينة والقرية :

(أ) تطوير حياة الريفيين وثقافتهم ليقتربوا من أهل الحضر .
(ب) الأسس الاجتماعية للاسكان .
(جـ) دراسة بعض المسائل السكانية المتعلقة بالهجرة من الريف الى المدينة .

٦ ـ المشكلات الاجتماعية المتعلقة بالحياة الذهنية والثقافية :

(أ) فعالية وسائل وأساليب العمل الأيديولوجى .
(ب) الجوانب الاجتماعية ـ الثقافية لتطوير وسائل الاعلام .
(جـ) علاقة التعليم والأخلاق والتطور الجمالى واللياقة البدنية فى تشكيل الانسان الجديد .

٧ ـ المشكلات الاجتماعية النفسية للأشخاص :

وتنصب على دراسة الفروق الفردية بين الأشخاص لاستخدام نتائجها فى التخطيط الاجتماعى وفى الاستخدام الأمثل للأشخاص فى فروع الانتاج .

***

يتضح من هذا العرض ان خطوة اختيار المشكلة وصياغتها تعتبر بحق من أهم خطوات البحث ، والباحث قد يستغرق وقتا طويلا فى الوصول الى مشكلة تستحق الدراسة والبحث ، الا أن تحديد مشكلات البحث يستحق كل هذا العناء ، وكلما كانت المشكلة محددة تحديدا واضحا ، ومصـــاغة صياغة دقيقة ، سهل على الباحث بعد ذلك أن يجرى بحثه على أساس علمى سليم ، وأمكنه أن يصل الى نتائج لها من الدلالة العلمية ما يتناسب مع ما بذل فى اختيار المشكلة وصياغتها من جهد وعناء .

***

المراجـــع

(أ) باللغة العربية :

١ ـ الجمهورية العربية المتحدة : المركز القومى للبحـوث الاجتماعية والجنائية ، مطبعة أبو فاضل ، ٢٣ يوليو ١٩٦٢ .

٢ ــ منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية : تعاطى الحشيش ، التقرير الأول ، استمارة الاستبار، دار المعارف بمصر، ١٩٦٠.

(ب) باللغـــة الأجنبيـة :

1. Frank, L. K. Research for What ? In the Journal of Soc. Issues, No. 1957 pp. 5-22.

2. Good, C.V., and Scates, D.E., Methods of Research, Educational, Psychological, Sociological, New York, 1954.

3. Goode, W., and Hatt., P. Methods in Social Research, New-York, 1952, chap. IV.

4 - Jahoda, M. Deutsch, M. and Cook, S.W. Research Methods in Social Relations, Part I. New York, 1952, chap. II.

5. Lundberg, G.A. Social Research, New York, 1912, chap. I.

6. Redl, F., Research Needs in the Delinquency Field, The Child, Vol. 4, No. 1, 1956.

7. Whitney, F.L., The Elements of Research, New York, 1946, chap. III.

***

الفصل العاشر

تحديد المفاهيم والفروض العلمية

١ ــ تحـــديد المفاهيم Concepts :

يعتبر تحديد المفاهيم والمصطلحات العلميـــة Technical terms أمرا ضروريا فى البحث العلمى . وقد سبق أن أشرنا الى أن من واجب الباحث أن يعمل عند صياغته المشكلة على تحـــديد المفاهيم التى يستخدمها . وكلما اتسم هذا التحديد بالدقة والوضوح ، ســـــهل على القراء الذين يتابعون البحث ادراك المعانى والأفكار التى يريد الباحث التعبير عنها دون أن يختلفوا فى فهم ما يقول .

وكثيرا ما نسمع الناس فى حياتهم اليومية يتناقشون فى مســــائل السياسة والاجتماع والاقتصـــاد ، ونراهم يختلفون فيما بينهم . وقد لايكون لهذا الاختلاف فى الرأى سبب واضح سوى أنهم لم يتفقوا منذ البداية على تحديد المفاهيم التى يستعملونها ، وما تعبر عنه تلك المفاهيم من معان وأفكار . فقد يستعمل أحدهم مفهوم العدالة ، أو مفهوم الحـــرية ، أو المساواة بصورة مغايرة لما يقصده الآخرون . ولو أنهم اتفقوا منذ البداية على ما يعنيه كل منهم باستخدامه لهذه المفاهيم ، لما حدث بينهم مثل هذا الاختلاف فى الرأى أو التضارب فى وجهات النظر .

واذا كان تحديد المفاهيم أمرا لازما فى المناقشات العلمية ، فانه يصبح الزم وأوجب فى البحث العلمى على وجه العموم ، والبحث الاجتماعى على وجه الخصوص ، ذلك لأن البحث العلمى يحتاج الى درجة كبيرة من الدقة والتحديد ، كما أن البحث الاجتماعى ، الى جانب ذلك ، يســـتمد أغلب مفاهيمه من لغة الحياة العلمية .

***

● **المفهوم ومستوى التجريد :**

الاصطلاح العلمى هو الوســيلة الرمزية Symbolic التى يستعين بها الانسان للتعبير عن المعانى والأفكار المختلفة بغية توصيلها لغيره من الناس، ولكل اصطلاح مفهوم مرتبط به . وتعبر المفاهيم دائما عن الصفات المجردة التى تشترك فيها الأشياء والوقائع والحوادث دون أن تعنى واقعة أو حادثة

بعينها ، أو شيئا بذاته ، فكلمة « طائرة » لاتشير الى طائرة معينة ، وانما تشير الى الصفات المجردة التى تشترك فيها جميع الطائرات بحيث يستحيل أن تكون هناك طائرة الا وقد اتصفت بتلك الصفات . وبعض المصطلحات يسهل تحديدها لانها تعبر عن أشياء محسوسة يمكن الاشارة اليها ، أو التعبير عنها بالحركة ، وبعضها الآخر يصعب تحديدها تحديدا دقيقا واضحا لانها تعبر عن أشياء غير محسوسة ، وتحتاج الى مستوى عال من التجريد Abstraction فاذا كنا نريد توصيل معنى كلمة «كتاب» الى أحد الأطفال، ثم أشرنا الى كتاب معين ، أو كلمة «قفز» ثم قمنا بالقفز فى الهواء ، أمكن الطفل أن يفهم ماتعنيه هذه الكلمات ، ولكن اذا قلنا له كلمة « طبقة »أو «مركز» أو «مكانة» أو « شرف » ، ففى هذه الحالة يصعب علينا أن نعبر عن هذه الكلمات بالاشارة أو بالحركة ، وبالتالى يصعب على الطفل أن يتفهم مدلولات هذه الألفاظ لأنها تحتاج الى مستوى عال من التجريد لاشياء غير محسوسة .

***

● صعوبة تحديد المفاهيم :

يختلف الناس فى تحديدهم للمفاهيم لعدة أسباب أهمها : .

١ — تنشأ المفاهيم نتيجة لخبرة اجتماعية مشتركة ، ولما كانت هذه الخبرات تختلف باختلاف الأفراد والجماعات ، فان مفهوم المصطلحات يختلف من فرد الى فرد ، ومن بيئة لأخرى .

٢ — قد يكون لبعض المفاهيم اكثر من معنى ، مثال ذلك مفهوم « الثقافة «Culture» الذى يستخدمه البعض ليصف به سلوكا لطبقة اجتماعية معينة ، ويستخدمه البعض الآخر ليعبر به عن طاقة المجتمع على الخلق والابداع، ويستخدمه فريق ثالث ليعبر به عن مستوى تعليمى أو ثقافى معين ، ومن العلماء من يعتبره مرادفا لمفهوم « الحضارة «Civilization» » ومنهم من يعتبره مختلفا عنه ، ومنهم من يعبر به عن العناصر المادية والمعنوية القائمة فى المجتمع ، ومنهم من يعبر به عن العناصر المعنوية فقط ، الى غير ذلك من استعمالات (١) .

وقد يستخدم المفهوم فى عبارات مختلفة بمعانى متعددة . فاذا أخذنا لفظة « متساو » وقلنا ان الله خلق الناس متساوين فان هذا قد يعنى من بين ما يعنيه :

١ — انهم متساوون فى قدراتهم العقلية .

---

(١) راجع ما كتبناه عن مفهوم الثقافة فى كتابنا : أصول علم الاجتماع، الفصل السادس .

٢ — انهم متساوون فى قوتهم البدنية .
٣ — أنهم متساوون فى قدرتهم على العمل .
٤ — أنهم متساوون فى الطول والوزن .
٥ — أنهم متساوون فى الحقوق والواجبات .

ويتضح من المثال السابق أن المفهوم الواحد قد يستخدم ليدل على أكثر من معنى . ثم اننا نقول فى المثال السابق أن المساواة قد تكون فى الحقوق والواجبات فماذا نعنى بقولنا الحق والواجب ؟ وما هى الحدود الفاصلة بينهما . ومثل هذه الكلمات كثير . فنحن نستعمل كلمة البناء الاجتماعى . والوسط الاجتماعى ، والمجتمع العام ، والمجتمع المحلى ، والتعاون . والتنافس ، والديمقراطية ، والحرية ، والمساواة ، فماذا تعنى هذه الكلمات جميعا ؟

وهناك مصطلحات تستخدم فى فرعين من فروع المعرفة بمعنيين مختلفين ، وعلى هذا فان من الواجب أن نعمل على توضيح المعنى الذى نقصده عندما نستخدم أحد هذه المصطلحات منعا للتداخل والتأويل .

٣ — هناك ألفاظ مثل : كاف ، أو غير كاف ، وكثير ، وقليل ، وجيد . وردىء ، وثقيل ، وخفيف . وهذه تدل على نوع من الكيف الذى تتصف به الأشياء بدرجة ما . ومثل هذه الألفاظ غامض اذا لم يكن ثمة اتفاق عام على الدرجة التى توجد بها الصفة فى الشىء . فاذا قلنا مثلا أن نسبة الجرائم مرتفعة أو منخفضة ، أو ان الخلافات الأسرية كثيرة أو قليلة . فاننا لانستطيع أن نضع الحد الفاصل بين الارتفاع والانخفاض .

٤ — بعض الألفاظ تعتبر مشتركة وغامضة فى الوقت ذاته . فلفظ « زكى » مثلا نجد أنه يعنى فى اللغة العربية ، كما ورد فى المنجد : السريع الفطنة والفهم ، والساطع الرائحة ، ولما كان هذا اللفظ يعنى أكثر من معنى واحد ، فانه يصبح لفظا مشتركا ، ولكنه فى الوقت ذاته لفظ غامض ، لأننا ، لا نستطيع أن نحدد مقدار الرائحة التى تجعل الشىء زكى الرائحة . (١) وقد أمكن بفضل مقاييس الذكاء تحديد مقدار السرعة فى الفهم التى تجعل الانسان ذكيا (٢) وكلما تقدمت المقاييس الاجتماعية سهل على الباحثين تحديد الالفاظ التى يستخدمونها تحديدا دقيقا .

٥ — قد يتغير المعنى الذى يؤديه المفهوم العلمى بمرور الوقت نتيجة لتقدم العلوم .. فكلما ارتقى العلم ظهرت مفاهيم فرعية تؤدى بعض

---

(١) ويليام شاتر : الطريق الى التفكير المنطقى ، ترجمة عطية محمود هنا ، ص ٦٢ .

(٢) راجع كتاب فؤاد البهى السيد : الذكاء ، دار الفكر العربى ، ١٩٥٩

ما كانت تؤديه المفاهيم العلمية . ولذا تصبح الحاجة ماسة الى الوصول لتحديدات أدق للمفاهيم الأصلية والفرعيـة ، مثـال ذلك مفهوم التغير الاجتماعى Soc. Change والتقـدم الاجتماعى Soc. progress والتطور الاجتماعى Soc. Evolution ، والتغير الثقافى Cultural change (١) وكذلك الحـال بالنسبة لمفهوم المجتمع ، ومفهوم الجمـاعة وأنواع الجمـاعات والمجتمعات .

***

● كيفية تحديد المفاهيم :

لتحديد المفاهيم العلمية تحديداً دقيقا ، يمكن الاستفادة بالقواعد الآتية :

١ — ربط المفهوم بالتعريفات السابقة له :

كلما أمكن ربط المفهوم العلمى بالتعريفات السـابقة له أصبح من اليسير الوصول الى تحديد دقيق لهذا المفهوم . ويوجه بعض المشتغلين بمناهج البحث للباحث هذه التوجيهات التى تساعده على تحقيق هذه الغاية:

١ — حاول أن ترجع الى التعريفات السابقة والحالية للمفهوم .

٢ — حاول أن تصل الى المعنى المتفق عليه فى أغلب التعريفات .

٣ — كون تعـريفا مبـدئيا يتضمن المعنى الذى تجمـع عليـه أغلب التعريفات .

٤ — أخضع التعريف للنقد على أوسع نطاق .

٥ — أدخل تعديلات نهائية على التعريف على ضوء النقد الصحيح الذى تتلقاه (٢) .

وبعد أن يحدد الباحث معنى المفهوم الذى يريد استخدامه ، عليه أن يتأكد بعد ذلك من دقته وعموميته فيوجه لنفسه الأسئلة الآتية :

١ — هل تتوفر فى المفهوم صفة الايجاز ، وهل يؤدى معنى محـددا قاطعـا ؟

٢ — هل يعبر المفهوم عن فكرة واحدة ؟

٣ — هل تتوفر فيه صفة العمومية ؟ بمعنى أن من الممكن استخدامه لأداء نفس المعنى فى أى مجال يستخدم فيه ؟

٤ — هل الفكرة التى يعبر عنها المفهوم مرتبطة به ولازمة لشرحه ؟

---

(١) لتوضيح الفرق بين هذه المفاهيم ، راجع كتابنا : أصـول علم الاجتماع ، الفصل السادس .

(٢) Ackoff, op. cit., pp. 56-57.

٢ — تحديد الخصائص البنائية والخصائص الوظيفية للمفهوم :

تشير الخصائص البنائية Structural properties للأشياء الى المادة التى تتكون منها هذه الأشياء . وكذا التغيرات التى تطرأ على خصائص هذه المواد . اما الخصائص الوظيفية Functional properties فانها تشير الى الوظيفة أو مجموعة الوظائف التى تؤديها هذه الأشياء (١) . فتعريف القانون بأنه مجموعة القواعد التى تفرضها الدولة على الأفراد ، يعتبر تعريفا بنائيا لأنه يحدد الطريقة التى يتكون بها القانون . أما تعريف القانون بأنه هو الذى تفرضه الدولة ليلتزم به الأفراد فى حياتهم ومعاملاتهم بغـــرض تحقيق النظام العام فى المجتمع ، يعتبر تعريفا وظيفيا لأنه يحدد الوظيفة التى يؤديها القانون ، وعلى هذا فان من الممكن أن ينصب تعريفنا للمفهوم على الجانب البنائى أو الجانب الوظيفى أو كليهما ، ويرتبط هذا دائما بالأهداف الرئيسية للبحث .

٣ — الاستعانة بالتعريفات الاجرائية :

يمكن الاستعانة بالتعريفات الاجرائية Operational definitions لتوضيح معنى المفهوم كلما أمكن ذلك . وقد سبق أن أوضحنا أن التعريف الاجرائى هو الذى يحدد المفهوم باستخدام ما يتبع فى ملاحظته أو قياسه أو تسجيله . فاذا قلنا مثلا ما هو الذكاء ؟ كان تحديدنا له بأنه هو الذى يقيسه اختبار الذكاء .

ويديهى أن التعريفات الاجرائية للمفهوم لا تتقيد بالشروط المنطقية فى التعريف ، الا انها تصل بالمفاهيم الى اقصى ما يســـتطيعه الباحث من الوضوح فى ذهنه وذهن الذى يقرأ البحث . وكـثير من المفاهيم لا يمكن تعريفها اجرائيا لأن سهولة التعريف الاجرائى تتوقف على تقدم المقاييس العلمية ، ولا شك أنه بتقدم وسائل القياس فى العلوم الاجتماعية سيصبح من الممكن استخدام هذه التعريفات الاجرائية على نطاق واسع .

***

٢ — وضـــع الفروض Hypotheses

● تعـريف الفـــرض :

تعنى كلمة الفروض فى أصلها الاغريقى مجموعة المبادىء الاولية التى يسلم العقل بصحتها ، والتى لا يستطيع البرهنة عليها بطريقة مباشرة لشدة عموميتها . وعرف « أرسطو » الفرض بأنه نقطة البدء فى كل برهنة ، وأنه

---

(1) Ibid., pp. 87-52.

المنبع الأول لكل برهنة ، وانه المنبع الأول لكل معرفة يكتسبها الانسان، أى أنه المبدأ العام الذى يستخدم كاحدى مقدمات القياس (١) .

أما فى العصر الحديث فاننا نستعمل كلمة الفروض لنشير بهـا الى التعميمات التى لم تثبت صحتها ، والتى يحاول الباحث أن يتحقق من صدقها لنتخذها سبيلا الى فهم الظواهر وتفسيرها .

ويمكن تعريف الفرض بأنه عبارة عن فكرة مبدئية تربط بين الظاهرة موضوع الدراسة وبين أحد العوامل المرتبطة بها أو المسببة لها، أو بأنه عبارة عن فكرة مبدئية تربط بين متغيرين أحدهما مستقل والآخر تابع .

***

● أهميـة الفـروض :

سبق أن ناقشنا أهمية الفروض فى البحوث التجريبية ، فعرضنا للآراء المعارضة لمبدأ فرض الفروض . ثم انتهينا من تلك المناقشة الى أن من الضرورى فى البحوث التجريبية أن يصوغ الباحث فروضا محـددة بعد الملاحظات والتجارب التى يقوم بها فى المرحلة الاولى للبحث . ذلك لأن الفروض العلمية تساعد الباحث على أن يتجه مباشرة الى الحقائق العلمية التى ينبغى له أن يبحث عنها بدلا من تشتت جهوده دون غرض محدد، كما انها تمكنه من الكشف عن العلاقات الثابتة التى تقوم بين الظواهر (٢).

ولكن الأمر يختلف الى حد ما فى البحوث الاجتماعية التى لا تستخدم المنهج التجريبى . فكثير من الميادين الاجتماعية لا تزال جديدة لم يطرقها الباحثون من قبل . وغالبا ما يجد الباحثون فى هذه الميادين صعوبة كبرى فى وضع فروض دقيقة عن ظواهر لا يعلمون عنها شيئا . وفى رأينا أنه لا بأس فى هذه الحالة من القيام بدراسات استكشـافية Exploratory stuides تساعد على استنباط الفروض التى يمكن اختبارها فى مرحلة تالية أو فى بحوث أخـرى ، على أن من الضرورى فى الميادين التى ارتادها الباحثون من قبل ، والتى وصلت فيها البحوث السابقة الى درجة عالية من التطور العلمى أن يبدأ الباحثون بصياغة فروض محددة بحيث تدور الابحاث فى صلبها بعد ذلك حول محاولة التثبت من صحتها أو خطئها .

***

---

(١) محمود قاسم : المنطق الحديث ومناهج البحث ، ص ١١٨ .

(٢) راجع ما كتبناه عن الفروض العلمية فى الفصل الثانى من الكتاب .

● أنــواع الفــروض :

الفروض العلمية على أنواع ثلاثة هى :

١ — الفروض العاملة (البحثية) :

Working or Research hypotheses

وهى الفروض التى يستنبطها الباحث من نظريات علمية سابقة ،ويضعها فى صيغة قضايا للاختبار . ولذلك فإن من الضرورى أن يكون الباحث ملما بالجوانب النظرية للموضوع الذى يدرسه حتى تكون الفروض التى يضعهـا على درجة كبيرة من الصحة . أما تلك الفروض التى يضعها من ليست له المعرفة النظرية الكافية بموضوع الدراسة ؛ فقد لا تكون لها فائدة علمية ، ممـا يؤدى الى ضياع الجهـد والوقت فى تقصى احتمالات فاشلة لا جـدوى من اثبات صحتها أو خطئها .

٢ — الفروض الصفرية Null Hypotheses :

وهى التى تصــاغ بطريقة سلبية تقليلا لاحتمالات التحيز ، كأن يقول الباحث بأنه لا توجد علاقة بين الوضع الطبقى ومعدل الانجاب . وفى هــذه الحالة فإن قبول الفرض الصفرى يعنى وجود علاقة سلبية بين كل من المتغير المستقل (الوضع الطبقى) ، والمتغير التابع (الانجاب) . كما أن رفضه معناه وجود علاقة ايجابية بين المتغيرين . ويقتضى هذا وجود فرض بديل Alternative hypothesis يمكن قبوله فى حــالة رفض الفــرض الصــــفرى .

٣ — الفروض الاحصائية Statistical Hypotheses :

وهى التى يمكن قياسها والتحقق من صحتها باستخدام الاختبارات الاحصائية . فاذا افترض الباحث مثلا أنه توجد علاقة بين الاقامة فى المناطق السكنية المختلفة بالمدينة وبين متوسط الدخل ، فانه فى هذه الحالة يستطيع أن يحسب متوسط دخل الافراد فى عدد من الاحياء التى تختلف فى مستواها الاجتماعى والاقتصادى ، ويختبر دلالة الفروق بينها ، فاذا كانت الفروق معنوية بين مستويات الدخل أمكن قبول الفرض احصائيا ، وبالعكس اذا كانت الفروق ظاهرية (أى غير حقيقية أو غير معنوية) (١) .

***

● مصادر الفـــروض :

يمكن استنباط الفروض من عدة مصادر أهمها :

١ — مجال تخصص الباحث : سبق أن ذكرنا أن مجال تخصص الباحث هو المصدر الأول لاختيار مشكلات البحث ، وبالمثل نستطيع أن نقول أن مجال

(١) J. Black, and D. Champion : Methods and Issues in Social Research, 1976, pp. 126-135.

التخصص هو المصدر الرئيسي الذي يستمد منه الباحث فروضه . فالنظريات التي توصل اليها الباحثون السابقون ليست الا فروضا من الدرجة الثانية من الممكن دراستها واختبارها للتأكد من مدى صحتها ، ثم اننا نستنبط منها قضايا جديدة قابلة للاختبار ، ويمكن أن تعتبر أساسا لدراسة جديدة .

٢ — العلوم الأخرى : يستمد الباحث فى كثير من الأحيان بعض الفروض من العلوم الأخرى التى تبعد عن مجال تخصصه . فالباحثون فى علم النفس والاجتماع مثلا قد استفادوا من نظرية داروين فى النشوء والارتقاء ، كما استفاد داروين عند دراسته لموضوع التطور بكتابات مالتس عن السكان ، كما أن الفروض التى وضعها الباحثون الاجتماعيون والتى أدت الى نمو « الايكولوجيا الانسانية Human Ecology » لم تكن الا تطبيقا لنظريات قائمة فى علم النبات .

٣ — ثقافة المجتمع : لما كان الباحث الاجتماعى لا يعيش فى برج عاجى بعيدا عن التيارات الثقافية القائمة فى المجتمع ، فانه يستطيع أن يستفيد من ثقافة المجتمع بما تشمله هذه الثقافة من قيم واتجاهات وتقاليد وآراء شائعة فى صياغته للفروض . فالايديولوجية الاشتراكية الديمقراطية مثلا قد توحى الى عدد من الباحثين بصياغة بعض الفروض المتعلقة بحوافز العمل والانتاج فى المجتمعات الاشتراكية ومدى اختلافها عن حوافز العمل فى المجتمعات الرأسمالية ، وقد توحى الى البعض الآخر بصياغة فروض أخرى تتعلق بمدى تأصل هذه الأيديولوجية فى نفوس الأفراد الذين ينتمون الى طبقات اجتماعية أو مستويات تعليمية مختلفة .

والى جانب القيم الثقافية الرئيسية يستطيع الباحث أن يجد فى الامثال الشعبية والمعارف التجريبية على وجه العموم مادة خصبة من الفروض العلمية (١) . فقد سبق أن ذكرنا أن كثيرا من هذه المعارف يأتى نتيجة لبعض التجارب الناجحة ، وبالرغم من ذلك فانها تنتقل بين الناس بحكم العادة ، ويسلمون بها دون فحص أو تمحيص . ولما كانت هذه الآراء مرتبطة بمختلف مظاهر النشاط فى المجتمع فان الباحث الاجتماعى يؤدى خدمة جليلة للعلم باختباره لها . فمن الآراء الشائعة عن الزنوج فى المجتمع الأمريكى مثلا أنهم أقل ذكاء من البيض ، وأنهم لايحرصون على النظافة العامة ، ومن الممكن أن يضع الباحث هذه الآراء فى صيغة فروض ، ثم يحاول الوقوف على حقيقتها . وقد قيل مثلا عن العمال المصريين أنهم لا يحسنون التصرف فيما يصرف لهم من أرباح ، ولا يعملون على تحسين مستويات حياتهم ، بل ينفقون معظمها على المكيفات ، والباحث لا يسلم بهذه الاقوال بل يضعها فى صيغة فروض

---

(1) W. Goode, and P. Hatt, op. cit., pp. 63-65.

يحاول التثبت من صحتها . وهكذا يستطيع الباحث الاجتماعى ان يتخذ من ثقافة المجتمع مصدرا لفروضه ، وهذا المصدر ولا ريب غنى بالآراء التى تحتاج الى بحث علمى سليم .

٤ — الخبرة الشخصية : يستطيع الباحث أن يعتمد على خبرته الشخصية والملاحظات الخاصة فى وضع كثير من الفروض ، فالخبرة الشخصية والملاحظات الخاصة هى الحافز الاول الذى يدفع العقل الى التفكير ، ويحفزه الى تصور العلاقات بين الظواهر .

٥ — خيال الباحث : يرتبط وضع الفروض بقدرة الباحث على تخيل العلاقات بين الاشياء . ويختلف خيال العلماء عن خيال الشعراء فان خيال الشعراء جامح مطلق ، ولكن خيال العلماء مقيد . ويختلف الناس فى قدرتهم على الابتكار وفى تخيل العلاقات بين الظواهر . ذلك لأن خيال الباحث يعتمد على معرفته السابقة ، وحدة ذهنه وقدرته على الابتكار . والأساس الاول مقدمة ضرورية للاساس الثانى ، ولا يكفى أحدهما وحده . وينمو الخيال العلمى نتيجة للبحث الطويل . فقد قال نيوتن « اذا كانت أبحاثى قد أدت الى بعض النتائج المفيدة فذلك لانها وليدة العمل والتفكير الوئيد . الى اجعل موضوع البحث نصب عينى دائما ، ثم أنتظر حتى تبدو الأشعة الأولى وتسطع شيئا فشيئا ، حتى تنقلب ضوءاً مشعا كاملا (١) .

***

● شروط الفروض العلمية :

يشترط على الباحث عند صياغته للفروض العلمية مراعاة ما يلى :

١ — ان تكون الفروض التى يضعها واضحة . ولتحقيق هذه الغاية يجب عليه أن يحدد المفاهيم التى تشتمل عليها الفروض تحديدا واضحا ، وان يعرفها تعريفا اجرائيا كلما أمكنه ذلك لتصل الى اكبر قدر ممكن من الدقة والوضوح .

٢ — أن يصوغها بايجاز ، وأن يضعها على هيئة قضايا واضحة يمكن التحقق من صدقها . ولتحقيق هذه الغاية ينبغى على الباحث أن يحدد المقاييس أو الوسائل التى يستخدمها للتحقق من صحة الفرض فاذا افترض الباحث مثلا ان نسبة الحراك الاجتماعى Soc. Mobility قد اخذت فى الازدياد فى جمهورية مصر العربية بعد قيام ثورة ١٩٥٢ ، فعليه أن يبين

---

(١) محمود قاسم : المنطق الحديث ومناهج البحث ، ص ١١٥ .

الوسيلة التى يستخدمها لقياس التحرك ، والمؤشر الذى يتخذه أساسا لقياس مدى التحرك . هل هو الدخل ، أو الوظيفة أو التعليم ؟ وكلما تمكن الباحث من صياغة فرضه صياغة دقيقة واضحة سهل عليه أن يخضعه للاختبار العلمى الصحيح .

٣ – أن يجعل فروضه قابلة للاختبار ، فالفروض الفلسفية والقضايا الاخلاقية والاحكام القيمية يصعب بل يستحيل اختبارها فى بعض الاحيان، مثال ذلك القول بأن أصل الكون هو الماء أو النار ، أو العالم العقلى هو الوجود الحق .. فهذه الفروض الفلسفية يعجز العقل عن اثباتها أو التحقق من صدقها . وكذلك الحال بالنسبة للقضايا الاخلاقية والاحكام القيمية ،فانه يصعب قياسها فى غالب الاحيان . ولهذا يجب على الباحث أن يبتعد عنها ، وأن يحاول دائما التفكير فى الاساليب التى يستخدمها لقياس الفروض التى يصوغها .

٤ – أن يربط بين الفروض التى يضعها وبين النماذج والنظريات التى سبق الوصول اليها . اذ لايمكن للعلم أن يتقدم اذا حاول كل باحث أن يختبر فروضا لا صلة لها بغيرها من النماذج والنظريات العلمية ، كما أن النماذج والنظريات العلمية تقدم مبررا علميا مقبولا لصياغة الفروض بالطريقة التى يضعها الباحث .

٥ – أن يلجأ الى مبدأ الفروض المتعـــددة Principle of multiple hypotheses . فيضع عدة فروض محتملة بدلا من أن يضع فرضا واحدا . وتتبع هذه الطريقة كثيرا فى البحوث الاجتماعية والنفسية ، الا أن من الواجب على الباحث أن يقتصد فى نفس الوقت فى عدد الفروض . فكلما كان عدد الطول كثيرا كان ذلك أدعى الى تشتت الفكر وضياع الوقت .

٦ – أن يجعل الفروض خالية من التناقض .

٧ – يمكن الاستعانة (بالفرض الصفرى) Null hypotheses وبخاصة فى البحوث التجريبية تقليلا لاحتمالات التحيز . وقد سبقت الاشارة الى أن قبول الفرض الصفرى يعنى وجود علاقة سلبية بين كل من المتغير المستقل والمتغير التابع . كما أن رفضه معناه وجود علاقة ايجابية بين المتغيرين . ويقتضى هذا وجود فرض بديل يمكن قبوله فى حالة رفض الفرض الصفرى .

* * *

المراجع

(١) باللغــة العربية :

١ — محمود قاسم : المنطق الحديث ومناهج البحث ، مكتبة الانجلو المصرية الطبعة الثالثة ، القاهرة .

٢ — وليام شملر : الطريق الى التفكير المنطقى ، ترجمة عطية محمود هنا ، فى سلسلة دراسات سيكولوجية .

(٢) باللغــة الاجنبيـة :

1. Ackoff, R.L., The Design of Social Research, The U. of Shicago Press, 1953, chap. 3

2. Goode, W., and Hatt, P., Methods in Social Research, New-York, 1952, chaps. 5, 6.

3. Goode, W., «Conceptual scemata in the Field of Social Disorganization», Social Forces, Vol. 26, 1947, pp. 19-25

4. Lundberg, G., Social Research. New York, 1942, chap. 3.

5. Marx, M., «Hypotheses and Constract» in Melvine Mary, Psychological Theory, New York, 1951, 112-128.

* * *

الفصل الحادى عشر

أنواع الدراسات الاجتماعية

أشرنا فى فصل سابق الى وجود أنواع مختلفة من الدراسات الاجتماعية (١) . وسنحاول فى هذا الفصل التعريف بالأنواع الآتية :

١ ـ الدراسات الصياغية أو الكشفية
Formulative or Exploratory

٢ ـ الدراسات الوصفية Descriptive

٣ ـ الدراسات التى تختبر فروضا سببية
Testing Causal Hypotheses

١ ـ الدراسات الصياغية أو الكشفية (الاستطلاعية) :

لاتزال كثير من الميادين الاجتماعية جديدة لم يطرقها الباحثون من قبل. وغالبا ما يجد الباحث الاجتماعى صعوبة كبرى فى التعرف على المشكلات الجديرة بالدراسة والبحث ، أو فى صياغة مشكلة البحث صياغة دقيقة ، أو فى تحديد الفروض التى تساعده على الاتجاه مباشرة الى الحقائق العلمية التى ينبغى له أن يبحث عنها . ومن هنا يصبح اجراء الدراسات الكشفية أمرا ضروريا فى كثير من البحوث الاجتماعية .

ويمكن تحديد أهداف الدراسات الكشفية فيما يلى :

١ ـ صياغة مشكلة البحث صياغة دقيقة تمهيدا لبحثها بحثا متعمقا .

٢ ـ التعرف على أهم الفروض التى يمكن اخضاعها للبحث العلمى الدقيق .

وتضيف سيليتز وزملاؤها وظائف أخرى للبحوث الكشفية هى :

١ ـ زيادة ألفة الباحث بالظاهرة التى يرغب فى دراستها فى المستقبل دراسة دقيقة ومتعمقة ، أو تعريفه بالمجال الذى يمكن أن تجرى فيه الدراسة.

٢ ـ توضيح المفاهيم .

---

(١) انظر الفصل الثامن من هذا الكتاب .

٣ ـ ترتيب الموضوعات حسب أهميتها للدراسات المقبلة .

٤ ـ جمع بيانات عن الامكانيات العلمية لاجـراء البحث فى الميـدان الواقعى أو بعبارة أخرى استطلاع حقيقة الموقف الفعلى الذى تجرى فيه الدراسة ، ومدى الامكانيات العلمية التى تيسر أو تعوق تنفيذ البحث .

٥ ـ امداد الباحثين بأهم الموضوعات التى يراها الأخصائيون والخبراء جديرة بالدراسة والبحث (١) .

وفى رأينا أن كثيرا من هذه الوظائف يمكن أن تدخل فى خطوة صياغة المشكلة . فقد سبق أن أوضحنا أن الصياغة الصحيحة للمشكلة يمكن أن تشمل التعريف بالمشكلة وطبيعتها وحدودها ، والتعريف بجوانب الضعف ومواطن القصور فى الادوات التى يمكن استخدامها لجمع البيانات ، وتحديد المفاهيم ، والتعريف بأهمية المشكلة من الناحيتين النظرية والعملية (٢) . وعلى هـذا فاننا نستطيع أن نركز أهداف الدراسات الكشفية فى الخطوتين اللتين حددناهما فى البداية وهما صياغة المشكلة ، والتعرف على أهـم الفروض . على الا يتغيب عن الذهن أن صياغة المشكلة تتضمن جميـع العناصر التى سبقت الاشـارة اليها .

* * *

● **مستلزمات الدراسة الكشفية :**

لـما كان الباحث الاجتماعى يبدأ الدراسة الكشفية وهو يجهل الكثير عن طبيعة الموضوع الذى يدرسه ، فان تصميم هذا النوع من الدراسات يستلزم قدرا كبيرا من المرونة والشمول وعدم التحديد الدقيق . ولكى تأتى الدراسة الكشفية بأحسن النتائج ينبغى على الباحث الاستعانة بالأساليب الآتية :

١ ـ الاطلاع على البحوث السابقة فى الميدان الاجتماعى وفى الميادين التى لها صلة بالمشكلة .

٢ ـ الرجوع الى الأشخاص الذين لهم خبرة عملية بموضوع البحث أو الى الأشخاص المهتمين بدراسة الموضوع .

٣ ـ تحليل بعض الحالات المثيرة للاستبصار (٣) .

وسنحاول فيما يلى أن نفصل الحديث عن كل نقطة من النقـاط السابقة :

---

(١) C. Selltiz et al, op. cit., p. 51.

(٢) انظر ما كتبناه عن صياغة المشكلة .

(٣) C. Selltiz et al, op. cit., p. 53.

٤ — الاطلاع على البحوث السابقة :

ينبغى على الباحث أن يقرأ كل ما يمكنه الحصول عليه من معلومات تتصل بمشكلة البحث ، وذلك بالرجوع الى الكتب التى عرضت لموضوع الدراسة من قريب أو بعيد ، وكذا الابحاث التى سبق اجراؤها فى ميادين قريبة . ويستطيع الباحث حصر هذه البحوث بالرجوع الى الكتب المطبوعة ، والرسائل العلمية غير المطبوعة ، والنشرات التى تصدرها الهيئات والمنظمات المختلفة ، والمجلات والدوريات التى تقدم عرضا للبحوث التى سبق اجراؤها أو التى لا تزال قيد البحث .

ولا ينبغى على الباحث أن يقتصر على الكتب والبحوث التى لها صلة بموضوع دراسته ، لان الاطلاع فى ميادين أخرى غير ميدان البحث كثيرا ما يوحى بأفكار جديدة لها قيمتها العلمية ، كما انه يعمق فهم الباحث بالموضوع الذى يدرسه ، ويمكنه من تحديد الابعاد الحقيقية له ، ويهىء له السبيل الى معرفة الارتباطات القائمة بينه وبين غيره من الموضوعات .

وجريا على طريقتنا فى توضيح النقاط التى نعرض لها باعطاء أمثلة من الدراسات الميدانية التى أجريت فى جمهورية مصر العربية نعطى المثالين التاليين :

يذكر الاستاذ الدكتور حسن الساعاتى فى بداية بحثه الميدانى عن التصنيع والعمران بمدينة الاسكندرية أنه قام باجراء عدة بحوث استطلاعيه فى نطاق ضيق هيأت له فرص ملاحظة العمال والتحدث اليهم فى أوقات العمل والراحة (١) .

وقد تبين لنا من استعراضنا للدراسة النظرية والميدانية انه افاد الى حد كبير من المراجع الاجنبية التى تناولت موضوع التصنيع والآثار المترتبه عليه ، وكذا المراجع التى عرضت لموضوع العمران — الايكولوجيا البشرية — كما أنه أفاد أيضا من المراجع التاريخية والاقتصادية المختلفة فى دراسته للنمو الصناعى فى مصر ، كما اعتمد أيضا على الاحصاءات التى تصدرها مصلحة الاحصاء ، وأفاد منها فى التعرف على أحوال العمال (٢) .

أما المثال الآخر فانه مستمد من بحث « تعاطى الحشيش » الذى أجراه المركز القومى للبحوث الاجتماعيه والجنائية . فقد ورد فى التقرير أن هيئة

---

(١) حسن الساعاتى : التصنيع والعمران . بحث ميدانى للاسكندرية وعمالها ص ٢٠٨ .

(٢) حسن الساعاتى : الرعاية العمالية والتنمية الصناعية فى مصر ، حلقة الدراسات الاجتماعية للدول العربية ، ادارة الشئون الاجتماعية والصحية ، الأمانة العامة ، جامعة الدول العربية ، بغداد ١٩٥٤ كتاب الدورة الرابعة ، ص ٥٠٤ — ٥٢٥ .

البحث حاولت حصر مجموعة البحوث العلمية التى نشرت فى هذا الموضوع وورد تلخيصها فى مجلة « الملخصات السيكولوجية Psychological Abstracts» منذ بداية سنة ١٩٥٠ حتى نهاية سنة ١٩٥٩ . وهذه المجلة تنشرها جمعية علم النفس الامريكية وتورد فيها ملخصات بالانجيزية لجميع البحوث النظرية التجريبية التى تنشر فيما يقرب من خمسمائة دورية علمية تنشر فى معظم دول العالم ، فى فروع علم النفس المختلفة وفى علوم الاجتماع والبيولوجيا وجميع الدراسات التى من شأنها أن تلقى ضوءا على جوانب السلوك الانسانى المختلفة .

ويذكر التقرير أن الهدف من هذا الحصر هو تكوين فكرة اجمالية عن مستوى البحوث الجارية فى موضوع البحث فى تلك الفترة ، لان هذا من شأنه أن يمكن الباحثين من تفهم بعض الاسباب التى أدت الى تضارب الآراء أو ضآلة المعلومات الثابتة حول كثير من جوانب الموضوع (١) . وقد نشر التقرير بيانا بالبحوث التى وردت بالملخصات السيكولوجية ، هذا بالاضافة الى بحثين لم يرد ذكرهما فى الملخصات (٢) .

وقد أفادت الهيئة فائدة كبرى من اطلاعها على البحوث السابقة . اذ أنها تبينت أن الحاجة ماسة — على نطاق عالى — الى اجراء بحث علمى للبحث أن يوفرها سواء من ناحية منهجية ، أو من ناحية الموضوعات التى ينبغى له أن ينظر فيها ويكتشف عن حقيقتها (٣) .

٢ — استشارة ذوى الخبرة والمهتمين بالموضوع :

ينبغى على الباحث بعد اطلاعه على الدراسات والبحوث المختلفة أن يتصل بالعاملين فى الميدان ، والاخصائيين الذين يهمهم موضوع البحث ، ليتعرف على آرائهم وأفكارهم التى لا يكون قد سبق لهم نشرها . وكثيرا ما يفيد الباحث من مقابلاته لهؤلاء المختصين فى تحديده للمتغيرات المختلفة التى يمكن أن تتضمنها مشكلة البحث . وليس من الضرورى أن يتخير الباحث عينة ممثلة للاخصائيين والعاملين فى الميدان ، وانما يهم أن تكون العينة التى يقع عليها الاختيار من بين هؤلاء الذين عرفوا بتبصرهم ، وقدرتهم على اكتشاف العلاقات التى تكمن وراء الظواهر المختلفة .

ويجب الا يقتصر الباحث على سماع وجهة نظر واحدة ، اذ لابد من مقابلة أفراد مختلفين فى آرائهم وخبراتهم حتى يتسنى له الاحاطة بالموقف من

---

(١) منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية : تعاطى الحشيش ، ص ١١ .

(٢) نفس المصدر : ص ١١ ، ١٢ .

(٣) نفس المصدر : ص ١٧ .

جميع أوجهه ، والتعرف على الجوانب المختلفة للمشكلة (١) . كما يحسن اعداد استمارة استبار Interviewing schedule لموقف المقابلة حتى يتسنى للباحث جمع البيانات التى تلزمه. ويجب أن تتميز استمارة الاستبار بالمرونة الكافية ليتمكن ذوو الخبرة من التطرق الى موضوعات لم ترد فى الاستمارة ؛ ومن الضرورى أيضـــا أن تحوى الاستمارة عددا كبيرا من الاسئلة ذات النهاية المفتوحه Open ended التى تسمح بالتعبير الحـر ، والتى لا تقيد الافراد لاجابات محددة (٢) .

وسنستعين فى توضيح هذه النقطه باحدى الدراسات التى قامت بها الادارة العامة لرعاية الشباب لتحديد المشكلات الرئيسية للطلاب فى المرحلة الثانوية (٣) . فقد قامت الادارة العامة لرعاية الشباب — تحقيقا للجانب الاجتماعى من رسالتها — ببحث شامل فى محيط المدارس الثانوية وما فى مستواها للوصول الى العوامل التى تؤثر فى سلوك هؤلاء الطلاب ، ولوضع الخطط لمواجهة المشكلات التى يسفر عنها البحث .

وقد رأت الادارة ، قبل البدء فى البحث ، أن تقوم بدراسة استطلاعية تسأل فيها ذوى الخبرة من المسئولين عن الطلاب والمتصلين بهم فى المدارس من نظار ووكلاء ومدرسين ورواد وأخصائيين اجتماعيين فى أنواع السلوك الشائعة بين الطلاب . وقد اشتركت فى هذه الدراسة ١٢٨ مدرسة ، ١١٣٥ من ذوى الخبرة والمهتمين بالموضوع من النظار والوكلاء والمدرسين والرواد والاخصائيين وبعض أساتذة كلية التربية بالقاهرة .

وتتلخص الخطوط العريضة للدراسة الاستطلاعية فيما يلى :

١ — تصميم استمارة استفتاء تحتوى على أربعة أسئلة رئيسية :

الاول : يتضمن قائمة ببعض أنواع السلوك غير السوى بين الطلاب وعددها ١٥ نوعا ليقوم المستفتى بترتيبها حسب شيوعها من وجهة نظره .

الثانى : عن أنواع السلوك الاخرى التى يرى المستفتى اضافتها لاهميتها .

---

(١) C. Selltiz et al, op. cit., p. 56.

(٢) يمكن الرجوع الى ما كتبناه فى الباب الخامس عن تصميم الاستمارة لمعرفة الفرق بين الانواع المختلفة من الاسئلة .

(٣) الادارة العامة لرعاية الشباب : بنين : دراسة لبعض مشكلات الطلاب فى المدارس الثانوية وما فى مستوها ، مطبعة المعرفة ، ١٩٦٢ .

الثالث : يتضمن قائمة بالاسباب العامة المؤدية الى انحراف الطلاب وعددها ١٤ لاختيار الهام منها وترتيبها حسب أهميتها .

الرابع : يتعلق بذكر أهم الاقتراحات التى يرى ادخالها فى المدرسة والبيئة لمعالجة أسباب الانحراف .

٢ — رؤى أن تتضمن الدراسة الاستطلاعية علاوة على استفتاء هيئات التدريس :

(أ) الحصول على آراء أساتذة علم النفس بكلية التربية للوقوف على آرائهم فى سلوك الطلاب .

(ب) أن يوضع فى الاعتبار الحالات التى قامت ببحثها مكاتب الخدمات الاجتماعية المدرسية والاخصائيين الاجتماعيين بالمدارس .

ولتوضيح نوع الاسئلة الذى يمكن أن تتضمنه مثل هذه الدراسات الاستطلاعية نضرب مثالا بالسؤالين الاول والثانى فى الاستمارة .

١ — فيما يلى قائمة ببعض أنواع السلوك غير السوى بين الطلاب . المرجو ترتيبها بحسب درجة شيوعها بين طلاب مدرستكم .

( ) التأخر الدراسى	( ) الانطـــواء
( ) الهروب من المدرسة	( ) السرقـــة
( ) الكـــذب	( ) السلوك الاتلافى (التخريبى)
( ) معاكسة الجنس الآخر	( ) عدم طاعة الوالدين
( ) مشكلات جنسية	( ) الميـــوعة
( ) التغيب عن المدرسة	( ) التـــدخين
( ) العدوان على الزملاء	

٣ — هل هناك أنواع من المشكلات ترى اضافتها ؟ وما هى ؟

١ —	٢ —	٣ —
٤ —	٥ —	٦ —

ومما نلاحظه على أسئلة الاستمارة أنها تتميز بالمرونة ، كما انهما تهيء لذوى الخبرة فرصة حصر النقاط الرئيسية التى تتعلق بموضوع البحث .

وقد جاء فى التقرير الذى نشرته الادارة العامة لرعاية الشباب أن الدراسة الاستطلاعيه مكنت الباحثين من حصر المشكلات الرئيسية التى تواجه طلاب المرحلة الثانوية ، وأنها ساعدتهم على الانتقال الى المرحلة الثانية من البحث وذلك باجراء البحث فى أنواع السلوك التى ثبت انتشارها وشيوعها بين عدد كبير من الطلاب وهى : الغياب ، والهروب ، والاستهتار بالنظام المدرسى ، والكذب ، والانطواء ، والسرقة (١)

---

(١) المصدر السابق ص ١٢

٣ ــ تحليل بعض الحالات المثيرة للاستبصار :

توصل العلماء والباحثون فى الميادين الاجتماعية التى لم يطرقهـــا الباحثون من قبل الى أهمية دراسة بعض الحالات فى تزويدهم باستبصارات جديدة عن الموضوع الذى يرغبون فى دراسته (١) .

فالباحث فى ميدان السلوك الاجتماعى قد يتخير بعض الأفراد ، ويجرى معهم مقابلات حرة ، ويترك لهم حرية الانطلاق والتعبير عن الأفكار التى لها صلة بموضوع دراسته ، كما يوجه اليهم بعض الأسئلة عن النواحى التى يرغب فى معرفة المزيد عنها ، ويترك لهم حرية الاستطراد فى الاجابة طالما أن الاستطراد يتناول موضوعات لها صلة بالبحث . والباحث فى ميدان الأنثروبولوجيا الاجتماعية قد يتخير قبيلة أو مجتمعا ما ، ويتصــل بشـــخص أو أشـــخاص من بين أفراد المجتمع ، يطلق عليهم علميا اسم « اخباريين Informants » ، ويعتمد عليهم فى تزويده ببعض المعلومات التى تلزمه عن الأحوال الاجتماعية والثقافية لتلك المجتمعات ، وبالتالى يستطيع الباحث فى أى ميدان أن يتبع نفس الأسلوب فى تزويده باستبصارات وأفكار جـــديدة .

ولما كان الغرض من تحليل الحالات المثيرة للاستبصار هو التعرف على الفروض تمهيـــدا لدراستها واختبارها فى مرحلة تاليـــة ، فليس من الضرورى والحال كذلك أن تكون العينة التى يقع عليها اختيار الباحث ممثلة تمثيلا صحيحا للمجتمع ، وانما المهم أن تكون الحالات من النوع الذى يساعد على تبصيره بمتغيرات جديدة ، ونسوق فيما يلى بعض الامثـلة لحالات مثيرة للاستبصار :

١ ــ الحالات المحددة المعالم بالنسبة للظاهرة المدروسة :

اذا أراد الباحث أن يدرس ظاهرة القيادة فى محيط الطلاب ، فانه قد يتخير بعض الطلبة الذين يقومون دائما بدور القيادة والتوجيه لزملائهم ، ويحاول مراقبة ألوان نشاطهم ، وعلاقاتهم بغيرهم من الأفراد ، ويحــاول التعرف على الصفات التى تميزهم عن غيرهم ، والمواقف التى يظهرون فيها ، وطريقة تصرفهم فى تلك المواقف ، وبالمثل يستطيع الباحث الاســــتعانة بفريق آخر ممن عرفوا بسهولة انقيادهم وخضوعهم . ويحاول التعرف على صفاتهم الشخصية ، وطريقة تصرفهم فى المواقف المختلفة ، ومع أن كل جماعة تحوى أفرادا وسطا ، الا أن اختيار الأشخاص من بين الحالات المتطرفة المحددة المعالم يساعد الباحث على التعرف بسهولة ويسر على الفروق الرئيسية بين القادة وغير القادة ، ويهيىء له السبيل الى تحديد المتغيرات المرتبطة بظاهرة القيادة تمهيدا لدراستها دراسة متعمقة .

---

(1) C. Selltiz et al., op. cit., pp. 59-65.

وبالمثل اذا أراد الباحث أن يقوم بدراسة عن العادات والتقاليد ومدى تمسك الأفراد بها ، فانه قد ينتقى حالاته من بين الاشخاص الذين عرفوا بعدم تقيدهم بالتقاليد وعدائهم الشديد لها ، كما قد يستعين ببعض الحالات التى عرفت بتمسكها الشديد بالتقاليد ، وخضوعها لسلطان العادات .

وفى دراسة عن مركز الدين فى المجتمع الحديث ، قد يستعين الباحث بأفراد أو مجتمعات عرفت بتمسكها الشديد بالدين ، وبأفراد ومجتمعات أخرى عرفت بعدم تمسكها بالدين . ولا ريب فى أن انتقاء الحالات بهذه الصورة يزيد من استبصار الباحث بالمشكلة ، ويمكنه من تحديد المتغيرات المرتبطة بالموضوع الذى يدرسه .

٢ ب- انطباعات الغرباء فى المجتمع الجديد :

يلاحظ دائما أن الأشخاص الذين يزورون مجتمعا ما للمرة الأولى فى حياتهم يكونون أكثر حساسية بخصائص المجتمع الجديد من الأشخاص الذين ولدوا وعاشوا فى نفس المجتمع . فالريفى الذى يزور مدينة كبيرة لأول مرة ، يرى ويلاحظ أشياء ومواقف لا يلاحظها الشخص الذى ولد فى المدينة ونما بها واعتاد حياتها .

والسائح الذى يسافر الى بلد غريب تنطبع فى ذهنه صور كثيرة عن خصائص الحياة الثقافية والاجتماعية فى المجتمع الجديد ، وهذه الخصائص قد لا ينتبه اليها الأشخاص المقيمون فى ذلك المجتمع لأنهم ألفوها واعتادوا عليها منذ الصغر (١) .

وليس من شك فى أن كثيرا من الانطباعات التى تعلق بأذهان السائحين والغرباء تتمثل فيها السطحية وعدم الدقة ، الا أنها تفيد كثير فى الكشف عن ظواهر لا يتبينها المقيمون فى نفس المجتمع ، ولا ضرر من الرجوع الى هؤلاء الغرباء أو الى كتاباتهم طالما أن الباحث لا يستعين بها فى اختبـــار

---

(١) لدينا فى جمهورية مصر العربية كثير من الكتب التى يصور فيها أصحابها انطباعاتهم عن مجتمعات زاروها ، وأقاموا فيها أزمنة متفاوتة وسجلوا ما شاهدوه فيها بحساسية فائقة .

ومن أمثلتها ما كتبه :

أحمد بهاء الدين : شهر فى روسيا .
أمينة السعيد : مشاهدات فى الهند .
أنيس منصور : حول العالم فى ٢٠٠ يوم .
جاذبية صدقى : أمريكا وأنا .
محمد زكى عبد القادر : صور من أوروبا وأمريكا .

الفروض ، وانما يسترشد بها فى استطلاع الظروف المحيطة بالمشكلة ، وفى التعرف على بعض المتغيرات المرتبطة بالظاهرة التى يدرسها .

٣ ــ انطباعات الأفــراد الهامشيين :

وكما يستفيد الباحث من تحليله لاحساسات الغرباء وانطباعاتهم عن المجتمع الذى يقومون بزيارته ، فانه بالمثل يستطيع أن يستفيد من احساسات الأفراد الهامشيين وانطباعاتهم عن الوسط الثقافى الجديد الذى وفدوا اليه. والأفراد الهامشيون فى نظر العلماء الاجتماعيين هم الذين يعيشون على هامش ثقافتين ، احداهما قديمة نشئوا فى ظلها ، وتمثلوا قيمها وانماطها السلوكية ، والأخرى جديدة انتقلوا اليها ، ويرغبون فى تكييف سلوكهم وفقا لقيمها السلوكية ، الا انهم لا يلقون القبول التام من افرادها . ومن أمثلة هؤلاء الهامشيين المهاجرون وطلاب الجنسية والطلاب الذين يقيمون فترات طويلة فى مجتمعات غريبة عنهم . ولما كان الأفــراد الهامشيون يعيشون فى صراع نفسى عميق بين نوعين من الثقافات ، فانهم يكونون اكثر حساسية بما يسود المجتمع الجديد من أنماط ثقافية ، وعلى هذا فان الاتصال بهم ، وسؤالهم عن معلوماتهم وانطباعاتهم عن المجتمع الجديد كثيرا ما يفيــد فى تبصــير الباحثين بكثير من الأفكار المتصلة بالظواهر التى يرغبون فى دراستها .

٤ ــ الأفراد الذين يشــغلون مراكز اجتماعية متفاوتة :

لما كان الأفراد الذين يشغلون مراكز اجتماعية مختلفة ينظرون الى الأمور من زوايا مرتبطة بمراكزهم ، فان الاتصال بأفراد مختلفين فى مكاناتهم الاجتماعية كثيرا ما يزيد من استبصار الباحث بالموضوع الذى يدرسه ، فاذا كان الباحث مثلا يرغب فى القيام بدراسة فى احد المصانع ، فان استطلاع رأى العامل لا يقل أهمية عن استطلاع آراء المشرفين على العمال والمهندسين وغيرهم من العاملين بالمصنع .

٥ ــ الحــالات المرضية :

قد يستفيد الباحث من دراسته لبعض حالات المنحرفين فى فهم حالات غير المنحرفين ، كما أن دراسة المنزوين Isolates فى جماعة من الجماعات قد يساعد الباحث فى التعرف على العوامل المرتبطة بديناميات الجماعة ، وفى تحديد العوامل المؤدية الى تماسك الجماعات . وترى سيلتيز أن التحليل النفسى قد أسهم الى حد كبير فى فهم الشخصية السوية عن طريق دراسة الحالات المرضية (١) .

---

(١) C. Selltiz et al., Ibid., p. 62.

٦ — الجمـــاعات فى فترات الانتقال :

ان دراسة الأفراد والجماعات فى مراحل الانتقال كثيرا ما تلقى أضواء كثيرة على ما يسود المجتمع من تيارات متعارضة ، وتوضح كيفية انعكاس الصفات الغالبة فى المجتمع على شخصيات الأفراد والجماعات . مثال ذلك دراسة مراحل الانتقال فى النمو كمرحلة التعلم والمراهقة والشيخوخة فى علم النفس ، ودراسة التغير الموجه فى علم الاجتماع . وقد استفاد علماء النفس والاجتماع والانثروبولوجيا الاجتماعية كثيرا من دراستهم لفترات الانتقال وأثرها فى حياة الأفراد والجماعات والمجتمعات .

من هذا العرض يتبين لنا أن هناك حالات كثيرة للاستبصار ، وقد عرضنا بعضا منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر ، وليس من الضرورى فى كل دراسة استكشافية أن يستعين الباحث بها جميعا ، وانما يمكنه أن يتخير من بينها ما يتناسب مع طبيعة المشكلة التى يدرسها .

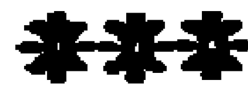


● القواعد الواجب مراعاتها عند تحليل الأمثلة المثيرة للاستبصار :

١ — ينبغى على الباحث أن يتميز بحساسية فائقة ، وأن يتجه الى جمع بيانات تمكنه من استطلاع الموقف لا الى اختبار الفروض .

٢ — ينبغى على الباحث أن يميز بين النواحى الفردية الفريدة فى نوعها والتى تتميز بها حالة أو ظاهرة معينة ، وبين السمات المتكررة والمشتركة بين الحالات المختلفة .

٣ — ينبغى على الباحث أن يسعى الى ضم المعلومات المتفرقة التى يحصل عليها فى اطار واحد يسمح بفهمها وتفسيرها والاستفادة منها .



● مثال من دراسة تعاطى الحشيش :

أفادت هيئة البحث فى دراستها الكشفية لظاهرة تعاطى الحشيش من استشارتها للمشتغلين بالميدان والمهتمين بدراسة الموضوع ، كما أفادت من الاطلاع على المؤلفات العلمية والبحوث التى أجريت فى الميدان . وقد رأت الهيئة زيادة فى الفائدة؛ ورغبة فى تحصيل قدر من الخبرة والاستبصار بطبيعة المادة البشرية التى هم مقبلون على الاتصال بها أن تقوم بتحليل بعض الحالات المثيرة للاستبصار ، فعملت على استبار بعض المتعاطين وعددهم ١٩ شخصا ويمكن تلخيص السمات الرئيسية لجلسات الاستبار فيما يلى :

١ — كان المفحوص يواجه جميع أعضاء هيئة البحث معا، أثناء استبارة، وكان عددهم حينئذ ثمانية أعضاء . وكانوا يجتمعون فى احدى قاعات المركز، حول منضدة مستطيلة وكان يطلب الى المفحوص الجلوس بينهم كأى عضو فى الهيئة .

٢ — كانت معظم جلسة الاستبار غير موجهة ، بمعنى أن الهيئة كانت تميل الى القاء أقل عدد من الأسئلة ، وكانت الأسئلة غالبا ذات نهايات مفتوحة وكان الهدف من ذلك اتاحة أكبر فرصة أمام المفحوص لكى يستطرد فى اجابتــه كلما أمكن ذلك .وكانت الهيئة ترحب بكل اســتطراد ما دام يتناول ما يتعلق بموضوع البحث .

٣ — كانت الهيئة تحسن استقبال المفحوصين ، وكانوا فى العــــادة يحضرون لمواجهتها بعد بدء اجتماعها بفترة قصيرة ، وكان الأعضاء يحاولون الاقلال من الطابع الرسمى للجلسة .

٤ — حرصت الهيئة على أن تبدو أمام المفحوصين باعتبارها مجموعة من الباحثين المتخصصين ، الذين لا يهمهم سوى البحث العلمى لمعرفة وجه الحقيقة . وان هذا الموضوع لم يدرس من قبل دراسة علمية بالمعنى الصحيح، وخصوصا فى الاقليم الجنوبى ، وأنه كلما زادت معلومات الباحثين عن الموضوع من خلال خبرات المفحوصين باعتبارهم مجربين زادت قدرة الباحثين على معرفة الحقيقة .

٥ — حرصت الهيئة على أن تقلل من التوترات النفســية فى جلســه الاستبار ما أمكن ، ومن أهم الطرق التى اتبعتها لتحقيق هــذا الهدف استقرارها على نمط معين فى طريقة القاء الأسئلة . فكان رئيس الجلسة يبدأ بالترحيب بالمفحوص ، ثم يوضح له مهمة الهيئة . ثم يلقى عليه سؤالا عاما جدا يتلخص فى أنهم يرجون أن يسمعوا منه كل مايتعلق بخبرته بالتعاطى سواء فى جوانبها الاجتماعية أو فى جوانبها النفسية ، ثم يترك للمجيب حرية الاجابة كيفما شاء ، حتى اذا ما بدا أنه انتهى من سرد ما لديه من معلومات عاد رئيس الجلسة فأخذ يسأله عن بعض النقاط الخاصة التى لم يوضحها والتى أغفلها أو التى تعارضت فيها بياناته مع ما لدى الباحثين من معلومات سابقة ، بعد ذلك يبدأ رئيس الجلسة بدعوة الأعضاء عضوا بعد الآخر (فى ترتيب يكاد ألا يتغير من جلسة الى أخرى) لكى يوجه كل منهم الى المفحوص ما يروق له من الأسئلة . وينتهى الاستبار عندما يقتنع الجميع بأنهم حصلوا على ما يمكن الحصول عليه من معلومات .

٦ — فى جميع جلسات الاستبار تم تسجيل اجابات المفحوصين مباشرة أى أثناء الجلسات نفسها . وكان هذا التسجيل يجرى كتابة أو آليا ، وفى الحالتين كان يتم على مشهد من المفحوصين .

٧ — كان المفحوصون جميعا متطوعين ، من خلال بعض الصــلات الشخصية بعــدد من أعضاء الهيئة . وقد تناول بعضهم أجــرا فى مقابل تطوعه . وكانوا جميعا من المواطنين الأحرار ، وقد حرصت الهيئة على ذلك بدلا من استبار عدد من الأشخاص المسجونين لأن بعض الدلائل تدل

على أن عينة المسجونين لا تمثل الا قطاعا ضئيلا من جمهور المتعاطين خارج السجن (١) .

وقد استثيرت موضوعات كثيرة أثناء هذه الاستبارات الأولية منها ما يتعلق بالظروف التى أحاطت ببدء تعاطى الشخص للحشيش فى ذلك الوقت . هل يتعاطاه عادة بالليل أم بالنهار ؟ .. الخ ، والتغيرات السيكولوجية التى يحدثها تعاطى الحشيش عقب التعاطى ؛ وموضوعات أخرى كثيرة تتمشى مع الأهداف الرئيسية للبحث (٢) .

وقد ترتب على الاجراءات التى قامت بها الهيئة أن توصلت الى نتيجتين هامتين هما :

١ — شعرت الهيئة بانه قد تجمع لديها قدر لابأس به من المعلومات عن الجوانب المختلفة لظاهرة التعاطى .

٢ — شعرت الهيئة بأن الاستبارات الحرة التى أجرتها مكنتها من تحصيل قدر من الخبرة والاستبصار بطبيعة المادة البشرية التى هى مقبلة على الاتصال بها على نطاق واسع (٣) .

من العرض السابق تتضح لنا أهمية الدراسات الكشفية فى صياغة المشكلات وتحديد المتغيرات تمهيدا لبحثها بحثا متعمقا ، وفى التعرف على أهم الفروض وذلك لمحاولة التثبت من صحتها أو خطئها فى بحوث تالية .

***

٢ — الدراسات الوصفية

تستهدف الدراسات الوصفية تقرير خصائص ظاهرة معينة أو موقف تغلب عليه صفة التحديد . وتعتمد على جمع الحقائق وتحليلها وتفسيرها لاستخلاص دلالتها . وتصل عن طريق ذلك الى اصدار تعميمات بشأن الموقف أو الظاهرة التى يقوم الباحث بدراستها .

ويرى البعض « أن الدراسات الوصفية هى التى تجمع بياناتها لا لخدمة غرض بذاته محدد سلفا ، ولا لفائدة جامع البيانات نفسه وانما يقصد بها توفير البيانات لخدمة سائر الباحثين فى اغراضهم المتعددة . وغالبا ما تقوم بجمع بيانات هذا النوع من البحوث الأجهزة الاحصائية العامة فى الدولة ، وقد يكون ذلك على فترات دورية كما هو الحال فى التعدادات السكانية وحصر الانتاج الصناعى وغيرها ، أو على فترات غير دورية كما فى بحث ميزانية الأسرة أو المسح الاجتماعى الذى تقوم به البلدية مثلا من وقت

---

(١) المصدر السابق : ص ٤٠ .
(٢) نفس المصدر : ص ٤١ — ٤٤ .
(٣) نفس المصدر : ص ٤٦ .

لآخر لأحياء مدينة القاهرة واحدا بعد الآخر (١) . والواقع أن قصر الدراسات الوصفية على مجرد جمع البيانات الاحصائية وتوفيرها لخدمة سائر الباحثين ليس صحيحا . فالبيانات الاحصائية فى حد ذاتها لا يمكن اعتبارها بحوثا وصفية ، ذلك لأن الدراسات الوصفية لا تقف عند مجرد جمع البيانات والحقائق بل تتجه الى تصنيف الحقائق والبيانات وتحليلها ثم استخلاص النتائج وتعميمها .

ويطلق البعض على الدراسات الوصفية اسم « دراسات الكائنات أو المراكز Status studies » نظرا لأنها تعنى بوصف الكائنات والاوضاع القائمة فى المجتمع فى فترة معينة . ويطلق عليها فريق آخر اسم « الدراسات القاعدية أو المعيارية Normative studies » نظرا لانها تعنى بتحديد القواعد العامة والمعايير السائدة بين أفراد المجتمع الواحد . ويطلق عليها فريق ثالث اسم « الدراسات المسحية Surveys » نظرا لاننا حينما نمسح الظاهرة انما نحاول تحديد طبيعتها ومعرفة خصائصها . ويطلق عليها فريق رابع اسم « المسح المعيارى Normative-survey » ليجمع بين الفكرتين الأخرتين (٢) وفى رأينا أن اصطلاح الدراسات الوصفية يؤدى المعنى المقصود أكثر من أى اصطلاح آخر ، ثم انه أكثر عمومية وشمولا من أى من التسميات السابقة .

هذا وتشترك الدراسات الوصفية فيما يلى :

١ — أنها تتجه الى الوصف الكمى أو الكيفى للظواهر المختلفة بالصورة التى هى عليها فى المجتمع للتعرف على تركيبها وخصائصها .

٢ — أنها تعنى بحصر العوامل المختلفة المؤثرة فى الظاهرة ، وقد تتضمن فروضا مبدئية تربط بين متغيرين أو أكثر ، الا أن هذه الفروض ليست من النوع الذى يقول بأن متغيرا ما يسبب أو يحدث المتغير الآخر ، فالنوع الآخر من الفروض يحتاج الى دراسات أكثر دقة وعمقا ، وهو الذى تتضمنه الدراسات التى يطلق عليها اسم الدراسات التجريبية أو السببية .

***

● الفرق بين الدراسات الكشفية والوصفية :

تختلف الدراسات الكشفية عن الدراسات الوصفية فيما يلى :

١ — تستهدف الدراسات الكشفية تحديد معالم مشكلة البحث حينما تكون

---

(١) عبد المجيد فراج وسعد برغوت : تصميم البحوث : دار النهضة العربية ١٩٦٠ ، ص ١٠ ، ١١ .

(٢) Whitney, op. cit., p. 154.

المشكلة غير محددة ، أما الدراسات الوصفية فانها تستهدف جمع حقائق وبيانات عن ظاهرة تغلب عليها صفة التحديد .

٢ — تستلزم الدراسات الكشفية مرونة فى التصميم أكثر مما تستلزمه الدراسات الوصفية طالما أن الباحث يعمد الى الدراسات الكشفية وهو يجهل الكثير عن الظاهرة التى يدرسها بخلاف الحال فى الدراسة الوصفية التى يلجأ اليها الباحث بعد أن تكون قد أجريت بحوث كشفية كثيرة فى نفس الميدان .

***

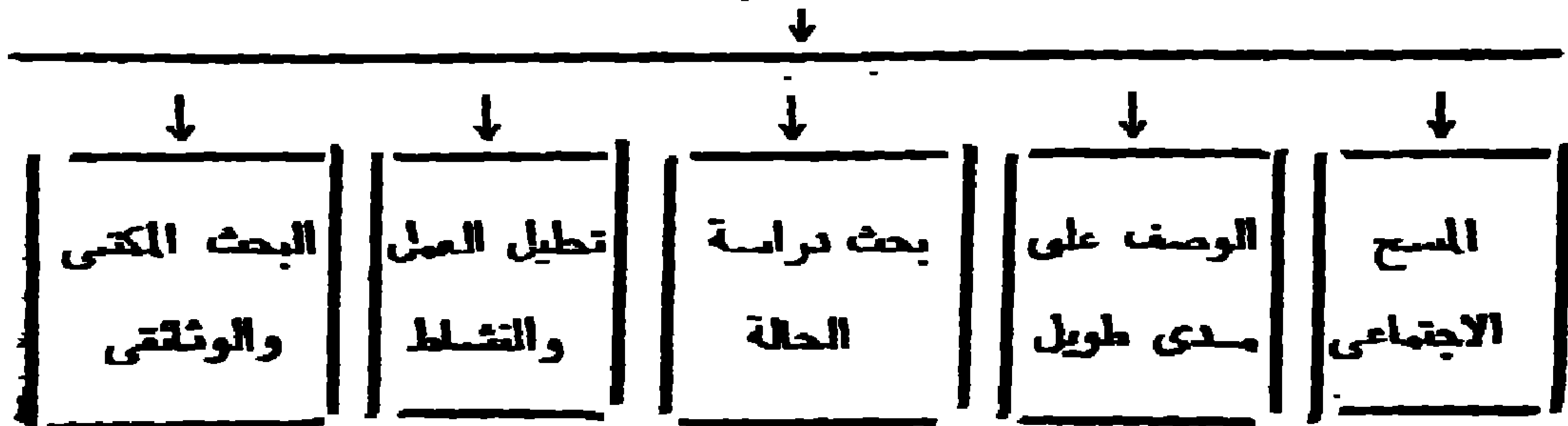
● أنواع المناهج المستخدمة فى الدراسات الوصفية :

يستعين الباحث فى الدراسات الوصفية بالمسح الاجتماعى ، ومنهج دراسة الحالة حينما يلجأ اليه الباحث بقصد التعرف على خصائص الظاهرة التى يدرسها لا بقصد اختبار فروض سببية، ويضيف هويتنى أمثلة أخرى للبحوث الوصفية منها البحث على مدى طويل ، ويستخدم غالبا فى الدراسات التتبعية ، وتحليل العمل والنشاط الذى يستعان به فى الكشف عن ألوان النشاط وأنواع القدرات والاستعدادات اللازمة للقيام بعمل معين ، والبحث المكتبى والوثائقى الذى يهدف الى تقييم الحقائق المتعلقة بموضوع معين ومقارنتها بغيرها من الحقائق وتفسيرها والوصول الى تعميمات بشأنها وذلك عن طريق الرجوع الى الوثائق والتقارير (١) .

أما جود وسكيتس فانهما يضيفان الى جانب المسح الاجتماعى ، العد والقياس والتقويم (٢) .

أنواع الدراسات الوصفية

(حسب تصنيف هويتنى)



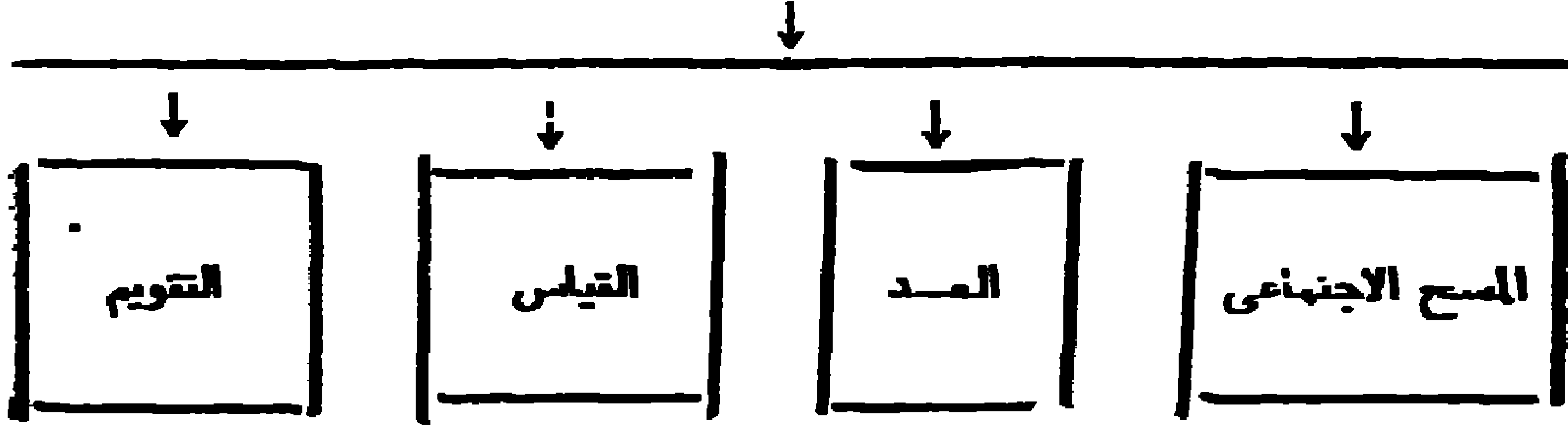
---

(١) Whitney, op. cit., pp. 155-319.

(٢) Good, and Scates, op. cit., p. 255.

أنواع الدراسات الوصفية

(حسب تصنيف جود وسكيتس)



وسنضرب أمثلة كثيرة من بحوث وصفية أجريت فى جمهورية مصر العربية فى الجزء الخاص بمناهج البحث (١) .

***

● مراحل الدراسة الوصفية :

تتطلب الدراسات الوصفية الاقتصاد فى الجهد الذى يبذل فى البحث مع الحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات ، والتقليل من احتمال التحيز فى وصف عناصر الموقف أو الظاهرة موضوع الدراسة (٢) وينبغى على الباحث أن يضع هذين الاعتبارين نصب عينيه عند تصميمه للبحث تصميما نموذجيا أو علميا . ويمر البحث الوصفى فى مراحل يمكن اجمالها فيما يلى :

١ ــ تحديد أهداف البحث وتحديد النقط الرئيسية والفرعية التى يرغب الباحث فى دراستها .

٢ ــ تحديد المفاهيم المستخدمة فى البحث .

٣ ــ تحديد المنهج أو المناهج المستخدمة فى البحث .

٤ ــ تحديد الأدوات اللازمة لجمع البيانات .

٥ ــ تحديد مجالات البحث الثلاثة : البشرى والمكانى والزمنى .

٦ ــ جمع البيانات من الميدان : وقد يجمع الباحث البيانات بنفسه أو عن طريق مندوبين عنه .

٧ ــ مراجعة البيانات للتأكد من اكتمالها وثباتها ، ثم تصنيفها فى فئات أو مجموعات متجانسة .

---

(١) انظر الباب الرابع من الكتاب .

(٢) Selltiz et al, op. cit., p. 67.

٨ ـــ تحليل البيانات وتفسيرها وتوضيح المدى الذى يمكن الذهاب اليه فى تعميم نتائج البحث الى مواقف أخرى مشابهة لموقف البحث .

٩ ـــ صياغة المقترحات العلمية وكتابة تقرير البحث (١) .

***

● الدراسات التى تختبر الفروض السببية (التجريبية) :

تتميز هذه الدراسات بأنها أكثر ضبطا ودقة واحكاما من الدراسات الكشفية والوصفية . فالباحث يلجأ الى الدراسة الكشفية وهو يجهل الكثير عن الموضوع الذى يدرسه . لذلك يعمد الى تضمينها أسئلة كثيرة تساعده على تحديد الأبعاد الحقيقية للمشكلة . فاذا استطاع أن يحدد هذه الأبعاد استطاع أن ينتقل فى الدراسة الوصفية الى وصف الظاهرة وتقرير خصائصها وتحديد الظروف والظواهر المحيطة بها . وقد يضمن دراسته بعض الفروض المبدئية . كما أن من الممكن أن يمضى الباحث فى دراسته دون أن تتضمن فروضا من أى نوع ، فاذا ما وصل الباحث الى هذه المرحلة استطاع أن ينتقل الى المرحلة الثالثة من البحث ، فيصوغ فروضا تتناول علاقات سببية أو وظيفية .

وقد سبق أن ناقشنا مفهوم السبب Cause فى فصل سابق ، وقلنا انه حسب تعريف جون ستيوارت ميل يحمل معنى القدرة على الايجاد أو الاحداث بالضرورة (٢) . ولما كان من الصعب فى الدراسات الاجتماعية أن نثبت بطريقة قاطعة أن سببا ما له قدرة على احداث ظاهرة معينة فاننا نتجه الى البحث عن العوامل Factors التى تشير الدلائل بدرجة كبيرة من الترجيح الى أن لها علاقة بأحداث الظاهرة التى ندرسها .

ويستعين الباحث الاجتماعى فى اختباره للفروض السببية بعدد من المناهج أهمها المنهج التاريخى ، ومنهج دراسة الحالة ، وذلك حينما يحاول الباحث استخلاص الحقائق عن الحالة الفردية وديناميكياتها للتحقق من صدق أحد الفروض السببية ، والمنهج التجريبى .

ويصنف جود وسكيتس أنواع المناهج التى يستعان بها فى اختبار الفروض السببية فى منهجين رئيسيين هما :

١ ـــ المنهج التاريخى : ويشمل التاريخ العام ، والتاريخ التربوى .

---

(١) راجع فى ذلك ما كتبناه عن خطوات التصميم المنهجى .

(٢) انظر الفصل الثالث من الكتاب .

والدراسات التتبعية للموروثات (الجينية) Genetic Studies (١) ، ودراسة الحـــالة .

٣ ـــ المنهج التجريبى - وهو الذى يستخدم التجربة للتحقق من صحة الفروض التى تربط بين الظاهرة وبين العوامل المرتبطة بها أو المسببة لها .

ونكتفى فى هذا المقام بهذا العرض العام للدراسات السببية نظرا لأننـــا سنناقش مناهج البحث فيما بعد بالتفصيل .

***

---

(١) هذا الاصطلاح مشتق من كلمة Gene التى تدل على المورثة أى حاملة الصفات الوراثية من جيل الى جيل . وهذه الدراسات تعتبر أنسب ما تكون فى اثبات النواحى الفطرية الموروثة . وهى تنحـدر من الحاضر الى الماضى فى بحثها عن الأصول والأسس .

الملخص

يعتبر التصميم المنهجي للبحث أمرا ضروريا فى مختلف البحوث الاجتماعية ، ويتطلب هذا التصميم بلورة المشكلة وصياغتها صياغة دقيقة وتحديد نوع الدراسة ومناهج البحث والأدوات اللازمة لجمع البيانات والطريقة التى تعالج بها البيانات من حيث التحليل والتفسير ، مع مراعاة الزمن المناسب لاجراء البحث ، واستبعاد جميع العوامل والظروف غير المرغوب فيها والتى تؤثر فى سير الدراسة .

وترجع أهمية التصميم المنهجي للبحث الى أنه يهيىء للباحث سبيل الحصول على بيانات دقيقة بأقل جهد ، كما أنه يساعد الباحث على اجراء تعديلات فى البحث قبل النزول الى الميدان لجمع البيانات ، فضلا عن أن التصميم يمكن الباحث من دراسة الموضوع بالأسلوب الذى يناسبه . وليس ثمة شك فى أن الباحث الاجتماعى فى الظروف التى نحيا فيها عليه واجب يلزمه باعادة النظر فى المناهج والأدوات التى يستخدمها حتى يستطيع أن يرتقى بطرق البحث الاجتماعى ، وحتى يستطيع أن يساهم مساهمة ايجابية فى دراسة الظواهر والمشكلات والعلاقات الاجتماعية بأساليب أكثر دقة واتقانا ، ولن يتأتى له ذلك الا اذا قام بتصميم منهجى دقيق لكل خطوة من خطوات البحث.

هذا ويلاحظ دائما أن هناك فى كل بحث أربعة أشخاص موضع اتصال. وهؤلاء الأشخاص هم : المستفيد ، والعالم ، والملاحظ ، والملاحظ (١) . وتنحصر أوجه الاتصال فى احالة المشكلة الى العالم الذى يصمم البحث ثم يدرب ويشرف على الملاحظين ، وهؤلاء يقومون بالملاحظة ، ويحصلون على استجابات المبحوثين ، ثم يسجلون الاستجابات ، فيحللها العالم ، ويعرض النتائج والاقتراحات على المستفيد ليختار طريقة العمل على حل المشكلة .

ويبدأ البحث الاجتماعى باختيار المشكلة . ويتوقف اختيار الباحث للمشكلة على عدة عوامل هى :

١ — الهدف من البحث : فقد يكون الهدف من الدراسة هو مجرد البحث العلمى البحت الذى يرمى الى مجرد اشباع فضول الباحث العلمى دون نظر الى ما قد يترتب على البحث من تطبيقات عملية . وقد يكون الدافع عمليا أى الوصول الى حل لمشكلة تواجه الأفراد والجماعات . والواقع أن الباحث فى حاجة الى كلا النوعين ، كما أن من الصعب الفصل بينهما فصلا تاما ، ثم ان معظم الأبحاث تحقق الغايتين النظرية والعملية .

٢ — الفلسفة الاجتماعية والسياسة للدولة : ذلك لأنه فى البلاد التى تتولى فيها الحكومة سياسة التخطيط ، تعمل الحكومة على تشجيع البحوث التى تستهدف تقويم مشروعاتها ، كما أنها تقترح أهم ميادين الدراسة .

---

(١) الملاحظ والملاحظ : الاولى بكسر الحاء والثانية بفتحها .

٣ — تمويل البحث : لأن المولين يقترحون فى كثير من الأحيان اهم ميادين البحث ، بالاضافة الى ان الباحثين قد يعملون على توسيع حدود المشكلة ارضاء لهؤلاء المولين .

٤ — مدى توافر الامكانيات العلمية للبحث من باحثين وادوات ومصادر علمية .

٥ — العامل الشخصى : لأن الباحث كثيرا ما يبحث مشكلة لها صلة بقيمه واتجاهاته ونوع الخبرات التى مرت به .

هذا ويستطيع الباحث أن يستقى مشكلاته من عدة مصادر أهمها ميدان تخصصه والدراسات الفرعية وان بعدت نوعا ما عن ميدان التخصص . والاطلاع العام فى مختلف الميادين ، وكذا الدراسات التى سبق اجراؤها .

أما عن الأسس التى يقوم عليها اختيار الباحث للمشكلة فهى احساس الباحث بالمشكلة ، وأهمية المشكلة التى يرغب فى دراستها بالنسبة للعلم والمجتمع ، وتدريب الباحث ، وجدة الموضوع ، بحيث لايقوم الباحث بدراسته ثم يكتشف فى نهاية الأمر ان آخرين قاموا بدراسة مماثلة وانهم سبقوه الى النتائج التى توصل اليها ، وتوفر البيانات المطلوبة وكذا الامكانيات المادية مع مراعاة الزمن المحدد للبحث .

وفى صياغة المشكلة يجب مراعاة أن تكون الصياغة دقيقة واضحة وذلك بتحديد النقط الرئيسية والفرعية التى تشملها المشكلة ، وأن تكون على هيئة أسئلة يضعها الباحث ثم يحاول الاجابة عنها فى بحثه ، وأن تكون الصياغة فى كلمات محددة وعبارات واضحة .

هذا وتشتمل الصياغة الكاملة للمشكلة على نقطة رئيسية الا وهى تحديد المفاهيم والمصطلحات العلمية . ويمكن الوصول الى تحديد دقيق للمفهوم باتباع عدة قواعد اهمها :

١ — ربط المفهوم بالتعريفات السابقة عن طريق الرجوع الى التعريفات السابقة للمفهوم والتوصل الى المعنى المتفق عليه ، ثم ادخال التعديلات على المعنى المتداول اذا كانت هناك ضرورة تستدعى ذلك ، ثم التحقق من دقة المفهوم وعموميته .

٢ — تحديد خصائص المفهوم البنائية والوظيفية . ويعنى بالخصائص البنائية تحديد المادة التى يتكون منها المفهوم وكذا التغيرات التى تطرأ على خصائص هذه المواد . أما الخصائص الوظيفية فانها تشير الى الوظيفة التى يؤديها المفهوم .

٣ — الاستعانة بالتعريفات الاجرائية . وهى التى تحدد المفهوم باستخدام ما يتبع فى ملاحظته أو قياسه أو تسجيله .

وبعد أن ينتهى الباحث من تحديد المفاهيم والمصطلحات العلمية فانه ينتقل الى خطوة وضع الفروض وخاصة فى الميادين التى ارتادها الباحثون من قبل ، والتى وصلت فيها البحوث السابقة الى درجة عالية من التقدم العلمى ، أما فى الميادين التى لا تزال جديدة فلا بأس من أن يقوم الباحث بدراسات استكشافية تساعد على استنباط الفروض التى يمكن اختبارها فى مرحلة تالية أو فى بحوث أخرى .

ويجب على الباحث عند صياغته للفروض مراعاة أن تكون واضحة ، وموجزة على هيئة قضايا يمكن التحقق من صدقها ، وأن تكون قابلة للاختبار بعيدة عن الأحكام القيمية والقضايا الاخلاقية ، وأن تكون خالية من التناقض مرتبطة بالنظريات التى سبق الوصول اليها ، ويفضل أن يلجأ الباحث الى مبدأ الفروض بدلا من أن يضيع وقته فى اختبار فرض واحد قد لا تثبت صحته .

هذا وتختلف درجة الدقة فى التصميم باختلاف نوع الدراسة التى يرغب الباحث فى القيام بها . فتصميم البحوث التجريبية يستلزم أكبر قدر من الدقة والاتفاق على حين أن البحوث الكشفية تتميز بالمرونة فى التصميم ، أما الدراسات الوصفية فانها تقف موقفا وسطا بين الاثنين . ويراعى فى البحوث الكشفية أن تكون مرنة وشاملة وغير محددة تحديدا دقيقا لأن الباحث الاجتماعى يبدأ بها وهو يجهل الكثير عن طبيعة الموضوع الذى يدرسه ، ولذا تساعده الدراسة الكشفية فى صياغة المشكلات ، وتحديد المتغيرات تمهيدا لبحثها بحثا متعمقا ، وفى التعرف على أهم الفروض وذلك لمحاولة التثبت من صحتها أو خطئها فى بحوث تالية .

أما الدراسات الوصفية فان الباحث يلجأ اليها بعد أن تكون قد أجريت بحوث كشفية فى الميدان الذى يدرسه ، ولذا يتجه الى جمع الحقائق عن ظواهر تغلب عليها صفة التحديد . وفى الدراسات التجريبية أو التى تختبر فروضا سببية فان الباحث يصوغ فروضا تتناول علاقات سببية ، ولذا يراعى فى تصميمها أن تكون فى غاية الدقة والضبط والاتقان .

***

المراجع

(١) باللغة العربيـــة :

١ — حسن الساعاتي : التصنيع والعمران ، بحث ميداني للاسكندرية وعمالها ، دار المعرفة ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٨ .

٢ — حسن الساعاتي : الرعاية العمالية والتنميـــة الصـــناعية في مصر ، حلقة الدراســـات الاجتماعية للدول العربيـــة ، ادارة الشـــئون الاجتماعية والصحية ، الأمانة العـــامة ، جامعة الدول العربية ، بغداد ، ١٩٥٤ ، كتاب الدورة الرابعـــة ، ص ٥٠٤ — ٥٢٥ .

٣ — منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية : تعاطى الحشيش : التقرير الأول ، استمارة الاستبار ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٠ .

٤ — وزارة التربية والتعليم : الادارة العـــامة لرعاية الشـــباب بنين : التربية الاجتماعية : دراســة لبعض مشكلات الطلاب في المدارس الثانوية وما في مستواها ، مطبعة المعرفة ١٩٦٢ .

(٢) باللغة الأجنبيـــة :

1. Good, C.V. and Scates D.E., Methods of Research, Educational Psychological, Sociological, New York, 1954.

2. Jahoda, H., Deutsch, M. and Cook, S.W., Research Methods in Social Relations, Part, I, New York, 1952.

3. Selltiz, C., Jahoda, M., Deutsch, M. and Cook, S. Research Methods in Social Relations, Henry Holt, April 1960.

4. Whitney, F.L., The Elements of Research, New York, 1945.

***

الباب الرابع

مناهج البحث الاجتماعى

مقدمة .

الفصل الثانى عشر : الاتجاهات العامة فى تصنيف المناهج .

الفصل الثالث عشر : المسح الاجتماعى .

الفصل الرابع عشر : منهج دراسة الحالة .

الفصل الخامس عشر : المنهج التاريخى .

الفصل السادس عشر : المنهج التجريبى .

الملخص .

المقـــدمة

المنهج ترجمة للكلمة الانجليزية Method والكلمة الفرنسية Méthode والكلمة نظائرها فى مختلف اللغات . استعملها افلاطون بمعنى البحث أو النظر أو المعرفة ، واستخدمها أرسطو بمعنى البحث . واستخدمت ابتداء من عصر النهضة الأوروبية بمعنى طائفة من القواعد العامة المصوغة من أجل الوصول الى الحقيقة فى العلم . وتستخدم الآن لتشير الى الطريق المؤدى الى الكشف عن الحقيقة فى العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل الى نتيجة معلومة (١) .

هذا وقد تعددت تصنيفات المناهج فى البحث الاجتماعى وتنوعت بحيث أصبح لكل مشتغل بمناهج البحث تصنيف يلتزم به ، ويبدو ذلك واضحا فى تصنيفات هويتنى ، وماركيز ، وجود وسكيتس ، وأودم . ومن بين المناهج التى وردت فى تصنيفاتهم : المسح الاجتماعى ، ودراسة الحالة ، والمنهج التـــاريخى ، والتجريبى ، والانثروبولوجى ، والفلسفى ، والاحصـــائى والتتبعى .

ومن الباحثين من يقبل التصنيفات السابقة جميعا ، ومنهم من يقبل بعضها دون البعض الآخر ، اما لأنه يعتبر البعض الذى لا يقبلـــه مناهج جزئية متفرعة عن مناهج رئيسية ، أو لأنه يعتبرها أدوات للبحث وليست مناهج .

والواقع أن كثرة التصنيفات الرئيسية والفرعيـــة للمنــــاهج ليست مشكلة تواجه الباحث الاجتماعى وحده ، وانما هى مشكلة عامة تواجه الباحث فى أى فرع من فروع المعرفة .

وسنحاول فى هـــذا البـــاب أن نعرض للاتجاهات العـــامة فى تصنيف المناهج ، ثم نعرف بالمناهج الأربعة الآتية : المسح الاجتماعى ، ودراسة الحالة ، والمنهج التاريخى ، والمنهج التجريبى .

* * *

(١) عبد الرحمن بدوى ، مناهج البحث العلمى ، ص ٥

الفصل الثاني عشر

الاتجاهات العامة في تصنيف المناهج

يختلف المشتغلون بمناهج البحث في تصنيفهم للبحوث . ففريق منهم يقتصر على تصنيف البحوث في فئات وانماط عريضة على أساس الهدف الرئيسي للبحث ، وهـذا ما فعلته جاهودا وزملاؤها سنة ١٩٥١ (١) ، وما فعلتـه سيلتيز وزملاؤها سنة ١٩٥٩ (٢) . وفريق آخر يضع تصنيفات لأنماط ومناهج البحث معا ، وهذا ما فعله هويتني سنة ١٩٢٧ (٣) . وفريق ثالث يفصل بين الاثنين في غالب الأوقات ، ويقدم تصنيفات للمناهج فقط ، وهذا ما قام به ماركيز (٤) ، وجود وسكيتس (٥) ، وأودم (٦) ، وكثيرون غيرهم .

ويمكن أن نجمل أوجه الاختلاف بين تصنيفات أنماط البحوث وبين تصنيفات المناهج فيما يلي :

١ ـــ تصنف البحوث الى أنماط على أساس الهدف الرئيسي للبحث ، أما تصنيفات المناهج فانها تتحدد بالطريقة التي يتبعهـا الباحث لحل المشكلة .

---

(١) M. Jahoda, M. Deutsch and S. Cook, Research Methods in Social Relations, Part 1, New York 1951.

(٢) C. Seltiz, M. Jahoda, M. Deutsch and S. Cook, Research Methods in Social Relations, Henry Holt, 1959.

(٣) F. Whitney, The Elements of Research, New York 1937.

(٤) D. Marquis, Scientific Methodology in Human Relations, in Experiments in Social Process, James Miller, 1950.

(٥) C. Good and D. Seates. Methods of Research, Educational, Psychological, New York, 1954.

(٦) H. Odum Understanding Society, New York 1917.

٢ — تصنيفات أنماط البحوث تعتبر تصنيفات عريضة مرنة ؛ أما تصنيفات المناهج فانها أكثر تحديدا . ولذا فقد يستعين الباحث فى النمط الواحد من الدراسة بأكثر من منهج . مثــال ذلك البحوث الوصفية التى يدخل تحتها المسح الاجتماعى ، ومنهج دراسة الحالة ، كما تدخل تحتهــا — حسب تصنيف هويتنى — أنواع أخرى من البحوث مثل : الوصف على مدى طويل ، وتحليل العمل والنشاط ، والبحث المكتبى والوثائقى . ومن هنا يحدث التداخل بين تصنيفات أنماط البحوث (أنواع الدراسات) وبين تصنيفات المناهج ، فيطلق البعض على منهج المسح الاجتماعى اسم المنهج الوصفى . وهذا القول صحيح الى حد كبير لان المســح الاجتماعى ليس الا نوعا من أنواع الدراســات الوصفية ، ولكننا من ناحية أخرى لا نستطيع أن نقصر البحوث الوصفية على المسح الاجتماعى .

ونعرض فيما يلى لتصنيفات هويتنى ، وماركيز ، وجود وسكيتس ، وأودم .

أولا — تصنيف هويتنى Whitney :

يربط هويتنى بين العمليات العقلية المختلفة اللازمة للتفكير فى موضوع معين وبين مناهج البحث ، فيرى انه اذا كانت ثمة ظاهرة أو مشكلة أو موقف يستدعى الدراسة والبحث ، فانه ينبغى البدء بوصف الظاهرة كما هى ومحاولة تفسيرها فى ضوء البيانات المتوفرة . وينبغى الرجوع بعد ذلك الى ما كانت عليه الظاهرة فى الماضى لمعــرفة اتجاهاتها ومحــاولة تفسيرها فى ضوء الحقائق والأحــداث الماضية ، ولتكمل النظرة الى الظاهرة ينبغى على الباحث أن يحاول التنبؤ بما يمكن أن تكون عليه الظــاهرة فى المستقبل .

وفى بعض الأحيــان يحاول الباحث أن يختبر احـــدى النظريات أو يخضعها للنقد ، فيستعين بالتجريب القائم على ضبط المتغيرات المختلفة ، والى جانب العمليات العقلية الســـابقة التى اشتركت فى محاولة فهــم الظاهرة ، ينبغى أن تشترك العمليات العقلية العليا بقصد الوصول الى تعميمات فلسفية أبعد غورا ، وأكثر عمومية .

ويرى هويتنى الى جانب هذا أن العمليات العقلية المختلفة تتنــاول الجماعات والعلاقات والنظم الاجتماعية ، أو تنصب على نواحى التفكير الابداعى التى ينتج من ورائهــا تأليف قصيدة أو مسرحيــة أو مقطوعــة موسيقية ... الخ (١) .

---

(١) Whitney, op. cit., p. 148.

وعلى أساس هذه العمليات العقلية يضع هويتنى تصنيفه لمناهج البحث . ويشتمل هذا التصنيف على المناهج والأنماط الآتية :

١ — المنهج الوصفى Descriptive method :

وهو الذى يهدف الى جمع الحقائق والبيانات عن ظاهرة أو موقف معين مع محاولة تفسير هذه الحقائق تفسيرا كافيا . ويحذر هويتنى من الاقتصار على جمع البيانات لمجرد الرغبة فى جمع البيانات دون محاولة تحليلها وتفسيرها لاستخلاص دلالاتها ، كما هى الحال فى بعض التقارير الاحصائية التى يقوم بها طلبة الجامعات . ويرى هويتنى أن أمثال تلك التقارير لاتعتبر بحوثا علمية بالمعنى الصحيح ، اذ يعوزها التحليل الدقيق . اما البحوث الوصفية فيجب الا تنحصر أهدافها فى مجرد جمع الحقائق ، بل ينبغى ان تتجه الى تصنيف البيانات والحقائق وتحليلها تحليلا دقيقا كافيا ، ثم الوصول الى تعميمات بشأن الموقف أو الظاهرة موضوع الدراسة .

ويصنف هويتنى البحوث الوصفية فى خمسة أنماط أو فئات . ولا يخضع هذا التصنيف لقواعد المنطق وانما يخضع للعوامل المؤثرة فى البحث كالمجال المكانى ، والمجال البشرى ، وادوات جمع البيانات . وتشتمل البحوث الوصفية على الأنماط الخمسة الآتية (١) :

(أ) البحث المسحى The Research survey :

ويعرف بأنه محاولة منظمة لتحليل وتفسير وتقرير الوضع الراهن لنظام اجتماعى أو جماعة أو بيئة معينة . وينصب البحث المسحى على الوقت الحاضر وليس على اللحظة الحاضرة ، كما أنه يهدف الى الوصول الى بيانات يمكن تصنيفها وتفسيرها وتعميمها وذلك للاستفادة بها فى المستقبل ، وخاصة فى الأغراض العملية .

(ب) الوصف على مدى طويل Continuity Description :

ويقصد به دراسة العوامل والظروف المختلفة التى تؤثر فى موقف معين خلال فترة طويلة . ويستفاد بهذا النوع من البحث فى الدراسات التتبعية التى تتناول مراحل النمو وخاصة عند الأطفال ، وذلك باختيار مجموعة صغيرة من الأطفال والقيام بملاحظتهم شهرا بعد شهر وعاما بعد عام . ويطلق على هذه

---

(١) Ibid., pp. 155-399.

الطريقة اسم الطريقة الطولية longitudinal (١) ، وقد يطلق عليها اسم الدراسة التتبعية Follow up ، وقد أمكن الاستفادة بهذه الطريقة فى دراسة الاتجاهات العامة ،وتغيرها ،وفى كثير من ميادين علم النفس الاخرى .

(جـ) بحث دراسة الحالة Case study Research :

ويعرفه هويتنى بأنه البحث الذى يقوم على التحليل الكامل الدقيق لحالة شخص ما بدراسة جوانب معينة من شخصيته .

(د) تحليل العمل والنشاط Job and Activity Analysis :

وذلك لمعرفة الوان النشاط وانواع القدرات والاستعدادات اللازمة للقيام بعمل معين .

وقد أمكن الاستفادة بهذا النوع من البحوث فى ميدان العمل والصناعة فى اختيار الأفراد الجدد المتقدمين للعمل ، وكذلك فى المدارس عند وضع المناهج المدرسية .

(هـ) البحث المكتبى والوثائقى Library and Documentary Res :

وذلك بقصد الاستفادة بالوثائق والتقارير المطبوعة . ويشترك هذا النوع من البحث مع المنهج التاريخى فى الاستعانة بالسجلات والوثائق الماضية . ويرى هويتنى أن البحث المكتبى لا يهدف الى مجرد عمل قوائم ببليوجرافية ، وانما يهدف الى تقييم الحقائق المتعلقة بموضوع معين ، ومقارنتها بغيرها من الحقائق ، وتفسيرها والوصول الى تعميمات بشأنها .

٢ — المنهج التاريخى Historical method :

ويعتمد على الظواهر التاريخية بعد وقوعها ، ويستفيد بالماضى فى فهم وتفسير الحاضر . ولا يمكن للباحث أن يفهم الماضى الا اذا مر بمرحلتين أساسيتين وهما مرحلتا التحليل والتركيب . وتبدأ المرحلة الأولى بجمع الوثائق ونقدها والتأكد من شخصية أصحابها ، وتنتهى الى تحديد الحقائق

---

(١) يمكن الرجوع الى ذلك تفصيلا فى :

W. D. Wall and H.L. William, Longitudinal Studies and the Social Sciences, Heinemann, Lodon 1970.

التاريخية الجزئية . ثم تبدأ المرحلة الثانية عندئذ فيحاول الباحث تصنيف هذه الحقائق والتأليف بينها تأليفا عقليا (١) .

٣ — المنهج التجريبي Experimental method :

وهو الذى يستخدم التجربة فى قياس أثر المتغيرات المختلفة . وقد سبق ان عرفنا التجربة بأنها ملاحظة مقصودة تحت الضبط الناتج عن التحكم (٢) .

٤ — النمط الفلسفي للبحث Philosophical Type :

ويرى هويتنى أن الاتجاه الفلسفى ضرورى للبحث . وتبدو أهميته فى خطوتين رئيسيتين : احداهما عند تحديد الأهداف الرئيسية للبحث والأخرى عند الوصول الى مرحلة التعميم . وهو يرى أن التعميمات كلما كانت أبعد غورا ، وأكثر عمومية وشمولا ، كانت أكثر دلالة وأعظم فائدة . ويرى أيضا ان البحث العلمى والفلسفى لا ينفصلان . فالحقائق العلمية يمكن ان تتخذ أساسا لنظريات فلسفية ، والنظريات الفلسفية يمكن أن تخضع بالتالى للبحث العلمى .

٥ — النمط التنبؤى للبحث Prognostic type :

وينصب على كل البحوث التى تهدف الى التنبؤ بما يمكن ان يحدث فى المستقبل لظاهرة معينة . ولا يقصر هويتنى النمط التنبؤى على البحوث التجريبية . فأى بحث يعتبر تنبؤا اذا كان يهدف الى التنبؤ بحقائق مستقبلة . ويضرب أمثلة كثيرة من البحوث التاريخية يؤيد بها وجهة نظره .

٦ — النمط السوسيولوجى Sociological type :

وهو الذى يهدف الى دراسة المجتمع وظواهره ونظمه والعلاقات القائمة بين أفراده . ويتناول هذا النوع من البحث الميادين التى يبحثها علم الاجتماع والتى حددتها الجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع فيما يلى :

(أ) الطبيعة الانسانية .

(ب) الشعوب والجماعات الثقافية .

---

(١) ارجع الى ما كتبناه عن المنهج التجريبى فى الباب الاول والباب الرابع .

(٢) انظر ما كتبناه عن المنهج التاريخى .

(جـ) الأسرة .

(د) تنظيم المجتمع والنظم الاجتماعية .

(هـ) الديمجرافيا (التكوين السكانى) ، الايكولوجيا (دراسات البيئة) .

(و) المجتمع الريفى

(ز) السلوك الجمعى .

(ح) علاقة الصراع والتكيف فى الجماعات وتشمل ما يأتى :

١ — علم الاجتماع الدينى .

٢ — علم الاجتماع التربوى .

٣ — المحاكم والتشريع .

٤ — التغير الاجتماعى والتطور الاجتماعى .

(ط) المشكلات الاجتماعية والأمراض الاجتماعية والتكيف الاجتماعى وتشمل ما يأتى :

١ — الفقـــر .

٢ — الجريمة وانحراف الأحداث .

٣ — الصـــحة .

٤ — الأمراض العقلية .

٥ — علم الصحة .

(ى) النظريات الاجتماعية ومناهج البحث وتشمل ما يأتى :

١ — دراسة الحالات .

٢ — النظرية الاجتماعية وتاريخ الفكر الاجتماعى .

٧ — النمط الابداعى Creative type :

ويهدف هذا النوع من البحث الى دراسة العوامل المختلفة التى تحكم عملية الخلق الابداعى فى العلم والفن والأدب ، وتقييم الأسس التى تقوم عليها هذه العمليات الابداعية . وهو يرى أن لهذا النوع من البحث أهمية خاصة لأن العمليات الابداعية كثيراً ما تنشأ نتيجة لحاجة خاصة تشعر بها الجماعة .

***

ثانيا — تصنيف ماركيز :

يرى ماركيز أن مناهج البحث الاجتماعى الرئيسية هى :

١ — المنهج الانثروبولوجى :

وقد تقدم هذا المنهج فى الانثروبولوجيا الاجتماعية . ويقوم أساساً على الملاحظة الميدانية . فيختار الباحث للدراسة قبيلة أو مجتمعا ما ، ثم يبدأ بفحص المصادر المكتبية . كما يقوم بمقابلة أعضاء الارساليات والرحالة العائدين من ذلك المجتمع لأخذ بعض البيانات التى تفيده فى دراسته . ويذهب الباحث شخصيا الى الميدان ويعتمد على اخبارى Informant أو أكثر فى تزويده بالمعلومات التى تلزمه، ويقوم فى نفس الوقت باجراء ملاحظات مباشرة لعادات الافراد وتقاليدهم ومعتقداتهم وأوجه نشاطهم . ويدون ملاحظاته دون تحيز ، مبينا تفاعلات العناصر الثقافية المختلفة ، والعوامل التى تؤدى الى تغيرات ثقافية .

ويرى ماركيز أن هذا المنهج فيه شيء من القصور لانه لا يكمل خطوات المنهج العلمى . فالبحث العلمى يتم فى ست خطوات رئيسية هى :

١ — صياغة المشكلة .

٢ — مراجعة المعلومات وذلك عن طريق المكتبة أو عن طريق الاشخاص .

٣ — القيام بالملاحظة التمهيدية للوقائع موضوع الدراسة .

٤ — فرض الفروض .

٥ — التحقق من صحة الفروض رغبة فى الوصول الى قوانين ونظريات علمية .

٦ — الاستفادة بالنظريات فى مجال التطبيق (١) .

الا أن المنهج الأنثروبولوجى بالصورة التى سبق عرضها يحقق الخطوات الثلاثة الاولى دون أن يصل الى مرحلة فرض الفروض . ويرى ماركيز أن ذلك قد يرجع الى عدم وجود النوع الصحيح من البيانات اللازمة لاختبار الفروض . ولتحقيق هذه الغاية ينبغى على الباحث أن يزور عدة قبائل . أو يزور قبيلة واحدة عدة مرات فى فترة تزيد على عدة سنوات ، أو يعهد لباحثين ميدانيين آخرين بالقيام بجمع البيانات المطلوبة بطريقة مقننة . وقد

---

(١) راجع ما كتبناه فى الباب الاول عن خطوات البحث العلمى .

قامت جامعة ييل Yale بالولايات المتحدة بعدة دراسات مستعرضة Cross Sectional — لسد هذا النقص ، كما قام روبرت ليند Lynd بدراساته فى ميدلتون Middletown متبعا هذا المنهج .

٢ — منهج دراسة الحالة :

يرى ماركيز أن دراسة الحالات الفردية تقدم نموذجا آخر لمنهج بحث يستخدم على نطـــاق واسع فى الطب العقلى ، وعلم النفس الاكلينيكى ، والخدمة الاجتماعية . وهو يشبه المنهج الانثروبولوجى فى تأكيده على عدم الانحياز والدقة والوصف الكامل لموضوع الدراســة ، ويركز هـذا المنهج اهتمامه على الخطوتين الثالثة والسادسة من خطوات المنهج العلمى ، أى القيام بالملاحظة التمهيدية ، والاستفادة بالنظريات فى مجـال التطبيق ، مع اهتمام أقل بوضع النظريات العلمية .

ويرى ماركيز أن منهج دراسة الحالة على الرغم من أنه فى شكله العام لا يقدم النموذج التام للعلم ، الا أن من الممكن أن يكون أكثر أهمية للعلم اذا أمكن الحصول على بيانات يمكن المقارنة بمقتضاها بين أفراد مختلفين .

٣ — المنهج الفلسفى :

ويهتم اهتماما كبيرا بالخطوة الرابعة وهى صياغة الفــروض بقصد الوصول الى تعميمات نظرية . ويعيب هذا المنهج أن مفاهيمــة ونتائجــه يصعب قياسها مباشرة بالملاحظة لأنها قامت أساسا على اعتبارات قبلية أكثر من كونها قد استخلصت من الدراسة التجريبية ، وقد اعتمد الاقتصاديون الكلاسيكيون كثيرا على هذا المنهــج ، كما اعتمد عليــه هربرت سبنسر فى نظريته عن التطور الاجتماعى ، ومكدوجل Mc Dougall فى نظريته عن الغرائز والامثلة على ذلك كثيرة .

٤ — المنهج التاريخى :

وهو أحد مناهج العلم الاجتماعى ، ذلك لأن الملاحظة فى الماضى لها فى العلم نفس مكانة الملاحظة فى الحاضر . والتاريخ قبل كل شىء انما هو اختيار الحوادث الماضية والتأليف بينها وتفسيرها ، ولذلك قد يبدو أنه مثـال للخطوة الثالثة فى المنهج العلمى — اى خطوة الملاحظة التمهيدية ، الا أن ماركيز يرى أننا نكون أقرب الى الحق لو اعتبرنا المنهج التاريخى يقع فى الخطوة السادسة اى تطبيق النظرية العلمية على أحداث الماضى .

٥ — المسح الاجتماعى :

ويعيب ماركيز على المسوح أنها ليست مصدرا مثمرا لفروض جديدة فمأساة كثير من المسوح الباهظة النفقات هو توجيه قليل من التفكير نحو النظرية التى تقوم عليها صياغة الفروض . وهو يرى أن من الممكن الاستفادة بالمسوح فى اصدار تعميمات ، مثال ذلك يمكن من احصاء السكان أن تجد اختبارا للقضية القائلة بأن النساء يستخدمون فى الأعمال الكتابية أكثر من الرجال ، وفى استفتاء كاستفتاء جالوب يمكن اختبار الفرض القائل بأن الأفراد ذوى الدخل المرتفع أكثر احتمالا لأن يعطوا أصواتهم للحزب الجمهورى بدلا من الحزب الديمقراطى . ويرى ماركيز أن المسوح الاجتماعية يمكن أن تؤدى خدمة جليلة للعلم اذا ركزت اهتمامها على خطوة فرض الفـــروض ثم محاولة التأكد من صحتها .

٦ — المنهج التجريبى :

وهو أكثر المناهج تمييزا للعلم . وهو مثال للخطوة الخامسة التى تهدف الى التحقق من صحة الفروض . ويرى ماركيز أن استخدام المنهج التجريبى فى العلوم الاجتماعية لا يزال محدودا باستثناء علم النفس حيث زاد الاهتمام بالمنهج بحيث طغى على أهمية المراحل الضرورية الأخرى للعلم (١) .

***

ثالثا — تصنيف جود وسكيتس Good and Scates :

قدم جود وسكيتس تصنيفا لمناهج البحث الاجتماعى . ويشتمل هذا التصنيف على خمسة مناهج هى (٢) :

١ — المنهج التاريخى .

٢ — المنهج الوصفى .

٣ — المنهج التجريبى .

٤ — منهج دراسة الحالة .

٥ — المنهج التتبعى .

وقد سبق أن عرضنا لخصائص ومميزات كل منهج من هذه المناهج فى التصنيفات السابقة .

---

(١) D. Marquis, Scientific Methodology in Human Relations, in, Experiments in Social Process, Mc Graw-Hill, 1950.

(٢) C. Good and, D. Scates, op. cit., pp. 170-182.

رابعا — تصنيف أودم Odum :

يشتمل تصنيف أودم على المناهج الخمسة التالية (١) :

١ — المنهج الاحصائى .
٢ — منهج دراسة الحالة .
٣ — المسح الاجتماعى .
٤ — المنهج التجريبى .
٥ — المنهج التاريخى .

ونكتفى بعرض هذه التصنيفات المختلفة لمناهج البحث . ونأمل أن يكون القارىء قد كون لنفسه فكرة واضحة عنها نظرا لاهمية هذه التصنيفات فى ميدان البحث الاجتماعى . ونود أن نشير الى أنه على الرغم من اختلاف التصنيفات التى يأخذ بها المشتغلون بالمناهج ، الا أن هناك مناهج متفق عليها بين الجميع .. وسنحاول فى الفصول التالية من هذا الباب أن نعرض لاربعة من المناهج الرئيسية وهى : المسح الاجتماعى ، ودراسة الحالة ، والمنهج التاريخى ، والمنهج التجريبى .

***

الفصل الثالث عشر

المسح الاجتماعى

● تعريفـه :

المسح الاجتماعى احد المناهج الرئيسية التى تستخدم فى البحوث الوصفيه . ويعرف بأنه « الدراسة العلمية لظروف المجتمع وحاجاته بقصد تقديم برنامج انشائى للاصلاح الاجتماعى » (١) . ويعرف ايضا بأنه « دراسة للظروف الاجتماعية التى تؤثر فى مجتمع معين — سواء أكان مجتمع الجيرة او القرية أو المقاطعة او الدولة أو الأمة — بقصد الحصول على بيانات ومعلومات كافية يمكن الاستفادة بها فى وضع وتنفيذ مشروعات انشائية للاصلاح الاجتماعى » (٢) .

وقد استعرضت بولين يونج فى كتابها « المسوح والبحوث الاجتماعية العلمية » عددا كبيرا من تعريفات المسح ، ثم حاولت أن تصل الى تعريف جامع للمسح الاجتماعى يحدد ماهيته واهدافه . وقد جاء فى هذا التعريف أن المسح عبارة عن « دراسة للجوانب المرضية للاوضاع الاجتماعية القائمة فى منطقة جغرافية محددة ، وهذه الاوضاع لها دلالة اجتماعية ويمكن قياسها ومقارنتها بأوضاع أخرى يمكن قبولها كنموذج ، وذلك بقصد تقديم برامج انشائية للاصلاح الاجتماعى » (٣) .

ويعرف هويتنى المسح الاجتماعى بأنه « محاولة منظمة لتقرير وتحليل وتفسير الوضع الراهن لنظام اجتماعى أو جماعة أو بيئة معينة . وهو ينصب على الموقف الحاضر وليس على اللحظة الحاضرة ، كما أنه يهدف الى الوصول الى بيانات يمكن تصنيفها وتفسيرها وتعميمها ، وذلك للاستفادة

---

(١) E.W. Burgess, «Social Survey», Amer, Journ. of Soc., XXI (Jan. 1916), 492.

(٢) C. Aronovici, the Social survey, p. 5.

(٣) P. Young, Scientific Social Surveys and Research, New York, 1947, p. 155.

بها فى المستقبل وخاصة فى الأغراض العملية » (١) .

وعلى هذا فان تعريفات المسح الاجتماعى تتفق على أنه :

١ — الدراسة العلمية للظواهر الموجودة فى جماعة معينة وفى مكان معين .

٢ — وأنه ينصب على الوقت الحاضر حيث انه يتناول أشياء موجودة بالفعل وقت اجراء المسح وليست ماضية .

٣ — وأنه يتعلق بالجانب العملى اذ يحاول الكشف عن الأوضاع القائمة لمحاولة النهوض بها ووضع خطة أو برنامج للاصلاح الاجتماعى.

ونود أن نشير هنا الى أن المسح الاجتماعى ، وان كانت تغلب عليه الصبغة العملية ، الا أن بعض المسوح تنصب على الجانب النظرى والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة .

هذا واصطلاح « المسح » مستعار من ميدان الدراسات الطبيعية . فكما « تمسح » الأرض لتحديد مساحتها ومعرفة خصائصها الجيولوجية والسطحية والجوية ، تمسح الظاهرة الاجتماعية لتحديد طبيعتها ومعرفة خصائصها التى تتعلق بتركيبها ووظائفها من جهة ، وسلوك الأفراد فى تعاملهم بعضهم مع بعض من جهة أخرى .

***

● أهميـة المسـح :

١ — تعتبر المسوح الاجتماعية ذات فائدة نظرية ، فالباحث الاجتماعى يلجأ اليها بصدد أن تكون قد أجريت بحوث كشفية على الظاهرة موضوع الدراسة ، فيحاول جمع الحقائق عن الظاهرة وتحليلها وتفسيرها للوصول الى تعميمات بشأنها . وتتوقف الأهمية النظرية للدراسات المسحية على مقدار ما أسفرت عنه الدراسات السابقة ، وعلى مدى معرفة الباحث بالظاهرة المدروسة ، ففى بعض الأحيان قد يصمم البحث المسحى للتحقق من صحة بعض الفروض ، وان لم تكن هذه الفروض من النوع الذى يقول بأن متغيرا ما يسبب أو يحدث المتغير الآخر (٢) .

---

(١) Whitney, op. cit., p. 155.

(٢) يرى موسر أن البحث المسحى قد يتضمن فروضا سببية ، ويوافقه فى ذلك هايمان ، لكننا لا نأخذ بهذا الرأى (راجع فى ذلك ما كتبناه فى الفصل المتعلق بأنواع الدراسات الاجتماعية) .

٢ ـ يستفاد بالمسح الاجتماعى فى عمليات التخطيط القومى التى تستهدف تنمية الحياة الاجتماعية والاقتصادية وتوفير الرعاية والرخاء لأفراد المجتمع فى فترة زمنية محدودة ، ولما كان التخطيط القومى يستلزم التعرف على الأهداف المختلفة للجماعة وقياسها كما وكيفا ، وترتيبها حسب أولويتها ، واستقصاء رغبات الأفراد والجماعات ، والتعرف على ميولهم واتجاهاتهم والكشف عن الموارد الطبيعية والقوى والامكانيات البشرية وتقديرها وكيفية ومدى استغلالها ، فانه يتحتم القيام بمسح اجتماعى لجمع البيانات المطلوبة . وتجمع البيانات عادة قبل البدء فى البرامج المختلفة ، وأثناء وبعد تنفيذ البرامج . أما البيانات الأولى فتجمع فى « المسح القبلى » وتجمع الثانية والثالثة فى « المسح الدورى » ؛ و « المسح البعدى » .

٣ ـ يستفاد بالمسح الاجتماعى دائما فى دراسة المشكلات الاجتماعية القائمة وتحديد مدى تأثيرها على المجتمع ، وتحديد ومعرفة الأفراد والجماعات المهتمة بحل هذه المشكلات وتقدير الموارد والامكانيات الموجودة والتى يمكن استخدامها لعلاج المشكلات ثم اقتراح الحلول لها .

٤ ـ يستفاد بالمسح الاجتماعى فى قياس اتجاهات الرأى العام نحو مختلف الموضوعات . وقد يتطلب الامر فى كثير من الاحيان قياس الاتجاهات فى مراحل مختلفة لتقويم الجهود المبذولة ، أو للمقارنة بين طرق مختلفة لتغيير الاتجاهات . وهذا يحدث عادة فى ميادين متعددة مثل ميادين الصناعة لادخال تحسينات فى انتاج معين ، والاعلام لوضع برامج جديدة للراديو والتلفزيون أو حذف بعض البرامج أو تعديلها ، والتربية وغيرها من الميادين .

***

● أنواع المسوح الاجتماعية :

وضع المشتغلون بمناهج البحث الاجتماعى تصنيفات متعددة للمسوح الاجتماعية . وسنكتفى فى هذا المجال بعرض ثلاثة من تلك التصنيفات.

(أ) من ناحية مجال الدراسة :

تصنف المسوح الاجتماعية من ناحية مجال الدراسة فى مجموعتين هما :

١ ـ المسوح العامة : وهى التى تعالج عدة أوجه من الحياة الاجتماعية كدراسة الجوانب السكانية والتعليمية والصحية والزراعية فى مجتمع معين أيا كان حجم هذا المجتمع . وتعتبر البحوث التى كانت تقوم بها الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية بتكليف من وزارة الشئون الاجتماعية مثلا من أمثلة هذه المسوح .

ففى هذه البحوث تقوم الجمعية بدراسة الخدمات الاجتماعية الموجودة بأحياء القاهرة ، كالخدمات الدينية والتعليمية والاجتماعية والتعاونية والصحية والاقتصادية والحكومية والترفيهية مع تركيز على الدراسة السكانية لتلك الأحياء .

٢ — المسوح الخاصة أو المحددة وهى التى تهتم بنواحى خاصة محددة من الحياة الاجتماعية كالتعليم أو الصحة أو الزراعة أو الصناعة . وتعتبر دراسة الأستاذ الدكتور حسن الساعاتى التى سبقت الاشارة اليها مثلا من أمثلة هذه المسوح (١) اذ اقتصرت على دراسة جانب واحد من الحياة الاجتماعية وهو جانب التصنيع وعلاقته بالعمران بمدينة الاسكندرية ، وكذا البحث الذى قام به المجلس الدائم للخدمات العامة عن ميزانية الأسرة اذ اقتصر على بحث ميزانية الأسر للتعرف على مستوى معيشة مختلف طبقات الشعب المصرى ، وتحديد العوامل التى تؤثر على هذا المستوى . والوقوف على كيفية توزيع الدخل على وجوه الانفاق المختلفة فى جميع أنحاء القطر وبين مختلف الهيئات والطبقات (٢) .

(ب) من ناحية المجال البشرى :

تصنف المسوح الاجتماعية من ناحية المجال البشرى فى مجموعتين هما :

١ — المسوح الشاملة : وهى التى تقوم بدراسة شاملة لجميع مفردات المجتمع أى عن طريق الحصر الشامل ، وليس من شك فى أن هذه المسوح كثيرة التكاليف ، وتحتاج الى وقت طويل وامكانيات طائلة قد لا تتوفر كلها أو بعضها للباحثين .

٢ — المسح بطريق العينة : وهو الذى يكتفى فيه بدراسة عدد محدود من الحالات أو المفردات فى حدود الوقت والجهد والامكانيات المتوفرة لدى الباحث . وهذا النوع من البحث هو الذى يغلب استخدامه بين الباحثين نظرا لمزاياه التى سبقت الاشارة اليها .

(ج) من الناحية الزمنية :

تنقسم المسوح الى أنواع ثلاثة : قبلية ، ودورية ، وبعدية . وقد سبقت الاشارة الى هذه الأنواع الثلاثة فيما كتبناه عن أهمية المسوح .

***

---

(١) حسن الساعاتى : التصنيع والعمران ، ١٩٥٨ .

(٢) المجلس الدائم للخدمات العامة ، لجنة الاحصاء ، بحث ميزانية الأسرة فى الريف بجمهورية مصر عام ١٩٥٥ .

● الدراسات الكلاسيكية فى المسح الاجتماعى :

سنعرض فى هذه الفترة للدراسات الكلاسيكية التى استخدم فيها منهج المسح الاجتماعى ، وهدفنا من وراء هذا العرض أن نقف على حقيقة الجهود التى قام بها رواد البحث الاجتماعى : أنواع المشكلات التى بحثوها، والأدوات التى استخدموها ، والقيمة العلمية والعملية للنتائج التى توصلوا اليها ، وهذا العرض ولا ريب ، يفيد فائدة كبرى فى التعرف على حقيقة المسح الاجتماعى ، وفى فهم كثير من المسائل المرتبطة به .

١ — جو هوارد John Howard (١٧٢٦ — ١٧٩٠) :

نزل هوارد الى الميدان ، واتجه الى جمع البيانات مباشرة من السجون والمسجونين . فأحصى السجون ، وعدد نزلائها ، وتواريخ دخولهم السجن، والأمراض التى يقاسى منها المسجونون : انواعها واسبابها ، كما أحصى عدد العاملين بالسجون ومصادر دخولهم . وقد وجد هوارد أن عددا كبيرا من المسجونين وضعوا فى السجون ظلما ، ولم يستطيعوا حتى بعد اثبات براءتهم ، مغادرة السجن لعدم تمكنهم من دفع الرسوم ، كما وجد أيضًا أن أغلب العاملين بالسجون لا يتقاضون مرتبات أو أجور نظير عملهم ، وانما كانوا يعتمدون على ما يدفعه المسجونون من رسوم (١) .

وقد قدم هوارد نتائج بحثه فى سنة ١٧٧٤ الى احدى لجان مجلس العموم البريطانى مطالبا بالاصلاح ، فأيده أعضاء اللجنة ولم يمض زمن طويل حتى أصدر أعضاء البرلمان قانونا يقضى بالعفو عن المسجونين الذين ثبتت براءتهم ، وتبعه قانون آخر يقضى بمنح مرتبات للعاملين بالسجون بدلا من الرسوم التى كانوا يتقاضونها من المسجونين ، ثم تبعه قانون ثالث يقضى بتنظيم عملية التفتيش على السجون للعمل على تنظيمها وتهويتها واصلاحها ولضمان كفالة الرعاية الطبية للمسجونين الذين يصابون بأمراض .

وفى عام ١٧٧٥ قام هوارد بدراسة مقارنة لأحوال السجون فى عدة دول أوروبية . ونشر بحثا عن « حالة السجون فى انجلترا وويلز وبعض السجون الأجنبية » .

وقد عنى هوارد بجمع البيانات من مصادرها مهما كلفه ذلك من جهد ومشقة ، حتى أنه فى دراسة لنظام الحجر الصحى تعمد السفر الى مدينة البندقية فى سفينة غير صحية ليبقى فترة طويلة فى الحجر الصحى . وليشاهد

---

(١) P. Young, op. cit., p. 5.

النظم المتبعة عن كثب ولأطول فترة ممكنة . وقد نشر نتائج هذه الدراسة في سنة ١٧٧٦ .

وأخيرا أصيب هوارد بالحمى وهو يقوم بدراسة عن أحوال السجون في روسيا ، فوافته منيته عام ١٨٩٠ (١) .

من هذا العرض يتبين لنا أن منهج هوارد كان يقوم على الأسس الآتية :

١ - جمع بيانات كمية عن الموضوع المطلوب دراسته .
٢ - الاعتماد على الملاحظة بالمشاركة ، والمقابلة الشخصية (الاستبار) في الحصول على البيانات المطلوبة .

٣ - العمل على الاستفادة بنتائج البحث في أغراض علمية ، وذلك باستخدامها في وضع خطط اصلاحية تهدف الى تحسين الأوضاع القائمة .

***

٢ - فردريك لوبلي Fredric Le Play :

فرنسي الأصل ، أسس في سنة ١٨٥٦ « الجمعية العالمية في الاقتصاد الاجتماعي » ، وتكونت لها فروع في كثير من البلاد ، اتجه الى الاصلاح الاجتماعي الا أنه وجد أن الأمور الاجتماعية تعوزها الدراسة العلمية الدقيقة ، فصمم على أن يخوض ميدان البحث العلمي ليستفيد بالنتائج التي يتوصل اليها في وضع خطط للاصلاح الاجتماعي . وقد صادفته مشكلتان .

أولاهما : تحديد وحدة اجتماعية يمكن اتخاذها أساسا للدراسة .

ثانيهما : ايجاد طريقة يمكن أن يقيس بها عناصر تلك الوحدات قياسا كميا .

وقد حل لوبلي المشكلة الأولى بأن اختار الأسرة كوحدة للدراسة لأنها أبسط الأشكال الاجتماعية . كما أنها توجد على اختلاف نماذجها في جميع العصور والمجتمعات ، فهي نموذج بسيط من جهة ، وكلي من جهة أخرى أي موجودة في جميع المجتمعات ، كما أنها تشتمل على أهم خصائص المجتمعات الكبرى والروابط القائمة فيها ولكن بصورة مصغرة . وحل المشكلة الثانية

---

(١) Ibid., p. 6.

بأن اختار ميزانية الأسرة ليجعلها أساسا التحليل نظرا لأنها تساعد مساعدة جدية فى الوقوف على تركيب الأسرة ووظائفها (١) .

وقد قام لوبلى بدراسة عن أسر العمال الأوروبيين استغرقت حوالى عشرين عاما جمع فيها كثيرا من البيانات من آلاف الأسر عن مصادر الدخل فى الأسرة ومصادر الانفاق ونظام المعيشة ، ثم اختار بعض هذه الأسر ليدرسها دراسة متعمقة وتوصل الى نتائج أمكن تعميمها على الجماعات المتشابهة. وقد نشرت هذه الدراسة أول مرة فى باريس عام ١٨٥٥ تحت عنوان « العمال الاوروبيون Les Ouvriers Europeens» وفى عام ١٨٦٤ نشر كتابا جديدا تحت عنوان « الاصلاح الاجتماعى فى فرنسا » تقدم فيه بمقترحات عملية لعلاج الأوضاع السيئة للعمال الفرنسيين .

ويمكن تحديد الخطوط الرئيسية للطريقة التى اتبعها فردريك لوبلى فيما يلى :

١ — جمع بيانات كمية عن الموضوع المطلوب دراسته .

٢ — الاستعانة بصحائف الاستبيان فى جمع البيانات وذلك لضمان الحصول على معلومات موحدة بالنسبة لكافة الأسر .

٣ — الاعتماد على الملاحظة بالمشاركة باعتبارها أداة هامة تساعد على الحصول على بيانات دقيقة .

٤ — القيام بمقابلات شخصية لمختلف أفراد الأسرة .

٥ — القيام بمقابلات شخصية لأشخاص خارجيين يمكن الاعتماد عليهم فى الحصول على بيانات متعلقة بالأسر المدروسة (٢) .

ويعتبر منهج المسح الاجتماعى الذى اتبعه لوبلى الدعامة الأساسية لكثير من المسوح الحديثة، فقام كثيرون من الباحثين الاجتماعيين والاقتصاديين بدراسات مشابهة لدراسته عن أسر العمال ، كما قامت جمعية الدراسات العملية للاقتصاد الاجتماعى فى فرنسا بتطبيق طريقته على ٣٧ أسرة أختيرت من جهات مختلفة من أنحاء العالم . وجمعت هذه الدراسات

---

(١) Ibid., p. 8.

(٢) Ibid., pp. 8, 9.

التى امتدت من سنة ١٨٥٨ الى سنة ١٨٦٣ فى مجلد كبير نستطيع أن نجد فيه وصفا لأسرة انعامل فى باريس ، والمزارع فى كاليفورنيا ، والفلاح فى سهول الصين الشاسعة ».

هذا وقد وجد بعض اتباعه أن طريقته تلك لا تخلو من قصور . ذلك ان تحليله للنظم التى تتجاوز الأسرة ضئيل ولا يطابق الواقع . فهو لا يكشف عن المجتمع أجمع بصفته كلا ، بل يغفل أمورا لها أهميتها ، ثم أن ميزانية الأسرة ليست هى كل ما يتعلق بالأسرة . فهناك الروابط بين الزوجين وشعور الأطفال نحو آبائهم والاهتمام بتربية الأطفال وتوجيههم .

لذلك حاول بعض أتباعه تعديل طريقته ومن بينهم دوترفيل وديمولان وروزيه . فانتهوا الى طريقة معدلة تحتفظ بالخصائص الرئيسية من طريقته مع ادخال بعض التحسينات عليها . وتقوم طريقة رجال هذه المدرسة على اساس توسيع الاطار الذى يشمله البحث بحيث يشمل الأسرة والمجتمع الكبير وتركيبه وخصائصه والعوامل المؤثرة فيه . ويتلخص الاطار الذى حدده رجال هذه المدرسة فيما يلى :

١ — المكان الذى تقيم فيه الأسرة (البيئة الجغرافية للأسرة والمجتمع) .
٢ — عمل الأسرة .
٣ — ملكية الأسرة .
٤ — الأموال المنقولة .
٥ — الأجرة والرهان .
٦ — التوفير والادخار .
٧ — نوع الأسرة : أبوية — شبه أبوية ... الخ .
٨ — مستوى الحياة ونمط المعيشة المادية فى الأسرة : الغذاء — المسكن — الملبس — الصحة — التسلية واللهو .
٩ — التاريخ التطورى للأسرة : أصل الأب والأم — الحوادث المهمة — الخطبة والزواج — الولادات والاعياد والحفلات ... الخ .
١٠ — الرعاية والوصايا .
١١ — التجـــارة .
١٢ — الثقافة العقلية : الخبرة وتجارب البيئة — التعليم — التدريب — التخصص .
١٣ — التـــدين .

١٤ ــ الجــــوار .

١٥ ــ الجمعيات والاندية .

١٦ ــ الناحية التى تقيم فيها .

١٧ ــ القضاء ــ الوظائف ــ الادارة .

١٨ ــ المدينة ــ موقعها وخصائصها .

١٩ ــ اقسام المقاطعة .

٢٠ ــ المقـــاطعة .

٢١ ــ الـــــدولة .

٢٢ ــ توسع المجتمع : الهجرة ــ الاستعمار .

٢٣ ــ العلاقة بالمجتمعات الخارجية : أسباب الاتصال ــ السفر والسياحة ــ المنافسة .

٢٤ ــ تاريخ المجتمع : ماضيه ــ تطوره ــ مقارنة الحاضر بالماضى .

٢٥ ــ مكانة المجتمع فى العالم ومرتبته بين المجتمعات .

ويلاحظ على هذا الاطار أنه يتنــاول المجتمع من جميع نواحيــــه ، الا أنه يغالى فى أهمية البيئة الجغرافية وأثرها فى المجتمع وتطوره ، كما أن مدرسة لوبلى تغالى فى تقدير مكانة الأسرة وان كانت لها أهميــــة اجتماعية كبيرة الا أن هناك تأثيرات اجتماعية لأنظمة أخرى قد تعادلها فى المكانة .

***

٣ ــ تشارلز بوث Charles Booth (١٨٤٠ ــ ١٩١٦) :

انجليزى الأصل ، شغف بالاصــــلاح الاجتماعى كسابقيه جون هوارد وفردريك لوبلى . فأراد أن يقوم بدراسات علمية يزيح بها الستار عن حقيقة البؤس والحرمان الذى تعانيه الطبقات المحرومة فى مســـحه المشهور على المجتمع الانجليزى ، فاختار الجانب الشرقى من مدينة لندن وأجرى فيه مسحه المشهور عن الحياة والعمل . واستعان بعدد كبير من الباحثين الاجتماعيين والاقتصاديين المشهورين ليساعدوه فى جمع البيانات ، وقد تمكن من جمع معلومات شملت جميع العوامل التى تؤثر فى حياة الفقراء وعملهم كالدخل، ومـــاعات العمل وظروفه ، وحالة الســـكن ، ومستوى المعيشة ، وعــــدد الأطفال ، وحجم الأسرة وأثاثها بالنسبة لسعة مســـكنها وأنواع المرض . وألوان الترفيه فى وقت الفراغ ، ومدى اشتراك الأفراد فى الأندية والنقابات ، ثم أبرز « بوث » العلاقة بين ازدحام المسكن والدخل ، وبين أطوال التلاميذ وأوزانهم ومستوياتهم الاقتصادية . ورصد لأجور الجمـاعات العاملة على

اختلاف فئاتها ومستوى معيشتها وسجل عادات الأسر التى تستخدم الخدم وعادات الأسر التى تخدم نفسها بنفسها وعادات أسر الخدم أنفسهم . ولكى تكون الدراسة شاملة ، عنى « بوث » بوصف أحوال الشوارع التى توجد فيها بيوت الأسر التى بحث حالاتها ، والادارة المحلية فى كل حى ، والهيئات الاجتماعية التى ينتمى اليها أفراد تلك الاسر كالجمعيات الدينية والسياسية، وقد كان غرض « بوث » من هذا المسح الاجتماعى أن يظهر لنصف سكان لندن المترفين كيف يعيش النصف الآخر من الفقراء والمعوزين .

ويمكن تحديد الخطوط الرئيسية للطريقة التى اتبعها « بوث » فيما يلى :

١ — جمع بيانات كمية عن الموضوع المطلوب دراسته .

٢ — وصف الأشياء كما هى لا كما يجب أن تكون دون أن يهتم بمعرفة الاسباب .

٣ — عدم الاهتمام بالماضى والاقتصار على وصف الظواهر القائمة فى الوقت الحاضر .

٤ — الاستعانة بالبيانات الاحصائية الحكومية والاهلية فى الحصول على المعلومات الموجودة لديها عن الأفراد والجماعات التى يقوم بدراستها .

٥ — الاعتماد على الملاحظة كأداة فى البحث لاهميتها فى الحصول على بيانات دقيقة .

٦ — الاعتماد على المقابلة الشخصية كاحدى أدوات جمع البيانات .

٧ — التأكد من صحة البيانات التى أعطاها المبحوثون بالرجوع الى رجال البوليس والمدرسين ومندوبى هيئات الاحسان وأعضاء الاتحادات التجارية والوكالات الصناعية .

٨ — استخدام الجداول واللوحات ذات الالوان المتعددة والرسوم الدقيقة والصور الفوتوغرافية الممثلة لحياة السكان لتتحدث عن الحقائق التى توصل اليها (١) .

***

● المسح الاجتماعى فى جمهورية مصر العربية :

يشيع استعمال المسح الاجتماعى فى كثير من البحوث التى تجرى بجمهورية مصر العربية . ويرجع ذلك الى حداثة الجهود العلمية المنظمة ، وقلة البحوث التى سبق اجراؤها فى الميدان الاجتماعى . وقد سبق أن ذكرنا أن الطبيعة المنهجية للبحث الاجتماعى تملى على الباحثين أن يقوموا بدراسات

---

(١) Ibid., pp. 9-17.

كشفية ومسحية ليستفيدوا بنتائجها فى ترشيد الدراسات التجريبية التى يمكن اجراؤها فى مراحل تالية . كما أن جمهورية مصر العربية قد أخذت بسياسة التخطيط ، والتخطيط السليم الذى ينبثق من نظرة المجتمع الى واقعه لا يتم الا بعد الحصول على بيانات دقيقة عن امكانيات المجتمع واحتياجاته ، وكذا المشكلات التى يمكن أن تنجم عن التغيرات الاجتماعية السريعة . ويعتبر المسح الاجتماعى من أحسن المناهج التى تكشف عن أمثال هذه الحقائق المطلوبة . ومن هنا يشيع استخدام المسح الاجتماعى فى أغلب البحوث التى تجريها الهيئات الحكومية والاهلية بجمهورية مصر العربية .

ومن المسوح الاولى التى أجريت بجمهورية مصر العربية ، البحث الميدانى الذى قام به الأستاذ الدكتور حسن الساعاتى عن التصنيع والعمران والذى سبقت الاشارة اليه . وقد أجرى البحث على ألفين من العمال الصناعيين فى الاسكندرية يشتغلون فى خمس وثلاثين صناعة ، وتم اختيارهم عشوائيا من ستين مصنعا فى المدينة . وقد كشف البحث عن العوامل التى صاحبت التصنيع والنمو العمرانى بمدينة الاسكندرية ، كما كشف عن أحوال العمال الصناعيين الذين يكونون نسبة لا يستهان بها من سكان الاسكندرية .

ومن المسوح الاجتماعية ما تجريه « وزارة الشئون الاجتماعية » عن مشكلات الاسرة والعادات والتقاليد وذلك للقضاء على العادات الضارة . والارتقاء بالعادات السوية النافعة ومحاولة غرس عادات مفيدة .

هذا وقد قامت « الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية » بتكليف من وزارة الشئون بمسوح اجتماعية للخدمات بأحياء القاهرة المختلفة . وبتقويم المؤسسات (١) .

---

(١) صدر منها حتى الآن البحوث الاتية : دراسة اجتماعية للخدمات بحى الدرب الأحمر ، دراسة اجتماعية للخدمات بحى الجمالية ، دراسة اجتماعية للخدمات بحى شبرا ، دراسة اجتماعية للخدمات بحى بولاق ، دراسة اجتماعية للخدمات بحى عابدين ، دراسة اجتماعية للاسرة بحى السيدة زينب ، تقويم الأندية الشعبية ، تقويم مؤسسة التأهيل المهنى ، مشروع مركز التدريب المهنى بمعروف ، دراسة اجتماعية للخدمات بحى مصر القديمة ، دراسة اجتماعية للخدمات بحى روض الفرج .

وتصدر البحوث التالية تباعا :

دراسة اجتماعية للخدمات بحى الموسكى ، مشاكل المجتمع المدرسى ، دراسة اجتماعية للخدمات بحى حلوان ، دراسة اجتماعية للخدمات بحى قصر النيل ، دراسة اجتماعية للخدمات بحى باب الشعرية ، دراسة نظام الاسرة البديلة .

كما قام « المجلس الدائم للخدمات العامة » بعدة مسوح للمساعدة فى تصميم الخطط الرئيسية للخدمات العامة فى الدولة والمعاونة على الوصول بها الى الحد الأعلى من الكفاية والنجاح . فأخذ فى دراسة الخدمات المباشرة دراسة مفصلة من حيث توزيعها بالنسبة للمناطق وكثافة السكان والحاجة الخدمة والطبقات والفئات والدخول وغير ذلك . ومن البحوث التى أجراها المجلس بحث ميزانية الاسرة فى الريف ، والذى يهدف الى التعريف على مستوى معيشة مختلف طبقات الشعب والعوامل التى تؤثر على هذا المستوى (١) .

كما قام المجلس أيضا بمسح اجتماعى يهدف الى بحث خصوبة السكان ورغبات الزوجات والازواج فى هذا الصدد . وكان الهدف من المسح دراسة العوامل التى تؤثر فى الخصوبة كالعادات والتقاليد التى تتصل بتكوين الاسرة ، ومدى اشتغال المراة بالاعمال العامة ، والقيمة الاقتصادية للطفل ، ونوع المهنة للزوج والزوجة ، ونوع البيئة التى أقام فيها الزوجان ، ومتوسط الدخل قبل الزواج وبعده ، ودرجة التعليم ، والقيم الاجتماعية التى ترفع من شأن المراة وتعلى من كرامتها ، والنزعة الدينية وأثرها فى نظام الأسرة . والمفاضلة بين الذكور والاناث وغير ذلك من عوامل تؤثر فى اتجاهات الخصوبة (٢) .

وقد قام « المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية » بعدد من المسوح الاجتماعية نذكر منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر البحث الذى أجرى عن البغاء فى القاهرة للتعرف على ظاهرة البغاء كما تمارس فى القاهرة باعتبارها ظاهرة اجتماعية ذات تركيب وخصائص (٣) وكذلك البحث المسحى لظاهرة تعاطى الحشيش (٤) والذى عرضنا له من قبل ، وكذلك بحث عن استطلاع آراء الجمهور المصرى فى الافلام السينمائية (٥) ، كما تجرى مسوح كثيرة انتهى بعضها ، بينما لا يزال البعض الآخر قيد البحث .

---

(١) المجلس الدائم للخدمات العامة . لجنة الاحصاء : بحث ميزانية الاسرة فى الريف بجمهورية مصر عام ١٩٥٥ .

(٢) الجمهورية العربية المتحدة : اقليم مصر : جمعية الدراسات السكانية مايو ١٩٦٠ .

(٣) منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية : البغاء فى القاهرة ـ مسح اجتماعى ودراسة اكلينيكية ، ١٩٦١ .

(٤) منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية : تعاطى الحشيش ، التقرير الاول ١٩٦٠ .

(٥) عبد الباسط محمد عبد المعطى وعبد الحليم محمود السيد : استطلاع لآراء الجمهور المصرى فى الافلام السينمائية ، المجلة الاجتماعية القومية ، العدد الثانى ، المجلد الحادى عشر ، مايو ١٩٧٤ .

ومن الهيئات التى تقوم بمسوح فى جمهورية مصر « المجلس الاعلى لتنسيق الخدمات الاجتماعية بالاسكندرية » وكذا « المركز الدولى للتربية الاساسية فى العالم العربى » الذى يقوم بمسوح اجتماعية فى المناطق الريفية ، وكذا أقسام الاجتماع بالجامعات المصرية ، والمعاهد العليا للخدمة الاجتماعية بالقاهرة والاسكندرية .

والى جانب المسوح التى تقوم بها الهيئات الحكومية والاهلية يقوم بعض الباحثين بمسوح فردية يسفر معظمها عن نتائج لها قيمتها النفعية .

***

● موضوعات المسح الاجتماعي :

لم تعد المسوح الاجتماعية تدور حول دراسة أحوال الطبقات الفقيرة كما كان الحال فى الماضى ، وانما تعددت موضوعات المسح وتشعبت بحيث شملت معظم الظواهر والمشكلات الاجتماعية . ويمكن أن نجمل موضوعات المسح فيما يلى :

١ — دراسة الخصائص الديموجرافية — أى السكانية — لمجموعة من الناس ، وتشمل هذة الدراسة معرفة حالة الأسرة من ناحية عدد الأبناء والسن ودرجة الخصوبة وما الى ذلك من معلومات وبيانات تتعلق بهذه الناحية السكانية . ويتركز اهتمام مصالح الاحصاء بجمع بيانات خاصة بالتكوين الديموجرافى ، كما تهتم المسوح جميعا بجمع بيانات متعلقة بهذه الناحية .

٢ — دراسة الجوانب الاجتماعية والاقتصادية لجماعة من الجماعات . ويشمل هذا النوع من الدراسة معرفة دخل الافراد ومستويات المعيشة والعوامل المؤثرة على المستوى الاقتصادى والاجتماعى وكذلك دراسة أوجه النشاط المختلفة مثل طرق قضاء الناس لاوقات الفراغ ، ومدى اقبالهم على برامج الاذاعة والتليفزيون وجلوسهم على المقاهى ، وترددهم على الاندية المختلفة ، وأنواع الجرائد والمجلات التى يقرأونها .

٣ — دراسة الجوانب الثقافية المرتبطة بالعادات والتقاليد والقيم والمعايير السلوكية .

٤ — دراسة آراء الناس واتجاهاتهم ودوافع سلوكهم . وهذه

(1) Mooser, op. cit., p. 5.

الدراسات تلقى الكثير من الضوء على سـلوك أفراد المجتمع (١) . ومن أمثلة هذه الدراسات ما يأتى :

(أ) دراسات الرأى العـام :

تهتم معاهد الرأى العام بقياس الرأى نحو المشـكل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المختلفة . وقد بدأ الاهتمـام بهذا النـوع من الدراسات فى الولايات المتحدة للتنبؤ بفوز المرشحين لرئاسة الجمهورية . وبدأت مؤسسة جالوب تعمل فى هذا الميدان منذ سنة ١٩٣٥ وتنشر نتائج بحوثها فى أكثر من مائة جريدة ، كما تقوم مجلة فورشن Fortune بقياس الرأى العـام نحو احدى المشاكل الكبرى وتقوم بنشر نتائج المسح كل ثلاثة شـهور The Fortune Quarterly Survey وتوجد بالاضافة الى ذلك مؤسسات كثيرة تقوم بمسوح من هذا النوع (٢) .

وقد بدأت أولى معاهد الرأى العام تعمل فى انجلترا منذ سنة ١٩٣٦ ، وتلقى هذه المعاهد نجاحا كبيرا فى الدراسات التى تقوم بهـا لان الرأى العام الانجليزى محافظ ونادرا ما يغير رأيه فى المسائل التى يسأل عنها . وفى سنة ١٩٣٧ بدأ نوع من قياس الرأى العلم يعتمد على الملاحظة الجمعية Mass Observation وكانت أهدافه الرئيسية دراسـة المجتمعات الحديثة بنفس الاساليب المستخدمة فى ميدان الانثروبولوجيا . وقد نجح هذا النوع نجاحا كبيرا فى دراسة سلوك الانجليز ومشاعرهم فى المناسبات المختلفة ، وآرائهم فى كرة القدم وفى التدخين .. الخ . وقد استخدمت الملاحظة الجمعية أثناء الحـرب فى دراسة الدعاية الحكومية . ولم يكن الباحثـون الميدانيون ، فى البداية ، يتقيدون بأى أسلوب من أساليب الملاحظة سوى التعبير عن مشاعرهم وانطباعاتهم بصدق وبلا تحيز . الا أنه فى الدراسات الاخـيرة بدأت الاستعانة بملاحظين مدربين يعتمدون على الاساليب العلمية فى اختيار العينات التى تمثل الرأى العام تمثيلا صحيحا (٢) .

(ب) دراسات التسويق :

تعتبر دراسات التسويق Market Research نوعا آخر من دراسات آراء الناس واتجاهاتهم وذلك للتنبؤ باحتمال اقبال الجمهور على شـراء سـلعة معينة أو أساليب عدم رواجها . ويمكن أيضا عن طريق هذه الدراسات

---

(١) H. Durant, The Gallup Poll and some of its Problems the Incorporated Statistian, 1954, 5, 101-110.

(٢) R. Firth, an Anthropologist's view of Mass-Observation, the Social., Rev., 31, 166-93.

الوصول الى معلومات متعلقة بكمية الاستهلاك واتجاهاته ، وطبقات المستهلكين الحالية واتجاهاتهم ، وعادات الشراء بالنسبة للبضاعة المنافسة، والبيع بالقطاعى والبيع بالجملة . وتقدير اثر الاعلانات التجارية والدوافع الى الشراء والمركز الحالى للشركات المنافسة ... الخ .

والمعلومات التى يصل اليها الباحثون من هذه المسوح تستخدمها البنوك والمصانع والبائعون ووكالات الاعلان فى سياستها لترويج منتجات معينة ، او لتقرير تمويلها او صناعتها . ويستلزم الامر سرعة فى الحصول على معلومات حديثة يمكن الاعتماد عليها من عدة مصادر فى مناطق متباعدة وفى وقت واحد .

(جـ) دراسات جمهور المستمعين لبرامج الاذاعة والتليفزيون :

تجرى هذه الدراسات بقصد دراسة اهتمامات جمهور المستمعين والمشاهدين للبرامج المختلفة . وقد بدأت انجلترا فى سنة ١٩٣٦ بهذا النوع من الدراسات لجمع بيانات عن عادات المستمعين واذواقهم واهتماماتهم ، والحصول على معلومات متعلقة بالبرامج التى تحوز اعجاب الجمهور ، وانسب أوقات العرض ومدة العرض بالنسبة لكل برنامج ، والبرنامج الذى يستحسن أن يسبقه او يليه (١) ، وقد أجريت فى جمهورية مصر العربية بعض الدراسات فى هذا المجال ، نذكر من بينها الدراسة التى قام بها المركز القومى للبحوث الاجتماعية بغرض استطلاع آراء الجمهور المصرى فى الافلام السينمائية ، وذلك بغرض تحديد العوامل التى تجذبه اليها او تصرفه عنها (٢) .

***

● أدوات البحث المستخدمة فى المسح الاجتماعى :

يستعين القائم بالمسح الاجتماعى بمعظم الأدوات المستخدمة فى البحوث الاجتماعية ويتوقف اختياره للاداة اللازمة على موضوع الدراسة وخطة المسح ومداه ، ونوع المعلومات المطلوبة .

ومن أكثر الادوات شيوعا فى المسح الاجتماعى : الملاحظة والمقابلة (الاستبار) والاستبيان ، وتحليل المضمون . وسنعرض فيما بعد لهذه الادوات بالتفصيل (٣) .

***

(١) F. Edwards, Readings in Market Research, the British Market Research Bureau, London, 1956.

(٢) عبد الباسط عبد المعطى ، المرجع السابق .

(٣) راجع الجزء الخاص بأدوات جمع البيانات .

● خطوات المسح الاجتماعي :

يمر المسح الاجتماعي في عدة مراحل يمكن تحديدها فيما يلي :

أولا — رسم الخطة .

ثانيا — جمع البيانات من الميدان .

ثالثا — تحليل البيانات .

رابعا — عرض النتائج وكتابة التقارير .

وقد عرضنا لأغلب الخطوات السابقة فيما كتبناه عن التصميم المنهجي للبحث (١) . وسنكتفي في هذا المجال بتحديد النقط الرئيسية التي تشملها كل خطوة من الخطوات .

أولا — رسم الخطة :

تتضمن هذه الخطوة ما يلي :

١ — تحديد الغرض من المسح ، وتحديد النقط الرئيسية والفرعية التي يشتمل عليها .

٢ — تحديد المفاهيم المستخدمة في المسح .

٣ — تحديد الأدوات اللازمة لجمع البيانات .

٤ — تحديد مجالات البحث الثلاثة : البشري والمكاني والزماني .

٥ — تقدير الميزانية وتحديد البرنامج الزمني للمسح وكذلك اعداد دليل العمل الميداني .

ثانيا — جمع البيانات من الميدان :

وتتضمن هذه الخطوة ما يلي :

١ — اعداد التعليمات للباحثين الميدانيين .

٢ — تدريب باحثي الميدان .

---

(١) راجع في ذلك الفصل الخاص بالتصميم المنهجي للبحث .

٣ — عمل الاتصالات اللازمة بالمبحوثين ، واعداد المجتمع لعملية المسح .

٤ — الاشراف على أعمال الباحثين الميدانيين اما عن طريق الباحث نفسه أو بتعيين مشرف لكل منطقة يعقد اجتماعات يومية مع الباحثين ليناقش معهم الصعوبات التى تقابلهم فى الميدان وكيفية التغلب عليها .

٥ — مراجعة البيانات التى تجمع يوما بعد يوم حتى يمكن تلافى الأخطاء الميدانية .

ثالثا — تحليل البيانات :

ويتم ذلك فى خطوات هى :

١ — مراجعة البيانات التى جمعت للتأكد من انها صحيحة وكاملة ومسجلة بطريقة منظمة تساعد على سهولة تبويبها .

٢ — تصنيف البيانات بتقسيمها الى مجموعات متجانسة خاصة فى الأسئلة ذات النهايات المفتوحة حتى يمكن جدولتها .

٣ — ترميز البيانات فى كل صحيفة ، أى تحويل البيانات الوصفية الى بيانات رقمية . واختيار الرموز يأخذ فى اعتباره ما اذا كانت الجدولة ستتم باليد أو بواسطة الآلات الاحصائية .

٤ — مراجعة الترميز .

٥ — الاشراف على عملية التصنيف الآلى .

٦ — جدولة البيانات الكمية ، وحساب النسب المئوية .

٧ — التحليل الاحصائى للجداول .

رابعا — عرض النتائج وكتابة التقرير :

بعد أن تنتهى عملية التحليل الاحصائى ، فان من الضرورى أن يسجل الباحث النتائج بصرف النظر عما اذا كانت تحقق الاهداف التى حددها من البداية أم لا . ومن واجبه أيضا أن يقرر ما اذا كانت الفروق التى حصل عليها بين معاملات الارتباط أو المتوسطات الحسابية أو النسب المئوية .... الخ ذات دلالة احصائية أم لا ، وعلى الباحث أن يوضح المدى الذى يمكن الذهاب اليه فى التعميم من النتائج الى مواقف أخرى مشابهة لموقف البحث .

ويجب عند كتابة التقرير النهائى أن تصاغ النتائج بحيث يستطيع القارىء أن يتعرف بوضوح على المعنى الحقيقى الذى تنطوى عليه النتائج والأرقام .

***

● حدود المسح الاجتماعى :

بالرغم من فوائد المسح الكثيرة التى سبق أن ذكرناها ، نرى أن المسح الاجتماعى محدود فى مدى الاعتماد عليه للأسباب الآتية :

١ — لجمع بيانات كمية عن بيئة من البيئات لابد من توجيه عدد كبير من الأسئلة للمبحوثين . وقد يؤدى ذلك الى ضيق الناس وعدم تعاونهم مع الباحثين . وفى حالة الاقتصار على عدد محدود من الأسئلة قد لا تكون البيانات التى يحصل عليها كافية لمعرفة حاجات البيئة والتعرف على مشكلاتها .

٢ — تتوقف أهمية المسح على عدد أفراد العينة . فاذا كان العدد قليلا فان نتائج المسح لا يمكن الاعتماد عليها لأنها تعطى صورة ناقصة عن الجماعة أو الظاهرة المراد دراستها .

٣ — نظرا لأن المسح الاجتماعى يرتكز على دراسة الحاضر فانه لا يصلح فى الدراسات التطورية التى تعتمد على الربط بين الماضى والحاضر .

٤ — على الرغم من أن المسوح الحديثة تتضمن الجانبين النظرى والعملى على السواء ، الا انه يصعب الاعتماد على المسح فى اصدار تعميمات واسعة أو فى الوصول الى نظريات علمية ، ولن يتأتى ذلك الا فى ظل برنامج طويل المدى يتضمن القيام بمسح متكرر بين الحين والحين . ويرى ماركيز ان المسوح الاجتماعية يمكن أن تؤدى خدمة جليلة للعلم اذا ركزت اهتمامها على خطوة فرض الفروض ثم محاولة التأكد من صحتها .

***

المراجـــع

(١) باللغـــة العربيـــة :

١ ــ المجلس الدائم للخدمات العامة ، لجنة الاحصاء : بحث ميزانية الأسرة فى الريف عام ١٩٥٥ .

٢ ــ حسن الساعاتى : التصنيع والعمران ، بحث ميدانى للاسكندرية وعمالها ، دار المعرفة ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٨ .

٣ ــ عبد الباسط محمد عبدالمعطى وعبدالحليم محمود السيد : استطلاع آراء الجمهور المصرى فى الأفلام السينمائية (العوامل التى تجـذبه اليها أو تصرفه عنها) ، المجلة الاجتماعية القومية ، العدد الثانى، المجلد الحادى عشر ، مايو ١٩٧٤ .

٤ ــ منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، تعاطى الحشيش ، التقرير الأول ، استمارة الاستبار ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٠ .

٥ ــ منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية : البغاء فى القاهرة ، مسح اجتماعى ودراسة اكلينيكية ، ١٩٦١ .

(٢) باللغـــة الانجليزية :

1. Burgess, E.W., «Social Survey — A field for Constructive Service by Department of Sociology». Amer. Jour. of Soc. XXI, Jan. 1916.
2. Durant, H., The Gallup Poll and some of its Problems ; The Incorp. Statistican, 1954, 5, 110-115.
3. Edwards, F., Reading in Market Research, The British Market Research-Bureau London 1956.
4. Firth. R., An Anthropologist's view of Mass Observation, The Soc. Rev., 31, 166-93.
5. Moser, C., Survey Methods in Soc. Investigation. The U. Press. 1959.
6. Whitney, F., The Elements of Research, New York, 1964.
7. Young, P., Scientific Social Survey and Research. New-York 1947.

* * *

منهج دراسة الحالة

CASE STUDY METHOD

سبق أن أشرنا الى أن العلاقة بين أجزاء الظاهرة الاجتماعية ليست علاقة آلية ميكانيكية ، وانما هى علاقة دينامكية . واننا اذا كنا فى حاجة الى تحليل الظاهرة لتبسيطها وفهمها ، فاننا فى الوقت ذاته فى حاجة الى اطار نرد اليه العناصر التى حللناها ، والا فقدت هذه العناصر دلالتها وأهميتها.

وقد أشرنا أيضا الى أهمية الدراسة التكاملية فى فهم الظواهر الاجتماعية ، وقلنا انه لتحقيق هذه الغاية يمكن الاستفادة بمختلف مناهج البحث التى من بينها منهج دراسة الحالة .

ولتفسير هذا القول سنحاول فى هذا الفصل أن نلقى ضوءا على منهج دراسة الحالة ، محاولين التعريف به وبخصائصه ، وكيفية استخدامه فى البحوث الاجتماعية ومدى الاستفادة به فى فهم الظواهر المدروسة .

● المقصـــود بمنهج دراسة الحـــالة :

يطلق على منهج دراسة الحالة فى الفرنسية اسم « المنهج المونوجرافى La Methode Monographique» . والمونوجرافيا تعنى وصف موضـــوع مفرد . ويقصد بها علماء الاجتماع الفرنسيون القيام بدراسة وحدة مثل الأسرة أو القرية أو القبيلة أو المصنع دراسة مفصلة مستفيضة للكشف عن جوانبها المتعددة والوصول الى تعميمات تنطبق على غيرها من الوحدات المتشابهة .

أما العلماء الأمريكيون فقد وضعوا تعريفات متعددة لمنهج دراسة الحالة . وتتفق أغلب التعريفات على أن منهج دراسة الحالة هو المنهج الذى يتجه الى جمع البيانات العلمية المتعلقة بأية وحدة سواء أكانت فردا أو مؤسسة أو نظاما اجتماعيا أو مجتمعا محليا أو مجتمعا عاما. وهو يقوم على أساس التعمق فى دراسة مرحلة معينة من تاريخ الوحدة ، أو دراسة جميع المراحل

التى مرت بها وذلك بقصد الوصول الى تعميمات علمية متعلقة بالوحدة المدروسة وبغيرها من الوحدات المشابهة لها (١) .

وفى ضوء التعريفات المختلفة لمنهج دراسة الحالة ، يمكن تحديد العناصر الأساسية للمنهج فيما يلى :

١ — ليس من الضرورى أن تكون الحالة جماعة أو نظاما اجتماعيا أو مجتمعا محليا ، فقد تكون فردا .

٢ — طالما أن منهج دراسة الحالة ينصب على دراسة الوحـــدات الاجتماعية سواء أكانت وحدات كبيرة أو صغيرة ، فان الوحدة الصغيرة قد تكون جزءا من حالة فى احدى الدراسات ، بينما تكون حالة قائمـــة بذاتها فى دراسة أخرى . فاذا كان البحث مثلا ينصب على دراسة مجتمع محلى ، فان ذلك المجتمع يكون بمثابة الحالة Case بينما تصبح الأنظمة الاجتماعية والجماعات المكونة للمجتمع المحلى وكذلك الافراد بمثابة أجزاء أو مواقف Situations أو عوامل Factors داخلة فى تكوين الحـالة .

واذا كان موضوع الدراسة منصبا على المؤسسات الاجتماعية ، فان كل مؤسسة اجتماعية تعتبر بمثابة حالة بينما يصبح الأفراد مجرد أجزاء أو مواقف أو عوامل داخلة فى تكوين الحـــالة ، أما اذا كان موضوع الدراسة منصبا على الافراد ، فان كل فرد من الأفراد يعتبر حالة قائمة بذاتها (٢).

٣ — يقوم المنهج على أساس التعمق فى دراسة الوحدات المختلفة وعدم الاكتفاء بالوصف الخارجى أو الظاهرى للموقف .

٤ — يهدف المنهج اما الى تحديد مختلف العوامل التى تؤثر فى الوحدة المدروسة أو الكشف عن العلاقات السببية بين أجزاء الظاهرة .

---

(١) Good and Scates, op. cit., p. 726; Young, op. cit., pp. 227, 229.

(٢) تضرب بولين يونج مثالا لذلك بالدراسة التى أجريت فى مدينة ميدلتاون بولاية أنديان بالولايات المتحدة . فقد اختار الباحثان المجتمع المحلى للمدينة حالة أو نموذجا للدراسة وعند دراسة النظم الاجتماعية بالمجتمع أصبح كل نظام بمثابة حالة ، وعند دراسة الأفراد والقادة الذين لهم تأثير على الأنظمة أصبح كل فرد حالة قائمة بذاتها (المرجع السابق ص ٢٢٨) .

● أهداف المنهج والظروف التي يستخدم فيها :

أستخدمت دراسة الحالة من قديم الزمن في كثير من الميـــادين ولمختلف الاغراض . استخدمها علمـــاء الانثروبولوجيا والاجتماع وعلمـاء النفس والمشتغلون في ميدان الخدمة الاجتماعية ، كما استخدمها رجـــال الصحـــافة والقانون وكثيرون غيرهم . بيد أن كل واحد من هؤلاء كانت له طريقته من الدراسة ، وأهدافه التي تغاير أهداف الآخرين .

ويرجع فريق من المشتغلين بمناهج البحث الاجتماعي شيوع استخدام منهج دراسة الحالة خلال الثلاثين سنة الماضية الى ظهور نظرية الجشطالت Gestalt التي لفتت النظـــر الى ضرورة الاهتمام بالموقف الكلي الذي يتفاعل فيه الكائن الحي باعتباره — أي الكائن الحي — جزءا من الموقف لا ينفصل عنه الا بقصد التحليل فقط .

وليس من شك في أنه كان للتجارب والظواهر العديدة التي ابرز فيها رجال الجشطالت خطأ التفكير الذري Atomistic — الذي ينادي بالبحث عن الحقائق المادية الظاهرة والى اغفال المجال الكلي الذي تحدث فيه — أثره في تعديل كثير من علماء النفس ومن المشتغلين بالبحث الاجتمـــاعي نظرتهم . فبدأوا يفكرون على أساس أن الجزيئيات لا تعدو أن تكون مجرد جانب أو مظهر من مظاهر الحقيقة الكلية وهذه الجزيئيات لا يكون لهـــا معنى الا من هذه الزاوية أي الا اذا نظر اليها من حيث علاقتها بالكل الذي يحتويها . ومن هنا شاع استخدام منهج دراسة الحالة في البحث وأصبح هدفه الرئيسي الاهتمام بالموقف الكلي ، والنظر الى الجزيئيات من حيث علاقتها بالكل الذي يحتويها . ولذا فانه يلزم استخدام منهج دراسة الحالة في الظروف الآتية :

١ — حينما يريد الباحث أن يدرس المواقف المختلفة دراسة تفصيلية في مجالها الاجتماعي ومحيطها الثقافي بما تشمله الثقافة من عادات وتقاليد وقيم وآراء وأفكار واتجاهات سائدة .

٢ — حينما يريد الباحث أن يدرس التاريخ التطوري لشيء أو شخص أو موقف معين .

٣ — حينما يريد الباحث أن يتوصل الى معرفة حقيقة الحياة الداخلية لشخص ما بدراسة حاجاته الاجتماعية واهتماماته ، ودوافعه ، على أن ينظر الى الفرد باعتباره عضوا في الجماعة التي يعيش فيها ويتفاعل معهـــا في اطار ثقافتها الكلية .

٤ — حينما يرغب الباحث فى الحصول على حقـائق متعلقـة بمجموعة الظروف المحيطة بموقف اجتمـاعى ، أو فى التوصل الى معرفة العـوامل المتشابكة التى يمكن استخدامها فى وصف وتحليل العمليات الاجتمـاعية التى تقوم بين الأفراد نتيجة لحدوث التفاعل بينهم كالتعـاون والتنافس والتوافق والتكيف (١) .

* * *

● دراسة الحـالة والاحصاء :

ليس هناك تعارض بين استخدام دراسة الحالة والاحصاء فى البحث الاجتماعى فكلاهما لازم للآخر مكمل له ، كلاهمـا ضرورى فى الكشف عن الحقائق العلمية وفى تفهم العوامل المختلفة المحيطة بالظاهرة المدروسة (٢) .

فالطريقة المتبعة فى الاحصاء — كما يدل عليهـا الاسم العربى — هى طريقة العد . ففى كل أبحاثنا الاحصائية نعبر عن مشاهداتنا للظواهر تعبيرا عدديا ، ونسجل هـذه الملاحظات فى صورة رقمية . فهل يمكن والحال كذلك أن نكتفى بالاحصاء فى فهم المواقف الاجتماعية ؟

يجيب على ذلك الدكتور حامد عمار بقوله : « ففى المفاهيم الاحصائية تركيز وتجميع للمعلومات والخبرات ولا يمكن أن يستغنى عنها فى المجتمع الحديث . ولكن الذى يمكن أن نتساءل عنه ، وهو مزلق من مزالق الارقام هو أن يكون الاحصاء والعد نشاطا بشريا يتسم بصفة « العلمية » ليكون بديلا عن فهم الانسان ، ولا أريد أن أتعرض لما يمكن أن تخفيه الارقام أو تظهره فى صورة متعمدة محرفة ، فتلك قضية أخرى . ان مصدر الخشية هو أن يتحول الانسان الى رقم ، كما يحدث فى المدارس السـلطانية العثمانية حيث كان للطلاب أرقام يعرفون بها فتغنى عن أسـمائهم ، بل وتغنى عن محاولة فهمهم كأفراد » (٣) .

ويناقش مختلف المفاهيم الاحصائية ، ويتساءل عن مدى امكانية الثقة فيها فى فهم الناس أو الأوضاع أو فى عمل البرامج او فى حل المشـكلات ويقول : « ان الاحصاء والعد والمتوسط الحسابى والتصنيفات الاحصائية هى خط بداية تبين بعض العنـاصر ، والمتوسـطات ومداها ومجالهـا

---

(١) Young, Ibid., pp. 233-234.

(٢) Ibid., pp. 230-235.

Stouffer, «Notes on the Case Study and the Unique Case» in Social Research test Ideas, pp. 253-260.

(٣) حامد عمار : المنهج العلمى فى دراسة المجتمع ص ٢٠ .

توزيعاتها ، الى غير ذلك من المفاهيم التى يستخدمها العقل الفطن ، والحس المرهف الفهم الكامل والتقدير السديد للمواقف أو الناس . ولا ينبغى أن تغلق هذه التصنيفات الاحصائية ذهن الباحث أو المترجم للدراسات الاجتماعية دون الحالات الحية الواقعية » (١) .

ويقول عن المتوسط الحسابى « فالمتوسط الحسابى اذن بداية وليس غاية فى حد ذاته . بداية تعين على معرفة الصور المبدئية لما يسمى « بالحالة العادية » القائمة على سبيل التجريد ، لكن الحالة الواقعية هى الغاية التى يراد فهمها ودراستها ومواجهتها ، وقد يتمثل فيها بعض عناصر هذا المتوسط . لكن المقصد الاساسى هو الحالة الحية ، هو الفرد ، كل فرد بكيانه الخاص ، خاصة واذا كانت النظرة الديمقراطية هى عقيدتنا ، وهى تقوم أساسا على تقدير الفرد واعتباره كانسان حى ، لا كمتوسط حسابى يصدق عليه ما يصدق على غيره دون اعتبار لمكوناته الخاصة (٢) .

وعلى هذا فاننا نستطيع القول بأن الاحصاء على الرغم من أهميته فى البحوث العلمية الا أنه لا يكفى فى شرح العوامل الدينامكية المؤثرة فى الموقف . أما منهج دراسة الحالة فانه يعتبر ضروريا لفهم الموقف ككل والتعمق فى معرفة الظروف المختلفة المحيطة بالظاهرة المدروسة .

وتضرب بولين يونج مثالا تؤيد به هذا الرأى فتقول :

فى احدى الدراسات الاحصائية التى أجريت على احدى الجماعات الروسية المهاجرة الى الولايات المتحدة ، اختار الباحثون ٢٦٥ شخصا ينتمون الى ٨-١ أسرة . وكان الهدف من البحث تحديد نسبة الأبناء الجانحين من بين أبناء الاسر ومعرفة العوامل التى تؤدى الى انحرافهم . وقد أسفرت الدراسة عن النتائج الموضحة بالجدولين التاليين :

---

(١) حامد عمار : نفس المرجع ص ٢١ .

(٢) حامد عمار : المرجع السابق ، ص ٢٢ .

جدول رقم (١) تحديد نسبة الأبناء الجانحين من بين أبناء الأسر

نوع الأفـراد	العـــدد	النسبه المئويه
جانحون	١٨١	٦٨ر٣٪
غير جانحين	٨٤	٣١ر٧٪
المجمـــوع	٢٦٥	١٠٠ر٠٪

جـدول رقم (٢) توزيع الجانحين حسب فئـات السن

فئـات السن	العـــدد	النسبه المئـويه
٩ — ١٩	١٥٥	٨٥ر٧٪
٢٠ — ٢٤	٢٥	١٣ر٨٪
٢٥ +	١	٥ر ٪
المجمـــوع	١٨١	١٠٠ر٠٪

وتشير النتائج الاحصائية لهذه الدراسة الى ارتفاع نسبة الانحراف بين أبناء هذه الجماعة ، وتزداد على وجه الخصوص بين صغار السن . وقد حاول الباحثون أن يفسروا هذه الظاهرة فى ضوء النتائج الاحصائية . فنسبها البعض الى عوامل منها الضعف العقلى ، وزيادة الاضطرابات النفسية والعصبية ، ونسبها آخرون الى تغير نظرة القانون الى من هم المنحرفون والمجرمون ... الى غير ذلك من تفسيرات .

ولما استعان الباحثون بمنهج دراسة الحـالة ، ورجعوا الى تواريخ الحياة ، ودرسوا حالات الأفراد من النواحى العضـــوية والسيكولوجية

والتربوية تبينوا أن زيادة نسبة الانحراف ترجع الى عوامل أخرى غير تلك التى توصلوا اليها من دراستهم الاحصائية .

فقد وجد الباحثون أن الأفراد الذين تزيد أعمارهم عن ٢٥ سنة ولدوا أصلا فى روسيا ثم انتقلوا الى الولايات المتحدة مع ذويهم وكانوا يعيشون فى ظل القيم التى يؤمن بها آباؤهم . فلم يحاولوا التحلل منها أو الخروج على سلطاتها لأنها رسخت فى تكوينهم . ولذا كادت تنعدم بينهم نسبة الانحراف .

أما الافراد الذين تراوحت أعمارهم بين ٢٠ ، ٢٤ فقد وجد أنهم ولدوا بالولايات المتحدة ، ثم التحقوا بمدارسها . وكانوا يقضون أغلب أوقاتهم — وخاصة وقت الفراغ — بين أفراد آخرين ينتمون الى بيئات ثقافية متباينة . ومن هنا بدأ الصراع بين القيم الثقافية يأخذ سبيله الى هؤلاء الأفراد ، صراع بين القيم التى يتمسك بها الآباء ، وبين القيم الجديدة السائدة فى البيئات الأمريكية . وقد ترتب على هذا الصراع تذبذب الأفراد بين القيم التى يؤمن بها آباؤهم ، وبين القيم الجديدة . ولذا لم تعد وسائل الضبط الاجتماعى غير الرسمية ذات أثر فى توجيه هؤلاء الافراد وفى البعد بهم عن عوامل الانحراف . . ولكن أفراد هذه الجماعة بعد أن انقطعت صلتهم بحياة الشارع ، وبعد أن التحقوا بأعمال صناعية مختلفة ، عادوا الى قيم آبائهم وبعدوا عن عوامل الانحراف .

أما الافراد الذين تراوحت أعمارهم بين ٩ ، ١٩ سنة ، فقد وجد أيضا أنهم ولدوا بالولايات المتحدة ، وعاشوا فى قمة صراع القيم بين الثقافة القديمة والثقافة الجديدة ، وعاشوا مع أخوانهم المنحرفين فترة من الزمن وتأثروا بهم . ولم يعد الآباء قادرين على توجيههم وفقا للقيم التى يؤمنون بها . ولذا بلغت نسبة الانحراف غايتها بينهم (١) .

من المثال السابق يتبين لنا أن الاساليب الاحصائية وحدها لم تكن قادرة على التغلغل فى أعماق الموقف ، ولم تكن كافية لاعطاء صورة ديناميكية لمظاهر الصراع القائمة بين أفراد هذه الجماعة . ولذا فاننا نعود لنقرر الحقيقة التى سبق أن ذكرناها وهى أن الاحصاء ودراسة الحالة ضروريان للبحث . فكلاهما لازم للآخر ، مكمل له ، وكلاهما ضرورى لفهم المواقف المختلفة والكشف عن حقيقتها .

---

(١) Young., op. cit., p. 230-232.

وتؤكد بولين يونج هذا المعنى بقولها : ان الاحصائى الذى يجمع بيانات من مصادر أولية أو ثانوية يختار مجموعة من العوامل التى تتضمنها المواقف الاجتماعية ، ويجمع عنها البيانات فى صورة قياسية رقمية ، ويلخصها بطريقة تسهل بها معرفة اتجاهات الظواهر ، وعلاقات بعضها ببعض . بينما الذى يستخدم منهج دراسة الحالة فانه يختبر مواقفا وأشخاصا وجماعات ونظما اجتماعية ، وينظر اليها نظرة كلية ، ثم انه ولا شك يستطيع الوصول الى تعميمات من دراسة عدد من الحالات اذا جمعت عنها البيانات بطريقة علمية موضوعية منظمة . وهذه التعميمات قد تكشف عن عدد كبير من العوامل السببية التى تؤثر فى الموقف الاجتماعى فى حين أن الاحصائى باستخدامه لمعاملات الارتباط لا يكشف الا عن العلاقة بين ثلاثة أو أربعة عوامل على الاكثر فى وقت واحد (١) .

* * *

● دراسة الحالة فى البحث الاجتماعى وفى خدمة الفرد :

يختلف منهج دراسة الحالة — كما يستخدم فى البحث الاجتماعى — عن منهج دراسة الحالة الذى يستخدم فى خدمة الفرد فيما يلى :

١ — حينما يستعين الباحث الاجتماعى بمنهج دراسة الحالة فانه يجمع البيانات لتصنيفها وتحليلها والمقارنة بينها رغبة فى الوصول الى تعميمات بالنسبة للظواهر المدروسة . اما فى خدمة الفرد Case Work فان دراسة الحالة تتجه أساسا الى فهم شخصية الفرد (العميل) ، والتعرف على سمة الحياة التى يحياها ، والكشف عن الظروف التى ظهرت فيها المشكلة التى يعانيها على أساس أن كل حالة متميزة عن غيرها من الحالات . وبعبارة أخرى فان الاخصائى الاجتماعى فى خدمة الفرد يتجه الى التخصيص أكثر مما يتجه الى التعميم ، اذ أنه يركز اهتمامه على الجوانب البارزة المميزة لشخصية الفرد (العميل) على حين أن الباحث الاجتماعى يتجه الى التعميم أكثر مما يتجه الى التخصيص (٢) .

٢ — فى البحث الاجتماعى يقدم الباحث نتائجه دون أن يضع فى اعتباره مسألة العلاج المباشر . أما فى خدمة الفرد فان الاخصائى الاجتماعى حينما يجمع الحقائق عن الحالة فانه يستخدمها فى التشخيص والعلاج . ويتفق

---

(١) Ibid., p. 235.

(٢) تتجه خدمة الفرد فى الوقت الحالى الى الاخذ بالاسلوب العلمى لتكوين قاعدة علمية يأخذ بها العاملون فى مجال خدمة الفرد بدلا من الاعتماد على الانطباعات الذاتية ، والخبرات الشخصية ، والمهارات الفردية للعاملين فى المجال ، ولذا فانها تتجه بشكل متزايد نحو التعميم بدلا من التخصيص .

المتخصصون فى خدمة الفرد على أن الدراسة والتشخيص والعلاج عمليات ثلاثة مترابطة ومتكاملة ، فعملية الدراسة يتبعها تفكير تشخيصى يقوم على أساس تفهم المواقف وتفسير المسببات وربطها بالنتائج وتحليل العلاقات بينها ثم الوصول الى العلاج الذى هو الهدف النهائى لعمليات خدمة الفرد .

* * *

● دراسة الحالة منهج أم أداة ؟

يرى بعض المشتغلين بمناهج البحث أن دراسة الحالة ليست منهجا من مناهج البحث ، وانما هى وسيلة من وسائل جمع البيانات ويعتمد هؤلاء على تصنيف سيلتيز حيث تصنف البحوث الى فئتين عريضتين : الدراسات الاستطلاعية الوصفية من جانب ، والدراسات التى تختبر فروض السببية من جانب آخر . ولما كانت دراسة الحالة لا ترد فى هذا التصنيف فانهم يعتبرونها وسيلة من وسائل جمع البيانات » (١) .

ويذهب هؤلاء الى أن دراسة الحالة — وعلى ضوء تصنيف سيلتيز — وسيلة من وسائل جمع البيانات وليست منهجا ، ذلك أنه يمكن أن تستخدم الحالة كوسيلة لجمع البيانات فى دراسة استطلاعية أو وصفية ، وليس هناك ما يمنع من ناحية أخرى أن تستخدم فى دراسة تختبر فروض السببية ، وذلك مشروط بطبيعة الحال بوضع الاجراءات المناسبة التى نحصل عليها » (٢) .

غير أننا نود أن نشير فى هذا المجال الى أن تصنيف سيلتيز ليس تصنيفا للمناهج ، وانما هو تصنيف لأنواع الدراسات الاجتماعية . وقد سبق أن أشرنا الى أن هناك فارقا كبيرا بين أنواع الدراسات (أنماط البحوث) وبين تصنيفات المناهج . فالبحوث تصنف الى أنماط على أساس الهدف الرئيسى للبحث ، أما تصنيفات المناهج فانها تتحدد بالطريقة التى يتبعها البحث لحل المشكلة . كما أن تصنيفات أنماط البحوث تعتبر تصنيفات عريضة مرنة ، أما تصنيفات المناهج فانها أكثر تحديدا . ولذا فقد يستعين الباحث فى النمط الواحد من الدراسة بأكثر من منهج . وقد ضربنا لذلك مثلا بالبحوث الوصفية التى يدخل تحتها من المناهج المسح الاجتماعى ، ودراسة الحالة ، كما يدخل تحتها أنواع أخرى من البحوث ذكرها هويتنى فى تصنيفه (٣) .

---

(١) جمال زكى والسيد يسن : أسس البحث الاجتماعى ، دار الفكر العربى ١٩٦٢ .

(٢) المرجع السابق : ص ٢٦٦ .

(٣) راجع تصنيف هويتنى فى الكتاب .

أما عن استخدام دراسة الحالة فى البحوث الوصفية وكذلك فى الدراسات التى تختبر فروضا سببية فان ذلك لا يحول دون اعتبار دراسة الحاله منهجا من مناهج الباحث لأن النتائج التى تترتب على الدراسة تتوقف على مدى معرفة الباحث بالوحدة التى يدرسها ، وعلى مدى التقدم العلمى فى الميدان ، ثم اننا لا نحدد مفهوم المنهج بالهدف من البحث ، أو بالنتائج التى تصل اليها وانما يحدد ذلك المفهوم بالطريقة التى تتبع فى البحث . وزيادة فى توضيح وجهة نظرنا نضيف النقاط التالية :

١ — بالرجوع الى تحديدنا للمفهوم والأداة ، فاننا نجد ان مفهـوم المنهج يشير الى الطريق المؤدى الى الكشف عن الحقيقة بواسطة طائفـة من القواعد تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل الى نتيجة معلومة . على حين أن مفهوم الاداة يشير الى الوسيلة التى يجمع بهـا الباحث البيانات التى تلزمه .

وواضح من التعريف السابق لكل من المنهج والاداة أن دراسة الحالة تعتبر منهجا لانها طريقة فى البحث . ثم كيف يتأتى لنا أن نعتبرها وسيلة من وسـائل جمع البيانات من بينها الملاحظة والمقابلة والاسـتبيان والوثائق والسجلات والملاحظات والخطابات ... الخ ؟

٢ — بالرجوع الى ما قاله ماركيز بشأن المناهج ، والاطار المرجعى الذى اعتمد عليه فى تصنيفه للمناهج فاننا نجده يؤكد أن دراسة الحالة منهج يقوم على عدم الانحياز والدقة والوصف الكامل لموضوع الدراسة ، وهو يركز اهتمامه على خطوتى القيام بالملاحظة التمهيدية والاستفادة بالنظريات العلمية فى مجال التطبيق وهما من الخطوات الرئيسية فى البحث العلمى (١) .

٣ — لا يفوتنا أن نذكر فى هذا المجال ما سبق أن قلناه بشأن شيوع استخدام منهج دراسة الحالة كرد فعل للتجارب التى اظهر فيها رجـال الجشطلت خطأ التفكير الذى يقوم عليه المنهج التجريبى ، ونستطيع ان نقرر بمقتضى هذا القول أن دراسة الحالة منهج كالمنهج التجريبى يقوم على عاملين هما تحليل الظاهرة الى عناصرها ، وعزل أجزائها بعضها عن بعض للتحقق مما اذا كان التركيب يؤدى الى وجود نفس الظاهرة التى سبق تحليلها أم لا . أما منهج دراسة الحالة فانه يقوم من البداية على أساس الاهتمام بالموقف الكلى ، والنظر الى الجزئيات من حيث علاقتها بالكل الذى يحتويها .

---

(١) راجع ما ذكرناه عن تصنيف ماركيز للمناهج .

وقبل أن نختم هذه المناقشة نود أن نشير الى ما يقوله « جــود » و « هات » بشأن هذا المنهج :

« دراسة الحالة ليست أداة من أدوات البحث ، وانما هى منهج متميز يقوم أساسا على دراسة الوحدات الاجتماعية بصفتها الكلية » (١) .

ويقولان فى موضع آخر :

« ان الذين ينظرون الى دراسة الحالة باعتبارها أداة من أدوات البحث انما يفشلون فى أن يميزوا بين دراسة الحالة كمنهج له طريقته فى النظر الى الحقائق الاجتماعية ، وبين الادوات التى صاحبت هذا المنهج منذ نشأته كالملاحظة والوثائق الشخصية ... الخ » (٢) .

* * *

● دراسة الأفراد والمجتمعات باستخدام منهج دراسة الحالة :

سبق أن أشرنا الى أن منهج دراسة الحالة يستخدم فى دراسة الوحدات سواء أكانت فردا أو مؤسسة أو نظاما أو مجتمعا عليا . وسنحاول فى هذا المجال أن نعرض لدراسة الحالة حينما تكون الوحدة فردا أو مجتمعا محليا .

أولا : دراسة الافراد

استخدم منهج دراسة الحالة فى دراسة الافراد منذ أقدم العصور . فقد استخدمه قدماء المصريون فى دراسة حالات المرضى ، كما استخدمه القضاة فى دراسة حالات المجرمين ، واستخدمته الجمعيات الخيرية فى دراسة حالات الأشخاص الذين كانوا يتقدمون بطلب مساعدات مالية ، واستخدمه المؤرخون فى وصف حياة الناس والامم . وبالرغم من أن هذه الطريقة كانت تهيىء الفهم المطلوب للوحدة المدروسة ، الا أنها لم تكن قائمة على أسس علمية صحيحة .

ويرجع أغلب المشتغلين بمناهج البحث ظهور هذا المنهج واستخدامه بطريقة علمية منظمة الى النصف الأول من القرن التاسع عشر حينما استعان « لوبلى » بمنهج دراسة الحالة فى دراسة أحوال الاسر العاملة فى فرنسا .

---

(١) Goode anr Hatt, op. cit., p. 331.

(٢) Ibid., p. 330.

وتعتبر الفترة ما بين ١٩١٥ ، ١٩٢٠ نقطة تحول كبيرة بالنسبة لهذا المنهج . ففى سنة ١٩١٥ نشر وليام هيلى W. Healy كتابه « الحدث «The individual Delinquent بعد أن درس ألفا من الأحداث الجانحين دراسة متعمقة مستعينا بمنهج دراسة الحالة . وكان هؤلاء الاحداث يترددون عليه فى المعهد السيكوباتى وفى محكمة شيكاجو (١) . وقد أنتهى من دراسته الى أن الاحصاء وحده لا يكفى فى فهم الانسان والظروف المحيطة به ، أو على حد قوله « ان الاحصاء لا يروى القصة كاملة «Statistics will never tell the whole story» ومما يذكر له أيضا أنه استعان فى دراسته بعدد من اختبارات الذكاء والاختبارات النفسية والشخصية . ولذا تعتبره بولين يونج رائدا من رواد منهج دراسة الحالة فى الولايات المتحدة (٢) .

وفى سنة ١٩١٦ عدل ترمان Terman أختبار الذكاء الذى وضعه بينيه Binet ونشره فى كتابه « قياس الذكاء » . فكان لهذا الكتاب أثره فى تنبيه الاذهان الى أهمية استخدام نسبة الذكاء فى فهم حقيقة الفرد ، بالاضافة الى أنه أتاح الفرصة لتصنيف نسب الذكاء ووضعها فى فئات . فأصبح من اليسير وضع كل فرد فى الطبقة التى ينتمى اليها . ومعرفة ما اذا كان ذكيا أو متوسطا أو غبيا أو ضعيف العقل ... الخ (٣) .

وفى سنة ١٩١٦ نشرت مارى ريتشموند كتابها « التشخيص الاجتماعى » وناقشت فيه مختلف الاساليب التى يستخدمها رجال الخدمة الاجتماعية فى الوصول الى حقائق علمية متعلقة بالأفراد ، والتى يمكن بمقتضاها فهم شخصية الفرد (العميل) والتعرف على سمة الحياة التى يحياها ، وذلك لمساعدته على التكيف مع البيئة التى يحيا فيها .

وفى الفترة ما بين ١٩١٨ ، ١٩٢٠ ظهر كتاب « توماس وزنلينكى » عن « الفلاح البولندى فى أوروبا وأمريكا » واستخدم الباحثان الوثائق الشخصية كالمذكرات والخطابات فى دراسة الحالات ؛ كما استعانا بسجلات الحكومة والهيئات الاجتماعية التى يتعامل معها الافراد بطريقة وافية متعمقة أدت الى تفسيرات اجتماعية لها أهميتها .

هذا ويمكن تعريف منهج دراسة الحالة — حينما تكون الوحدة فردا — بأنه : الطريقة المنظمة لجمع بيانات كافية عن شخص معين باعتباره وحدة

---

(١) Young, op. cit., p. 227.

(٢) Furfey, op. cit., p. 309.

(٣) Young op. cti., p. 227.

من وحدات المجتمع ، وذلك بقصد التعرف على طبيعة المراكز التى يشغلها فى المجتمع ، والأدوار التى يقوم بها ، وكذا الطريقة التى يتصرف بها فى المواقف الاجتماعية المختلفة (١) .

وقد ينصب مجال الدراسة على جانب واحد فقط من حياة الفرد الاجتماعية ، فيقتصر الباحث على دراسة العلاقات التى تنشأ بين الفرد وبين زملائه فى محيط العمل أو المدرسة مثلا ، وقد يتناول الباحث بالدراسة مختلف الظروف التى أحاطت بالفرد منذ نشأته ، والتى أثرت فى تكوينه واتجاهاته .

وليس من شك فى أن الاحاطة بجميع الظروف التى تؤثر فى تكوين الفرد تعطى الباحث فهما أعمق للحالة التى يقوم بدراستها . وهناك مواقف لا يمكن الاكتفاء فيها بدراسة الفرد دراسة كلية شاملة كما هو الحال فى دراسات الأحداث الجانحين ، ذلك لأن دراسة السلوك الاجرامى بالنسبة للأحداث المنحرفين تستلزم معرفة جميع الظروف المحيطة بالحدث ، حتى يتسنى للباحث أن يتبين ما اذا كان الانحراف عرضا يعكس اضطرابا اجتماعيا ، أو ضغطا اقتصاديا ، أو صراعا حضاريا أو عرضا لاضطراب نفسى أو مرض عقلى ، أو عرضا لنقص عقلى موروث أو ولادى ، أو عرضا لعوامل كثيرة تفاعلت معا وتعاونت على خلق ما يسمى بحالة الانحراف أو الجناح .

وفى دراسة الحالات الفردية ينبغى التأكد مما يأتى :

١ — كفاية البيانات : وذلك بجمع بيانات متعمقة عن مختلف جوانب الحالة . وهذه البيانات كثيرا ما تتناول النواحى النفسية والعضوية والصحية والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية للحالة .

٢ — صدق البيانات : وللتأكد من صدق البيانات ينبغى الرجوع الى مصادر أخرى كالتقارير والبيانات الرسمية الموثوق بصحتها ، ومراجعة البيانات التى أدلى بها المبحوث على البيانات الرسمية للتأكد من صدقها .

٣ — ضمان سرية التسجيل : ينبغى أن يعمل الباحث على منع تسرب البيانات الى أشخاص آخرين قد يكون فى استطاعتهم الحاق الضرر بالمبحوث نتيجة لادلائه بالبيانات اللازمة للبحث .

---

(١) Furfey, op. cit., p. 316.

٤ — ضمان صحة التعميمات العلمية وذلك بأن تكون التعميمات متمشية مع النتائج التى حصل عليها الباحث ، وفى حدود الحالات التى دخلت فى نطاق البحث وكذلك الحالات المشابهة لها (١) .

* * *

• وسائل جمع البيانات عن الحالات الفردية :

فى دراسة الحالات الفردية يمكن الاستعانة بالأدوات الآتية :

١ — الملاحظة .

٢ — المقابلة (الاستبار) .

٣ — الوثائق الشخصية : وتتضمن تواريخ الحياة ، والسير ، والسير الخاصة ، واليوميات ، والخطابات .

وسنكتفى فى هذا المجال بتوضيح أهمية الوثائق الشخصية فى جمع بيانات عن الحالات الفردية حيث اننا سنعرض فيما بعد للملاحظة والمقابلة .

* * *

• الوثائق الشخصية :

استفاد الباحثون الاجتماعيون بالوثائق الشخصية فى الحصول على بيانات علمية . وقد استخدمت الوثائق بكثرة فى مجال الدراسات الأنثروبولوجية ، فكان لها فضل كبير فى اثراء تلك الدراسات بالحقائق العلمية (٢) . وتكشف الوثائق فى مجال الخبرات الداخلية للأشخاص ما تكشف عنه أساليب الملاحظة فى مجال السلوك الظاهرى أى أنها تكشف للباحث عن الحياة كما يعيشها الشخص دون تدخل من جانب الباحث (٣) .

ومن النماذج المشهورة للوثائق الشخصية ما يأتى :

(١) تاريخ الحيــاة :

يتضمن هذا السجل التاريخ التطورى للفرد منذ نشأته . وتدون فيه استجابات الفرد المختلفة للمؤثرات التى مرت به منذ بداية حياته ، والتى كان لها أثر فى تكوين قيمه واتجاهاته ، ويتضمن أيضا تطور فلسفة الفرد فى

---

(١) Goode and Scates, op. cit., pp. 731-732.

(٢) Gotteschalk, L., Kluckhohn, C., and Angell, R., The Use of Personal Documents in History, Anthropology and Sociology, Soc. Science Res. Coun. No. 53, N.Y., 1954, p. 151

(٣) Selltiz et al., op. cit., p. 325.

الحياة والخبرات التى اكتسبها وأنواع الأزمات النفسية والعقلية التى أثرت فى بناء شخصيته . ويعرف بأنه « محاولة متعمدة لتحديد التطور الذى مر به شخص من الأشخاص فى محيط ثقافى على ان يكون لهذا التاريخ قيمة نظرية »(١) ويستعين الباحث بتاريخ الحيـاة بالنسبة للأشخاص العاديين و الذين تصيبهم أزمات واضطرابات نفسية بخلاف السير الذاتية التى يكتبها فى الغالب أشخاص عظماء أو مشهورون .

ولاعداد تاريخ الحياة يستطيع الشخص أن يكتب تاريخ حياته ، أو يمليه على الباحث ، وينبغى أن يتضمن تاريخ الحياة عـرضا تفصيليا للجوانب البيولوجية والنفسـية والاجتماعية والثقافية المحيطة بالفرد حتى يمكن تكوين صورة متكاملة عن الحالة المدروسة بكافة أبعادها . وتعـدد جوانبها :

وقد شمل تاريخ الحالة فى البحث الذى قام به المركز القومى للبحوث الاجتماعية أسرة البغى ومستواها الاجتماعى والاقتصادى ونشأة البغى فيها، وحالتها التعليمية والمدنية ونوع روابطها بالوالدين وأفراد الأسرة ورفقتها ، ثم الظروف التى تمت فيها أولى علاقاتها الجنسية غير المشروعة ، وما ترتب عليها من آثار فى حياة البغى وأسرتها وما تلاها من انزلاق تدريجى أدى الى احترافها البغاء ، وأخيرا اتجاهاتها من ممارسة البغاء فى الحاضر وما تأمله لنفسها فى المستقبل . وكذلك تضمن البحث عدد الاتهامات والسوابق فى كل حالة (٢) .

(ب) السير ، والسير الخاصة ، والمذكرات اليومية :

يدافع « البورت Allport » عالم النفس الأمريكى عن قيمة السـير والسير الشخصية والمذكرات واليوميات فى دراسات الحالة وفى المنهـج العلمى الاجتماعى على وجه العمـوم . ويرى أنها تكشـف عن الخبرات الداخلية للأشخاص ، وتعطى سواء بطريقة مقصـودة أو غير مقصـودة معلومات تتعـلق ببنـاء وديناميكية الحياة العقلية لصاحبها وطريقـة سلوكه (٣) .

---

(١) Goode and Scates, op. cit., p. 738.

(٢) منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية : البغـاء فى القاهرة ، ص ٨٨ .

(٣) Allport. G., The Use of personal Documents in Psychological Science, New York, Soc. Science Research Coun- 1942.

وليس استخدام السير ، والسير الشخصية مفيدا فى مجال الدراسات النفسية فحسب ، بل انه مفيد فى مجال الدراسات الاجتماعية جميعا . فهى تكشف عن السلوك الاجتماعى للفرد ، ومدى تأثره بعوامل البيئة المحيطة به؛ وطرق استجاباته للمؤثرات والمواقف المختلفة .

وينبغى قبل الاعتماد على هذا النوع من الوثائق تحليلها تحليلا دقيقا للتأكد من صدقها . والتحليل على أنواع : فهناك التحليل الداخلى الايجابى الذى يقصد به التفرقة بين العناصر الأولية التى تحتوى عليها الوثيقة تمهيدا لفهم كل عنصر على حدة ، وللوقوف على المعنى الحقيقى الذى ترمى اليه الألفاظ والعبارات . وهناك التحليل الداخلى السلبى الذى يقصد به الوقوف على الظروف التى وجد فيها كاتب الوثيقة حين سجل ملاحظاته .

ويمكن التحقق من صدق الوثيقة عن طريق الأسئلة التالية :

١ ــ هل أراد صاحب الوثيقة تحقيق غرض خاص ؟ وهل أورد أقوالا كاذبة لتحقيق هذا الغرض ؟

٢ ــ هل ينتمى صاحب الوثيقة الى جماعة لها اتجاهات معينة يميل الى نصرتها ؟

٣ ــ هل وجد صاحب الوثيقة فى مركز أكرهه على الكذب ؟

٤ ــ هل جره الغرور بشخصه الى الاختلاق أو التحريف ؟ . وهل أراد أن يشعر القارىء بمكانته وجدارته بالتقدير والاجلال ؟ .

٥ ــ هل يحاول صاحب الوثيقة التأثير فى الجمهور بأسلوبه الأدبى، وهل شوه الحقائق عندما ألبسها ثوبا أدبيا ؟ (١) .

ومن النماذج المشهورة للسير الخاصة Auto-Biographies ، أو ترجمة الشخص لنفسه، ما كتبه ابن خلدون عن تاريخ حياته فى كتابه « التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا » . فقد كتب عن نفسه ترجمة مستفيضة

---

(١) راجع ما كتبناه عن تحليل الوثائق فى « المنهج التاريخى » ، الفصل الرابع عشر من هذا الكتاب .

Seignobos and Langlois, Introduction to the Study of History, 1942, pp. 166, 167.

يتحدث فيها عن تفاصيل ما جرى له، وما أحاط به من حوادث من يوم نشأته الى قبيل مماته ، ويتحدث عن كل ذلك بدقة المؤرخ الأمين الحريص على الاستيعاب والشمول فلا يغادر شيئا مما عمله أو حدث له الا سجله .

وكذلك الترجمة التى كتبها الدكتور طه حسين عن نفسه فى كتابه « الأيام » .

وفيما يلى أقتطف بعض فقرات من كتاب الأيام للدكتور طه حسين تفيد الباحث فى التعرف على حقيقة التغير الذى يحدث فى نفس الفرد بعد أن ينتقل الى بيئة ثقافية جديدة ، وما يترتب على ذلك من صراع بين القيم الجديدة والقديمة .

يقول حين عاد الى قريته فى اجازته من الأزهر وهو لا يزال فى الثالثة عشرة من عمره :

« ولكنه لم يكد يقضى أياما بين أسرته وأهل قريته حتى غير رأى الناس فيه ولقتهم اليه ، لا لفت عطف ومودة ولكن لفت انكار واعراض وازورار . فقد احتمل من أهل القرية ما كان يحتمل يوما وأياما . ولكنه لم يطق على ذلك صبرا ، واذا هو ينبو على ما كان يألف ، وينكر ما كان يعرف ، ويتمرد على من كان يظهر لهم الاذعان والخضوع . كان صادقا فى ذلك أول الأمر فلما لحس الانكار والازورار والمقاومة تكلف وعاند وغلا فى الشذوذ .»

سمع سيدنا يتحدث الى أمه ببعض أحاديثه فى العلم والدين ، وببعض تمجيده لحفظة القرآن وحملة كتاب الله ، فأنكر عليه حديثه ورد عليه قوله، ولم يتحرج من أن يقول : هذا كلام فارغ . فغضب سيدنا وشتمه وزعم أنه لم يتعلم فى القاهرة الا سوء الخلق وأنه أضاع فى القاهرة تربيته الصالحة.

وغضبت أمه وزجرته واعتذرت الى سيدنا وقصت الأمر على الشيخ (أبيه) حين عاد فصلى المغرب وجلس للعشاء ، فهز رأسه وضحك ضحكة سريعة فى ازدراء للقصة كلها وشماتة بسيدنا . فلم يكن يحب سيدنا ولا يعطف عليه .

ولو وقف الأمر عند هذا الحد لاستقامت الأمور ، ولكن صاحبنا سمع أباه يقرأ دلائل الخيرات كما كان دائما اذا فرغ من صلاة الصبح أو من صلاة العصر ، فرفع كتفيه وهز رأسه ثم قال لاخوته : ان قراءة الدلائل عبث لا غناء فيه ، فأما الصغار من اخوته فلم يفهموا عنه ولم يلتفتوا اليه ، ولكن أخته الكبرى زجرته زجرا عنيفا ، ورفعت بهذا الزجر صوتها فسمعه الشيخ

ولم يقطع قراءته ولكنه مضى فيها حتى أتمها ، ثم أقبل على الصبى باسما يسأله ماذا كان يقول ، فأعاد الصبى قوله . فلما سمعه الشيخ هز رأسه وضحك ضحكة قصيرة وقال لابنه فى ازدراء : ما أنت وذاك ؟ أهذا ما تعلمته فى الأزهر ؟ فغضب الصبى وقال لأبيه : نعم تعلمت فى الأزهر أن كثيرا مما تقرأه فى هذا الكتاب حرام يضر ولا ينفع ، فما ينبغى أن يتوسل انسان بالأنبياء ولا بالأولياء ، وما ينبغى أن يكون بين الله وبين الناس واسطة وانما هذا لون من الوثنية .

هنالك غضب الشيخ غضبا شديدا ولكنه كظم غضبه، واحتفظ بابتسامته وقال فأضحك الأسرة كلها : اخرس ، قطع الله لسانك .. لا تعد الى هذا الكلام وانى أقسم لئن فعلت لأمسكنك فى القرية ولأقطعنك عن الأزهر ، ولأجعلنك فقيها تقرأ القرآن فى المآتم والبيوت ثم انصرف ، وتضاحكت الأسرة من حول الصبى ولكن هذه القصة على قسوتها الساخرة لم تزد صاحبنا الا عنادا واصرارا (١) .

وقد استخدم الدكتور عبد المنعم المليجى المذكرات والسير الخاصة للمراهقين فى دراسة تطور الشعور الدينى عندهم . وهو يؤكد أهمية المذكرات الخاصة بقوله :

« وقد يعمد المراهق الى تسجيل خواطره ، ووصف حالاته النفسية فى مذكرات خاصة . وكتابة المذكرات الخاصة ظاهرة نفسية من أهم الظواهر دلالة فى حياة المراهقين ، هى مظهر لعزلته ولقدرته على التحليل الذاتى ، ولرغبته فى الهرب من القلق النفسى » .

« وكثيرا ما تكون المذكرات بديلا من صديق ، يبثها المراهق أشجانه ويدلى لها باعترافاته تخفيفا من شعوره بالذنب ، ويبوح لها بآماله ومشروعاته المستقبلة » .

« كل هذه الأمور تجعل للمذكرات الخاصة للمراهقين أهمية كبرى لا من حيث هى ظاهرة نفسية ، بل ومن حيث هى أسلوب علينا أن نستخدمه فى دراسة هذه الفترة من حياة الفرد » (٢) .

---

(١) طه حسين : الأيام ، الجزء الثانى ص ١٤٠ — ١٤٣ .

(٢) عبد المنعم المليجى : النمو النفسى ، ص ١٦٠ — ١٦٢ .

وقد استخدم الدكتور صمويل مغاريوس هذا الاسلوب أيضا فى دراسته الاستطلاعية لاحوال المراهقين المصريين وصور مراهقتهم وما يحيط بها من ظروف وكانت مادة البحث هى الموضوعات التى كتبها طلابه بكلية التربية عن الظروف التى لابست مراهقتهم ، وقد اهتم بافهامهم أنهم أحرار فيما يكتبون عن أنفسهم وأنهم غير مقيدين فى كتاباتهم بقيد ما من قيود التبويب والتسلسل المنطقى (١) .

هذا وتفيد الخطابات فى الكشف عن كثير من الحقائق الداخلية للاشخاص . وقد قام توماس وزنانيكى فى دراستهما عن الفلاح البولندي فى أوروبا وأمريكا بتحليل ١٥,٠٠٠ خطابا . وقد ساعدت الخطابات على معرفة تكوين الاسرة البولندية والروابط التى تربط بين أفرادها ، والنظم الاجتماعية فى الريف البولندي ومراحل انفصال المهاجرين عن تقاليدهم القديمة ، وتكيفهم مع البيئة الجديدة فى الولايات المتحدة ، ولذا يمكن اعتبارها فتحا علميا فى هذا المجال .

***

ثانيا — دراسة المجتمعات المحلية :

يعرف المجتمع المحلى بأنه مساحة أو مكان للحياة الاجتماعية يتميز بدرجة من الترابط الاجتماعى . وأسس المجتمع المحلى هى الدائرة المكانية وعاطفة الجماعة . ويرى ماكيفر أن السمة المميزة للمجتمع المحلى هى أن المرء يمكنه أن يحيا حياته كلها فى داخله . فالانسان مثلا لا يستطيع أن يحيا حياته كاملة فى داخل مؤسسة تجارية أو فى داخل كنيسة بينما يستطيع أن يفعل ذلك فى داخل قبيلة أو مدينة . وعلى ذلك فالصفة الاساسية للمجتمع المحلى هى أن كل علاقات الفرد الاجتماعية يمكن أن توجد فى داخله (٢) .

ويرى روبرت ردفيلد R. Redfield أن خصائص المجتمع المحلى الصغير هى التميز ، وهو ظاهرة شعور الاشخاص بالانتماء الشديد لهذا المجتمع ، والصغر ، وهو أن المجتمع ككل يكون وحدة مستقلة للملاحظة المباشرة . كمايصلح أى جزء كالعائلة لمثل هذه الملاحظة ، والتجانس ، وهو تشابه نشاط الافراد واتجاهاتهم على أساس الجنس وطبقات العمر ، والاكتفاء الذاتى ، وهو أن جميع أنواع النشاط الاقتصادى والاجتماعى

---

(١) صمويل مغاريوس : أضواء على المراهق المصرى ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٧ .

(٢) ماكيفر وبيج : المجتمع . ترجمة الدكتور على أحمد عيسى : ص ٢٤ .

تستغرق داخل المجتمع كل حياة الفرد والجماعة دون حاجة الى الخارج (١) .

هذا ويمكن تعريف منهج دراسة الحالة — حينما تكون الوحدة مجتمعا محليا — بأنه الطريقة المنظمة لجمع بيانات كافية عن مجتمع محلى معين بحيث تساعد هذه البيانات على تكوين صورة واضحة عن الحياة فى داخل المجتمع ككل . وقد ينصب مجال الدراسة على نسق أو نظام واحد من أنظمة المجتمع أو يشمل عدة أنظمة ، وقد يشمل جميع الانظمة القائمة فى المجتمع ليتمكن الباحث من الوصول الى مزيد من الدقة والفهم .

وقد استخدم منهج دراسة الحالة فى دراسة المجتمع المحلى لمدينة « مديلتاون «Middletown» بولاية انديانا بالولايات المتحدة الأمريكية . ويلخص الباحثان — روبرت ليند وهيلين ليند — هدفهما من الدراسة بقولهما : انها تعتبر دراسة ديناميكية وظيفية للحياة المعاصرة بمدينة مديلتاون فى ضوء اتجاهات السلوك المتغيرة والملحوظة خلال خمسة وثلاثين عاما (٢) . ولدراسة التغير اختار الباحثان سنة ١٨٩٠ لتكون الحد الفاصل بين فترتى الاستقرار والتغير ، ثم درسا التغير الذى طرأ على المدينة من سنة ١٨٩٠ — ١٩٢٥م ، ونشرا النتائج التى توصلا اليها فى سنة ١٩٢٩ . ومنذ ذلك الحين ظهرت أبحاث كثيرة مستخدمة نفس المنهج. من بين تلك الابحاث ما تناول جميع الانظمة القائمة بالمجتمع ، ومنها ماتناول جانبا واحدا فقط لدراسة البنيان الطبقى (٣) .

ومن البحوث التى أجريت بجمهورية مصر العربية بحث قام به الدكتور حامد عمار فى قرية سلوا بأسوان (٤) ، وبحث آخر أجراه الدكتور عاطف غيث فى قرية القيطون بمحافظة الدقهلية (٥) ، وبحث ثالث أجراه الدكتور أحمد أبو زيد لدراسة ظاهرة الثأر باحدى قرى الصعيد (٦) .

* * *

---

(١) Redfield R. the Little Community, Viewpoints for the Study of a Human Whole, Chicago, 1956, pp. 4,5.

(٢) Lynd R. and Lynd H., Middletown, p. 6.

(٣) Warner, W. L., and Lunt, P., The Social Life of a Modern Community, New Haven, 1941.

(٤) Ammar, H., Growing up in an Egyptian Village, London, 1954.

(٥) محمد عاطف غيث : القرية المتغيرة (القيطون — محافظة الدقهلية) دار المعارف ، ١٩٦٠ .

(٦) أحمد أبو زيد : الثأر ، دراسة أنثروبولوجية باحدى قرى الصعيد ، منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٥ .

● ما ينبغى مراعاته عند دراسة المجتمعات المحلية :

لا تختلف خطوات دراسة المجتمعات المحلية عن الخطوات التى تتبع فى أى بحث علمى . الا لننا نود لن نشير فى هذا المجال الى عدة أمور ينبغى مراعاتها عند الدراسة أهمها :

١ – ينبغى أن يحدد الباحث مشكلة الدراسة تحديدا دقيقا ، وأن يجعلها على درجة كبيرة من الوضوح . ومن الضرورى أن يحدد الباحث أيضا ما اذا كان يرغب فى اجراء بحثه مستعينا بفروض محددة ، أو أنه يرغب فى النزول الى الميدان ليسجل كل شىء عن المجتمع من غير أن يضع فروضا محددة . وقد سبق أن أوضحنا أهمية الفروض وخاصة فى المجالات التى ارتادها الباحثون من قبل ، وقلنا انها توجه الباحث الى نوع الحقائق التى يجب أن يبحث عنها بدلا من تشتت جهوده دون غرض محدد ، كما انها تساعد على الكشف عن العلاقات الثابتة التى تقوم بين الظواهر .

٢ – من أهم شروط المجتمعات المحلية التحديد الواضح للمجتمع . لذا ينبغى على الباحث أن يحدد ما اذا كان يرغب فى دراسة مجتمع صغير قائم بذاته أو فى دراسة مجتمعات تعتبر أجزاء من مجتمعات أكبر . وقد كان الاعتقاد السائد بين علماء الانثربولوجيا الاهتمام فقط بدراسة المجتمعات البدائية التى تعتبر مجتمعات قائمة بذاتها ، الا أن الاتجاه الحالى بين هؤلاء العلماء قد تحول الى دراسة المجتمعات التى تعتبر أجزاء من مجتمعات أكبر . ولذا فان من الضرورى فى مثل هذه الاحوال العناية بتحديد المجتمع تحديدا دقيقا ، خاصة وانه ليست هناك حدود واضحة المعالم تفصل بين مجتمع ومجتمع آخر نظرا لان الفواصل بين المجتمعات ليس لها وجود واقعى ملموس نتيجة للتفاعلات الاجتماعية المتبادلة بين المجتمعات .

وفى بعض الأحيان يحاول الباحث أن يتخير مجتمعا يمثل مجتمعات متعددة ويشترك معها فى كثير من الخصائص كالتركيب السكانى والتكوين العنصرى والمستوى الاجتماعى والاقتصادى . وفى هذه الحالة ينبغى على الباحث أن يحدد خصائص النموذج ، وأن يحدد نواحى التشابه والاختلاف بينه وبين غيره من المجتمعات .

٣ – ينبغى على الباحث قبل أن يقرر اختياره النهائى لمجتمع ما أن يكون متأكدا من توفر الاحصاءات والبيانات والمصادر التاريخية التى تعطى صورة واضحة عن المجتمع وخصائصه وتطوره ، وأن يتعرف على الصعوبات التى قد تعترض سير البحث ، وأن يفكر فى طرق مواجهة تلك

الصعاب حتى اذا أيقن أن في استطاعته تذليلها ، أمكنه أن يمضي في بحثه وهو على ثقة من أمره .

٤ — ينصح بعض المشتغلين بمناهج البحث بعدم دراسة المجتمعات المحلية في حالة التغير لقلة المصادر التاريخية عن تلك المجتمعات ، ولكثرة الصعوبات التي قد تعترض الباحث في الدراسة . وفي رأينا أن دراسة المجتمعات في حالتها الديناميكية أمر له أهميته خاصة وأن المجتمعات في حالة تغير مستمر ودراستنا لها في حالتها الاستاتيكية ليست الا دراسة فرضية .

ولدراسة التغير يشير « ليند Lynd » بتحديد نقطة الصفر . وهي النقطة التي يعتقد الباحث أن المجتمع قد تغير عندها تغيرات ملموسة . هذا وتثير نقطة الصفر اشكالات متعددة لصعوبة تحديدها لان المجتمع في أية فترة من تاريخه لا يكون في حالة ثبات تام . واذا فانها تخضع لتقدير الباحث الشخصي .

٥ — يجب تحديد الطريقة التي تجمع بواسطتها البيانات ، فاذا كان الباحث يهدف الى دراسة المجتمع ككل ، فيمكنه الاستفادة بالخرائط والرسوم المختلفة ، واذا كان يهدف الى دراسة الجماعات والانظمة القائمة بالمجتمع فيمكنه الاستفادة بالوثائق التي تلقي الضوء على حقيقة الجماعات المكونة للمجتمع ، كما يجدر به الاعتماد على ملاحظات كبار السن . والنزول الى الميدان لجمع البيانات بواسطة الملاحظة بالمشاركة ، واذا كان يهدف الى دراسة الافراد فيمكنه الاستفادة بالاستبيان والمقابلة الشخصية .

٦ — يفضل أن يكون جامعو البيانات أشخاصا غرباء على المجتمع ، وذلك للأسباب الآتية :

(أ) اذا كان جامع البيانات من خارج المجتمع فان نظرته تكون أكثر موضوعية وواقعية .

(ب) يفضل الناس الشخص الغريب عن مجتمعهم عند اعطاء البيانات وذلك لانه يترك المجتمع بعد الانتهاء من مهمته ، وليس من صالحه أن يستغل المعلومات لصالح فريق من الناس دون آخر .

(ج) اذا كان هناك نزاع بين الجماعات المكونة للمجتمع المحلي ، فان من الأفضل أن يقوم بجمع البيانات شخص محايد لا دخل له في النزاع القائم .

(د) قد يتحرج الناس من التحدث عن مشكلاتهم أمام شخص يعرفونه ولكنهم لا يشعرون بالحرج أمام شخص غريب عنهم وعن مجتمعهم .

٧ — ينبغى اعداد المجتمع لعملية البحث قبل البدء فيه حتى يضمن الباحث المساعدة الكافية من جانب المبحوثين .

٨ — ينبغى أن يتجه الباحث بعد جمع البيانات وتصنيفها وتحليلها الى تعميم النتائج التى توصل اليها على المجتمعات المتشابهة لأن الوصول الى التعميم هو الهدف من الدراسات العلمية .

* * *

● تسجيل البيانات وتصنيفها وتحليلها :

(١) التسـجيل :

التسجيل عملية يقصد بها تدوين المعلومات واثبات البيانات بطريقة دقيقة منظمة تساعد الباحث على استخلاص الحقائق المتعلقة بالحالة المدروسة . ويعتمد التسجيل أساسا على الوصف الدقيق للحالة بشرط أن يكون ذلك بأسلوب موضوعى . فلا يغير الباحث فى الحقائق متأثرا بآرائه الشخصية واتجاهاته الخاصة .

وينبغى أن يتضمن السجل الدقيق ما يأتى :

١ — صحيفة الوجه - وهى الصحيفة الأولى فى السجل وتسجل عليها البيانات الآتية :

(أ) اشارة الى الوثيقة المتضمنة ومدى أهميتها لمراحل الدراسة المختلفة أو لمرحلة بعينها .

(ب) رقم الوثيقة .

(جـ) اسم الباحث .

(د) اسم الشخص الذى يدلى بالبيانات ونوع صلته بالموقف المبحوث .

(هـ) تاريخ المقابلة .

(و) الظروف التى أجريت فيها المقابلة .

(ز) اشارة الى سرية البيانات المتضمنة ، وخاصة اذا كان المبحوث يرغب فى المحافظة على سرية البيانات التى أدلى بها (١) .

---

(1) Palmer, V., Field Studies in Sociology, pp. 193-199, cited in : Young, p. 252.

٢ — تحديد موضوع الدراسة ، والهدف من البحث ، والخطـــوط الرئيسية التي يتضمنها وكذا الفروض التي يرغب الباحث في التحقـــق من صحتها .

٣ — اشـــارة الى الأدوات التي استخدمها الباحث في جمع البيانات كالمقابلة والملاحظة الشخصية والاستبيان والوثائق ... الخ .

٤ — الاحتفاظ بالوثائق الهامة التي تصف مواقف اجتماعية محددة ، او تصف شخصية الفرد أو الحوادث الهامة في حياته . واذا تعذر الاحتفاظ بتلك الوثائق في السجل — لكبر حجمها أو لأي سبب آخر — فيمكن ارفاق نسخة مكتوبة بالكربون تتضمن النقاط الرئيسـية التي تشتمل عليهـــا الوثائق .

٥ — اشارة الى بعض ملاحظات الباحث المبدئية عن الوثائق ، ونواحي الضعف فيها ، وكذا حالة المبحوث : آراؤه ، تحيزاته ، وظروفه . فكل ذلك له أهمية في تقدير ثبات البيانات وصحتها ، كما يفيد في الكشف عن ظروف المبحوث وحالته الانفعالية (١) .

(ب) التصنيف والتحليل والتعميم :

لما كان البحث يتضمن عمليات ثلاثة هي جمع البيانات وتصنيفها، وتحليلها ثم تفسيرها لاستخلاص النتائج وتعميمها ، فان من الضروري أن يوجـــه الباحث عنايته الى جميع الخطـــوات بنفس الدقة . وينبغي على الباحث بعد تسجيله للبيانات أن يعمد الى تصنيفها في مجمـــوعات على أساس أوجه الشبه البارزة بينها ، ونود أن نشير هنا الى أن طريقـــة التصنيف تسير في نفس الخطوات التي تتبع في المنهج الاستقرائي . فالباحث يبدأ بالحقائق الجزئية ثم يضمها في مجموعات كبيرة ، ثم في مجموعات أكبر الى أن ينتهي به الأمر الى اصدار تعميمات علمية ، أي أنه يبدأ بالجزئيات ليتوصل الى القضايا العامة .

ويمكن تصنيف بيانات الحالات المدروسة وفقا للخطوات التالية :

١ — ينبغي النظر الى الحقائق الجزئية المتفرقة المدونة بالسجلات ، ثم ضمها في مجموعات متشابهة ، ويطلق على هـــذه المجموعات اســـم « الحقائق الاجتماعية » .

---

(١) Ibid., p. 258.

٢ — ينبغى النظر الى ما بين الحقائق الاجتماعية من تشابه ، وما تتضمنه من انتظام وتتابع ، وذلك لضم هذه الحقائق فى مجموعات اكبر تعرف باسم مجموعات الحقائق الجزئية .

٣ — يستطيع الباحث أن ينظر الى مجموعات الحقائق الاجتماعية نظرة فاحصة مدققة ليكتشف العلاقات القائمة بين مجموعات الحقائق . وليحدد نموذج الحالة الذى أمامه ، ومدى اتفاقه مع غيره من النماذج (١). وينبغى أن تكون التعميمات متمشية مع النتائج وفى حدود الحالات التى دخلت فى نطاق البحث وكذلك الحالات المشابهة لها .

* * *

● حدود منهج دراسة الحالة :

يتشكك بعض الباحثين فى أهمية منهج دراسة الحالة ومدى الاعتماد عليه فى البحث لعدة عوامل اهمها :

(أ) عدم صدق البيانات التى يجمعها الباحث باستخدام هذا المنهج :
فيرى « ريد بين Reed-Bain » مثلا أن سجلات الحياة لا تعطى نتائج صادقة للأسباب الآتية :

١ — قد يسجل المبحوث الأقوال التى تتفق مع ما يريده الباحث أو ما يعتقد المبحوث أن الباحث يريده . وفى ذلك تحريف للحقائق عن موضعها.

٢ — كثيرا ما يبتعد المبحوث عن ذكر الحقائق كما حدثت ، فيحاول أن يكتبها من وجهة نظره مبررا تصرفاته ، ومؤيدا نظرته الى الاشياء والأشخاص .

٣ — قد يحاول المبحوث تضخم الحوادث . واضافة حوادث جديدة من نسج خياله فيصعب على الباحث تحديد ما حدث منها وما لم يحدث .

٤ — قد يتجه الباحث الى الحقائق التى يريدها والتى تؤيد وجهة نظره مغفلا الجوانب التى تناقض آراءه - ويضرب ريد بين مثالا بمدارس التحليل النفسى . ففرويد لا يرى فى السجلات الا عوامل الجنس ، بينما يرى فيها آدلر مركب النقص ويرى فيها يونج عوامل الانطواء والانبساط

---

(١) Hader and Lindman, op. cit., p. 176.

٥ ـ أغلب الحالات التى تقدم وثائق عن حياتها ليست الا حالات شاذة . ولذا فان تعميم النتائج من هذه الحالات لا يصدق على جميع الحالات القائمة فى المجتمع .

٦ ـ كثيرا ما يحاول الباحث مساعدة الحالة . وفى هذه الحالة يصبح للجانب الذاتى تأثير كبير فيما يستخلصه الباحث من نتائج .

٧ ـ نادرا ما تتشابه مواقف الحالة مع غيرها من الحالات وبالنسبة لعدد كبير من المتغيرات .

٨ ـ تكتب الوثائق الشخصية بأسلوب الشخص نفسه . ولذا فان الباحث يقوم بتحديد المفاهيم والمصطلحات العلمية ثم يحاول أن يحول ما كتبه المبحوث الى مفاهيم منطقية ، وفئات قابلة للتصنيف (١) .

(٢) عدم امكانية تعميم النتائج التى يصل اليها الباحث عن طريق استخدام منهج دراسة الحالة ، وذلك لاختلاف الحالة عن غيرها من الحالات . وقد أشار « ريد بين » الى هذه النقطة فى اعتراضاته السابقة كما أشار اليها عدد كبير من الباحثين .

(٣) يتكبد الباحث فى دراسته الحالات كثيرا من الوقت والجهد والمال . وهذا يقلل من أهمية هذا المنهج ومدى الاعتماد عليه فى البحث .

وردا على الاعتراضات السابقة فاننا نقول انه بالنسبة للاعتراض الأول فانه لا يوجه الى المنهج بقدر ما يوجه الى الأدوات التى يستخدمها الباحث فى جمع البيانات كسجلات الحياة . ومن الممكن التأكد من صدق البيانات التى يحصل عليها الباحث بالرجوع الى مصادر أخرى كالتقارير والبيانات الرسمية الموثوق بصحتها ، ومراجعة البيانات الموجودة بسجلات الحياة أو التى أدلى بها المبحوث على البيانات الرسمية للتأكد من صحتها.

أما عن الاعتراض الثانى ـ وهو امكانية التعميم ـ فاننا نقول بأن كل حالة من الحالات لا يمكن اعتبارها فردية فريدة فى خصائصها ، وانما تشترك مع غيرها فى كثير من الخصائص ، ولتأييد وجهة نظرنا نضرب مثلا بما جاء فى دراسة الدكتور عاطف غيث عن قرية القيطون ، يقول الباحث :

---

(١) R. Bain., «The Validity of Life Histories and Diaries», The Journal of Ed. Res., III; cited in Young, op. cit., pp. 250, 251.

« وتتشابه مع هذا النموذج أعداد كبيرة من القرى التى لها نفس الخصائص . حتى ليبدو أننى أدرس هذه القرى جميعا مرة واحدة ، ذلك لأننى لا أدرس « مجتمعا قائما بذاته » بل أدرس «مجتمعات» لها خصائص لا تتشابه مع كثير غيرها فى مجتمعنا فحسب ، بل فى مجتمعات متعددة من العالم » (١) .

أما عن الاعتراض الثالث فلا ضير فى أن يتكبد الباحث فى دراسته بعض الجهد والوقت والمال طالما أنه يرغب فى الوصول الى نتائج متعمقة مستقصية لها دلالتها العلمية ، وطالما أنه يرغب فى الكشف عن العــوامل الدينامكية المؤثرة فى الموقف الكلى . فعلى قدر ما يبذل الباحث من جهد ، على قدر ما يحصل على نتائج دقيقة متعمقة .



(١) محمد عاطف غيث : المرجع السابق ، ص : ف .

المراجـــع

(أ) باللغة العربية :

١ — أحمد أبو زيد : الثأر ، دراسة أنثروبولوجية بإحدى قرى الصعيد ، منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، دار المعارف بمصر ١٩٦٥ .

٢ — حامد عمار : المنهج العلمي في دراسة المجتمع ، وضعه وحدوده ، معهد الدراسات العربية ١٩٥٩ — ١٩٦٠ .

٣ — محمد عاطف غيث : القرية المتغيرة (القيطون — محافظة الدقهلية) ، دراسة في علم الاجتماع القروي ، دار المعارف بمصر ١٩٦٢ .

٤ — منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، البغاء في القاهرة ، مسح اجتماعي ودراسة اكلينيكية ، دار مطابع الشعب ، ١٩٦١ .

(ب) باللغة الانجليزية :

1. Furfey, P., Scope and Method of Sociology : A Metasociological Treatise, New York : 1953.
2. Goode, C., and Scates, D., Methods of Research, Educational, Psychological, Sociological, New York, 1954.
3. Goode, W. and Hatt, P., Methods in Social Research, New York, 1952.
4. Harder, J. and Lindman, E., Dynamic Social Research. New York, 1933.
5. Lundberg, G., Social Research. New York, 1942.
6. Redfield, R., The Little Community. Viewpoints for the Study of a Human Whole, Chicago, 1956.
7. Selltiz C., et al., Research Methods in Social Relations Henry Holt, 1960.
8. Stouffer, S., Social Research to test Ideas. The Free Press of Glencoe, 1962.
9. Young, P., Scientific Social Survey and Research. New York, 1947.

* * *

الفصل الخامس عشر

المنهج التاريخي

التاريخ سلسلة متصلة الحلقات ، تتلاحق فيها النتائج بالمقدمات ويرتبط فيها الماضي بالحاضر بالمستقبل . والظواهر الاجتماعية كالظواهر التاريخية زمانية في أغلب الأحوال — وان كان أغلب الاجتماعيين يميلون الى سلب الظواهر الاجتماعية صفة الزمانية — الا انها ولا شك ، ترتبط ارتباطا وثيقا بوقائع المجتمع الماضية . تأثرت بها في نشأتها ونموها ، كما تدين اليها بوجودها الحالي . ولذا فلابد للباحث الاجتماعي من الرجوع الى الماضي لتعقب الظاهرة منذ نشأتها ، والوقوف على تغيرها وانتقالها من حال الى حال .

ومن الضروري أن نفرق في هذا المجال بين علم التاريخ وبين استخدامنا المنهج التاريخي : « فمهمة علم التاريخ أن يقوم بوظيفة مضادة لفعل التاريخ الذي يسير قدما دون تراجع أو تخلف ، وهذه الوظيفة هي محاولة استرداد ما كان في الزمان ، لا ليتحقق فعليا في مجرى الاحداث ، وانما لكي يستعيد في الذهن وبطريقة عقلية صرفة ما جرت عليه أحداث التاريخ في مجرى الزمان محاولا أن يتصور مجرى هذه الاحداث وكأنه يجري في اطراد موجه » (١) أما استخدام المنهج التاريخي في البحوث الاجتماعية فيقصد به الوصول الى المبادىء والقوانين العامة عن طريق البحث في أحداث التاريخ الماضية وتحليل الحقائق المتعلقة بالمشكلات الانسانية والقوى الاجتماعية التي شكلت الحاضر . ونحن برجوعنا الى التاريخ لا نحاول تأكيد الحوادث الفردية ، ولا نهدف الى تصوير الاحداث والشخصيات الماضية بصورة تبعث فيها الحياة من جديد ، وانما نحاول تحديد الظروف التي أحاطت بجماعة من الجماعات أو ظاهرة من الظواهر منذ نشأتها لمعرفة طبيعتها وما تخضع له من قوانين . وتعبر بولين يونج عن هذا المعنى بقولها : اننا في البحث الاجتماعي نتعقب التطور التاريخي لكي نعيد بناء العمليات الاجتماعية ، ونربط الحاضر بالماضي ، ونفهم القوى الاجتماعية الاولى التي

---

(١) عبد الرحمن بدوي مناهج البحث العلمي ، ص ١٨٣ .

شكلات الحاضر بقصد الوصول الى وضع مبادىء وقوانين عامة متعلقة بالسلوك الانسانى للأشخاص والجماعات والنظم الاجتماعية (١) .

* * *

● **رواد المنهج التاريخى :**

تنبه عدد كبير من المفكرين الاجتماعيين الى أهمية المنهج التاريخى، فطالبوا باستخدامه فى البحوث الاجتماعية . نذكر من بين هؤلاء ابن خلدون، وفيكو ، وسان سيمون ، وأوجيست كونت .

● **ابن خلدون :**

فطن ابن خلدون الى أن الظواهر الاجتماعية لاتثبت على حال واحدة. بل تختلف أوضاعها باختلاف المجتمعات ، وتختلف فى المجتمع الواحد باختلاف العصور . فمن المستحيل أن نجد مجتمعين يتفقان تمام الاتفاق فى نظام اجتماعى معين وفى طرائق تطبيقه ، كما أنه من المستحيل أن نجد نظاما اجتماعيا قد ظل على حال واحدة فى مجتمع معين فى مختلف مراحل حياته (٢) .

ولذا طالب ابن خلدون بملاحظة الظواهر ملاحظة مباشرة ، ثم تعقب الظاهرة الواحدة فى تاريخ الشعب الواحد فى مختلف الفترات التاريخية مع تحرى صدق الروايات التاريخية ، وقياس الاخبار على أصول العادة وطبائع العمران . « فاذا لم يقس الغائب من الاخبار بالشاهد منها ، والحاضر بالذاهب فربما لا يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم ، والحيد عن جادة الصدق » (٣) .

وقد اعتمد ابن خلدون فى بحوثه على ملاحظة ظواهر الاجتماع فى الشعوب التى اتيح له الاحتكاك بها والحياة بين أهلها ، وعلى تعقب هذه الظواهر فى تاريخ هذه الشعوب نفسها فى العصور السابقة لعصره ، وتعقب أشباهها ونظائرها فى تاريخ شعوب أخرى لم يتح له الاحتكاك بها ولا الحياة بين أهلها ، والموازنة بين هذه الظواهر جميعا . والتأمل فى مختلف شئونها للوقوف على طبائعها وعناصرها وصفاتها وما تؤديه من وظائف فى حياة الافراد والجماعات ، والعلاقات التى تربطها بعضها ببعض ، والعلاقات التى تربطها بما عداها من الظواهر ، وعوامل تطورها واختلافها باختلاف

---

(١) Young, P., op. cit., p. 214.

(٢) راجع ماكتبناه عن ابن خلدون فى هذا الكتاب .

(٣) مقدمة ابن خلدون ، ص ٧ .

الامم والعصور ، ثم الانتهاء من هذه الامور جميعا الى استخلاص ما تخضع له هذه الظواهر فى مختلف شئونها من قوانين (١) .

وقد تعرض ابن خلدون للصعوبات التى تقابل الباحث الاجتماعى عند استخدامه للمنهج التاريخى نتيجة لعدم صدق بعض الروايات التاريخية . فمنها صحيح حدث فعلا ، وبعضها زائف لم يقع أصلا ، وبعضها مستحيل حدوثه لانه لا يتفق مع طبائع الاشياء . ولذا نصح ابن خلدون بعدم الثقة بالناقلين ثقة مطلقة وبتحرى الدقة عند الرجوع الى المصادر التاريخية ، ونادى بتحقيق الوقائع وتمحيصها قبل الاخذ بها .

* * *

● فيكو Vico :

دعا فيكو فى كتابه « العلم الحديث » الى استنباط النظريات الاجتماعية من الحقائق التاريخية . وقد حدد القواعد الاساسية لهذا المنهج فيما يلى :

١ — تحديد الظاهرة المراد دراستها ، والعمل على تعقبها خلال العصور التاريخية المختلفة للوقوف على تطورها وما تخضع له من قوانين .

٢ — جمع الوثائق المتعلقة بالعقائد الدينية والتقاليد والعادات الاجتماعية والحوادث التاريخية ذات الصلة بالظاهرة .

٣ — اذا أراد الباحث أن يقف على أحوال الشعوب المتأخرة فى العصور القديمة وتعذر عليه أن يقف على أساليب الحياة ومستوياتها بالرجوع الى الوثائق لزوال هذه الحالات من الحياة المتأخرة ، فان من الممكن الرجوع الى الاقوام المعاصرة التى تعيش فى نفس المستوى الذى كانت تعيش فيه الشعوب التى يدرسها والاستدلال بما هو معروف عما هو مجهول (٢) .

٤ — القيام بتحليل المصادر ونقدها للتأكد من صحتها .

---

(١) على عبد الواحد وافى : عبد الرحمن بن خلدون ، سلسلة أعلام العرب ، ص ١٧٠ .

(٢) راجع ما كتبناه فى هذا الكتاب عن « فيكو » .

٥ — الاعتماد على علم دراسة اللغات للتأكد من صحة الوقائع التي يذكرها المؤرخون . وفي رأيه أن اللغة هي التي تعبر تعبيرا صحيحا عن وقائع العصر . وكل تطور في اللغة يصاحبه تطور في نمط الحياة السائد .

٦ — القيام بتصنيف الحقائق والتأليف بينها للوصول الى معرفة القوانين التي تحكم الظاهرة موضوع الدراسة .

* * *

● سان سيمون Saint Simon :

يرى سان سيمون أن تاريخ الانسانية سلسلة متصلة الحلقات يتصل ماضيها بحاضرها ، بمستقبلها ، وأن ملاحظة الماضي هي التي تعين على فهم الحاضر .

ولقد آمن سان سيمون بفكرة التقدم ، كما آمن بأن الصراع من مستلزمات التقدم . وفي رأيه أننا لا نستطيع تفسير التطور المستمر للظواهر الإجتماعية المختلفة الا اذا عرفنا تاريخ التطور الذي مر به العقل الانساني بوجه عام وتاريخ العلوم بوجه خاص . وهذا التطور مر في مراحل ثلاثة هي : المرحلة الدينية ، ومرحلة وسط بين الدين والواقعية . ثم مرحلة الواقعية . ومعنى ذلك أن يقوم الباحث بالربط بين الظاهرة التي يدرسها وبين الطابع الذي يميز كل عصر من العصور .

ويطالب سان سيمون بالاعتماد على الوثائق المحفوظة والسجلات الرسمية ، والاهتمام بالمظاهر التي تتخذها العلوم في تطورها والوصول الى القوانين العلمية التي تخضع لها الظواهر والتي تساعد على التنبؤ العلمي .

ولقد أساء سان سيمون الى منهجه بأفكاره القبلية التي كونها عن تقدم الانسانية ، وبوضعه قانونا عاما يسري على جميع المجتمعات بلا استثناء ، مع أن الملاحظ هو وجود مجتمعات جزئية تختلف عن بعضها في طبيعتها وأنظمتها والظروف التي تخضع لها ، وليس من الضروري أن يربط الباحث بين الظاهرة التي يدرسها وبين الفترة الى حددها سان سيمون .

* * *

● أوجيست كونت A. Comte :

أشرنا سابقا الى أن « كونت » قام بتقسيم الظواهر الاجتماعية الى شعبتين أطلق على الاولى منهما اسم « الاستاتيكا الاجتماعية » بينما

اطلق على الأخرى اسم « الديناميكا الاجتماعية » . وقد طالب كونت بالاعتماد على الملاحظة والتجربة والمنهج المقارن والمنهج التاريخى فى دراسة الظواهر فى حالتها الديناميكية .

ويهدف كونت من وراء استخدام المنهج التاريخى الى الوصول الى قوانين عامة تحكم الظواهر الاجتماعية فى نموها وتطورها .. فجميع الظواهر تتطور فى وقت واحد ، ويؤثر بعضها فى البعض الآخر ويتأثر به . ولا نستطيع تفسير سير التطور المستمر لاحدى هذه الظواهر دون أن تكون لدينا فكرة عامة عن تقدم الانسانية جمعاء . ولتفسير سير التقدم وضع كونت قانون المراحل الثلاثة الذى سبقت الاشارة اليه (١) .

وقد طالب كونت بأن يقوم الباحث بملاحظة الظواهر المختلفة والربط بينها ، ثم يشرع بعد ذلك فى تقسيم طوائف الظواهر التى قام بملاحظتها ، وتحديد الفترات والعصور التاريخية تحديدا دقيقا ليسهل عليه معرفة الاتجاهات العامة لكل مظهر من مظاهر التطور كالتطور السياسى أو الدينى أو الاقتصادى . والوصول الى القوانين الخاصة بكل مظهر من هذه المظاهر (٢) .

* * *

● خطوات البحث التاريخى :

يمر البحث التاريخى فى خطوات رئيسية هى :

١ — تحديد مشكلة البحث .
٢ — جمع الحقائق المتعلقة بالمشكلة .
٣ — تصنيف الحقائق وتحليلها ومحاولة الربط بينها .
٤ — عرض النتائج .

ونعرض فيما يلى لهذه الخطوات بشىء من التفصيل .

اولا — تحديد مشكلة البحث :

أشرنا فيما سبق الى ان الموضوعات التى تهمنا فى الميدان الاجتماعى هى التى تتعلق بالظواهر الاجتماعية والثقافية ، والعلاقات التى تحدث

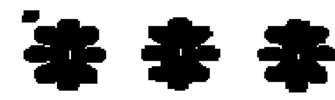
---

(١) راجع ما كتبناه عن أوجيست كونت فى هذا الكتاب .
(٢) راجع ما كتبناه فى نقد منهج أوجيست كونت بهذا الكتاب .

بين الأفراد والجماعات وما قد يحدث في المجتمع من مشكلات نتيجة لاضطراب العلاقات والاوضاع الاجتماعية . ولذا فان من الضروري أن تنصب مشكلة البحث على موضوع من الموضوعات التي تدخل في دائرة البحث الاجتماعي .

ويشترط في الظاهرة التي يختارها الباحث أن تكون ممتدة عبر التاريخ ، لها صفة الاستمرار والدوام النسبي ، بحيث يمكن تعقبها وتتبع مراحل التطور التي مرت بها والآثار المترتبة عليها . ومن أمثلة هذه الظواهر نظام الزواج وما يخضع له من تغير خلال العصور ، وتطور وسائل الانتاج وصلتها بالعلاقات والانظمة الاجتماعية المترتبة على ظواهر التحضر والتصنيع في المجتمعات المختلفة . فالباحث في أى ظاهرة من الظواهر السابقة لا غنى له عن الرجوع الى الماضي لتتبع الاتجاهات العامة التي مرت بها الظاهرة ، والكشف عن القوانين العامة التي تحكمها .

ويراعى عند اختيار المشكلة : الاهمية العلمية للمشكلة ومران الباحث على المنهج التاريخي وطريقة استخدامه ، وتوفر الوثائق المتعلقة بالمشكلة ، وجدة الموضوع مع مراعاة الزمن المخصص للبحث (١) .



ثانيا — جمع الحقائق المتعلقة بالمشكلة :

بعد أن يستقر رأى الباحث على موضوع من الموضوعات ، فان من الضروري أن يقوم بحصر المصادر التي تفيده في الحصول على بيانات عن موضوع بحثه . وتنقسم المصادر التاريخية الى نوعين :

١ — المصادر الأولية : وتشمل الآثار والوثائق . فالآثار التي خلفها قدماء المصريين كالاهرامات والمعابد والابنية تعتبر سجلا وافيا لكثير من البيانات التي يحتاجها الباحث عند دراسته لاحدى الظواهر الاجتماعية ذات النشأة التاريخية القديمة . أما الوثائق فتشمل المخطوطات والرسائل والمذكرات والنشرات الاحصائية التي تقوم بنشرها نفس الهيئة التي قامت بجمع البيانات وتبويبها كالتعدادات واحصاءات الانتاج الصناعي والزراعي والتجاري ، وغيرها من نشرات مصلحة الاحصاء والتعداد . وقد تكون هذه السجلات والاحصاءات حكومية ، كتلك التي تقوم بنشرها مصلحة الاحصاء ، أو أهلية ، كتلك التي تقوم بنشرها المؤسسات

---

(١) راجع ما كتبناه في هذا الكتاب عن أسس اختيار المشكلة .

الاجتماعية والجمعيات الخيرية والمصانع وشركات التأمين والبنوك وغيرها .

٢ — المصادر الثانوية : وهي التي تنقل عن المصادر الأولية كما هو الحال عندما نجد بيانات مصلحة الاحصاء مثلا منقولة في المجلات العلمية أو في كتب المؤلفين الذين يكونون قد استفادوا من هذه البيانات أو عرضوا لها بطريق أو بآخر .

وتفضل المصادر الأولية غالبا على المصادر الثانوية لأن الأخيرة قد تحتوى على أخطاء نتيجة النقل من المصادر الاولية . وفي أحيان قليلة تفضل المصادر الثانوية على المصادر الأولية ، وذلك حينما تكون البيانات المنشورة في المصادر الاولية معروضة بصورة بدائية ثم يقوم بعض الاخصائيين بتبويبها ونشرها في صورة أكثر افادة للباحثين . وفي هذه الحالة يجب التأكد من مدى كفاية القائمين بهذا العمل قبل تفضيل المصادر الثانوية على المصادر الاولية .

* * *

● تحليل المصادر ونقدها :

بعد أن ينتهي الباحث من جمع الوثائق الخاصة به ، تبدأ عملية جديدة ألا وهي عملية تحليل الوثائق ونقدها . ويقوم الباحث الاجتماعي بهذه العملية اذا لم يكن قد سبقه المؤرخ ، وتزداد الحاجة الى تحليل الوثائق ونقدها في حالة مرور زمن طويل بين الحادثة وبين تسجيلها ، واحتمال التحيز في التسجيل .

هذا والتحليل نوعان : أحدهما خارجي والآخر داخلي . ويستخدم التحليل الخارجي للتحقق من صدق النص التاريخي من جهة الشكل لا من جهة الموضوع في حين أن التحليل الداخلي ينصب على النص من ناحية الموضوع لا من ناحية الشكل . ولذا يعتبر التحليل الداخلي أعلى مرتبة وأسمى درجة من التحليل الخارجي (١) . ويحدث في كثير من الاحيان أن يصعب الفصل بين هذين النوعين حيث انهما يتداخلان في أكثر من موضع .

١ — التحليل الخارجي :

ينصب هذا النوع من التحليل على جانبين أحدهما التحقق من صدق الوثيقة والآخر من مصدر الوثيقة .

---

(١) Goode and Scates, op. cit., pp. 188-189.

(ا) نقد الوثيقة :

ينبغي أن يتأكد الباحث من صحة الوثائق التي يعتمد عليها ، وأن يعنى بالتفرقة بين الصحيح منها والمزيف . فقد تكون الوثيقة التي تحت يد الباحث هي الوثيقة الصحيحة التي تركها صاحبها . وقد تكون الوثيقة قد اضيفت اليها اضافات لم يكتبها صاحبها : وقد تكون الوثيقة محرفة في بعض أجزائها ، أو مزيفة تزييفا مقصودا .

فاذا كانت الوثيقة التي تحت يد الباحث هي التي تركها صاحبها فما عليه الا أن ينقلها كما هي دون حذف أو اضافة .

واذا لم تكن الوثيقة مخطوطة بخط المؤلف وتوجد منها نسخة وحيدة فيجب التأكد من خلوها من الاخطاء . واحتمال الخطأ هنا قد يكون نتيجة لجهل الناسخ أو محاولته اصلاح النص حسب فهمه الضيق ، أو نتيجة لأخطاء عرضية تنشأ من الناسخ اما بنسيان بعض الألفاظ او بتشتت انتباهه أثناء النسخ ، أو بوقوعه في الخطأ أثناء الاملاء . وهذه الاخطاء المتعلقة بالتحريف في النص يمكن اصلاحها بوجه علم عن طريق استقصاء الأخطاء التي يقع فيها الشخص عادة أثناء النسخ مثل تكرار بعض الكلمات أو بعض المقاطع أو ذكر مقطع من المقاطع المتكررة دون المقاطع الاخرى . وتستلزم عملية تصحيح النص المام الباحث باللغة التي كتبت بها الوثيقة . وقد صنفت معاجم أبجدية متعددة في الخارج للاخطاء الشائعة الخاصة بكتابة لغة من اللغات (١) .

وفي حالة وجود أكثر من نسخة من الوثائق يجب على الباحث مراعاة ما يلي :

١ — لا ينبغي الاعتماد على أول وثيقة في يده . فقد لا تتوفر فيها الدقة المطلوبة .

٢ — يجب مراجعة النسخ للتحقق مما اذا كان بعضها يرجع الى أصل واحد ، ذلك لان النسخ التي ترجع الى أصل واحد تعتبر بمثابة نسخة واحدة . ويضرب « سينوبوس » مثالا يوضح به أهمية هذه النقطة

---

(١) يمكن الرجوع في ذلك تفصيلا الى ما كتبه الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه : مناهج البحث العلمي عن المنهج الاستردادي (التاريخي) .

بقوله : لنفرض أن لدى الباحث عشرين نسخة تشترك منها ثماني عشرة نسخة فى نقطة واحدة . هى (أ) وتشترك النسختان الآخريان فى نقطة واحدة هى (ب) . ففى هذه الحالة يميل الباحث المتسرع الى تأكيد صحة (أ) دون (ب) ، لكن من المحتمل جدا أن تكون كثرة المجموعة الأولى صورية بأن تكون احدى النسخ أصلا وباقيها فروعا . ولذا ينبغى من البداية تحديد النسخ الأصلية والفرعية .

٣ — اذا وجدت نسختان احداهما أقدم من الاخرى فليس معنى ذلك أن الاقدم هى الاصح . فقد تكون النسخة الاقدم قد أخذت عن نسخة فرعية بينما تكون النسخة الاحدث قد أخذت عن وثيقة أصلية أو قريبة الى الاصل .

ومن الملاحظ أن نقد الوثائق لا يزيد الباحث علما بالحقائق التاريخية ، وانما يفيد فى تصحيح النص ، والرجوع الى الأصل الذى كتبه صاحبه .

(ب) نقد المصادر :

بعد أن يتحقق الباحث من صحة الوثيقة التى يعتمد عليها ، ينبغى عليه أن يتحقق من شخصية صاحب الوثيقة ، والمكان والزمان اللذين كتبت فيهما . ويتفق المشتغلون بمناهج البحث على أن وجود اسم شخص معين على الوثيقة لا يعنى أنه هو صاحب الوثيقة . فقد يكون الاسم قد وضع بقصد الخداع والتمويه ، ويرجعون ذلك الى عوامل منها :

١ — قد تكون الوثيقة قليلة القيمة فتوقع باسم أحد المشهورين لكى ترتفع قيمتها .

٢ — قد تكون الوثيقة عظيمة القيمة فتضاف الى انسان من أجل تمجيد اسمه مع أن الوثيقة لا تنسب اليه .

٣ — قد يكون قصد صاحب الانتحال أن يبين مذهبا معينا فيضطر الى أن يكتب كتابا يبين فيه قوة هذا المذهب أو كيف أن شخصية عظيمة هى أتى كتبته أو انتجته ، ومن أجل هذا يزيف كتابا أو اثرا بأكمله ، ويعزوه الى هذه الشخصية العظيمة (١) .

ولمعرفة شخصية صاحب الوثيقة لا بد من الاعتماد على التحليل الداخلى

---

(١) عبد الرحمن بدوى : نفس المرجع ، ص ١٩٥ .

الوثيقة ، أما من ناحية المكان والزمان اللذين كتبت فيهما الوثيقة فيجب الاعتماد على بعض العلامات الخارجية كالخط والورق واللغة . فبعض الصور اللغوية والخصائص النحوية تستخدم فى عصر دون آخر ، ويمكن بمقتضاها معرفة العصر الذى كتبت فيه الوثيقة من حيث امكان حدوثها فى الزمان المنسوبة اليه أو فى المكان الذى تزعم الوثيقة أنها جرت فيه (١) .

وللتحقق من صحة الوثيقة ومصدرها يمكن للباحث أن يهتدى بهذه الاسئلة :

١ — من الذى قام بكتابة الوثيقة ، وما شخصيته وخلقه ومركزه الاجتماعى ؟

٢ — هل لصاحب الوثيقة صفات أو مزايا تجعل الباحث يطمئن الى صدق الروايات التى يذكرها ؟

٣ — ما العوامل التى تجعلنا نطمئن الى صحة الوثيقة أو نتشكك فيها؟

(أ) هل كان صاحب الوثيقة مهتما بالحوادث التى سجلها ؟

(ب) هل كان فى موقف يمكنه من ملاحظة الوقائع التى سجلها ؟

(جـ) هل كانت لديه الامكانيات التى تساعده على ملاحظة الوقائع ملاحظة دقيقة ؟

٤ — هل سجل صاحب الوثيقة الحوادث فى حينها أم بعد انقضاء فترة طويلة ؟

٥ — كيف سجل صاحب الوثيقة الحوادث ، هل كتبها من الذاكرة دون الرجوع الى أحد ؟ أو بعد الرجوع الى أشخاص آخرين التأكد من صحة الوقائع قبل تدوينها ؟

٦ — كيف ترتبط الوثيقة بغيرها من الوثائق التي تعالج نفس الموضوع؟

(أ) هل تعتبر وثيقة أصلية أم فرعية ؟ وهل هى أصلية فى بعض أجزائها دون البعض الآخر ؟

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٦ .

(ب) اذا كانت أصلية فى بعض أجزائها ، ومنقولة فى البعض الآخر ، فأين الاجزاء الاصلية وأين توجد الاجزاء المقتبسة أو المنقولة ؟

(ج) الى أى مدى راعى صاحب الوثيقة الدقة فى النقل من الوثائق السابقة ؟

(د) اذا لم يكن صاحب الوثيقة قد راعى الدقة الكاملة فى النقل فهل حرف الأجزاء التى نقلها تحريفا كبيرا ، وما طريقة استخدامه لهذه الأجزاء المحرفة .

* * *

٢ ــ التحليل الداخلى :

يتقسم التحليل الى نوعين أحدهما ايجابى والآخر سلبى :

(أ) التحليل الداخلى الايجابى :

ويقصد به فهم المعنى الحقيقى الذى ترمى اليه ألفاظ وعبارات الوثيقة . ولذا لابد للباحث من قراءة النص عدة مرات قراءة واعية متعمقة حتى يستطيع أن يحدد المعنى الذى يرمى اليه صاحب الوثيقة. وقد لا يجد الباحث صعوبة كبيرة فى فهم الوثائق الحديثة بخلاف الحال فى الوثائق القديمة التى تكون أساليب الكتابة فيها قد تغيرت بتغير العصر الذى كتبت فيه . ويتطلب ذلك من الباحث أن يكون عليما باللغة وأساليبها قديمها وحديثها .

(ب) التحليل الداخلى السلبى :

يفيدنا التحليل الايجابى فى معرفة قصد المؤلف فقط ، أما التحليل السلبى فيفيد فى معرفة الظروف التى وجد فيها كاتب الوثيقة حين سجل ملاحظاته ، وهل قصد الى تشويه الحقائق أو لم يقصد ؟ . وللقيام بعملية التحليل الداخلى السلبى ينبغى على الباحث أن يتشكك فى صحة الروايات التاريخية حتى تثبت له صحتها ، وألا يأخذ الوثيقة ككل ، بل ينبغى عليه أن يحللها جزءا جزءا .

ويستطيع الباحث عند قيامه بالتحليل الداخلى أن يسترشد بالاسئلة التالية :

أ ــ هل لصاحب الوثيقة مصلحة فى تضليل القارىء ؟

٢ — هل كان صاحب الوثيقة تحت ضغط ، أو فى مركز أكرهه على الكــــذب ؟

٣ — هل كان صاحب الوثيقة يحاول تبرير سلوك معاصريه وتصرفاتهم بصورة تبعده عن الحياد والموضوعية ؟

٤ — هل جره الغرور الى اختلاق الاكاذيب ؟

٥ — هل كان متأثرا بالآراء الشائعة أو باتجاهات الرأى العام بصورة تؤثر فى صحة أقواله ؟

٦ — هل حاول صاحب الوثيقة التأثير فى القراء بأسلوبه الادبى ؟ وهل شوه الحقائق عندما ألبسها ثوبا أدبيا ؟

٧ — هل كان المؤلف يشكو ضعفا عقليا أو اضطرابا بدنيا من أى نوع بحيث يؤثر على الروايات التى يوردها ؟

٨ — هل كان المؤلف يهمل بعض الحوادث ويذكر البعض الآخر ؟

٩ — هل كانت طبيعة الحادثة لا تسمح لصاحب الوثيقة بملاحظتهـــا ملاحظة مباشرة ؟

١٠ — هل كان صاحب الوثيقة مشاهدا عاديا أم شخصا متمرنا على ملاحظة الوثائق وتسجيلها (١) ؟

وبمقتضى الأسئلة السابقة يستطيع الباحث أن يتأكد من أمانة صاحب الوثيقة ومبلغ دقته . واذا تبين للباحث أن صاحب الوثيقة لم يعاين الحوادث بنفسه ، فعليه أن يتأكد من صدق المصدر الذى إعتمد عليه المؤلف ومـــدى دقته .

* * *

ثالثا — تصنيف الحقائق وتحليلها ومحاولة الربط بينها :

يستطيع الباحث بمقتضى التحليل الداخلى للمصدر أن يحدد المعـــانى الحقيقية التى ترمى اليها محتويات الوثائق سواء أكانت هذه المعانى ظاهرة

---

(1) Chapin, Field Work and Social Research, pp. 37-38 cited in Lundberg. op. cit., p. 127.

أو خفية ، وأن يصل الى مجموعات من الحقائق الجزئية . وهـذه الحقائق الجزئية لا تصبح لها قيمتها الا اذا صنفت فى طوائف تحتوى كل منها على أمور متجانسة . وقد ابتكر العلماء الالمان طريقة تصنيف الحقائق التاريخية على أساس طبيعتها الداخلية الى حقائق طبيعية ونفسية واجتمـاعية . والباحث الاجتماعى بالطبع لا تعنيه الا الحقائق المتعلقة بالجانب الاجتماعى .

وللاستفادة من الحقائق الاجتماعية التى يتوصل اليها الباحث ، تصنف هذه الحقائق عادة على أساس المكان أو الزمان أو كليهما حتى يمكن الكشف عن الاتجاهات العامة للظاهرة موضوع الدراسة ، ومعرفة العوامل والظروف التى خضعت لها فى تطورها وتغيرها وانتقالها من حال الى حال . وقد أهتم أوجيست كونت بهذه النقطة حينما أشار الى أنه لتتبع نمو الظاهرة وتطورها ينبغى تقسيم التطور الى مراحل أو سلاسل اجتماعيـة Series Sociales للوقوف على مبلغ ما أصابها من تحول فى كل مرحلة .

ولكى يكتمل التحليل لابد من الربط بين النظم الاجتماعية المعاصرة والنظم التى كانت سائدة فى الماضى ، ودراسة العـلاقات القائمة بين الظاهرة موضوع الدراسة وما يتصـل بها من ظواهر ، والوقوف على الآثار المتبادلة التى تنتج من تفاعل هـذه العلاقات ، ولابد كذلك من تحليل النتائج وتفسيرها فى ضوء الحقائق الموضوعية التى توصل اليها الباحث .

ولتوضيح النقط التى عرضنا لهـا نضرب مثالا بإحـدى الدراسات التى أجريت بجمهورية مصر العربية والتى استخدم فيها المنهج التاريخى .

استخدم الاستاذ سعد الخـادم المنهج التـاريخى فى دراسته للأزياء الشعبية وتقاليدها فى جمهورية مصر العربية . وقد لخص الباحث هدفه من دراسة الأزياء الشعبية بقوله : « ان الازياء الشعبية بنوع خاص نراها فى كثير من الاحيان ترتبط أشكالها وطرق تفصيلها بعقائد شعبية وطقـوس معينة ، وكذلك الحال بالنسبة الى الزخارف التى تطرز عليها اذ يغلب أن تكون لغرض معين أيضا لمنع الحسد ، أو رغبة فى جلب الخير ، أو ضمان الاكثار . وأحيانا ترث الأزياء الشعبية أزياء عصور سبقتها ، وهى وان احتفظت بمظهرها العام ، تكيفها حسب حاجيات الذوق الشعبى » (١).

---

(١) سعد الخادم : الأزياء الشعبية ، المكتبة الثقافية ، ٤٩ ، ١٥ نوفمبر ١٩٦١

أما عن الفترة التاريخية التى اتخذها نقطة ابتداء للدراسة فهى عصر المماليك ، فعرض لملابس الرجال والنساء فى عصر المماليك ، ثم انتقل الى عرض الأطوار التى مرت بها الأزياء المصرية من أواخر القرن الثامن عشر الى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين .

وقد اعتمد الباحث فى دراسته على عدد من الازياء المتبقيه من عهد المماليك والموجودة بالمتحف الحربى وقصر المنيل ودار المخطوطات ، كما اعتمد على عدد لا بأس به من المصادر الاولية والمراجع التى تعطى صورة صادقة عن تطور الازياء . وقد برر الباحث اعتماده على بعض المراجع — التى هى بمثابة مصادر ثانوية — بقوله « ولتعذر الحصول على نماذج لازياء الحريم مثلا ، وأزياء رجال الدين وسائر الازياء غير العسكرية فى الازمنة القديمة ، لا نجد أمامنا الا المراجع التي تصف الازياء وأنواعها واشكالها (وعدا أثواب قليلة ببعض المجموعات الخاصة) » (١) .

وقد عرض الباحث فى ختام الدراسة الى وجود علاقة بين الازياء الشعبية وبين العادات والتقاليد الشعبية فى كثير من الاحيان فيقول :

« فليس الغرض من الازياء كساء الابدان فحسب ، ولكن لها جانبا آخر يرتبط بالخيال الشعبى ، وهو جانب روحانى يتصل بالاصطلاحات الخفية ، فتاريخ الشعب وأمانيه المستقبلة كانت تسجل فيما مضى فى الحضارات القديمة على ثياب . هذا بالنسبة الى الامانى العظيمة والمستويات الروحانية الرفيعة ، أما الرجل الشعبى فهو يتلفع بخرافاته وأوهامه التى تكشف أحيانا عن قيم نادرة تخدعنا مظاهرها على الرغم من أصالتها وسعة معانيها » (٢) .

* * *

رابعا — عرض النتائج :

بعد أن ينتهى الباحث من استخلاص الحقائق وايجاد العلاقات وتحليل النتائج وتفسيرها ، تبدأ خطوة عرض النتائج ، وهى الخطوة الاخيرة فى البحث ، وتستلزم هذه الخطوة صياغة النتائج بحيث تتمشى مع الخطوات المختلفة التى استخدمت فى الوصول اليها ، وعرض النتائج بمنتهى الدقة ، مع الاشارة الى مصدر كل العبارات المقتطفة فى البحث ، وترتيب المصادر والمراجع حسب أهميتها العلمية .

---

(١) المراجع السابق : ص ٤ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٠٨ .

المراجع

(أ) باللغة العربية :

١ — سعد الخادم : الأزياء الشعبية ، المكتبة الثقافية ، ١٥ نوفمبر ١٩٦١ .

٢ — عبد الرحمن بدوى : مناهج البحث العلمى ، دار النهضة العربية، ١٩٤٤ .

٣ — محمود قاسم : المنطق الحديث ومناهج البحث ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الثالثة .

(ب) باللغة الانجليزية :

1. Furfey, P., The Scope and Method of Sociology : A Meta-sociological Treatise, New York, 1953.

2. Garraghan, G., A Guide to Historical Method, New York, 1959.

3. Goode, H. «Historical Research in Education», Ed. Research Bulletin, 9, 17-18, Jan. 1930.

4. Goode, C., and Scates, D., Methods of Research, Education, Psych., and Soc. New York, 1954.

5. Lundberg, G., Social Research. New York, 1942.

6. Vincent, J., Historical Research, New York, 1911.

7. Whitney, F., The Elements of Research. New York, 1946.

8. Young P. Scientific Social Survey and Research, New York, 1947.

* * *

الفصل السادس عشر :

المنهج التجريبى

The Experimental Method

رأينا فى عرضنا السابق لخطوات المنهج العلمى أن المنهج العلمى التجريبى هو المنهج الذى تتمثل فيه معالم الطريقة العلمية بصورة جلية واضحة . فهو يبدأ بملاحظة الوقائع الخارجية عن العقل ، ويتلوها بالفروض . ويتبعها بتحقيق الفرض بواسطة التجربة ، ثم يصل عن طريق هذه الخطوات الى معرفة القوانين التى تكشف عن العلاقات القائمة بين الظواهر .

وقد عرضنا فيما سبق لهذه الخطوات جميعا ، وناقشنا أنواع العلاقات التى يمكن اثباتها باستخدام هذا المنهج سواء أكانت علاقات سببية أو وظيفية ، كما ناقشنا امكانية استخدام المنهج التجريبى فى البحوث الاجتماعية . وسنكتفى فى هذا المجال بعرض التصنيفات الرئيسية للتجارب العلمية ، وأنواع التصميمات التجريبية التى يستعان بها فى تحقيق الفروض.

أولا : التصنيفات الرئيسية للتجارب العلمية

١ ــ التجارب الصناعية والتجارب الطبيعية :

التجارب العلمية نوعان : صناعية وطبيعية . والفرق الرئيسى بين هذين النوعين هو أن التجربة الصناعية تعتمد على عناصر أساسية أهمها التحديد والضبط والتحكم من جانب الباحث ، فهو يقوم بتحديد عناصر الظاهرة التى يرغب فى دراستها ، ويعمل على عزلها عن غيرها من العناصر ، ثم يتحكم فيها صناعيا على النحو الذى يريده ، وهو فى نفس الوقت يستطيع أن يكرر التجربة ويعيدها فى أى وقت يشاء .

أما التجربة الطبيعية فهى التى تتم فى ظروف غير مصطنعة دون أن يسعى الباحث الى تهيئتها أو خلق الظروف اللازمة لها . ويتم فيها اختبار الفروض بجمع المعلومات من الظواهر الموجودة فى الطبيعة بدلا من اصطناعها.

والقائم بالتجربة الطبيعية لا يتحكم فى الظاهرة التى يدرسها ولا يستطيع أن يوجدها فى أى وقت يشاء كما هو الحال فى التجربة الصناعية . وقد سبق أن أوضحنا أن التاريخ حافل بكثير من الحالات التى يستطيع الباحث الاجتماعى أن يتخذها مادة لتجاربه . فالثورات الاجتماعية والازمات الاقتصادية والاضطرابات الداخلية يمكن أن تكون مجالا خصبا لكثير من التجارب العلمية . ولا ينبغى أن تقلل من القيمة العلمية لهذه التجارب . فهى لا تقل فى أهميتها عن التجارب التى يتحكم فيها الباحث بنفسه ، والتى تجرى تحت ظروف صناعية .

٢ — التجارب ذات المدى القصير والتجارب ذات المدى الطويل :

تتطلب بعض التجارب فترة زمنية قصيرة لاجرائها ، على حين أن البعض الآخر يتطلب فترة زمنية طويلة حتى يتسنى للباحث تحقيق الفرض والتثبت من صحته .

فاذا فرضنا مثلا أننا نرغب فى معرفة أثر الاستماع الى بعض البرامج الاذاعية فى تغير اتجاهات الافراد نحو موضوع معين . فى هذه الحالة نستطيع المقارنة بين اتجاهات الافراد قبل استماعهم الى البرامج الاذاعية وبعدها ، أو نقارن بين مجموعتين متماثلتين من الافراد ، استمعت احداهما الى البرامج دون أن تستمع الأخرى اليها . وواضح أن مثل هذه التجربة لا تستغرق الا فترة زمنية محدودة ويمكن اجراؤها فى مدى زمنى قصير .

ولكن اذا فرضنا أننا نرغب فى معرفة أثر الدراسة فى المرحلة الاعدادية فى زيادة وعى الطلبة بحقوقهم وواجباتهم الوطنية ، فاننا لكى نختبر فرضا من هذا النوع لابد من قياس وعى الطلبة قبل التحاقهم بالمرحلة الاعدادية وبعد الانتهاء منها حتى يتسنى لنا أن نستخلص نتيجة واضحة من التجربة التى نجريها وواضح أن هذه التجربة تستغرق مرحلة زمنية طويلة ولا يمكن أن تتم الا فى مدى طويل .

٣ — التجارب التى تستخدم فيها مجموعة واحدة من الأفراد والتجارب التى تستخدم فيها أكثر من مجموعة :

يلجأ الباحث فى بعض الاحيان الى استخدام مجموعة واحدة من الافراد فى التجربة فيقيس اتجاهاتهم بالنسبة لموضوع معين ، ثم يدخل المتغير التجريبى الذى يرغب فى معرفة أثره ، وبعد ذلك يقيس اتجاه أفراد المجموعة للمرة الثانية . فاذا وجد أن هناك فروقا جوهرية فى نتائج القياس فى المرتين افترض أنها ترجع الى المتغير التجريبى .

ويلجأ الباحث أحيانا أخرى الى استخدام مجموعتين من الافراد . يطلق على احداهما « المجموعة التجريبية » ويطلق على الأخرى « المجموعة الضابطة » ويفترض فى هاتين المجموعتين أنهما متكافئتان من حيث المتغيرات الهامة فى الدراسة . ثم يدخل المتغير التجريبى الذى يرغب فى معرفة اثره على المجموعة التجريبية فقط دون أن يعرض له المجموعة الضابطة . وبعد انتهاء التجربة تقاس المجموعتان . ويعتبر الفرق فى نتائج القياس بين المجموعتين راجعا الى المتغير التجريبى (١) . والمثال الذى سبق أن أوردناه عن تأثير الاستماع الى بعض البرامج الاذاعية فى تغيير اتجاهات الافراد نحو موضوع معين يمكن أن تستخدم فيه أما مجموعة واحدة من الأفراد أو مجموعتان كما سبقت الاشارة إلى ذلك .

هذا ومن الممكن اجراء التجربة بالبدء اما بالسبب أو بالنتيجة : فاذا أردنا أن ندرس أثر الفقر فى الانحراف ، فاننا نستطيع ان نبدأ بالسبب (الفقر) ، فنختار عينتين من الأفراد احداهما فقيرة والأخرى غنية ، ثم نحسب نسبة الانحراف بين أفراد المجموعتين . ونستطيع أيضا أن نبدأ بالنتيجة (الانحراف) فنختار عينة من المنحرفين ، ثم نحسب نسبة الاغنياء والفقراء من بينهم (٢) .

* * *

ثانيا : بعض التصميمات التجريبية

وضع جون ستيوارت مل John Stuart Mill عدة قواعد للاستفاده بها فى تحقيق الفروض واكتشاف القوانين التى تربط بين الظواهر . وهذه القواعد ينبغى أن تؤخذ فى الاعتبار عند عمل التصميمات التجريبية اللازمة للبحث . وتنحصر هذه القواعد فى عدة طرق رئيسية نذكر منها ما يلى :

١ — طريقة الاتفاق .

٢ — طريقة الاختلاف .

٣ — طريقة التلازم فى التغير .

وسنعرض فيما يلى لهذه الطرق بالتفصيل مع نقد كل منها على حدة.

---

(١) Greenwood, E., Experimental Sociology, New York 1933, pp. 50-58.

(٢) Ibid, pp. 64-71.

١ — طريقة الاتفاق
Method of Agreement

تقوم هذه الطريقة على أساس أنه اذا وجدت حالات كثيرة متصلة بظاهرة معينة وكان هناك عنصر واحد ثابت فى جميع الحالات فى الوقت الذى تتغير فيه بقية العناصر ، فاننا نستنتج أن هذا العنصر الثابت هو السبب فى حدوث الظاهرة . ويمكن ان يعبر عن هذه العلاقة بالصورة الرمزية التالية :

	العوامل			النتيجة
الحالة الأولى	أ	ب	جـ	ص
الحالة الثانية	د	هـ	جـ	ص

فنظرا لوجود العنصر (جـ) فى كل حالة تحدث فيها الظاهرة (ص) عندئذ يمكن القول بأن العامل (جـ) هو السبب فى حدوث الظاهرة (ص) (١)

فاذا وجد الباحث الاجتماعى أن جميع الأحداث المنحرفين ينشأون فى بيئات فقيرة ، أمكن استنتاج أن انخفاض المستوى الاقتصادى يسبب ظاهرة الانحراف .

ويؤخذ على هذه الطريقة فى البرهنة أنه ليس من الضرورى فى كل حالة يوجد فيها العامل (جـ) ، وتحدث الظاهرة (ص) أن يكون العامل (جـ) سببا حقيقيا فقد يكون وجوده من قبيل المصادفة دائما . ومن المحتمل أن تكون النتيجة (ص) متسببة عن عامل آخر لم يتعرف عليه الباحث ولم يوضع فى تصميم البحث . ومن المحتمل أيضا أن يكون العامل (جـ) قد أحدث النتيجة (ص) بالاشتراك مع عامل آخر لم يتعرف عليه الباحث . ولذا يقول جوبلو : « اننا لا نستطيع نظرا لتشابك الأسباب فى الطبيعة أن نعزل فى الواقع سببا واحدا ونقول أنه هو السبب المحدد بالفعل » .

وعلى هذا فانه ينبغى علينا الا نثق كثيرا فى هذه الطريقة : فلا نتخذ من مجرد الاتفاق دليلا على وجود علاقة سببية .

* * *

---

(١) Goode and Hatt, op. cit., p. 75.

● البرهان بعكس طريقة الاتفاق :

تقوم هذه الطريقة على أساس أن النتيجة ترتبط بالسبب . فاذا غاب السبب غابت النتيجة . وعلى هذا فانه فى حالة عدم حدوث الظاهرة (ص) فى جميع الأوقات التى يختفى فيها العامل (جـ) ، فاننا نستنتج أن (جـ) سببه فى حدوث الظاهرة (ص) (١) .

فاذا وجد انه فى جميع حالات انقطاع التيار الكهربائى يتوقف الترام عن السير ، أمكن استنتاج وجود علاقة سببية بين التيار الكهربائى وبين حركة الترام .

وهذه الطريقة وان كانت مضادة لطريقة الاتفاق فى الصورة ، الا انها تؤيدها فى النتيجة . ويلاحظ انها تحتوى على نفس نقط الضعف التى تحتويها طريقة الاتفاق . ولذا فانه ينبغى عدم الاقتصار عليها فى البرهنة على وجود علاقة سببية .

* * *

٢ — طريقة الاختلاف

Method of Difference

تقوم هذه الطريقة على أساس أن النتيجة ترتبط بالسبب وجودا وعدما ، فاذا وجد السبب وجدت النتيجة ، واذا غاب السبب غابت النتيجة . وتجمع هذه الطريقة بين طريقة الاتفاق وعكسها . ويمكن التعبير عنها بالصورة الرمزية التالية :

	العوامل			النتيجة
الحالة الأولى	ا	ب	جـ	ص
الحالة الثانية		هـ	غير موجود	غير موجود
اذن		د	هى السبب فى حدوث	ص

(١) Goode and Hatt, op. cit., p. 76.

وهذه الطريقة شائعة الاستعمال فى البحوث العلمية لانها أكثر دقة من سابقتها .. فاذا جمع الباحث مجموعتين من الاشخاص ، وعرض المجموعة الاولى لعدد من العوامل فظهرت نتيجة معينة ، ثم عرض المجموعة الثانية لنفس العوامل بعد اسقاط واحد منها فلم تظهر النتيجة ، فى هذه الحالة يمكن استنتاج أن العامل الذى أسقطه الباحث هو السبب فى حدوث النتيجة الأولى . وهـذه الطريقة فى البرهنـة هى التى تقوم عليها فكرة المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة التى سبقت الاشارة اليها .

وكثيرا ما يستخدم الانسان هذه الطريقة فى حياته اليومية للوصـول الى نتيجة معينة . فالطالب مثلا قد يلاحظ أنه حصل على درجة مرتفعة فى احدى المواد لانه قام باستذكارها على الوجه المطلوب ، فى حين أنه حصل على درجة منخفضة فى مادة أخرى مماثلة لم يقم باسـتذكارها ، فيستنتج وجود علاقة سببية بين الاستذكار وبين الحصول على درجات مرتفعة فى المواد الدراسية المختلفة ، وذلك على فرض أن جميع الظروف متماثلة فى الحالتين .

وتعترض تطبيق هذه الطريقة عدة صعوبات أهمها :

١ — تفترض هذه الطريقة ان يكون الباحث على علم بجميع العوامل المؤثرة فى الظاهرة مقدما ، بحيث اذا أسقط أحد العوامل نتج عنه سقوط الظاهرة المطلوب دراستها ، وكثيرا ما يصعب على الباحث تحديد جميـع المتغيرات المؤثرة فى الموقف الكلى قبل البدء فى الدراسة . ويمكن تقليـل هذه الصعوبة بالرجوع الى النظريات العلميـة التى تعـالج الموضوع ، والاحاطة بنتائج الدراسات التجريبية السابقة .

٢ — من الصعب وخاصـة فى البحوث الاجتماعية ايجاد مجموعتين متكافئتين فى جميع العوامل وتختلفان عن بعضهما فى عامل واحد فقط وذلك لكثرة المتغيرات التى تؤثر فى الموقف الاجتماعى ، ولتقليل هذه الصـعوبة أمكن وضع عدة طرق لاختيار الجماعات المتكافئة سنشير اليها فيما بعد .

٣ — قد لا يكون العامل (جـ) سببا فى حدوث الظاهرة (ص) ، اذ توجد عدة احتمالات لتفسير الموقف اهمها :

(أ) أن العامل (جـ) هو السبب فى حدوث (ص) .

(ب) أن (ص) هى السبب فى حدوث (جـ) .

(جـ) ان كلا من (جـ) ، (ص) له سبب آخر لم يفطن اليه الباحث .

(د) أن العامل (جـ) يحدث الظاهرة (ص) فى حضور عامل آخر لم يفطن اليه الباحث .

(هـ) ان العامل (جـ) لا يحدث الظاهرة (ص) ولكن وجودهما معا من قبيل المصادفة فقط (١) .

ولهذا فان كثيرا من العلماء يحاولون تجنب مفهوم العلاقة السببية ، ويقتصرون على القول بأن العامل (جـ) يسبق الظاهرة (ص) تحت ظروف معينة ، ولتجنب احتمالات وجود عوامل أخرى مؤثرة فى الظاهرة فانه ينبغى الرجوع الى النظريات العلمية التى تعالج الموضوع ، والاحاطة بنتائج الدراسات التجريبية السابقة كما أشرنا سابقا ، كما يمكن الاستعانة بالأساليب الاحصائية فى اختيار المجموعات بطريقة عشوائية دون أن يتدخل العامل الشخصى فى الاختيار .

٤ ـ حينما يستخدم الباحث مجموعتين من الأفراد إحداهما تجريبية والأخرى ضابطة فانه يدخل المتغير التجريبى على المجموعة التجريبية دون المجموعة الضابطة ، وفى هذه الحالة لابد من مرور زمن طويل حتى يظهر تأثير المتغير التجريبى ، الا أن عامل مرور الزمن وحده قد يحدث التغير بين أفراد المجموعتين مما يجعل من الصعب على الباحث أن يحدد على وجه الدقة ما اذا كان الفرق فى نتائج القياس راجعا الى المتغير التجريبى أو راجعا الى عامل الزمن ، وللتغلب على هذه الصعوبة فان من الضرورى أن يحاول الباحث التعرف على العوامل الرئيسية التى تؤثر فى الظاهرة فى المدى الطويل . وأن يعمل على تحديد مدى الأثر الذى يمكن أن تحدثه هذه العوامل خلال الفترة التى تستغرقها التجربة .

***

● التصميمات الجديدة للتجارب :

تقتضى البرهنة على صحة الفرض باتباع طريقة الاختلاف وجود مجموعتين من الأفراد احداهما تجريبية والأخرى ضابطة على أن تتعرض المجموعة التجريبية للمتغير التجريبى دون المجموعة الضابطة ، وتقاس المجموعتان بعد التجربة ، ثم يقارن الفرق الحادث فى المجموعتين ، واختبار دلالة هذا الفرق بالأساليب الاحصائية للتأكد مما اذا كان الفرق ذا دلالة احصائية أم لا .

ومما هو جدير بالذكر أن الباحثين الاجتماعيين وضعوا عدة تصميمات

(١) Ibid., p. 80.

تجريبية تختلف عن بعضها اما من ناحية القياس، وأما من ناحية نوع الجماعة الضابطة .

ونشير فيما يلى للتصميمات التجريبية الرئيسية :

ا — التجربة القبلية — البعدية باستخدام مجموعة واحدة من الافراد :

قد يلجأ الباحث للتغلب على بعض الصعوبات المتضمنة فى اختيار المجموعات المتكافئة الى تثبيت الاشخاص الذين يستخدمهم فى البحث ، أى أنه يستخدمهم كمجموعة تجريبية ومجموعة ضابطة فى الوقت ذاته (١) . فاذا أراد الباحث مثلا أن يدرس أثر ادخال فترات الراحة فى زيادة انتاج عمال مصنع من المصانع ، فانه يستطيع اختيار عينة من عمال المصنع ، ويقيس انتاج هؤلاء العمال ، ثم يدخل المتغير التجريبى وهو فترات الراحة ، وبعد ذلك يقيس إنتاجهم ثانية ، فاذا وجد فروقا جوهرية من الناحية الاحصائية بين القياس فى المرة الأولى والمرة الثانية ، إفترض أنها ترجع الى المتغير التجريبى (٢) . ويمكن تمثيل هذا النموذج التجريبى كما يلى :

	قبل التأثير	بعد التأثير	
المجموعة التجريبية	س	س١	الفرق = س١ — س

ومما يؤخذ على هذا النوع من التصميم إن الفروق فى القياس قبل التجربة وبعدها قد تكون راجعة الى عوامل أخرى تحدث أثرها فى الفترة الزمنية بين عمليتى القياس ، بالاضافة الى أن قياس المجموعة الواحدة مرتين متتاليتين قد يزيد من حساسية الأفراد نحو موضوع البحث ، وقد يدعو الى مللهم نتيجة تكرار القياس ، وقد يدفعهم الى التمسك بموقفهم الأول فيحتفظون بنفس الاجابات الأولى . وليس من شك فى أن ذلك كله تكفل بتشويه النتائج ، ولا يعطى صورة صادقة لما يحدثه المتغير التجريبى من تغير .

وعلى الرغم من وجود العيوب التى سبق ذكرها فى هذا النوع من التصميم الا أن له مزايا أهمها أنه يوفر على الباحث اختيار مجموعات

---

(١) Selltiz et al., op. cit., p. 115.

(٢) Goode and Hatt, op. cit., p. 82.

متكافئة ، ثم انه لا يستلزم وجود أفراد كثيرين لاختيار مجموعات متكافئة من بينهم . هذا بالاضافة الى أن التكافؤ يكون كاملا لأن كل فرد يمثل نفسه قبل التجربة وبعدها .

٢ ـ التجربة البعدية :

يحدث فى بعض التصميمات التجريبية أن يختار الباحث عينتين عشوائيتين من مجتمع البحث ويفترض فيهما أنهما متكافئتان فى جميع الوجوه ؛ ثم يدخل المتغير التجريبى على المجموعة التجريبية دون المجموعة الضابطة، وبعد انتهاء التجربة تقاس المجموعتان ، ويقارن الفرق بينهما ، وتختبر دلالة هذا الفرق بالأساليب الاحصائية للتأكد مما اذا كان الفرق ذا دلالة احصائية أم لا (١) .

ونضرب مثالا لتجربة من هذا النوع . نفترض أننا نريد اختبار الفرض القائل بأن البرامج الثقافية التى تقدمها مؤسسة الثقافة العمالية تؤدى الى زيادة وعى العمال بحقوقهم وواجباتهم . فللتحقق تجريبيا من صحة هذا الافتراض يمكن اختيار مجموعتين متكافئتين من العمال ، ولتكن احداهما تجريبية والأخرى ضابطة ثم نتعرض المجموعة الاولى للمتغير التجريبى بأن تحضر الدورة الثقافية التى تعقدها المؤسسة . وبعد انتهاء الدورة نقيس اتجاهات أفراد المجموعتين : فاذا اختلفت اتجاهات الأفراد الذين حضروا الدورة عن اتجاهات أفراد المجموعة الضابطة اختلافا له دلالته الاحصائية كان ذلك داعيا الى الاطمئنان الى صحة الفرض .

ويطلق على التجارب التى من هذا النوع اسم « التجارب البعدية » لأن الباحث لا يقيس اتجاهات أفراد المجموعتين الا بعد انتهاء التجربة .

ويؤخذ على التجارب البعدية أنها تفترض تكافؤ المجموعات من جميع الوجوه ، وهذا أمر يصعب التأكد منه نظرا لتعدد المتغيرات واحتمال وجود متغيرات أخرى لم يتعرف عليها الباحث . ثم أن قياس الأفراد بعد التجربة فقط لا يعطى صورة صادقة لما كان عليه الأفراد قبل التجربة . ومن المحتمل أن تكون الفروق بين أفراد المجموعتين سابقة للتجربة ذاتها ، ثم ان المجموعتين التجريبية والضابطة قد تتعرضان لتأثير عوامل أخرى خلال الفترة المحددة للبحث مما يجعل من العسير الحكم على أن التغير ناتج عن المتغير التجريبى وحده دون غيره من العوامل :

---

(1) Selltiz et al., op. cit., p. 108-122.

٣ — التجربة القبلية — البعدية باستخدام مجموعتين يجرى عليهما القياس بالتبادل :

يتم هذا النوع من التجارب باختيار مجموعتين عشوائيتين من مجتمع البحث ويفترض فيهما انهما متكافئتان فى جميع الوجوه ، وتجرى عملية القياس القبلية على المجموعة الضابطة ، بينما تجرى عملية القياس البعدية على المجموعة التجريبية .

ويعتبر الفرق بين القياس الذى اجرى على المجموعة الضابطة والقياس البعدى الذى اجرى على المجموعة التجريبية ناشئا عن تأثير المتغير التجريبى (١) .

ويؤخذ على هذا النوع من التصميم انه يفترض ايضا تكافؤ المجموعات من جميع الوجوه ، ثم ان من الصعب على الباحث ان يتأكد من أن التغير الحادث جاء نتيجة للمتغير التجريبى وحده دون وجود عوامل عارضة ، هذا بالاضافة الى أن هذا النوع من التجريب لا يسمح بقياس افراد المجموعتين قبل التجربة وبعدها فيصبح من العسير على الباحث ان يعرف مقدار التغير الذى طرأ على كل فرد نظرا لأنه لا يعرف موقفه من البداية .

٤ — التجربة القبلية — البعدية باستخدام مجموعتين احداهما ضابطة والأخرى تجريبية :

تستخدم فى هذا النوع عينتان متكافئتان احداهما ضابطة والأخرى تجريبية . وتقاس المجموعتان قبل التجربة . ثم يدخل المتغير التجريبى على المجموعة التجريبية وحدها ، وتقاس المجموعتان بعد ذلك . ويعتبر الفرق فى نتائج القياس ناتجا عن المتغير التجريبى وحده حيث أن المجموعتين تعرضتا للقياس القبلى والبعدى ولنفس الظروف الخارجية المحيطة بالتجربة .

وقد سبق أن أشرنا الى هذا النوع من التصميم فى معرض حديثنا عن تصنيفات التجارب . ويعتبر هذا النموذج كافيا الى حد كبير للتغلب على عيوب التصميمات التجريبية السابقة الا انه وجد أن القياس قبل ادخال المتغير التجريبى قد يؤثر فى نوع الاستجابة لأفراد المجموعة التجريبية اذ يحاولون الثبات على آرائهم والتمسك بالاجابات التى سبق لهم ان أعطوها .

(١) Ibid., p: 116.

للباحث (١) . واذا لجأ بعض الباحثين الى الاستعانة بتصميمات تجريبية أخرى تستخدم فيها أكثر من مجموعة ضابطة .

٥ — التجربة القبلية — البعدية باستخدام مجموعة تجريبية ومجموعتين ضابطتين :

يضاف الى هذا النوع من التصميم مجموعة ضابطة ثانية ، ولا تجرى عليها عمليات القياس القبلي ولكنها تتعرض للمتغير التجريبي ، ثم يجرى عليها القياس بعد تعرضها لهذا المتغير . ولما كان اختيار المجموعات الثلاثة يتم بطريقة عشوائية ، فاننا نفترض أن نتائج القياس الأول للمجموعتين الأخريين يمكن أن يعطى صورة صادقة لنتائج القياس بالنسبة لهذه المجموعة لو أنه تم فعلا . ويمكن الاستدلال على ذلك بأخذ متوسط القياس قبل التجربة للمجموعتين التجريبية والضابطة الأولى ، وليس من شك في أن هذا النوع من التصميم يجنب أفراد هذه المجموعة الآثار التي تترتب على عملية القياس القبلي (٢) .

ويمكننا أن نقول انه لو لم يكن قد حدث تفاعل بين المتغير التجريبي والقياس الأول فان من الممكن تفسير النتائج بالصورة الآتية :

١ — يرجع التغير الحادث للمجموعة الضابطة الثانية الى تأثير المتغير التجريبي فقط .

٢ — يرجع التغير الحادث للمجموعة الضابطة الأولى الى تأثير القياس القبلي فقط .

٣ — اذا كان التغير الحادث للمجموعة التجريبية يختلف عن مجموع التغير الحادث للمجموعتين الضابطتين ، فان ذلك يعتبر انعكاسا لتفاعل عمليات القياس القبلي مع المتغير التجريبي . وقد يؤثر مثل هذا التفاعل على النتائج المترتبة على المتغير التجريبي اما بالزيادة أو النقصان (٣) .

---

(١) Ibid., p. 119.

(٢) Ibid., p. 118.

(٣) Ibid., p. 120.

هذا وينبغى أن نأخذ بشىء من الحذر النتائج التى توصل اليها ، لأننا نفترض أن العوامل الخارجية لم تؤثر فى نتائج التجربة ، وهذا الافتراض قد لا يكون صحيحا خاصة اذا كانت الفترة بين القياسين طويلة . واذا ادخلت فى التجارب الحديثة مجموعة ضابطة ثالثة للوصول الى نتائج أكثر دقـة واحكاما (١) .

***

٣ — طريقة التلازم فى التغير

Method of Concomitant Variation

تقوم هذه الطريقة على أساس انه اذا وجدت سلسلتان من الظواهر فيها مقدمات ونتائج ، وكان التغير فى المقدمات فى كلتا السلسلتين ينتج تغيرا فى النتائج فى كلتا السلسلتين كذلك ، وبنسبة معينة فلا بد أن تكون هناك علاقة سببية بين المقدمات والنتائج . ويمكن أن يعبر عن هذه العلاقة بالصورة الرمزية التالية :

	العوامل			النتيجة
الحالة الأولى	ا	ب	جا	ص١
الحالة الثانية	ا	ب	ج٢	ص٢

اذن يمكن القول بأن (ج) ، (ص) مرتبطتان بعلاقة سببية وتستخدم هـذه الطريقة فى كثير من البحوث الحديثة تحت اسم طريقة الترابط (٢) Correlation ولقياس علاقة الترابط يلجأ الباحث الى حساب معـامل الارتباط ، وهو يتراوح دائما بين + ١ ، — ١ . وفى الحالة الأولى تكون العلاقة تامة موجبة ، فالزيادة فى أحد المتغيرين يتبعها زيادة نسبية فى المتغير الآخر ، والنقص فى احداهما يتبعه نقص نسبى فى الآخر . وفى الحالة الثانية تكون العلاقة تامة سالبة ، فالزيادة فى أحد المتغيرين يتبعه نقص نسبى فى المتغير الآخر والعكس بالعكس (٣) .

---

(١) راجع فى ذلك : سيلتيز ، المصدر السابق ، ص ١٢١ — ١٢٢ .

(٢) Goode and Hatt, op. cit., p. 86.

(٣) يمكن الرجوع الى كتب الاحصاء لدراسة هذا الموضوع تفصيلا .

وتتميز هذه الطريقة بأن من الممكن استخدامها فى مجال أوسع من مجال طريقة الاختلاف ، كما أنها الطريقة الوحيدة بين الطرق التى حددها « مل » وهى تخول للباحث أن يحدد بطريقة كمية النسبة الموجودة بين السبب والنتيجة . ومما يؤخذ على هذه الطريقة أن العلاقة بين المتغيرين قد لا تكون علاقة سببية كما سبق أن أوضحنا ، فمن الممكن أن تكون علاقة وظيفية.تعبر عن ترابط قائم بين ظاهرتين توجدان فى آن واحد . وتتغيران تغيرا نسبيا بحيث تعد كل منهما شرطا فى الاخرى ، دون امكان القول بأن احداهما سبب والاخرى نتيجة .

وتستلزم هذه الطريقة تثبيت جميع العوامل فى جميع الحالات التى يجمعها الباحث ما عدا متغير واحد . وفى رأى « فيشر » أن الباحثين فى الماضى كانوا يبالغون فى تقدير أهمية تغير عامل واحد فقط فى المجموعتين وتثبيت العوامل الأخرى . وقد بين أن تصميم تجارب لاختبار عدد من المتغيرات فى وقت واحد ينطوى على ميزات واضحة . فهو لا يوفر الوقت والجهد فحسب بل يعطى كذلك معلومات أكثرمما لو درس كل متغير على حدة . ذلك أن كل متغير يختبر فى ضوء ظروف متنوعة ، كما يمكن ملاحظة أية تفاعلات تحدث بين العوامل المختلفة . ويرى « فيشر » أنه قد أصبح من المستطاع بفضل ما بلغه الاحصاء من تقدم ادراج عدد من المتغيرات فى التجربة الواحدة .

***

● طرق تكوين المجموعات المتكافئة أو المتماثلة :

رأينا فى عرضنا السابق للتصميمات التجريبية المختلفة اهمية اختيار مجموعات متكافئة قبل اجراء التجربة ، ونود أن نشير الى صعوبة ايجاد مجموعات متكافئة من كافة الوجوه وذلك لتعدد المتغيرات وتنوعها ، ومهما بذل الباحث من جهد لتحقيق التماثل التقريبى بين أفراد مجموعتين فيما يتعلق بالجنس والعمر والحالة التعليمية والاقتصادية ، فستظل هناك احتمالات أخرى ليست فى الحسبان . ومن الامور الاساسية أن يعرف الباحث استحالة الحصول على مجموعات متكافئة تماما . ومن الواجب مجابهة هذه الصعوبة بتقدير مدى هذا التنوع ، وعمل حساب له عند تقييم النتائج .

وهناك عدة طرق لاختيار المجموعات المتكافئة نذكر من بينها ما يلى :

اولا — المزاوجة بين أفراد المجموعتين :

وذلك بالتأكد من أن كل فرد فى احدى المجموعتين يتعادل تماما مع فرد آخر من المجموعة الثانية . وتقتضى هذه الطريقة معرفة الباحث بالمتغيرات الهامة فى الدراسة حتى يتمكن من اخضاعها للضبط العلمى الدقيق . وتواجه طريقة المزاوجة الفردية عدة صعوبات أهمها :

١ — تستلزم عملية المزاوجة الفردية توفر عدد كبير من الافراد ليتسنى للباحث اختيار الازواج المتماثلة من بينهم . وتزداد الحاجة الى اعداد اكبر كلما زاد عدد المتغيرات وتتطلب عملية المزاوجة الفردية قياس الأفـراد بالنسـبة لجميع المتغيرات والاسـتغناء عن الأزواج غير المتماثلة . ففى احـدى الدراسـات التى أجريت بالولايات المتحدة اسـتعان كريشتنسن Christensen بعدد من الأفراد بلغ ١١٩٤ شخصا لم يبق منهم بعد عملية المزاوجة الفردية بالنسبة لستة متغيرات سوى ٤٦ شخصا (١) . ومن الواضح أن هذه العملية تتطلب كثيرا من الجهد والوقت والمال .

٢ — تستلزم هذه العملية معرفة البـاحث بالمتغيرات الرئيسية التى ينبغى اخضاعها للضبط العلمى الدقيق . ويصـعب فى كثير من الاحيان تحديد عوامل كثيرة قد تكون فى غاية الاهمية . وقد تكون هناك متغيرات يعتقد الباحث فى عدم أهميتها ثم يتضح له بعد ذلك أن بعض هذه المتغيرات له أهميته وكان من الضرورى أخذه فى الاعتبار عند اجراء عملية التزاوج .

٣ — تستلزم هذه العملية قياس المتغيرات الهامة قياسا دقيقا ، وكثيرا ما يواجه الباحث صعوبة فى ايجاد المقاييس الدقيقة التى يمكن الاعتمـاد عليها (٢) .

ونظرا لصعوبة عملية المزاوجة الفردية فان الباحث كثيرا ما يستعين بطريقة أخرى هى طريقة المزاوجة بين المجموعات .

* * *

ثانيا — المزاوجة بين المجموعات :

تعتمد هذه الطريقة على الاستفادة من مميزات المزاوجة الفـردية مع توفير الوقت والجهد وعدم الاحتياج الى اعداد كبيرة لتتم عملية التزاوج من بينهم . وتتم عملية المزاوجة بين المجموعتين التجريبية والضابطة على أساس تطابق التوزيعات التكرارية للمتغيرات . فاذا اردنا مثلا ان نسوى بين مجموعتين من الأفراد فى المتغيرات الهامة مثل السن والدخل ، فاننا نبدأ بتحقيق عملية المزاوجة فى السن على أسـاس التوزيع التكرارى للسن فى المجموعتين . ثم نعود فنماثل بين المجموعتين فى الدخل على أساس التوزيع

---

(١) Chapin, Experimental Designs, p. 102.

(٢) Selltiz et al, op. cit., p. 105.

التكرار أيضا . وقد تماثل مرة ثالثة ورابعة بين المجموعتين اذا وجدت متغيرات أخرى (١) .

ومن عيوب هذه الطريقة انها لا توفر المزاوجة التامة بين أفراد المجموعتين . فمع أن التوزيع التكرارى متماثل من ناحية السن والدخل ، فاننا قد نحصل فى احدى المجموعتين على افراد صغيرى السن ودخلهم مرتفع ، وآخرين كبيرى السن ودخلهم منخفض ، بينما نحصل فى المجموعة الثانية على عكس ذلك تماما (٢) .

ومما يؤخذ على بعض الطرق التى تستخدم عملية المزاوجة الجماعية اعتمادها على معامل احصائى واحد كالمتوسط . ومن المعلوم احصائيا ان متوسط أى عامل من العوامل اذا كان واحدا فى مجموعتين فان هذا لا يعنى أن التوزيع التكرارى لهذا العامل فى المجموعتين متعادل . ولذا فان من الضرورى ان يستعين الباحث بمقاييس أخرى يقيس بها التشتت كالانحراف المعيارى والالتواء والتفرطح وما الى ذلك من مقاييس (٣) .

* * *

ثالثا ـ التوزيع العشوائى :

تفترض الطريقتان السابقتان معرفة الباحث بالمتغيرات الهامة فى الدراسة . وقد أوضح « فيشر Fisher » أنه مهما بلغت معرفة الباحث بالمتغيرات الرئيسية التى تؤثر فى نتائج البحث ، ومهما حاول ضبط هذه المتغيرات ، فان من المستحيل عليه أن يحصر جميع المتغيرات ، وبالتالى فان التماثل بين الافراد أو المجموعات لن يكون كاملا . ولذا يقترح « فيشر » الاستعانة بمبدأ الاختيار العشوائى ، أى توزيع الافراد بطريقة عشوائية تتضمن تحقيق الفرص المتكافئة لكل فرد من افراد المجموعتين . فقد نأخذ مجموعة من عمال مصنع من المصانع ، أو طلبة فرقة دراسية باحدى المدارس ونعطى لكل منهم رقما ، ثم نستخدم جدول الاعداد العشوائية ونوزعهم عشوائيا على المجموعات المطلوبة . ولا يعنى اختيار المجموعات الضابطة والتجريبية بهذه الطريقة أن تكون المجموعات متكافئة تماما فى جميع المتغيرات ، ولكنه يعنى أن الفروق بينها ــ اذا وجدت ــ تكون راجعة الى عامل الصدفة وحده دون غيره من العوامل .

---

(١) Ibid., p. 107.

(٢) Ibid., p. 107.

(٣) Ibid., p. 107.

ومن الواضح أن هذه الطريقة تساعد فى التغلب على معظم الصعوبات التى تنجم عن اتباع الطريقتين السابقتين ، وإذا يمكن الاعتماد عليها ، والثقة بالنتائج التى تصل اليها .

وبالاضافة الى الطرق الثلاث السابقة توجد طرق أخرى احصائية لتحقيق التكافؤ بين المجموعات التجريبية والضابطة كطريقة تحليل التباين . ويمكن الرجوع اليها فى الكتب الاحصائية التى تتناول هـذا الموضوع بالدراسـة والتحليل .

وفى ختام هذا الفصل نود أن نشير الى ما سبق أن قلناه بشأن أهمية المنهج التجريبى وغيره من مناهج البحث الأخرى . فالمنهج التجريبى ولاشك تتمثل فيه معالم الطريقة العلمية بصورة واضحة ، ونحن فى حاجة اليه لتحليل الظواهر وفهمهـا ومعرفة العوامل المؤثرة فيها ، ولكننا فى الوقت ذاتـه فى حاجة الى جانب الأسـلوب التحليلى الى اطار ترد اليـه العناصر التى حللناها ، والا فقدت هذه العناصر أهميتها ودلالتها ، خاصة وأن العلاقة بين أجزاء الظاهرة الاجتماعية ليست آلية ميكانيكية ، وانما هى علاقة ديناميكية .. ولتحقيق هذه العملية ينبغى الاستفادة بمختلف مناهج البحث التى سبق عرضها فى هذا الفصل والفصول الثلاثة السابقة .

***

الملخص

من المناهج الرئيسية التى تستخدم فى البحث الاجتماعى اربعة مناهج هى : المسح الاجتماعى ، ودراسة الحالة ، والمنهج التاريخى ، والمنهج التجريبى .

ويستخدم المسح الاجتماعى فى البحوث الوصفية ، ويهتم بدراسة الظواهر الموجودة فى جماعة معينة وفى مكان معين ، ويتناول أشياء موجودة بالفعل وقت اجراء المسح وليست ماضية ، كما تغلب عليه الصفة العملية وان كانت بعض المسوح تنصب على الجانب النظرى .

ويستفاد بالمسح الاجتماعى فى جمع الحقائق عن الظاهرة الاجتماعية بعد أن تكون قد أجريت بحوث كشفية عليها ، كما يستفاد به فى عمليات التخطيط القومى ، وفى دراسة المشكلات الاجتماعية القائمة ، وفى قياس اتجاهات الرأى العام نحو مختلف الموضوعات .

وللمسوح الاجتماعية تصنيفات . فهناك المسوح العامة التى تعالج عدة أوجه من الحياة الاجتماعية ، والمسوح الخاصة التى تهتم بنواحى خاصة محددة من الحياة الاجتماعية ، والتصنيف السابق يفرق بين نوعى المسح على أساس مجال الدراسة . وهناك تصنيف آخر يفرق بين المسوح الاجتماعية من ناحية المجال البشرى ويقسمها الى قسمين : مسح شامل يتناول جميع مفردات المجتمع ، ومسح بطريق العينة يكتفى فيه بدراسة عدد محدود من المفردات أو الحالات . وليس من شك فى أن المسح بطريق العينة هو الذى يكثر استخدامه نظرا لأنه يوفر الوقت والجهد والمال كما أنه يأتى بنتائج دقيقة .

هذا ويشيع استخدام المسح الاجتماعى فى جمهورية مصر العربية لعاملين هما :

(١) قلة البحوث التى سبق اجراؤها فى الميدان الاجتماعى . ولهذا على الطبيعة المنهجية للبحث الاجتماعى تملى على الباحثين أن يقوموا بدراسات كشفية ومسحية ليستفيدوا منها فى مراحل تالية ، (٢) اتباع الدولة لسياسة التخطيط القومى . وهذه السياسة تستلزم اجراء مسوح اجتماعية للحصول

على بيانات عن امكانيات المجتمع واحتياجاته والتعرف على المشكلات التى تصاحب التغير .

ومن الملاحظ أن المسح الاجتماعى قد تعددت موضوعاته ، فلم يعد قاصرا على دراسة أحوال الطبقات الفقيرة كما كان الحال فى الماضى - وأصبح يشمل دراسة الخصائص الديموجرافية لمجموعة من السكان ، وكذا دراسة البيئة الاجتماعية والاقتصادية لهم ، ودراسة أوجه نشاطهم ، وآرائهم واتجاهاتهم العامة .

ويمر المسح الاجتماعى فى مراحل هى رسم خطة المسح ، وجمع البيانات من الميدان ، وتحليل البيانات ، وعرض النتائج ، وكتابة التقرير . وقد عرضنا لأغلب هذه الخطوات فى الباب السابق .

ويلاحظ أن المسح الاجتماعى لا يكتفى بأداة واحدة فى جمع البيانات ، وانما يستعين بمعظم الأدوات المستخدمة فى البحوث الاجتماعية وأهمها : الملاحظة ، والمقابلة ، والاستبيان ، وتحليل المحتوى .

أما عن منهج دراسة الحالة فانه يتجه الى جمع البيانات العلمية المتعلقة بأية وحدة سواء أكانت فردا أو مؤسسة أو نظاما اجتماعيا أو مجتمعا محليا أو مجتمعا عاما . وهو يقوم على أساس التعمق فى دراسة مرحلة من تاريخ الوحدة أو دراسة جميع المراحل التى مرت بها ؛ وذلك بقصد الوصول الى تعميمات علمية متعلقة بالوحدة المدروسة وبغيرها من الوحدات المشابهة لها .

ويفيد هذا المنهج فى دراسة المواقف المختلفة دراسة تفصيلية فى مجالها الاجتماعى ومحيطها الثقافى ، كما أنه يفيد فى التعرف على حقيقة الحياة الداخلية للأفراد ، وفى الحصول على حقائق متعلقة بمجموعة الظروف المحيطة بموقف اجتماعى .

هذا وليس هناك تعارض بين استخدام الاحصاء ودراسة الحالة فى البحث الاجتماعى فكلاهما ضرورى فى الكشف عن الحقائق العلمية ، وفى تفهم العوامل المختلفة المحيطة بالظاهرة المدروسة . فالاحصاء يمكننا من معرفة الحقائق بتلخيصها بصورة قياسية رقمية . ومنهج دراسة الحالة يساعدنا على التغلغل فى أعماق الموقف ، والتعرف على العوامل الديناميكية المؤثرة فى الموقف الكلى .

ولا تختلف خطوات البحث باتباع منهج دراسة الحالة عن الخطوات التى تتبع فى أى بحث علمى . فالباحث يبدأ بتحديد المشكلة والمفاهيم وتحديد الفروض وتحديد مجالات البحث ، وجمع البيانات وتصنيفها وتحليلها ، ويستخلص النتائج منها بغية اصدار تعميمات على المشاهدات المدروسة .

ويستعان بعدد كبير من الأدوات فى دراسة الحالة . من بين تلك الأدوات الملاحظة ، والمقابلة ، والوثائق الشخصية التى تتضمن تواريخ الحياة ، والسير ، والسير الخاصة ، واليوميات والخطابات .

ويرى بعض الباحثين أن منهج دراسة الحالة له حدود فى مدى امكانية الاعتماد عليه فى البحث وذلك (١) لعدم صدق البيانات التى يجمعها الباحث باستخدام هذا المنهج ، (٢) لعدم امكانية تعميم النتائج التى يصل اليها الباحث لاختلاف الحالات بعضها عن بعض ، (٣) ولأن الباحث يتكبد فى دراسته للحالات كثيرا من الوقت والجهد والمال . الا أن هذه الاعتراضات لا توافق عليها وقد ناقشناها بشىء من التفصيل .

وبالنسبة للمنهج التاريخى فانه يستخدم فى البحوث الاجتماعية بقصد الوصول الى المبادىء والقوانين العامة عن طريق البحث فى أحداث التاريخ الماضية وتحليل الحقائق المتعلقة بالمشكلات الانسانية والقوى الاجتماعيه التى شكلت الحاضر .

والباحث الاجتماعى حينما يستخدم المنهج التاريخى لا يقصد من وراء ذلك تأكيد الحوادث الفردية ولا يهدف الى تصوير الحوادث أو الشخصيات التاريخية بصورة جديدة ، وانما يحاول تحديد الظروف التى أحاطت بجماعة من الجماعات أو ظاهرة من الظواهر منذ نشأتها لمعرفة طبيعتها وما تخضع له من قوانين .

هذا ويمر البحث التاريخى فى خطوات أربعة رئيسية هى : تحديد مشكلة البحث ، وجمع الحقائق المتعلقة بالمشكلة ، وتصنيف الحقائق وتحليلها والربط بأنها ، وعرض النتائج .

ويجب أن يراعى عند اختيار المشكلة أن تكون من بين الموضوعات التى تهم الباحث بالاضافة الى أهميتها العلمية . كما يجب مراعاة مران الباحث على استخدام المنهج التاريخى ، وتوفر الوثائق المتعلقة بالمشكلة ، وجدة الموضوع ، مع مراعاة الزمن المخصص للبحث .

أما عن جمع الحقائق فيجب تحليل المصادر تحليلا خارجيا وداخليا . والتحليل الخارجي ينصب على نقد الوثيقة ومصدرها ، أما التحليل الداخلي فإنه ينقسم الى نوعين أحدهما ايجابي والآخر سلبي . والتحليل الايجابي يقصد به فهم المعنى الحقيقي الذي ترمى اليه ألفاظ وعبارات الوثيقة . أما التحليل السلبي فيفيد في معرفة الظروف التي وجد فيها كاتب الوثيقة حين سجل ملاحظاته ، وهل قصد الى تشويه الحقائق أم لا .

وبعد أن يقوم الباحث بجمع الحقائق فانه يتجه الى تصنيفها وتحليلها ومحاولة الربط بينها ، كما يعمد الى تحليل النتائج وتفسيرها في ضوء الحقائق الموضوعية التي توصل اليها ، وفي النهاية يقوم الباحث بصياغة النتائج بحيث تتمشى مع الخطوات المختلفة التي استخدمت في الوصول اليها وعرض النتائج بمنتهى الدقة والأمانة .

أما بالنسبة للمنهج التجريبي فانه المنهج الذي تتمثل فيه معالم الطريقة العلمية بصورة واضحة . فهو يبدأ بالملاحظة ويتلوها بالفرض ، ويتبعها بتحقيق الفرض بواسطة التجريب ، ثم يصل عن طريق ذلك الى معرفة القوانين العامة التي تحكم الظواهر .

والتجارب العلمية تصنيفات منها : (١) التجارب الصناعية والطبيعية . والتجربة الصناعية هي التي تجرى في المختبر العلمي وتعتمد على تحكم الباحث في جميع المتغيرات ، أما التجربة الطبيعية فهي التي يتم فيها التحكم من جانب الطبيعة لا من جانب الباحث ، (٢) التجارب ذات المدى الطويل التي تستلزم فترة طويلة لاجرائها . والتجارب ذات المدى القصير التي تتطلب فترة زمنية قصيرة لاجرائها ، (٣) التجارب التي تستخدم فيها مجموعة واحدة من الأفراد ، والتجارب التي تستخدم فيها أكثر من مجموعة .

هذا وقد وضع جون ستيوارت مل عدة طرق لتحقيق الفروض أهمها : طريقة الاتفاق ، وطريقة الاختلاف ، وطريقة التلازم في التغير .

وتقوم طريقة الاتفاق على أساس أنه اذا وجدت حالات كثيرة متصلة بظاهرة معينة ، وكان هناك عنصر واحد ثابت في جميع الحالات في الوقت الذي تتغير فيه بقية العناصر ، فاننا نستنتج أن هذا العنصر الثابت هو السبب في حدوث الظاهرة .

وتقوم طريقة الاختلاف على أساس أن النتيجة ترتبط بالسبب وجودا وعدما فاذا وجد السبب وجدت النتيجة ، واذا غاب السبب غابت النتيجة .

أما طريقة التلازم فى التغير فإنها تقوم على أساس أنه اذا وجدت سلسلتان من الظواهر فيها مقدمات ونتائج ، وكان التغير فى المقدمات فى كلتا السلسلتين يتبع تغيرا فى النتائج فى كلتا السلسلتين كذلك ، وبنسبة معينة، فلابد أن تكون هناك علاقة سببية بين المقدمات والنتائج .

وتستخدم عدة أنواع من التجارب منها ، التجربة القبلية – البعدية التى تستخدم فيها مجموعة واحدة من الأفراد تقاس قبل ادخال المتغير التجريبى وبعده ، ثم يحسب التغير الناتج ، والتجربة البعدية التى تستخدم فيها مجموعتان احداهما تجريبية والأخرى ضابطة ، ويتم القياس فيهما بعد التجربة ويحسب الفرق بين المجموعتين ، والتجربة القبلية – البعدية التى تستخدم فيها مجموعتان احداهما ضابطة والأخرى تجريبية ، والتجربة القبلية – البعدية التى تستخدم فيها مجموعتان يجرى عليهما القياس بالتبادل، والتجربة القبلية – البعدية التى تستخدم فيها مجموعتان احداهما ضابطة وأخرى تجريبية ، والتجربة القبلية – البعدية باستخدام مجموعة تجريبية ومجموعتين ضابطتين ، الى غير ذلك من تصميمات .

ولما كان من الضرورى فى البحوث التجريبية وجود عينات تجريبية وأخرى ضابطة ، فقد بذل الباحثون جهودا كثيرة فى ايجاد طرق علمية دقيقة للمزاوجة بين أفراد المجموعتين وذلك بالتأكد من أن كل فرد فى احدى المجموعتين يتعادل تماما مع فرد آخر فى المجموعة الثانية ، ومحاولة المزاوجة بين المجموعات على أساس التوزيع التكرارى واستخدام المعاملات الاحصائية كالمتوسط ومقاييس التشتت ثم الاستعانة بمبدأ الاختيار العشوائى لتوزيع الأفراد بطريقة تضمن تحقيق الفرص المتكافئة لكل أفراد المجتمع .

ومن الواضح أن مناهج البحث الاجتماعى متكاملة بحيث لا يستغنى الباحث بأحدها عن بقية المناهج ، ونحن فى حاجة الى هذه المناهج جميعا لفهم الظواهر الاجتماعية ومعرفة الظروف التى تحيط بها ، والقوانين التى تخضع لها .

***

• المراجع باللغة الانجليزية :

1 Chapin S., Experimental Design in Sociological Research. New York, 1947 ; chaps 1, 2 and 7.

2. Fisher, R.A., The Design of Experiments, Edinburgh, 1937

3. Furfey, P., The Scope and Method of Sociology : A Meta-sociological Treatise, New York, 1954 ; chap. 17.

4. Goode, C., and Scates, D., Methods of Research, Educational, Psychological, Sociological, New York, 1945, chap. 7.

5. Goode, W., and Hatt, P. Methods in Social Research, New York, 1952, chaps, 7, 8.

6. Greenwood E., Experimental Sociology, New York, 1954, chap. 2.

7, Jahoda, M., Deutsch, M., Cook S., Research Methods in Sociological Relations, New York, 1952, Part 1, pp. 58-88.

8. Selitiz, C., et al., Research Methods in Social Relations Henry-Holt., 1960, pp. 80-142.

9. Mill, J. S., A System of Logic, New York, 1930,

* * *

الباب الخامس

وسائل جمع البيانات

مقدمة .

الفصل السابع عشر : الملاحظة .

الفصل الثامن عشر : الاستبيان والمقابلة .

الفصل التاسع عشر : مقاييس العلاقات الاجتماعية والاتجاهات والرأى العام .

الفصل العشرون : وسائل أخرى لجمع البيانات .

الملخص .

مقدمة

الأداة ترجمة الكلمة الانجليزية Technique والكلمة نظائرها في مختلف اللغات . استخدمها الباحثون للاشارة الى الوسيلة التي تستخدم في البحث سواء أكانت تلك الوسائل متعلقة بجمع البيانات او بعمليات التصنيف والجدولة . وليس هدفنا في هذا الباب أن نعرض للوسائل بنوعيها ، وانما يختص هذا الباب بالنوع الأول وهو وسائل جمع البيانات .

ويرتبط مفهوم الوسيلة أو الأداة بالكلمة الاستفهامية بم ؟ فاذا تساءلنا بم يجمع الباحث بياناته ؟ فان الاجابة على ذلك تستلزم تحديد نوع الأداة اللازمة للبحث .

ويتوقف اختيار الباحث للأداة أو الأدوات اللازمة لجمع البيانات على عوامل كثيرة . فبعض أدوات البحث تصلح في بعض المواقف والأبحاث عنها في غيرها ، فمثلا يفضل بشكل عام استخدام المقابلة والاستبيان عندما يكون نوع المعلومات اللازمة له اتصال وثيق بمعتقد الأفراد أو بشعورهم أو باتجاهاتهم نحو موضوع معين ، وتفضل الملاحظة المباشرة عند جمع معلومات تتصل بسلوك الافراد الفعلي في بعض المواقف الواقعية في الحياة والتي يمكن ملاحظتها دون عناء كبير أو يمكن تكرارها بدون جهد ، وتفيد الاختبارات السوسيومترية في دراسة أنواع معينة من السلوك الاجتماعي ، كما تفيد الوثائق والسجلات في اعطائنا المعلومات اللازمة عن الماضي . وقد يؤثر موقف المبحوثين من البحث في تفضيل وسيلة على وسيلة أخرى . ففي بعض الأحيان يبدي المبحوثون نوعا من المقاومة ، ويرفضون الاجابة على أسئلة الباحث ، وفي هذه الحالة يتعين استخدام الملاحظة في جمع البيانات .

وقد يعتمد الباحث على اداة واحدة لجمع البيانات ، وقد يعتمد على اكثر من أداة أو وسيلة ، فيجمع بين طريقتين أو اكثر من طرق جمع البيانات . حتى يدرس الظاهرة من جميع نواحيها ، وليكشف عن طبيعتها بدقة ونجاح . فقد يقتضي البحث مثلا المقارنة بين ما يقوله الناس وبين ما يفعلونه ، وفي هذه الحالة يتعين على الباحث الاستعانة بالاستبيان أو المقابلة بالاضافة الى الملاحظة .

هذا ويلاحظ أن هناك شبه اتفاق بين الباحثين على الأدوات التي يمكن استخدامها في جمع البيانات . وسنشير في هذا الباب الى الأدوات الرئيسية التي يشيع استخدامها في البحث .

الفصل السابع عشر

الملاحظة
Observation

الملاحظة وسيلة هامة من وسائل جمع البيانات . استخدمت فى الماضى كما تستخدم فى الحاضر لما لها من اهمية فى الدراسة والبحث . وقد لجئت اليها الشعوب البدائية كما تلجا اليها الشعوب المتحضرة لجمع المعلومات عن الاشياء والمواقف المحيطة بهم ، وللتعرف على ظواهر الحياه ومشكلاتها . ولكن الملاحظه العلمية تختلف اختلافا كبيرا عن الملاحظة غير العلمية . وقد سبق أن أشرنا الى أن الملاحظة التى كانت تقوم بها الشعوب البدائية من النوع البسيط الساذج الذى لا يهدف الى الكشف عن حقيقة علميه محددة ، أو غاية نظرية واضحه ، وادخلنا ذلك النوع من الملاحظة فى نطاق المعرفة التجريبية التى وصفناها بأنها تقف عند بعض المواقف العلمية المحدودة والتى تبدو قاصرة تماما فى محيط التفكير النظرى ومحاولة تفسير الظواهر وتعليلها بعكس الملاحظة العلمية . ثم ان تدخل العقل يكون بسيطا فى الملاحظة الساذجة بخلاف الحال فى الملاحظة العلمية التى يقوم فيها العقل بنصيب كبير فى ملاحظة الظواهر وتفسيرها وايجاد العلاقات القائمة بينها ، هذا بالاضافة الى أن الملاحظة العلمية لا تقتصر على مجرد الحواس ، بل تستعين بأدوات علمية دقيقة للقياس ضمانا لدقة النتائج وموضوعيتها من ناحية ، وتفاديا لقصور الحواس من ناحية اخرى .

هذا وقد كان لعلماء الأنثروبولوجيا فى العصر الحديث فضل كبير فى لفت أنظار الباحثين الاجتماعيين فى الفروع الاخرى الى أهمية الملاحظة كوسيلة هامة من وسائل جمع البيانات ، وكان لخصوبة المادة العلمية التى جمعوها عن الشعوب البدائية اثر كبير فى توجيه أذهان الباحثين الاجتماعيين الى استخدام نفس الأسلوب فى البحث وخاصة فى دراسة الجماعات الصغيرة .

وتتميز الملاحظة عن غيرها من أدوات جمع البيانات بأنها تفيد فى جمع بيانات تتصل بسلوك الأفراد الفعلى فى بعض المواقف الواقعية فى الحياة بحيث يمكن ملاحظتها بدون عناء كبير أو التى يمكن تكرارها بدون جهد ، ثم انها تفيد أيضا فى جمع البيانات فى الأحوال التى يبدى فيها المبحوثون نوعا

من المقاومة للباحث ويرفضون الاجابة على أسئلته . ومما يزيد فى أهمية الملاحظة أن الباحث يستطيع ان يستخدمها فى الدراسات الكشفية والوصفية والتجريبية ، وتجميع بيانات لها أهميتها بالنسبة لكل نوع من أنواع الدراسة (١)

ومع أهمية الملاحظة ، الا أن هناك بعض الحالات التى لا يتيسر فيها استخدام هذه الوسيلة فى البحث وهى الحالات الماضية ، وكذلك الحالات التى يرغب فيها الباحث فى دراسة أنواع معينة من السلوك كالسلوك الجنسى أو بعض الأزمات والخلافات الأسرية ، وكذا المواقف التى يصعب فيها على الباحث أن يتنبأ بأنواع السلوك المطلوب دراستها (٢) .

هذا وقد دلت الدراسات المختلفة على أن الملاحظة الدقيقة المثمرة ليست بالأمر الهين اليسير . وللتدليل على ذلك نضرب المثال التالى :

فى أحد اجتماعات مؤتمر علم النفس الذى عقد بمدينة « جوتنجن » اقتحم القاعة فجأة رجل يطارده آخر ممسكا بمسدس . وبعد أن تصارعا فى وسط القاعة انطلقت رصاصة ، ثم أسرع الرجلان بالخروج بعد حوالى عشرين ثانية من دخولهما ، وفى الحال طلب رئيس الجلسة الى الحاضرين كتابة تقرير مفصل عما شاهدوه . وكانت هذه الحادثة قد دبرت من قبل ، وتدرب عليها الرجلان دون علم أعضاء المؤتمر . وقد قدم المشتركون فى المؤتمر أربعين تقريرا عن الحادث وبقراءة التقارير المقدمة عن الحادث وتحليلها وجد أنها مليئة بالأخطاء ، ولم يكن هناك سوى تقرير واحد نسبة أخطائه فيما يتعلق بوقائع الحادث الرئيسية أقل من عشرين فى المائة ، بينما تراوحت نسبة الأخطاء فى أربعة عشر تقريرا بين عشرين وأربعين فى المائة ، وزيدت فى خمسة وعشرين تقريرا على أربعين فى المائة . وقد أمكن الحصول على هذه النتيجة على الرغم من أن الحادثة كلها استغرقت وقتا قصيرا ، وكانت ملفتة بدرجة تكفى لجذب انتباه الحاضرين كما أن تفاصيلها سجلت حال وقوعها بواسطة أشخاص مدربين على الملاحظة العلمية . ولم يكن واحد منهم مشتركا اشتراكا فعليا فيها . وقد اعتاد علماء النفس اجراء تجارب من هذا النوع ، وهى تكاد تسفر دائما عن نتائج متشابهة (٣) .

---

(١) Selltiz et al., op. cit., p. 404.

(٢) Ibid., p. 203.

(٣) Beveridge. W., The Art of Scientific Investigation, London, 1953, p. 160.

ومما يزيد فى صعوبة الملاحظة أن الحواس كثيرا ما تخدع الباحث عن رؤية الأشياء كما حدثت فعلا مثال ذلك ما يأتى :

كان أحد أساتذة كلية الطب يلقى محاضرة على الطلبة ، فأحضر عينة من البول السكرى ، ثم غمس فيه أحد أصابعه لكى يتذوقه . وبعد ذلك طلب الى جميع الطلبة أن يكرروا ما فعله ، ففعلوا به على مضض ، وبعد انتهاء التجربة اتفق الطلبة جميعا على أن البول السكرى حلو المذاق . فما كان من الطبيب الا أن ابتسم قائلا : لقد فعلت ذلك لأعلمكم الدقة فى الملاحظة . فلو أنكم راقبتمونى بعناية ، لكان من الممكن أن تلاحظوا أننى غمست اصبعى الأول فى البول ، بينما وضعت اصبعا آخر فى فمى (١) .

وكثيرا ما يكون العقل نفسه مصدر الخطأ فى عملية الملاحظة اذ أنه يحاول ملء الثغرات — دون وعى — وفقا للخبرة والمعرفة السابقة . واذا يقول جوته : « اننا لا نرى الا ما نعرفه » .

وقد لا يلاحظ الانسان من الظواهر الا ما يتصل باهتمامه ، أو ما يتفق مع اتجاهاته وأغراضه .

ويحدث أيضا أن يخلط العقل بين الفكرة والواقعة بمعنى أن الوقائع قد لا تظهر كما هى ، بل يحيلها العقل الى أفكار مجردة . وهذه الأفكار قد لا يكون لها أصل فى الواقع ، فتكون من خلقه هو .

وعلى هذا فان من الضرورى أن يهتم الباحث باختيار وتدريب القائمين بالملاحظة حتى يستطيع الحصول على بيانات علمية بالمعنى الدقيق . وينبغى على الباحث أن يحدد منذ البداية ما يأتى :

١ — الوقائع التى يجب ملاحظتها .

٢ — كيفية تسجيل الملاحظات .

٣ — الاجراءات التى يجب اتخاذها للتأكد من دقة الملاحظة .

٤ — نوع العلاقة التى يجب أن تقوم بين الملاحظ والوقائع الملاحظة ، وكيفية تكوين هذه العلاقة (٢) .

---

(١) Ibid, p. 162.

(٢) Selltiz et al., cit., p. 205.

وليس من شك فى أن التحديد الدقيق للنقاط الأربعة السابقة يختلف تبعا لنوع الدراسة . فالدراسات التجريبية تستلزم أكبر قدر من الدقة ، على حين أن البحوث الكشفية تتطلب نوعا من المرونة ، أما الدراسات الوصفية فيمكن أن تقف موقفا وسطا بين الاثنين .

***

● أساليب الملاحظة :

للملاحظة أساليب متعددة ، يتداخل بعضها فى بعض ، ويختلف بعضها عن بعض . ويمكن تصنيف هذه الأساليب على الرغم من تعددها فى فئتين عريضتين هما :

الملاحظة البسيطة ، والملاحظة المنظمة . ونعرض لهما فيما يلى :

١ ــ الملاحظة البسيطة Simple Observation

يقصد بالملاحظة البسيطة ملاحظة الظواهر كما تحدث تلقائيا فى ظروفها الطبيعية دون اخضاعها للضبط العلمى ، وبغير استخدام أدوات دقيقة للقياس للتأكد من دقة الملاحظة وموضوعيتها .

ويستخدم أغلب الناس هذا الأسلوب فى التعرف على ظواهر الحياة المحيطة بهم ، كما يستخدمه الباحثون الاجتماعيون فى الدراسات الاستطلاعية لجمع البيانات الأولية عن جماعة معينة من الناس فى بيئة معينة وتحت ظروف معينة من حيث أوجه نشاطهم ، وطرق معيشتهم كدراسة أوجه النشاط التى يمارسها طلبة مدرسة من المدارس ، أو أنواع العلاقات التى تقوم بين جماعة من العمال فى أحد المصانع ، أو دراسة حياة المهاجرين من المناطق الريفية الى المناطق الحضرية أو ملاحظة أوجه النشاط التى يمارسها الأهالى فى حى من الأحياء . ويستخدم هذا الاسلوب أيضا فى كثير من ميادين علم نفس الطفل وعلم نفس الشواذ . ففى علم نفس الطفل مثلا يقوم الباحث بملاحظة العاب الطفل فى فترات مختلفة ليتبين ما يعترى هذه الألعاب من تغيرات ، كما يلاحظ نمو اللغة عند الأطفال فى مراحل السن المختلفة ، وفى علم نفس الشواذ يقوم عالم النفس بملاحظة الأنواع المختلفة لاضطراب الشخصية ، والظروف التى تساعد على انتشار الأمراض النفسية والعقلية تمهيدا لدراستها دراسة أكثر تعمقا وضبطا .

ويمكن أن تتم الملاحظة باحدى طريقتين :

(أ) الملاحظة بدون مشاركة :

وهى التى يقوم فيها الباحث بالملاحظة دون أن يشترك فى أى نشاط تقوم به الجماعة موضوع الملاحظة . وغالبا ما يستخدم هذا الأسلوب فى ملاحظة الأفراد أو الجماعات التى يتصل أعضاؤها ببعض اتصالا مباشراً . ومن مزاياه أنه يهيىء للباحث فرصة ملاحظة السلوك الفعلى للجماعة فى صورته الطبيعية وكما يحدث فعلا فى مواقف الحياة الحقيقية ، كما أنه يجنب الباحث الأخطاء التى قد يقع فيها لو أنه استعان بأداة أخرى لجمع البيانات كالاستبيان ، اذ أن المبحوث قد لا يعبر عن رأيه تعبيرا صريحا ، فيعطى الاجابات التى يظن أن الباحث يريدها أو يتوقعها .

(ب) الملاحظة بالمشاركة :

وهى التى تتضمن اشتراك الباحث فى حياة الناس الذين يقوم بملاحظتهم ومساهمته فى أوجه النشاط التى يقومون بها لفترة مؤقتة وهى فترة الملاحظة . ويستلزم هذا النوع من الملاحظة أن يصبح الباحث عضوا فى الجماعة التى يقوم بدراستها وأن يساير الجماعة ويتجاوب معها ، وأن يمر فى نفس الظروف التى تمر بها ، ويخضع لجميع المؤثرات التى تخضع لها . ولا يكشف الباحث عن نفسه أو يفصح عن شخصيته ليظل سلوك الجماعة تلقائيا بعيدا عن التصنع والرياء . وقد يفصح عن شخصيته ، ويكشف عن غرضه ، وبمرور الوقت يألفه أفراد المجتمع ، ويصبح وجوده أمرا طبيعيا .

وقد شاع استخدام أسلوب الملاحظة بالمشاركة فى ميدان الأنثروبولوجيا الاجتماعية فى دراسة الوحدات الاجتماعية الصغيرة كالأسرة والقبيلة ، وفى دراسة الوحدات الكبيرة كالقرية والمدينة . ومن الدراسات التى استخدم فيها هذا الأسلوب دراسة « ميدلتاون » التى أجراها « روبرت ليند وهلين ليند » التى سبقت الاشارة اليها (١) فقد استخدم الباحثان أسلوب الملاحظة بالمشاركة فى دراستهما لمجتمع مدينة « ميدلتاون » وكانا يجمعان البيانات من جميع الأفراد على اختلاف أوضاعهم الطبقية ، ومستوياتهم الاجتماعية ، وكانا يلاحظان السلوك الفعلى للأفراد فى المصانع والكنائس والمدارس والمحاكم والنوادى والطرق ، وكانا يحضران الحفلات العامة ويستمعان الى المحاضرات العلمية والأدبية فى الأندية الثقافية المختلفة ، ويتناقشان مع الأهالى فى مختلف المسائل التى تهم المجتمع (٢) .

---

(١) راجع ما كتبناه عن هذه الدراسة فى منهج دراسة الحالة :

(٢) Young, P. op. cit., p. 123.

واستعان « كوديل » وهو من علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية بأسلوب الملاحظة بالمشاركة فى دراسته للعلاقات الانسانية داخل احدى مستشفيات الأمراض العقلية بالولايات المتحدة ، حيث قام متخفيا فى دور مريض ، وعاش مع المرضى والاطباء لمدة شهرين دون علم المرضى والاطباء .

واستخدم « نلز اندرسون Nels Anderson » نفس الأسلوب فى دراسته « للهوبو Hobo » فاختلط بهم فترة طويلة فى الاحراش خلال أوقات العمل واوقات الفراغ ، وتمكن من الحصول على بيانات متعلقة بأساليب حياتهم وعاداتهم ومعتقداتهم (١) .

وفى دراسة أخرى عن حياة الموسيقيين قام أحد الباحثين بدور لاعب البيانو (٢) .

وفى جمهورية مصر العربية استخدم الدكتور أحمد أبو زيد أسلوب الملاحظة بالمشاركة فى دراسته التى أجراها لظاهرة الثأر فى قرية بنى مميح ، مركز أبى تيج ، احدى قرى الصعيد ، سنة ١٩٥٨ (٣) .

وتستلزم الملاحظة بالمشاركة أن تكون الطريقة التى يقدم بها الباحث نفسه لأفراد الجماعة مقبولة لأن أقل خطأ يقع فيه قد يؤدى الى اخفاقه فى مهمته ، وفشله فى اجراء دراسته ، ففى مواقف المقابلة مثلا قد يفشل الباحث فى الحصول على بيانات من أحد المبحوثين ، فيستعيض عنه بغيره ، ولكن الأمر يصبح متعذرا بالنسبة لمجتمع بأسره .

وكثيرا ما تكون المجتمعات المحلية منقسمة على نفسها ، وفى هذه الحالة ينبغى على الباحث ألا يظهر بمظهر التحيز لاحدى الجماعات ، فاذا كان الباحث يجرى دراسة فى داخل الأحياء الوطنية فى مدينة ما ، أو يقوم ببحث فى احدى القرى أو فى أحد المصانع ، فان من الضرورى أن يكون حريصا فى اتصالاته حتى يضمن تعاون الجميع معه فى البحث ، وحتى تكون البيانات التى يحصل عليها بعيدة عن التحيز . فقد لوحظ فى احدى الدراسات مثلا

---

(١) Young, Ibid., p. 122.

(٢) Goode and Hatt op. cit., p. 120.

(٣) أحمد أبو زيد : الثأر ، دراسة أنثروبولوجية بإحدى قرى الصعيد ، منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٥ .

أن الباحث كون علاقات قوية بأصحاب العمل دون العمال ، ولذلك كانت النتائج التى توصل اليها غير صادقة (١) .

ومن الضرورى أيضا أن يحدد الباحث منذ البداية درجة المشاركة التى يتطلبها البحث . فقيامه بدور معين فى المجتمع قد لا يسمح له بالحصول على بيانات من أفراد فى مركز أعلى أو أدنى من المركز الذى يشغله ، ولذا ينصح بعض المشتغلين بمناهج البحث بعدم مشاركة الباحث فى نشاط المجتمع مشاركة كاملة وبضرورة اعلانه عن نفسه وافصاحه عن شخصيته حتى يستطيع أن يجمع بيانات من أفراد الجماعة على اختلاف أوضاعهم ومستوياتهم ، كما يسمح بتوجيه ما يشاء من الأسئلة ، لأن المفروض أنه لا يعرف شيئا عن الجماعة التى يقوم بدراستها ، هذا بالاضافة الى أن القائم بدور فى الجماعة قد لا يستطيع أن يكون صورة متكاملة عنها بالدرجة التى يستطيعها العضو الذى لا يشترك فى نشاط الجماعة اشتراكا كاملا ، فالمتفرج يستطيع أن يلاحظ ما لا يلاحظه اللاعب ، ثم أن هناك مواقف تصبح فيها المشاركة الكاملة أمرا عسيرا كاشتراك الباحث فى احدى العصابات ومساهمته فى نشاطها .

ولا يعنى هذا أن المشاركة الكاملة غير مرغوب فيها دائما ، فهى ولا شك تسمح للباحث بملاحظة السلوك بصورة أكثر تلقائية وبدرجة أبعد ما تكون عن التصنع والزيف والرياء ، ثم انها تهيىء للباحث فرصة التعمق فى فهم مختلف المؤثرات التى تخضع لها الجماعة . ويستطيع الباحث أن يحدد درجة المشاركة المرغوب فيها بالنسبة للمشكلة التى يدرسها ، والظروف التى يمكن أن يعمل فى ظلها ، وترى جاهودا أن المشاركة الكاملة تكون ملائمة فى حالتين هما حالة ما اذا كان المجتمع موضوع الملاحظة غير مألوف للقائم بالملاحظة ، وحالة ما اذا كان المجتمع مألوفا تماما لديه لدرجة تصعب معها الملاحظة اذا لم يتعمد القيام بدور مختلف يساعد على تنبيهه الى ما قد لا ينتبه اليه فى حياته اليومية (٢) .

***

● **موضوعات الملاحظة :**

يستعان بالملاحظة البسيطة فى الدراسات الاستطلاعية ، ولذا فان الموضوعات التى تنصب عليها يجب أن تتميز بالمرونة والشمول وعدم التحديد الدقيق . فلدراسة ظاهرة من الظواهر يتعين على الباحث أن يتجه أولا الى

---

(١) Hiller. J. H., Participant Observer and overrapport, in Amer., Social., Rev., 1952, 17, 97-99.

(٢) Jahoda et al., op. cit., Part I., p. 135.

جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات ، وذلك عن طريق ملاحظة جميع الظروف المحيطة بالظاهرة ، ثم يتجه بعد ذلك الى تضييق نطاق ملاحظاته ، فيقصرها على المواقف التى تهمه فقط . فاذا أراد الباحث مثلا أن يدرس العلاقات الاجتماعية بين العمال فى أحد المصانع ، فانه قد يبدأ بالذهاب الى المصنع ، ويتجول بين الأقسام ، ويلاحظ العمال فى عملهم أو فى فترات الراحة ، وقد يحضر اجتماعات مجلس الادارة ، وفى ضوء الملاحظات الأولى التى يقوم بها يمكنه أن يحدد الموضوعات التى تهمه ، والمواقف التى تعنيه أكثر من غيرها ليقصر عليها ملاحظاته التالية .

وعلى الرغم من أن الملاحظة البسيطة يعوزها التحديد الدقيق ، الا انها تتحدد الى حد ما ، بالمشكلة موضوع الدراسة ، والموقف الاجتماعى الذى يحيط بها . ويتضمن هذا الموقف أبعادا رئيسية ، وما على الباحث الا أن يختار من بينها ما يتناسب مع أهداف دراسته . ونعرض فيما يلى لهذه الأبعاد كما تقترحها سيلتيز :

أ - المشتركون : من هم ؟ وينبغى على الملاحظ أن يحصل على بيانات متعلقة بالأفراد من ناحية السن والجنس ، ووضع الفرد فى الموقف الذى يخضع للملاحظة ، ومكانة الفرد نفسه فى المجتمع والأدوار التى يقوم بها ، والصلة التى تربط بين الأعضاء ، هل هم غرباء عن بعض ، هل سبق لهم التعارف ؟ هل هم أعضاء فى جماعة واحدة ؟ واذا كان الأمر كذلك ، فما طبيعة هذه الجماعة ، وكم عدد المشتركين ؟ وما درجة الاختلاط أو العزلة التى تنشأ بينهم ؟

٢ - المكان : ما نوع المكان الذى يحدث فيه الموقف الاجتماعى ؟ تقاطع شارع ... مطعم ... مدرسة رياض أطفال ؟ ... وأى نوع من السلوك يمكن أن يتناسب مع المكان ؟

٣ - الهدف : هل اجتمع الأفراد لغرض معين أم اجتمعوا مصادفة ؟ ولو كانت هناك أهداف محددة فما هى ؟ اشتراك فى جنازة .. اشتراك فى مناسبة دينية .. اجتماع احدى اللجان .. اشتراك فى حفلة ؟

وكيف يستجيب الأفراد بالنسبة للهدف الذى اجتمعوا من أجله ؟ تقبل ؟ اعراض ؟ .. وهل هناك أهداف أخرى بالاضافة الى الهدف الأصلى يسعون الى تحقيقها ؟ وهل تتفق أهداف ورغبات الأفراد مع بعضها أم تتعارض ؟

٤ - سلوك الأفراد الاجتماعى : ماذا يفعل المشتركون ؟ كيف يتصرفون ؟ ومع من ؟ وبأى الأساليب ؟ .

وبالنسبة للسلوك الاجتماعي يجب أن يهتم الملاحظ بما يأتي :

(أ) ما هو الحادث المنبه أو الظروف المثيرة للسلوك ؟ وهل كان سلوك الأفراد عن قصد ؟ أم استجابة لظرف طارىء ؟

(ب) ما هي الأسباب الظاهرة للسلوك ؟ .

(جـ) من هم الأفراد الذين كانوا هدفا للسلوك ؟ .

(د) ما نوع النشاط المرتبط بالسلوك .. ؟ حديث .. جرى .. اشارة .. جلوس ؟ .

(هـ) ما هي الميزات العلية لهذا السلوك ؟ مدى استمراره .. غرابته وبعده عن المألوف .. تأثيره ؟

(و) ما هي الآثار المترتبة عليه ؟ وما نوع السلوك الذي يتطلبه من الآخرين ؟

٥ ـ انتظام وتواتر الموقف الاجتماعي متى حدث هذا الموقف ؟ وما المدة التي استغرقتها ؟ وهل هو موقف اجتماعي عادي متكرر أو موقف فردي فريد في نوعه ؟ وما درجة تواتر الموقف ؟ وما الظروف التي تساعد على حدوثه ؟ وهل يعتبر الموقف نموذجا للمواقف المشابهة ؟ والى أي مدى ؟ (١) .

***

● تسجيل الملاحظة البسيطة :

يتفق أغلب المشتغلين بمناهج البحث على أن من الأفضل أن يسجل الباحث ملاحظاته في نفس الوقت الذي تجرى فيه الملاحظة حتى تقل احتمالات التحيز وضمانا لعدم النسيان (٢) . فبعض الأمور تضيع من الذاكرة عن طريق النسيان وبعضها الآخر قد تحرفه الذاكرة عامدة أو غير متعمدة . وقد يعتقد البعض أن المسائل الهامة لا تضيع أبدا من الذاكرة ، ولكن هذا الاعتقاد غير صحيح . فكم من أمور يراها الانسان أو يسمع عنها ، وتكون لها أهميتها في حينها ثم تضيع بعد ذلك في غياهب النسيان ، وقد يقرأ الفرد ما كتبه عنها وقت حدوثها فتبدو أمامه كما لو كانت جديدة يسمع عنها أو يراها لأول مرة .

ويعارض البعض في تسجيل الملاحظات في حينها لأن ذلك قد يضايق

(١) Selltiz, et al., op. cit., pp. 209-210.

(٢) Goode and Hatt., op. cit., p. 28., Selltiz, et al, op. cit., p. 210.

الأفراد الذين تجرى عليهم الملاحظة أو يثير شكوكهم ، كما أن انهماك الملاحظ فى التسجيل كفيل بأن يشتت انتباهه بين الملاحظة والتسجيل فتضيع منه حقائق قد تكون على جانب كبير من الأهمية . ومن الممكن فى مثل هذه المواقف التى يصعب فيها التسجيل أمام الأفراد موضوع الملاحظة أن يكتفى الباحث بكتابة بعض الكلمات أو النقاط الرئيسية على بطاقة خاصة معدة لهذا الغرض دون أن يثير انتباه أحد . وقد يترك الباحث موقف الملاحظة لفترة قصيرة يسجل فيها ملاحظاته بصورة أوفى ثم يعود لاستئناف ملاحظاته اذا لم يكن ذلك يؤثر على النتائج التى يحصل عليها .

ويختلف أسلوب التسجيل من باحث لآخر ، الا أن من الضرورى أن يكون هناك أسلوب متفق عليه . وهناك طريقتان يمكن استخدامهما للتسجيل :

(أ) التسجيل الزمنى للحوادث ، إى ترتيبها بالنسبة لزمن حدوثها . ويمكن أن يتم بالصورة التى نقترحها فيما يلى :

الوقت	الملاحظات	تفسير الملاحظات
١٠٫٠٠	... ...	... ...
١٠٫١٥	... ...	... ...
١٠٫٣٠	... ...	... ...
١٠٫٤٥	... ...	... ...
١١٫٠٠	... ...	... ...

(ب) تنظيم المادة الملحوظة فى موضوعات أو فئات معينة . ومن الأفيد أن يعد الباحث قائمة بالموضوعات أو الفئات التى يمكن استخدامها قبل ابتداء الملاحظة حتى يسهل عليه التسجيل وحتى لا يفوته شىء له اهميته

ويستحسن دائما أن يجمع الملاحظ بين الطريقتين فى التسجيل . ولضمان دقة التسجيل ينبغى مراعاة ما يلى :

١ — عدم الخلط بين الحوادث الملحوظة وبين التفسيرات الشخصية حتى لا تختلط الحقائق الموضوعية بالجوانب الذاتية .

٢ — يفضل أن يكون هناك أكثر من ملاحظ يستخدمون نفس النظام في التسجيل للمقارنة بين ما سجلوه من ملاحظات ، واستبعاد ما لا يتفق عليه من بيانات أو تفسيرات .

٣ — الاهتمام بتسجيل جميع التفاصيل . فالأمور التى تبدو أمام الباحث غير مألوفة في بداية الملاحظة تصبح مألوفة لديه بمرور الوقت . ولذا يجب العناية بتسجيلها قبل أن تفقد دلالتها وتصبح في نظره أمرا عاديا روتينيا .

٤ — العناية بتحليل الملاحظات أولا بأول . فقد يتبين للباحث أن ملاحظاته لا تحيط بجميع جوانب الموقف ، وفي هذه الحالة يمكنه أن يضيف فئات جديدة الى الفئات التى سبق تحديدها ليجمع عنها بيانات قبل انتهـــاء الموقف الذى يخضع للملاحظة .

٥ — عرض البيانات التى سجلها الباحث على أفراد يهمهم موضوع الدراسة والاســـتفادة بما يدونه من ملاحظـــات في تعديل مواقف الملاحظة ، أو حصرها في موضوعات رئيسية .

***

٢ — الملاحظـــة المنظمة Systematic Observation

يختلف أسلوب الملاحظة المنظمة عن أسلوب الملاحظة البسيطة اختلافا يباعد بينهما من حيث الضبط العلمي والتحديد الدقيق . فالملاحظة المنظمة تخضع للضبط العلمى سواء أكان ذلك بالنسبة للقائم بالملاحظة أو بالنسبة للأفراد الملاحظين أو بالنسبة للموقف الذى تجرى فيه الملاحظة ، كما أنها تنحصر في موضوعات محددة سلفا ، وتقتصر على اجابة الأسئلة أو تحقيق الفروض التى وضعها الباحث . ويشيع استخدام هذا الأسلوب في الدراسات الوصفية والدراسات التى تختبر فروضا سببية ، لما تتميز به الملاحظة المنظمة من دقة وعمق وتركيز على حين أن أسلوب الملاحظة البسيطة لا يستخدم الا في الدراسات الاستطلاعية كما ذكرنا سابقا .

وتتم الملاحظـــة المنظمة اما في مواقف طبيعية بالنســـبة لأفـــراد البحث وذلك بنزول الباحث بنفســـه الى حيث تجـــرى الظاهرة التى يدرســـها على طبيعتها أو بملاحظة الظاهرة في جو المعمل الصناعى ، وكلما كان الموقف طبيعيا كانت النتائج أدق لأن كثيرا من الظواهر يتغير اذا لوحظ في جو المعمل الصـــناعى .

وتتم الملاحظة المنظمة بالمشاركة أو بدون مشاركة من جانب الباحث ؛ وفى الملاحظة بدون مشاركة تقوم الباحث بالاختباء وراء شاشة بصرية يستطيع من خلالها أن يرى الأشخاص الذين تجرى عليهم عملية الملاحظة دون أن يتمكن هؤلاء من رؤيته . أما فى الملاحظة المشاركة فان الباحث لا يستطيع أن يخفى حقيقة مهمته وهى انقيـام بالبحث . ومن الضرورى أن يتدم نفسـه للجماعة قبل بداية الملاحظة بطريقة مقبولة ولن يشرح الهدف الرئيسى من البحث :

وفى الاعداد للملاحظة ينبغى تحديد فئات الملاحظة تحديدا دقيقا بحيث يمكن تصنيف الظواهر الملحوظة وفقا لها ، وليتسنى للقائم بالملاحظة جمـع البيانات المتصلة بموضـوع البحث فقط والتى يمكن أن تؤيد أو تكذب صـحة الفرض الذى وضـعه . كما ينبغى تحديد وحدات الملاحظة . والوحـدة عبارة عن جملة بسيطة يمكن نسبتها الى احدى الفئات ، أما الجمل المركبة فانها تشتمل فى الغالب على أكثر من وحدة (١) . ولذا فان من الضرورى تحديد حجم وحدة السلوك الذى يصنف فى فئة ، فقد يتروح الحجم من فعل واحـد يقوم به فرد واحد الى كل الأفعال التى يقوم بها الفرد خلال زمن الملاحظة .

ولما كانت الملاحظة عملية انتقائية بمعنى أن العقل لا يلاحظ من الظواهر الا ما يتفق مع رغباته واتجاهاته ، ويستبعد الوقائع التى لا تتمشى مع هذه الرغبات والحاجات ، فان من الضرورى العمل على ضـمان دقة الملاحظات وسلامتها . ولذا يستعان فى الملاحظة المنظمة بعدد من الاجراءات ، سنشير اليها فى الفقرة التالية للتأكد من دقة الملاحظـات ، والبعد بها عن عوامل التحيز والانحراف .

وتستلزم الدقة العلمية القيام بتسجيل الملاحظات المنظمة فى حينها للتقليل من احتمالات التحيز ، وضمانا لعدم النسيان ، وليس التسجيل أمرا هينا بل يحتاج الى تدريب واعداد ويقظة من جانب الباحث . وتنطبق الكثير من الملاحظات التى سبق ذكرها فيـما يتصل بتسجيل الملاحظة البسـيطة على الملاحظة المنظمة . ولكن نظراً لأن الموقف موضع الملاحظة المنظمة يكون قد سـبق تحديده تحديدا كافيا فان تسجيل دقائق الملاحظة وتفاصيلها يمكن أن يتم فى ضوء الوحدات والفئات التى سبق تحديدها قبل البدء فى عملية الملاحظة .

***

● الوسائل المستخدمة فى الملاحظة المنظمة :

يستعان فى الملاحظة المنظمة بعدد من الاجراءات والوسائل التى تعين على الوصول الى أكبر قدر ممكن من الدقة العلمية ، وتسـاعد على قياس

---

(١) Sellitz et al., Ibid., p. 226.

عناصر الملاحظات بصدق . ومن أمثلة هذه الوسائل المذكرات التفصيلية ، والصور الفوتوغرافية ، والخرائط واستمارات البحث . كما يستعمل أيضا سلم الفئات ومقاييس التقدير والمقاييس السوسيومترية . وتشترك الملاحظة البسيطة مع الملاحظة المنظمة فى استخدامها للمذكرات والصور والخرائط فى حين أن الملاحظة المنظمة تنفرد باستخدامها للمقاييس السابق ذكرها . نشير فيما يلى الى هذه الوسائل بايجاز :

١ — المذكرات التفصيلية :

يستلزم التسجيل الدقيق لموضوعات الملاحظة تدوينها أولا بأول فى مذكرات وافية تشتمل على دقائق الموقف الاجتماعى . ويمكن عن طريق هذه المذكرات فهم الظواهر والوقوف على العلاقات القائمة بين أجزائها ، كما يمكن الاستعانة بها والاستفادة منها فى مواقف الملاحظة المتشابهة .

٢ — الصور الفوتوغرافية :

يستخدم التصوير الفوتوغرافى فى تحديد جوانب الموقف الاجتماعى كما يبدو فى صورته الحقيقية لا كما يبدو أمام الباحث ، وهو يجنب الملاحظ الخطأ الذى قد يحدث نتيجة لاختيار العقل للوقائع التى تتمشى مع رغباته وحاجاته دون غيرها ، كما أنه يسجل جميع التفاصيل المتعلقة بالظاهرة موضوع الدراسة والتى قد يغيب بعضها عن ذهن الملاحظ .

فاذا أراد الباحث مثلا أن يدرس الحياة الاجتماعية لاحدى الجماعات فانه يستطيع أن يلتقط مجموعة من الصور تبين طرق العمل ونظام المعيشة ووسائل قضاء وقت الفراغ ، وأنواع العلاقات القائمة بين الأفراد ، وشكل المساكن ، وما الى ذلك من جوانب البحث .

وتفيد الصور الفوتوغرافية أيضا فى توضيح مدى التغير الذى يطرأ على حياة الأفراد والجماعات . فلدراسة أحوال العمال المهاجرين الى المناطق الحضرية مثلا يستطيع الباحث أن يبين مدى التغير الذى يطرأ على العمال وعلى أنظمة حياتهم بالرجوع الى مجموعات من الصور تمثل حياتهم فى المناطق التى هاجروا منها والمناطق التى هاجروا اليها حسب ترتيبها الزمنى .

٣ — الخرائط :

توضح الخرائط بدقة العلاقة بين البيئة الجغرافية وبين التنظيمات الاجتماعية القائمة بالمجتمع موضوع الدراسة ، كما تصور كثيرا من الجوانب

التى تهم الباحث الاجتماعي كتوزيع السكان بالنسبة الى توزيع الموارد الطبيعية وأماكن التجمعات السكانية ، وتوزيع المؤسسات الاجتماعية ، ودرجة تركز المشكلات الاجتماعية فى المناطق الجغرافية .

٤ ـ استمارات البحث :

تصمم استمارات البحث بحيث تحتوى وحداتها على العناصر الرئيسية والفرعية للظاهرة التى تخضع للملاحظة ، فتهيىء للقائمين بالملاحظة فرصة استيفاء البيانات المتعلقة بهذه العناصر دون غيرها بطريقة موحدة .

وتفيد استمارات البحث فى أن الملاحظات المدونة بها يمكن تجميعها فى رتب ومجموعات يسهل تحويلها الى بيانات رقمية قابلة التحليل والتفسير فى سهولة ويسر .

٥ ـ نظام الفئات Ctaegory system :

سبقت الاشارة الى أن القائم بالملاحظة المنظمة يعمد الى تصنيف السلوك فى فئات تساعده على أن يصف الموقف الاجتماعى بصورة كمية . ويبدأ الباحث عادة وفى ذهنه عدد كبير من الفئات ثم يضعها تحت الاختبار لاستبعاد بعضها واستبقاء البعض الاخر . والفئة عبارة تصف طبقة معينة من الظواهر التى يصنف السلوك وفقا لها ، وغالبا ما يشمل النظام فئتين او اكثر . ويفيد نظام الفئات فى أنه يمد القائمين بالملاحظة باطار مرجعى موحد ، كما يزيد من ملاحظة الجوانب الرئيسية فى السلوك ملاحظة تتسم بالثبات .

ومن الأمثلة على ذلك ما قام به « بيلز Bales» فى دراسته لنظام التفاعل بالجماعة . فقد بدأ باعداد أكثر من خمسين فئة من فئات السلوك الانسانى ، وبعد أن قام بدراسته جعل يستبعد بعضا منها الى أن وصل إلى ١٢ فئة .

ويوصى بيلز القائمين بالملاحظة بأن يعملوا على انتقاء موضوع كامل من الموضوعات المعروضة للمناقشة ليقوموا بتحليله بحيث تبدأ الملاحظة من المرحلة التى تحاول فيها الجماعة التعرف على الموضوع ويسميها مرحلة طلب المعلومات واعطائها ، الى مرحلة تحديد هذا الموضوع ، الى مرحلة اتخاذ قرار نهائى بشأنه .

وكان « بيلز » يسجل الملاحظات على شريط صوتى متحرك ثم يقوم بعد ذلك بتقسيمه بطريقة تسهل له عملية التحليل(١)

٦ — مقاييس التقدير Rating Scales :

تستخدم مقاييس التقدير فى تسجيل المواقف الاجتماعية بطريقة كمية ، فاذا راد القائم بالملاحظة مثلا أن يسجل درجة مساهمة كل عضو من أعضاء الجماعة فى المناقشة العامة فانه يستطيع أن يستخدم مقياسا للتقدير . وهذا المقياس يقسم الى درجات أو رتب متدرجة من الصفر الى أى درجة يحددها الباحث ولتكن ٦ أو ١٠ بحيث يمثل الطرف الأول المقياس الذى يبدأ من الصفر عدم المساهمة فى المناقشة ، ويمثل الطرف الآخر المساهمة الكاملة فى المناقشة . أما بقية النقط فانها تمثل درجات مختلفة من البعد الذى نلاحظه. ويمكن وضع المقياس بهذه الصورة .

صفر	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
لايساهم مطلقا فى المناقشة										يساهم مساهمة كاملة

وعند اعداد مقاييس التقدير ينبغى اعداد دليل يرشد القائم بالملاحظة الى الطريق السليم لتقدير العوامل المختلفة تقديرا صحيحا .

ومما هو جدير بالذكر أن النتائج التى نصل اليها باستخدام مقاييس التقدير لا تكون بنفس عمق النتائج التى نحصل عليها باستخدام نظام الفئات ، الا أن القائم بالملاحظة قد يلجأ الى هذه المقاييس اذا كان الوقت ضيقا ، واذا كانت امكانيات البحث محدودة .

٧ — المقاييس السوسيومترية :

المقاييس السوسيومترية وسيلة توضح فى بساطة وبمساعدة الرسم التكوين الكامل للعلاقات الكائنة فى وقت محدود بين أفراد جماعة خاصة . وقد اقترح « مورينو Moreno » فى سنة ١٩٢٧ هذه الوسيلة فى قياس

---

(١) للوقوف على ذلك تفصيلا يمكن الرجوع الى :
Rales, R., Interaction Process Analysis. Addison Wesley 1950.

العلاقات الاجتماعية ولتقدير مدى الجذب والتنافر داخل جماعة معينة . وستشير فيما بعد الى هذه الطريقة بشيء من التفصيل :

وفى النهاية نود أن نشير الى أن من الضرورى أن تكون موضوعات الملاحظة المنظمة محددة تحديدا دقيقا ، وأن تجرى فى نظام وترتيب ، وأن تكون بعيدة عن التحيز ، وأن تسجل اثناء القيام بها مع الاستعانة بالمقاييس التى تعين على ثبات وصدق النتائج . كما ينبغى على الباحث أن يكون يقظا سليم العقل والحواس ، قادرا على فهم الموقف الاجتماعى، ومقدرا الظروف التى تحيط به تقديرا سليما ، كما ينبغى ألا يلجأ الى التعميم من ملاحظة واحدة أو يضع ملاحظات فى موقف خاص على مختلف المواقف الاجتماعية .

***

المراجع باللغة الانجليزية :

1. Ackoff, R.L. ; The Design of Social Research, the U. of Chicago Press 1953, chaps. IX, X.

2. Bogardus, E. S. ; Introduction to Social Research. Los Angles, 1936, p. 65-73.

3. Festinger L. ; and Katz, D. : Research Methods in the Behavioral Sciences. New York, 1953, p. 243-99, 381-417.

4. Furfey, P. : The Scope and Method of Sociology. A Metasociological Treatise. New York. 1945. chap. 6.

5. Gee W., Social Science Research Method New York, 1950 p. 198-204.

6. Good, C. ; and Scates. D.; Methods of Research, Educational. Psychological, Sociological. New York, 1945 chap. 6.

7. Goode, W., and Hatt, P. ; Methods in Social Research. New York, 1952, chap. 10.

8. Jahoda M. ; and others. Research Methods in Social Relations, New York, 1952, part. I. chap. 5.

9. Kluchbhn, F. ; «The Participant Observer Technique in Small Communities». Amer. Jour. of Soc. Vol, XLVI, 1940 p. 331-343.

10. Magde, J. ; Ahe Tools of Social Science. New York, 1953. p. 117-43.

11. Selltiz, C., et al. ; Research Methods, in Social Relations, Henry Holt. 1960. chap. 6.

12. Young, P. ; Scientific Social Surveys and Research. New York, 1947, chap. VI.

***

الفصل الثامن عشر

الاستبيان والمقابلة

Questionnaire and Interview

الاستبيان والمقابلة وسيلتان هامتان من وسائل جمع البيانات . ويشيع أستخدامهما فى البحث الاجتماعى حيما تكون البيانات المطلوبة لها صلة وثيقة بمشاعر الافراد ودوافعهم وعقائدهم نحو موضوع معين ، وكذلك بالنسبة للمواقف التى يصعب الحصول على بيانات عنها بطريق الملاحظة كالمواقف الماضية والمستقبلة .

وتعتمد هاتان الوسيلتان معـــا على التقرير الذاتى اللفظى للفرد عن ســـلوكه وعن المؤثرات التى يتعـــرض لهـــا ، ولذا فان توفيق الباحث فى الحصول على المعلومات التى يطلبها يتوقف الى حد كبير على مدى فهمـــه لهاتين الوسيلتين ، والمواقف التى يفضـــل فيها اســـتخدام احداهما على الاخرى ، والقواعد التى ينبغى مراعاتها عند اعداد الاستمارة التى تجمع بمقتضاها البيانات المطلوبة .

ونعرض فى هذا الفصل للموضوعات الآتية :

١ ـــ الاستبيان .

٢ ـــ المقابلة (الاستبار) .

٣ ـــ اعداد استمارة الاستبيان والمقابلة .

أولا ـــ الاستبيان

● المقصود بالاستبيان :

الاستبيان ترجمة للكلمة الانجليزيه Questionnaire ولكلمة فى اللغة العربية ترجمات متعددة . تترجم أحيانا باسم « الاستفتاء » وتترجم أحيانا أخرى باسم « الاستقصاء » . وتترجم احيانا ثالثة باسم « الاستبيان » . وهـــذه الكلمات جميعها تشير الى وسيلة واحدة لجمع البيـــانات تقوم على الاعتماد على مجموعة من الاسئلة ترسل اما بطريق البريد لمجمـــوعة من

الافراد ، أو تنشر على صفحات الجـرائد والمجـلات أو على شـاشة التليفزيون أو عن طريق الاذاعة ، ليجيب عليها الافراد ويقوموا بإرسالها الى الهيئة المشرفة على البحث أو تسلم باليد المبحوثين ليقوموا بملئها ثم يتولى الباحث أو أحد مندوبيه جمعها منهم بعد أن يدونوا اجاباتهم عليها .

ويطلق على الاستبيـان الذى يرسله البـاحث بالبريد أو ينشره فى الصحف والمجـلات اسـم « الاستبيان البريدى Mailed Questionnaire » تمييزا له عن الاستبيان غير البريدى الذى يتولى الباحث أو أحد مندوبيه توزيعه وجمعه من المبحوثين .

ويتفق الاستبيان البريدى وغير البريدى فى أن المبحـوث هو الذى يتولى بنفسه الاجابة على أسئلة الاستمارة وملئها بنفسه دون مساعدة من جانب الباحث .

ويستخدم الاستبيان غير البريدى فى الحـالات التى يمكن فيهـا جمع المبحوثين فى مكان واحد ، وتوزيع الاستمارات عليهم ، كمـا هو الحـال بالنسبة للطلبة فى المدارس ، والعمال فى المصانع والموظفين فى المكاتب .

ومن مزايا الاستبيان غير البريدى أنه تقليل التكاليف ، ويضمن للباحث أن المجيب على أسئلة الاستبيان هو الشخص المطلوب وليس أى شخص آخر ، كما أن نسبة الردود تزداد زيادة كبيرة ، هـذا بالاضـافة الى أن البيانات التى يدلى بها المبحوثون تكون أكثر صدقا ودقة لوجـود البـاحث بنفسه وتأكيده لافراد البحث سرية البيانات وازالته للمخاوف والشكوك من نفوسهم .

***

● مزايا الاستبيان :

١ ــ يستفاد بالاستبيان اذا كان أفراد البحث منتشرين فى أماكن متفرقة ويصعب الاتصال بهم شخصيا . وفى هذه الحالة يستطيع الباحث أن يرسل اليهم الاستبيان بطريق البريد ، فيحصل منهم على البيانات المطلوبة بأقل جهد وفى أقصر وقت ممكن ، فاذا أراد الباحث مثلا أن يقوم ببحث عن خريجى الجامعات فى سنة من السنوات ليحدد المراكز التى وصلوا اليها خلال فترة زمنية معينة ، أو الوقوف على آرائهم بشأن مسألة من المسائل ، فان من الأوفق استخدام الاستبيان البريدى فى جمع البيانات المتعلقة بالبحث حيث انهم لا يشتغلون بعد تخرجهم فى مكان واحد وانما يعملون فى أماكن متفرقة .

٢ ــ يتميز الاستبيان بقلة التـكاليف والجهـد وخاصة اذا نشر على

صفحات الجرائد أو وزع على الافراد . وحتى فى حالة ارساله بالبريد فانه لا يكلف كثيرا اذا قورن بغيره من وسائل جمع البيانات .

٣ — يعطى الاستبيان البريدى لأفراد البحث فرصة كافية للاجابة على الاسئلة بدقة ، خاصة اذا كان نوع البيانات المطلوبة متعلقا بجميع افراد الأسرة ، اذ يمكنهم التشاور معا فى البيانات التى تتطلب اجابة جماعية .

٤ — يسمح الاستبيان البريدى للافراد بكتابة البيانات فى الاوقات التى يرونها مناسبة لهم دون ان يتقيدوا بوقت معين يصل فيه الباحث لجمع البيانات .

٥ — تتوفر للاستبيان ظروف التقنين اكثر مما تتوفر لوسيلة أخرى من وسائل جمع البيانات . وذلك نتيجة للتقنين فى الالفاظ وترتيب الاسئلة وتسجيل الاستجابات . وهو يكفل للمبحوثين مواقف متجانسة نتيجة لعدم اتصال الباحث شخصيا بالمبحوثين .

٦ — يساعد الاستبيان فى الحصول على بيانات حساسة أو محرجة . ففى كثير من الاحيان يخشى المبحوث اعلان رأيه والتصريح به أمام الباحث كأن يدلى برأيه فى سياسة الحزب الحاكم ، أو يعلن رأيه فى رئيس العمل ، أو يتحدث فى نواح تتعلق بالعلاقات الزوجية . أما اذا أتيحت له الفرصة لابداء رأيه فى مثل هذه المسائل بطريقة لا تؤدى الى التعرف عليه — كما هو الحال فى الاستبيان — فانه يدلى برأيه بصدق وصراحة .

٧ — لا يحتاج الاستبيان الى عدد كبير من جامعى البيانات نظرا لان الاجابة على أسئلة الاستبيان وتسجيلها لا يتطلب الا المبحوث وحده دون الباحث .

***

● عيوب الاستبيان :

على الرغم مما يتوافر للاستبيان من مزايا ، فانه لايخلو من عيوب تجعله غير صالح بالنسبة لجميع المواقف . وأهم هذه العيوب ما يأتى :

١ — نظرا لان الاستبيان يعتمد على القدرة اللفظية ، فانه لا يصلح الا اذا كان المبحوثون مثقفين أو على الاقل ملمين بالقراءة والكتابة .

٢ ـــ تتطلب استمارة الاستبيان عناية فائقة في الصياغة والوضوح والسهولة والبعد عن المصطلحات الفنية ، حيث أن المبحوثين يجيبون على الاسئلة بدون توجيه من الباحث . ولذا فان صحيفة الاستبيان لا تصلح اذا كان الغرض من البحث يتطلب قدرا كبيرا من الشرح ، او كانت الاسئلة صعبة نوعا أو مرتبطة ببعضها .

٣ ـــ لا يصلح الاستبيان اذا كان عدد الأسئلة كثيرا لأن ذلك يؤدى الى ملل المبحوثين واهمالهم الاجابة على الاسئلة .

٤ ـــ تقبل الاجابات المعطاة في صحيفة الاستبيان على أنها نهائية وخاصة في الحالات التي لا يكتب فيها المبحوث اسمه ، ففي مثل هذه المواقف لا يمكن الرجوع اليه والاستفسار منه عن الاجابات الغامضة أو المتناقضة أو استكمال ما قد يكون بالاستمارة من نقص .

٥ ـــ حينما يكون هدف البحث دراسة الاتجاهات والآراء الشخصية، فان الاستبيان قد يؤدى للغرض المطلوب ، اذ أن في استطاعة المبحوث أن يناقش الآراء المختلفة مع الآخرين ويتأثر بوجهة نظرهم . وبهذا لا تكون اجاباته معبرة عن رأيه الشخصى .

٦ ـــ يستطيع المبحوث عند اجابته لأى سؤال من أسئلة الاستبيان أن يطلع على الاسئلة التي تليه . فيربط بين السؤال الذي يجيب عنه وبين أسئلة المراجعة Checking Questions التي يقصد بها التثبت من صحة اجابة المبحوث وصدقه في اعطاء البيانات . وبهذا ينكشف أمر أسئلة المراجعة فلا تحقق الغرض الذى وضعت من أجله .

٧ ـــ لما كان الاستبيان يعتمد على التقرير اللفظى للشخص نفسه ؛ فان هذا التقرير قد يكون صادقا أو غير صادق .

ونظرا لعدم وجود الباحث مع المبحوث فانه لا يستطيع أن يتحقق من صدق البيانات بملاحظة السلوك الفعلى للمبحوث أو بمشاهدة الظواهر التى تؤكد له صحة البيانات أو عدم صحتها .

٨ ـــ في غالب الاحيان يكون العائد من صحائف الاستبيان قليلا ولا يمثل المجتمع تمثيلا صحيحا . فقد لاتتعدى نسبة العائد اكثر من ٢٠٪ من المجموع الكلى لافراد المجتمع . وفي هذه الحالة لايستطيع الباحث أن يفسر النتائج في ضوء الردود التي وصلته ، كما يصعب عليه أن يطلق حكما على المجتمع بأكمله . وقد وجد في كثير من الدراسات أن صحائف الاستبيان التى تعود الى الباحث تكون في غالب الاحيان متحيزة وخاصة اذا كان بعض الافراد يهتمون بموضوع البحث أكثر من غيرهم ويرغبون في أن تكون النتائج مؤيدة لوجهة نظرهم .

وقد يعتقد البعض أنه لعلاج هذه المشكلة يمكن زيادة حجم العينة ، غير أن تكبير العينة مع استبعاد المجموعة التي لم يحصل منها الباحث على البيانات المطلوبة لن يحل المشكلة في شيء .

ويرى موسير Moser أن زيادة نسبة الردود تتوقف على عوامل ثلاثة هي : (١) الهيئة المشرفة على البحث وما تتمتع به من نفوذ ، (٢) مادة البحث وأهميتها بالنسبة للمبحوثين ، (٣) نوع المجتمع الذي تجمع منه البيانات والمستوى العلمي الذي وصل اليه أفراده .

ونود أن نلفت النظر في هذا المجال الى أن الاستبيان غير البريدي لا يشترك مع الاستبيان البريدي في كل العيوب السابق ذكرها ، لأن وجود الباحث أو من ينوب عنه مع المبحوثين يهيء الفرصة لعلاج كثير من المشكلات السابقة .

***

● اعداد الاستبيان :

يتطلب اعداد الاستبيان تصميم استمارة تجمع بمقتضاها البيانات المطلوبة . وتتضمن الاستمارة مجموعة من الاسئلة تتناول جميع الميادين التي يشتمل عليها البحث وتعطينا اجاباتها البيانات اللازمة للكشف عن الجوانب التي حددها الباحث . وكلما كانت الاستمارة دقيقة توافرت لها أسباب النجاح . وأمكن الباحث أن يحصل على البيانات التي يرغب في الحصول عليها .

ونظرا لأهمية الاستمارة ، ولتشابه الاسس التي يقوم عليها بناء استمارة الاستبيان مع الاسس المستخدمة في بناء استمارة المقابلة ، فقد رأينا أن نؤجل مناقشة بناء الاستمارة وصياغتها واختبارها الى فترة تالية .

***

ثانيا : المقابلة (الاستبار)

تستخدم المقابلة في كثير من مجالات الحياة . فالباحث الاجتماعي يستخدم المقابلة كأداة لجمع البيانات ، ورجل الاعمال والطبيب ورجل الدين والقاضي ورجل البوليس والصحفي والمدرس والمحامي والاخصائي النفسي والاخصائي الاجتماعي .. كل هؤلاء يستخدمون المقابلة للاستفادة بها في التوجيه أو التشخيص أو العلاج . ويختلف الهدف من المقابلة من مجال الى آخر . ورغم ذلك فان أسلوب المقابلة ، والاسس السيكولوجية التي تقوم عليها والظروف التي ينبغي أن تتوافر لها لتحقيق أغراضها تكاد تكون واحدة بالنسبة لجميع المقابلات أيا كان نوعها .

ولذا فان كثيرا مما نعرضه عن المقابله فى هذا المجال يمكن الاستفادة به ليس فقط فى مجال البحث الاجتماعى ، ولكن فى مختلف المجــالات التى تستخدم فيها المقابلة .

● **تعريف المقابلة :**

تستخدم كلمة « الاستبار » بدلا من كلمة « المقابلة » ويرجع ذلك الى الاصل اللغوى للكلمة ، فالاستبار من سبر وأسبر واستبر الجرح أو البئر أو الماء أى امتحن غوره ليعرف مقداره : واستبر الامر جربه واختبره (١) .

ويعرف بنجهام Bingham المقابلة بأنها « المحادثة الجادة الموجهة نحو هدف محدد ، غير مجرد الرغبة فى المحادثة لذاتها » (٢) وينطوى هــذا التعريف على عنصرين رئيسيين هما :

١ ــ المحادثة بين شخصين أو اكثر فى موقف مواجهة ، ويرى بنجهام أن الكلمة ليست هى السبيل الوحيد للاتصال بين الشخصين ، فخصائص الصوت ، وتعبيرات الوجه ، ونظرة العين والهيئة ، والايماءات ، والسلوك العام ، كل ذلك يكمل مايقال .

٢ ــ توجيه المحادثة نحو هدف محدد . فالمقابلة تختلف عن الحديث العادى فى أن الحديث قد لا يستهدف شيئا ، أو قد يرمى الانسان من ورائه الى تحقيق لذة يجتنيها من حديثه الى الآخرين . أما المقابلة فهى محادثة جادة موجهة نحو هدف محدد . ووضوح هذا الهدف شرط أساسى لقيام عــلاقة حقيقية بين القائم بالمقابلة وبين المبحوث (٣) .

ويعرف انجلش وانجلش English, English المقابلة بأنها محادثة موجهــة يقوم بهــا شخص مع شخص آخــر أو أشخاص آخرين ، هدفها استثارة أنواع معينة من المعلومات لاستغلالها فى بحث علمى أو للاستعانة

---

(١) اقترح هذه الترجمة لكلمة Interview الدكتور يوسف مراد والاستاذ أحمد زكى . أنظر : « ملاحظات على الاستبيان الشخصى وكيفية اجرائه ، بقلم ماى سميث واحمد زكى ، مجلة علم النفس ، ١٩٤٨ ، ج ٣ ، ٣٨١ ــ ٣٨٥ .

(٢) والتر بنجهــام وآخــرون : سيكولوجية المقابلة ، ترجمة فاروق عبد القادر وعزت سيد اسماعيل ، دار النهضــة العربية ، ١٩٦١ ص ٥ .

(٣) راجع فى ذلك :

Hader and Lindeman ; op. cit., pp. 125-126.

بها فى التوجيــه والتشخيص والعلاج(١) . وتعــريف انجلش لا يختلف عن تعريف بنجهام فى تحديده لخصائص المقــابلة الا أنه يتميز عليه فى تحــديد الاهداف الاســاسية للمقــابلة وهى : ١ ـ جمع الحقائق لغرض البحث ، ٢ ـ الاستفادة بها فى التوجيه والتشخيص والعلاج .

وتعرف جاهودا المقابلة بأنها : « التبادل اللفظى الذى يتم وجها لوجه بين القائم بالمقابلة وبين شخص آخر أو أشخاص آخرين(٢).ويشترك هذا التعريف مع التعريفين السابقين فى تحديده للتفــاعل اللفظى الذى يتم بين القائم بالمقابلة وبين المبحوث ، وكذلك فى تحديده لموقف المواجهة ، الا أنه لا يشير الى الهدف من المقابلة كما أشار التعريفان السابقان .

أما ماكوبى وماكوبى Maccoby, Maccobyفإنهما يعرفان المقابلة بأنها « تفاعل لفظى يتم بين شخصين فى موقف مواجهة حيث يحاول أحدهما وهو القائم بالمقابلة أن يستثير بعض المعلومات أو التعبيرات لدى المبحوث،والتى تدور حول آرائه أو معتقداته» (٣) . وهذا التعريف يقتصر على تحديد المقابلة كما يستخدم فى البحث الاجتماعى فقط ، فهو يجعل الهدف من المقــابلة هو مجرد استثارة المعلومات أو التعبيرات التى تدور حولهــا آراء ومعتقــدات المبحوث .

من العرض السابق لتعريفات المقابلة يمكن أن نحــدد الخصــائص الجوهرية للمقابلة فيما يلى :

١ ـ التبادل اللفظى الذى يتم بين القائم بالمقابلة وبين المبحوث . وما قد يرتبط بذلك التبــادل اللفظى من استخدام تعبيرات الوجه ونظرة العين والهيئة والايماءات والسلوك العام .

٢ ـ المواجهة بين الباحث والمبحوث .

٣ ـ توجيه المقابلة نحو غرض واضح محدد . وهذا الغرض يجعلها تختلف عن الحديث العادى الذى قد لايهدف الى تحقيق غرض معين .

***

---

(١) English H., and English ,A., Comprehensive Dictionary Psychological and Psychoanalytical Terms 1958.

(٢) Jahoda et al., op. cit., Part, 1. p. 158.

(٣) Maccoby E., and Maccoby, N., The Interview, A Tool of Social Science, in Lindsey; A Handbook of Social Psychology, 1951.

● مزايا المقابلة :

١ — للمقابلة اهميتها فى المجتمعات التى تكون فيها درجة الامية مرتفعة . فالمقابلة لا تتطلب من المبحوثين أن يكونوا متعلمين حتى يجيبوا على الاسئلة حيث أن القائم بالمقابلة هو الذى يقوم بقراءة الاسئلة .

٢ — تتميز المقابلة بالمرونة . فيستطيع القائم بالمقابلة أن يشرح للمبحوثين مايكون غامضا عليهم من أسئلة ، وأن يوضح معانى بعض الكلمات .

٣ — تتميز المقابلة بأنها تجمع بين الباحث والمبحوث فى موقف مواجهة، وهذا الموقف يتيح له فرصة التعمق فى فهم الظاهرة التى يدرسها، وملاحظة سلوك المبحوث . فيستطيع الباحث مثلا عن طريق مقابلته لافراد الاسرة أن يقف على مدى التفاهم بين الزوج والزوجة ، وأن يلحظ العلاقات المتبادلة بين أفراد الاسرة كما يستطيع أن يجمع بين بيانات عن بعض الظواهر دون توجيه أسئلة قد تبدو محرجة ، وقد يكون لها أثرها فى المبحوثين فيرفضون التعاون مع الباحث ، هذا بالاضافة الى أن المقابلة تساعد الباحث على الكشف عن التناقض فى الاجابة ومراجعة المبحوث فى تفسير أسباب التناقض .

٤ — اذا أراد الباحث أن يوجه أسئلة كثيرة الى المبحوثين ، ففى استطاعته أن يقنعهم بالاهمية العلمية والعملية للبحث وما يمكن أن يستفيده المجتمع من ورائه ، وبهذا يكسب معونتهم ويضمن استجابتهم للبحث .

٥ — توجه الاسئلة فى المقابلة بالترتيب والتسلسل الذى يريده الباحث، فلا يطلع المبحوث على جميع الاسئلة قبل الاجابة عليها كما قد يحدث فى الاستبيان .

٦ — تضمن المقابلة للباحث الحصول على معلومات من المبحوث دون أن يتناقش مع غيره من الناس أو يتأثر بآرائهم . وبذا تكون الآراء التى يدلى بها المبحوث أكثر تعبيرا عن رأيه الشخصى .

٧ — يغلب أن تحقق المقابلة تمثيلا أكبر وأدق للمجتمع لان القائم بالمقابلة يستطيع الحصول على بيانات من جميع المبحوثين خصوصا اذا أحسن عرض الغرض من البحث عليهم ، واختيار الوقت المناسب للاتصال بهم .

٨ — يحصل القائم بالمقابلة على اجابات لجميع الأسئلة . واذا كانت الاجابات ناقصة فانه يستطيع الاتصال بالمبحوثين ويقوم بمقابلة ثانية وثالثة حتى يحصل على البيانات المطلوبة .

***

● عيوب المقـــابلة :

١ — تتعرض النتـــائج التى يحصل عليها القائم بالمقابلة الى أخطاء شخصية راجعة الى نواحى التحيز Bias التى تتعرض لها التقـــديرات والتفسيرات الشخصية ان كانت خطة البحث تقتضى اصدار مثـــل هـــذه الاحكام . زيادة على ذلك فان المقابلة تعكس الاستجابات الانفعالية للقائم بالمقابلة والمبحوث واتجاه كل منهما نحو الآخر .

وقد أوضح ستيوارت رايس Stuart Rice فى دراســـة له الاخطار الخفية الكامنة فى تحيزات القائم بالمقابلة واتجاهاته . وكانت الدراسة تحت عنوان « انتقال التحيز فى المقابلة » (١) ففى سنة ١٩١٣ أمر مكتب نيويورك للبر والاحسان بدراسة الخصائص الجسمانية والعقلية والاجتماعية لنحو ألفين من المعوزين الذين يطلبون مأوى فى دار البلدية ، واجـــرى المقابلة اثنا عشر رجلا متخصصون فى الخدمة الاجتماعية استغرقوا فيها ساعات متعددة من كل ليلة لعدة اسابيع ، وقد قسم المتقدمون بطريقة عشوائية حتى يتسنى لكل باحث أن يقابل عينة غير منتقاة من المجموعة الـــكلية . وكانت المقابلة تستغرق عشرين أو ثلاثين دقيقة توجه فيها أسئلة فى اربع صفحات تتصل بالتاريخ الاجتماعى والمهنى للشخص . وكشفت مراجعة البيانات التى حصل عليها الباحثون ان أنماطا محددة من الاجابات تتواتر بالنسبة للمبحوثين الذين يقوم باحثون معينون بمقابلتهم .

وبالرغم من أن كل قائم بالمقابلة كان باحثا مدربا الا أن تفسيراته تأثرت بأحكامه الشخصية . وأظهر تحليل النتائج أيضا أن تحيزات القائم بالمقابلة كانت تنتقل بواسطة عملية الايحاء الى المبحوثين ، وكانت تؤثر فى اجاباتهم .

٢ — لما كانت المقابلة تعتمد على التقرير اللفظى للمبحوث ، فان الفرد قد لايكون صادقا فيما يدلى به من بيانات ، فيحاول تزييف الاجابات فى الاتجاه الذى يتوسم انه يتفق مع اتجاه القائم بالمقابلة .

٣ — تحتاج المقابلة الى عدد كبير من جامعى البيانات الذين يتم اختيارهم

---

(١) Rice, S. Contagious Bias in the Interview: A Methodological Note, Amr. Journ. of Social, 1929, 35, 420-424.

وتدريبهم بعناية . وتتطلب عملية الاختيار والاعداد والتدريب وقتا طويلا ، ونفقات كثيرة .

٤ — كثرة تكاليف الانتقال التي يتكبدها القائمون بالمقابلة ، وضياع كثير من الوقت في التردد على المبحوثين .

٥ — في المقابلة كثيرا ما يمتنع المبحوث عن الاجابة على الاسئلة الخاصة او الاسئلة التي يخشى أن يصيبه ضرر مادي أو أدبي اذا أجاب عليها . أما اذا كانت شخصيته غير معروفة للباحث فانه قد يعطي بيانات أكثر صحة ودقة من تلك التي يعطيها القائم بالمقابلة .

ونود أن نشير في هذا المجال الى أن العيوب التي ذكرناها لا تقلل كثيراً من أهمية المقابلة . ولا تدفع الباحث الى التخلي عن المقابلة كأداة هامة من أدوات جمع البيانات ، بل انها تدفعه الى العمل على زيادة درجة ثبات وصدق البيانات التي يحصل عليها وذلك بتخطيط المقابلة بحيث تتكيف والهدف المرجو منها . واتخاذ الاحتياطات اللازمة لاكساب المقابلة قيمتها المنهجية التي تعزوها لها .

***

● أنواع المقابلات :

للمقابلة أنواع كثيرة وتصنيفات متعددة . وتختلف هذه الانواع بعضها من بعض من حيث شكلها وموضوعها ومجالها . على أن من الممكن تصنيفها على النحو التالي :

***

(أ) من حيث الغرض :

تنقسم المقابلات الى الانواع التالية :

١ — المقابلة لجمع البيانات :

ويقصد بها المقابلة التي يقوم بها الباحث لجمع البيانات المتعلقة بموضوع البحث . وغالبا ماتكون هذه البيانات من النوع الذي يصعب الحصول عليه بطريق الملاحظة أو تكون ذات صلة وثيقة بمشاعر الافراد ودوافعهم وعقائدهم واتجاهاتهم . وتستخدم المقابلة في الدراسات الاستطلاعية بقصد التعرف على أهم الحقائق المتعلقة بالمشكلة ، وتحديد الفروض التي يمكن وضعها تحت الاختبار ، وتستخدم أيضا في مرحلة الاختبار القبلي لبعض أجزاء البحث وخاصة بالنسبة لتصميم الاستمارة ، كما تستخدم أيضا في الدراسات الوصفية والسببية للتحقق من صحة الفروض التي يضعها الباحث .

هذا ويتجه العاملون فى مختلف المهن الى اجراء مقابلات دراسية يهدفون من ورائها الى جمع البيانات والحصول على المعلومات المتعلقة بالاشخاص والمواقف المحيطة بهم .

٢ — المقابلة التشخصية :

يستخدم الطبيب والاخصائى النفسى والاخصائى الاجتماعى هذا النوع من المقابلة فى تشخيص حالات العملاء من المرضى وذوى المشكلات . وتهدف هذه المقابلات الى التعرف على العوامل الاساسية المؤثرة فى المشكلة التى يعانى منها العميل ، وتحديد الابعاد الاساسية للمواقف المحيطة به .

٣ — المقابلات العلاجيه :

يقصد بها المقابلة التى تهدف الى رسم خطة لعلاج العميل وتخفيف حدة التوتر الذى يشعر به مع الاستفادة من امكانيات المجتمع(١) .

وينبغى الاشارة الى أن المقابلات التى تجرى بقصد الدراسة أو التشخيص أو العلاج تتداخل فيما بينها تداخلا تاما بحيث يصعب اقامة الحدود الفاصلة بينها . والقائم بالمقابلة حينما يجرى مقابلات من أى نوع لا يحاول أن يقيم حدودا صناعية بين الانواع الثلاثة ، كل ما فى الامر أنه يقوم بابراز هدف واحد فى كل خطوة من خطوات العمل . فتتسم مقابلاته الاولى بسمة الدراسة ، بينما تتسم مقابلاته التالية بسمة التشخيص ، فى حين أن مقابلاته الاخيرة تتسم بسمة العلاج .

(ب) من حيث عدد المبحوثين :

يمكن تقسيم المقابلات الى النوعين التاليين :

١ — المقابلة الفردية :

وهى التى تتم بين القائم بالمقابلة وبين شخص واحد من المبحوثين ، ويتطلب هذا النوع كثيرا من النفقات والوقت والجهد ، ورغم ذلك فهو النوع الاكثر شيوعا فى الدراسات النفسية والاجتماعية .

---

(١) يمكن الرجوع الى بنجهام : سيكولوجية المقابلة ، الفصل الحادى عشر والفصل الثانى عشر للوقوف على ماكتبه عن مقابلة ذوى المشكلات ، احمد السنهورى : أصول خدمة الفرد ، الفصل الثالث .

٢ ـ المقابلة الجماعية :

وهى التى تتم بين الباحث وبين عدد من الافراد فى مكان واحد ووقت واحد . ويستخدم هذا النوع من المقابلة لتوفير الوقت والجهد والحصول على معلومات أوفر ؛ ذلك لان اجتماع عدد من الافراد يساعدهم على تبادل الخبرات والآراء وتذكر التفاصيل التى قد تغيب عن أذهان بعض الافراد اذا أجريت معهم مقابلات على المستوى الفردى ، ثم ان وجود أفراد معا يهيىء لهم فرصة المشاركة فى المناقشات الجماعية والتعبير عن آرائهم .

ومن الشروط الواجب توافرها فى تكوين الجماعة الا يكون حجمها كبيراً الى الدرجة التى يتعذر فيها على بعض الاعضاء الاشتراك فى المناقشات الجماعية ، كما ينبغى أن يتوفر أكبر قدر ممكن من التجانس بين أعضاء الجماعة سواء من ناحية النوع أو السن أو المستوى الاقتصادى أو الثقافى .

أما بالنسبة لسير المناقشة الجماعية فينبغى أن يأخذ القائم بالمقابلة فى الاعتبار جميع الافكار التى تثار حتى التى تبدو لاول وهلة تافهة أو بعيدة عن الموضوع لانها قد تنفع فى استثارة أفكار أخرى لدى أعضاء آخرين . واذا كان بعض أفراد الجماعة هادئين ساكتين بطبيعتهم أو ممن يشعرون بالعزلة أو الشعور بالاستعلاء ، فان على القائم بالمقابلة أن يخلق الحوافز التى تدفعهم الى المناقشة وابداء الرأى ، واذا أراد بعض الاعضاء احتكار المناقشة أو فرض آرائهم على المجموعة فعلى القائم بالمقابلة ان يعالج الامر بلباقته ليتيح للجميع بالمساهمة فى الرأى ، كما يجب عليه الا يسمح بظهور معسكرات متضاربة فى الرأى ، أو وجود مناقشات جانبية بين فرد أو أكثر حتى لاتتشتت المجموعة فلا تؤدى المقابلة أهدافها ، كما ينبغى ألا تشتمل المقابلة الجماعية على بعض الموضوعات المحرجة لبعض الأفراد حتى تسير المقابلة فى جو طبيعى .

(ج) من حيث درجة المرونة فى موقف المقابلة :

تنقسم المقابلات من حيث درجة مرونتها الى نوعين :

١ ــ المقابلة المقننة :

وهى التى تكون محددة تحديدا دقيقا . وينصب هذا التحديد عن عدد الاسئلة التى توجه الى المبحوثين وترتيبها ونوعها ان كانت مقفولة أو مفتوحة . وعلى القائم بالمقابلة أن يوجه الاسئلة الى جميع المبحوثين بنفس الاسلوب وبنفس الترتيب وبنفس الطريقة . وفى حالة وجود اسئلة مفتوحة

فلا توجه الا أسئلة التعمق والاستيضاح فقط (١) .

***

٢ ــ المقـــابلة غير المقننـــة :

وهى التى لا تحدد أسئلتها أو تمثل الاستجابات لهذه الأسئلة تحديداً مسبقا. وقد استخدم هذا النوع من المقابلة فى البحوث الانثروبولوجية والفحوص الاكلينيكية السيكولوجية ، ثم استخدم فى مجال البحوث الاجتماعية للحصول على بيانات متعمقة عن الاتجاهات والدوافع الاجتماعية . ويتميز هـذا النوع بالمرونة الكافية التى تسمح للقائم بالمقابلة بالتعمق فى الحصول على المعلومات المتعلقة بالمبحوث والموقف المحيط به . كما أنه يسمح للمبحوث بالتعبير عن شخصيته تعبيراً حرا تلقائيا ، وبقدر ما تكون استجابات المبحوث تلقائية بقدر ما تحقق المقابلة أهدافها . وتصلح المقابلات غير المقننة فى الدراسات الاستطلاعية للوصول الى الفروض التى يمكن اخضاعها بعد ذلك للاختبار المقنن . ونظرا لما تتميز به المقابلات غير المقننة من مرونة فانها تحتاج الى مهارة فائقة من جانب الباحث حتى يستطيع تحليل نتائج مقابلاته والمقـــارنة بينها (٢) .

ويقصد بها ذلك النوع من المقابلة الذى يرتكز على خبرة معينة مر بها البؤرية ، و « المقابلة الاكلينيكية » و « المقابلة المرتكزة حول العميل (٣) . ونشير فيما يلى الى هذه الانواع بايجاز .

(أ) المقـــابلة البـؤرية Focused Interview :

ويقصد بها ذلك النوع من المقابلة الذى يرتكز على خبرة معينة مر بها المبحوث والآثار المترتبة على هذه الخبرة . فاذا كان هناك موقف معين أو مجموعة مواقف اشترك فيها المبحوثون كرؤية مسرحية أو الاشتراك فى حشد أو قراءة رواية معينة ، فان الباحث يبدأ بتحليل المواقف تحليلا مبدئيا للوقوف على عناصره وتحديد بعض الفروض المؤقتة . ثم يحدد الموضوعات التى يرغب فى دراستها ، ويعـــد دليلا للمقابلة Interview Guide يتضـــــمن الجوانب الرئيسية التى سبق تحديدها دون أن يتضمن تحديداً دقيقـــا للأسئلة لأن أسلوب السؤال وتوقيته يترك لتقدير القائم بالمقابلة .

ومن الضرورى أن تدور المقابلة حول الموضوعات التى حددها الباحث ،

---

(١) يمكن الرجوع الى أنواع الأســـئلة فى الفترة الخاصـــة بتـــكوين الاستمارة فى هذا الفصل .

(٢) Selltiz et al., op. cit., p. 263, 264.

(٣) Ibid., p. 264.

ولذا ينبغى على القائم بالمقابلة أن يقصر المناقشات على ما سبق تحديده وخاصة الخبرة الذاتية للأشخاص الذين تعرضوا للموقف للتأكد من تعريفهم الشخصى للموقف . وتساعد استجابات هؤلاء الأشخاص على اختبار الفروض ؛ كما أن الاستجابات غير المتوقعة تؤدى الى فروض جديدة يمكن اخضاعها للبحث العلمى المنظم (١) .

وكلما كان الباحث عارفا بطبيعة الموقف الذى شارك فيه المبحوث . زادت قدرته على الاعداد لموقف المقابلة وفرض الفروض المبدئية عن الموضوعات التى يتضمنها .

ويمكن أن تبدأ المقابلة بسؤال المبحوث عن الموقف الذى تعرض له ، ثم التدرج فى استطلاع استجاباته . ويمكن استخدام الاسئلة المفتوحة أو الأسئلة المقيدة . فيوجه القائم بالمقابلة سؤالا مفتوحا مثل :

— ما الذى أعجبك فى المسرحية التى شاهدتها ؟

أو يوجه سؤالا مغلقا مثل :

هل تعتقد أن الممثلين : (أ) أدوا أدوارهم بنجاح ، (ب) أم أنهم نجحوا الى حد ما ، (جـ) أم أنهم فشلوا فى التمثيل ؟

(ب) المقابلة الاكلينيكية Clinical Interview :

تختلف المقابلة الاكلينيكية عن المقابلة البؤرية فى أن الأخيرة تهتم بخبرة معينة مر بها المبحوث ، فى حين أن المقابلة الأكلينيكية تهتم بمختلف الخبرات التى مر بها ، فهى تدور حول جوانب الشخصية بأكملها لمحاولة الوقوف على المشكلات الخاصة بالتكيف الانفعالى ، وغالبا ما تجمع بين غرض الدراسة والتشخيص والعلاج .

وقد نجح الاخصائيون النفسيون الاكلينيكيون والاطباء الذين يعملون فى مجال التشخيص العقلى والعلاج النفسى فى معرفة الكثير عن العمليات العقلية التى تتفاعل أثناء المقابلة وبصفة خاصة ما يتعلق بالدوافع والحوافز وترابط الأفكار والكف الذى يعوق الصراحة ويؤدى الى الوقوف حائلا دون الافضاء بالحقائق . وتساعد المعرفة بهذه العمليات على فهم طبيعة التحيز

---

(1) Ibid., p. 215, Merton R., and Fiske M. The Focused Interview, Free Press, 1956.

سواء لدى القائم بالمقابلة أو العميل . وتمر الطريق نحـو فهم متبـادل ، وأقوال صادقة ، وأحكام صريحة خالية من التحيز .

ولا يكتفى فى المقابلة الاكلينكية بالتقرير اللفظى الذى يدلى به المبحوث . وانما يهتم القائم بالمقابلة بملاحظة السـلوك غير اللفظى لأهميته الكبرى فى الكشف عن حالة العميل .

وهناك أساليب مختلفة يمكن استخدامها فى المقابلة الاكلينيكية ، ويمكن الاطلاع عليها فى المراجع التى تهتم بمثل هذه الموضوعات .

(هـ) المقـابلة المتمركزة حول العميل :

يعتمد هذا النوع من المقابلة على تشـجيع العميل على التعبير عن مشاعره ودوافع سلوكه ، والتحدث عن أى شىء يجول فى خاطره بأقل قدر ممكن من التوجيه أو التساؤل .

ويعتمد هذا النوع من المقابلة على منهج « كارل روجرز » فى العـلاج النفسى الذى يقوم على تشجيع العميل على الافضاء بكل ما يجول فى خاطره ، والتعبير عن مشاعره تعبيرا حرا تلقائيا .

وينبغى على القائم بالمقابلة أن يصغى جيدا لكل ما يقال ، وأن يقول بعض التعليقـات المختصرة التى تدفـع العميـل الى مواصلة الحـديث والاسترسال فيه كلما هم بالتوقف ، مع تقبل كل ما يقال دون اصدار أحكام أخلاقية على العميل .

***

● كيفية اجراء المقابلة :

لمـا كانت المقابلة تستخدم لجمع البيانات المتعلقة باتجاهات الأفراد وعقائدهم ودوافعهم ومشاعرهم نحو موضوعات معينة ، معتمدة على التقرير الذاتى للمبحوث ، فى موقف مواجهة يقوم على التفاعل المستمر ، والتـأثير المتبادل بين شخصين كلاهما غريب عن الآخر ، فان نجاح المقابلة يتوقف الى حد كبير على مهارة القائم بها ، ومـدى فهمه لدوافع السلوك ، ومقـدار وعيه بمختلف العوامل التى يمكن أن تدفع المبحوث الى الوقوف موقفا سلبيا من الباحث ، أو الى اعطاء بيانات محرفة لا تتسم بالصدق والثبات .

ويجمع أغلب المشتغلين بالبحث الاجتماعى على أن المقابلة فن يحتاج الى مهارة وخبرة وتدريب ، وهذه المهارة والخبرة يمكن اكتسابها عن طريق

الممارسة العملية وذلك بالنزول الى الميدان ، ومقابلة المبحوثين ، والاحتكاك بهم مع الاستفادة بالحقائق العلمية التى توصل اليها علماء النفس والاجتماع وخاصة تلك التى تتعلق بدوافع السلوك ، ومكونات الشخصية ، وأساليب الاتصال والتأثير ، وانواع العلاقات الاجتماعية .

وتفيض المراجع بكثير من النصائح والارشادات التى يمكن الاستفادة بها عند اجراء المقابلة ، وهذه النصائح أغلبها مستمد من خبرات الباحثين الميدانيين ومن الحقائق العلمية عن السلوك ودوافعه ، والاتصال وأساليبه .

ونعرض فيما يلى بعضا منها ، لا ليلتزم بها الباحث التزاما حرفيا ، بل ليأخذ منها ما يتناسب مع الموقف الذى يواجهه ، وليغير فيها حسب طبيعة البحث والظروف المحيطة به .

١ ــ استثارة الدافع للاستجابة :

ان أول ما يسعى اليه القائم بالمقابلة هو استثارة الدافع لدى المبحوث للاستجابة . فالمبحوث يواجه شخصا غريبا ، لا تربطه به صلة سابقة ، ويطلب اليه أن يدلى ببيانات تتصل بشئون حياته الخاصة ، وقد تكون من النوع الذى يقابل بشىء من التستر كما هو الحال عندنا فى الريف المصرى حينما يرغب الباحث فى الحصول على بيانات عن عدد افراد الاسرة مقسمين الى ذكور واناث ، والعمر ونوع العمل والحالة الاجتماعية والزواجية والدخل بمقداره ومصادره . فما الذى يحفز المبحوث الى الاستجابة ، ويدفعه الى التعاون مع الباحث ؟

ليس من شك فى ان درجة الاستعداد للاستجابة تختلف باختلاف الدور الذى يمثله القائم بالمقابلة ، وباختلاف المجتمع الذى يجرى فيه البحث ، ونوع الثقافة السائدة فيه .

فان كان تقديم الباحث من قبل اصحاب السلطة فان ذلك قد يشجع المبحوثين على الادلاء بالبيانات المطلوبة اذا كانوا يقدرون هذه السلطة ويحترمونها ، وقد يدفعهم الى الحذر اذا كان أصحاب السلطة لا يحتلون مكانة طيبة فى نفوس الأفراد ، أو اذا كانت البيانات المطلوبة تتطلب تعبيرا عن رأى أو اتجاه يمس هؤلاء من قريب أو بعيد .

وتشير كثير من البحوث التى اجريت فى الخارج الى أن الناس يهمهم تكوين صلات مع الأشخاص الذين يمثلون مستويات اجتماعية أعلى من

مستوياتهم اكثر ممـــا يهمهم تكوين هذه الصـــلات مع أشخاص فى مراكز اجتماعية ادنى . فالافراد من الطبقات العليا قد لا يرون فائـــدة كبيرة فى التعبير عن آرائهم للقائم بالمقابلة ، بينما يحرص الأفراد من الطبقات الدنيا على ابداء آرائهم والتعبير عن وجهات نظرهم (١) .

ويحدث فى بعض المجتمعات أن يبدى الأفراد نوعا من المقاومة للقائمين بالمقابلة ، لانهم يعتبرون المسائل التى يسألون عنها من الأمور التى لا يجوز أن يطلع عليها أى انسان بأى حال من الأحوال ، فى حين أن مثـــل هـــذه المسائل تعتبر أمورا عادية فى مجتمعات أخرى ، ولا يبـــدى الافـــراد أى نوع من أنواع المقاومة اذا سئلوا عنها ، ويرجع ذلك بطبيعة الحـــال الى ظروف المجتمع ونوع التقاليد والقيم والاتجاهات السائدة فيه .

هذا ويتوقف الكثير على القائم بالمقابلة . ومدى فهمه للاشخاص الذين يواجههم ونوع العلاقة التى يستطيـــع أن يكونها معهم . والانطبـــاع الذى يتركه فى نفوســـهم .

وينبغى على القائم بالمقابلة أن يعمل على كسب ثقة المبحوثين ، فيبدأ بمقدمة مختصرة عن الغرض من المقابلة ، والطريقة التى تم اختيارهم بها ، ويبين لهم أن البيانات المطلوبة سرية وأن تستخدم الا لغرض البحث العلمى . وأن البحث يهدف الى الوقوف على مجموع آراء الافـــراد واتجاهاتهم دون البحث عن آراء فرد بذاته ، كما ينبغى عليه الاستعـــداد لتقـــديم ما يثبت شخصيته اذا تطلب الامر ذلك .

ومن الأمثلة التى اتبعت فى بعض البحوث الميدانية التى أجريت بجمهورية مصر العربية ماقام به الاستاذ الدكتور حسن الساعاتى فى بحثه عن التصنيع والعمران بمدينة الاسكندرية . فقد بدأت الاجراءات التمهيدية بالاتصـــال بمديرى المصـــانع لتيسير لقاء القائمين بالمقابلة بالعمـــال ، وفى الوقت ذاته أرسل مكتب العمل بالاسكندرية الى مدير كل من الستين مصنعا — التى وقع عليها الاختيار — خطابا دوريا يخطره فيه بطبيعة البحث وأهميته واســـم القائم بالمقابلة ، وعدد العمال الذين سيجرى استبيارهم (تجرى المقـــابلة معهم) من مصنعه ، وعندما ذهب القائمون بالمقابلة الى المصانع ، وجدوا فى كل منها حجرة معدة لهم ليجروا فيها استبيار العمال الذين كانوا يحضرون اليهم واحدا اثر آخر تحت اشراف أحد المسئولين فى المصنع .

---

(١) Maccoby, E. and Maccoby, N. The Interview : A Tool of Soc. Science. in Lindzey, 1954, p. 462.

وعند بدء الاستبار كان القائم بالمقابلة يشرح للعامل الغرض من البحث بايجاز . أما مديرو الأعمال فى هذه المصانع الستين فقد أظهروا بوجه عام اهتماما بالبحث واحتفظ كل منهم بنسخة من استمارة البحث المطبوعة (١) .

وفى بحث آخــر للدكتورين نجيب اسكندر ابراهيم ومحمد عماد الدين اسماعيل عن الاتجاهات النفسية والاجتماعية نحو العــلاقات العائلية ، اعدت التعليمات الآتية للقائمين بالمقابلة(٢) :

١ ــ ابدأ بمقدمة مختصرة عن الغرض من المقابلة ، ولاحظ أن التطويل فى المقدمة قديستثير ريبة المبحوث ، وأن أفضل بداية هى مثلا : «صباح الخير : أنا طالب فى الجامعة (٣) ، ومطلوب منى أن أعــرف شىء عن الحيــاة .. العائلات والاولاد وتربيتهم ، ودى مهمة بالنسبة لى عشــان الدراسة .. والمسألة أن. هناك شوية أسئلة راح أقولها وانت تدينى الجواب عليهــا وأنا رايح اكتب الحاجات دى من غير ذكر أسماء ولا حاجة ، وعلى اللــه ما يكنش ده فيه أى تعب ليــك » .

٢ ــ على القائم بالمقابلة أن يبين للمبحوثين أن فكرة أخذ رأى الناس عن هذه الأشياء مهمة للتعليم وليس لأى شىء آخر ، وأن المسألة « مافيهاش ذكر اسماء ولا حاجة ولا فيش جواب صح أو جواب غلط ، وانما دى آراء تفيدنا معرفتها » .

***

٢ ــ تهيئة جو المقابلة :

ينبغى أن يخصص للمقابلة الوقت المناسب مع تهيئة المكان والظروف المناسبة . ويقتضى الأمر فى كثير من الأحيان أن تكون المقابلة مقصورة على كل من القائم بالمقابلة والمبحوث ، لان وجود افراد آخرين قد يثير مخــاوف المبحوث ويدفعه الى العدول عن أقــواله . ولتوضيح ذلك نضرب المثــل التالى : جاء فى التقرير الذى نشره المركز القــومى للبحــوث الاجتماعيــة والجنائية عن البغاء أن الباحثين صادفوا مشكلة مادية انحصرت فى عــدم وجود حجرة فى مكتب حماية الآداب بالقاهرة يمكن تخصيصها لاجراء عملية الاستبار . ولذا كانت المقابلة تتم فى الغرف المخصصة للقائمين بالعمل فى مكتب الآداب ، وكان يحدث أحيانا أن يدخل احد رجال المكتب لأخذ شىء من

---

(١) حسن الساعاتى : التصنيع والعمران ، ١٩٥٨ ، ص ٢٢٠ ــ ٢٢٢

(٢) نجيب اسكندر ابراهيم ومحمد عماد الدين اسماعيل : دراسات فى الأسرة ــ ١ ، الاتجاهات الوالدية فى تنشئة الطفل : دار المعرفة ، الطبعة الأولى ، ديسمبر ١٩٥٩ ، ص ٢١٠ .

(٣) كان القائمون بالمقابلة من طلبة كلية التربية .

مكتبه أو لانهاء بعض أعماله . فكان ذلك يؤثر فى موقف البغى ويثير الخوف فى نفسها ، وخاصة اذا ما كانت تدلى باعترافات عن ممارسة المهنة ، حتى أن بعضهن كن يعدلن عما سبق أن ذكرنه وذلك خشية أن تؤخذ أقوالهن دليلاً لادانتهن (١) .

وقد ذكر التقرير أيضاً أن استبار البغايا بمكتب حماية الآداب لم يكن يدفعهن الى الاطمئنان . فالبغى أثناء تواجدها بالمكتب ، تكون فى موقف اتهام ، ولذلك كانت تعد كل سؤال يوجه اليهـا بمثابة استيفاء لاجراءات التحقيق معها مهما قيل لها غير ذلك . ومن ثم فانه كان طبيعيا أن تقف بعض البغايا موقف الريبة والحذر والانكار فى كل ما يدلين به من بيانات ، سواء أكان ذلك يتعلق بممارستها للبغاء بصفة خاصة ، أو تاريخ حيـاتهن بصفة عامة (٢) .

من هذا نستدل على أن من الضرورى أن يعمل القائم بالمقـابلة على الاجتماع بالمبحوث فى غرفة منفردة بقدر الامكان ضماناً لصحة البيانات والبعد بها عن عوامل الانحـــراف .

وتشير أغلب البحوث الميدانية الى أن اشاعة جو من التقبل وعـدم الكلفة يؤدى الى عدم ظهور توترات نفسية لدى المبحوث والى تحرره من الخوف والقلق . مثال ذلك ما جاء فى تقرير تعاطى الحشيش من أن هيئـة البحث كانت تحسن استقبال المفحوصين ، وكانت تحاول الاقلال من الطابع الرسمى للجلسة ، فكانت تقدم لهم السجاير أحيانا وكذلك كانت تقدم لهم بعض المشروبات ، وأنها حرصت على أن تقلل من التوترات النفسية فى جلسة الاستبار ما أمكن ، وذلك عن طريق تنظيم خطوات المقابلة : والاستقرار على نمط معين فى القاء الأسئلة (٣) .

ومن النصائح التى يقدمها هليمان بهذا الصدد ما يأتى :

١ — حدد موعد المقابلة مع المبحوثين قبل القيام بها .

٢ — خصص الوقت الكافى للمقابلة واجعل المبحوث يشـــعر بأنك متفرغ لمقابلته .

---

(١) المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية . البغاء فى القاهرة ، ١٩٦١ ص ١١ .

(٢) نفس المرجع : ص ١١ ، ١٢ .

(٣) المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية : تعاطى الحشيش ، التقرير الأول ، ١٩٦٠ ص ١٦ .

٣ ـ دع المبحوث يتخير الجلسة المريحة قبل البدء فى الأسئلة .

٤ ـ تجنب اجهاد المبحوث بكل الوسائل الممكنة (١).

***

٢ ـ توجيـه الأسئلة

ينبغى الا يبدأ القائـم بالمقابلة بتوجيه أسئلة منصبة على الموضـوع رأسـا ، فقد تثير بعض هذه الأسئلة جوانب الخوف والمقاومة لدى المبحوث. ويفضل ان تكون الاسئلة الاولى من النوع الذى يثير اهتمام المبحوث ، تليها أسئلة متخصصة لها صلة وثيقة بموضوع البحث ، ثم اسئلة أكثر تخصصا ، مع مراعاة أن يكون التدرج فى توجيه الأسئلة متمشيا مع تدرج العـلاقة الودية التى تنشأ بين القائم بالمقابلة وبين المبحوث .

ولكى يحصل الباحث على الفائدة الكافية من المقابلة ، ينبغى اجراؤها بطريق المناقشـة ، فلا تلقى الأسئلة بطريقة جامدة كما تلقى قطعة الاملاء ، ويتطلب ذلك من القائم بالمقابلة أن يقرأ أسئلة الاستمارة قراءة دقيقة قبـل ذهابه الى المبحوث ، وأن يتدرب على طريقـة ملء الاستمارة من الميـدان بتجربتها على بعض زملائه أو معارفه .

وينبغى على القائم بالمقابلة أن يوجه الأسئلة برفق متجنبا أسـلوب التحقيق ومراعيا حـالة المبحوث . فقد يكون المبحوث من الأشخاص الذين يتكلمون ببطء شديد ، أو من الذين يتكلمون بسرعة لدرجة انهم يمضـغون الكلمات . وفى مثل هذه الحالات يجب أن يمنح القائم بالمقابلة للشخص الذى أمامه الفرصة الكاملة التى تجعله يعطى ما يريد بسرعته الخاصة دون أن يستحثه على التأنى أو الاسراع فى الاجابة .

هذا ولا يجب توجيه أكثر من سؤال فى وقت واحد حتى يستطيع المبحوث أن يستجمع أفكاره بالنسبة لكل سؤال وأن ينظم اجاباته تنظيما دقيقا .

وفى حالة استخدام المقابلة غير المقننة ينبغى توجيه الأسئلة بالطريقة التى يفهمها المبحوث . وقد يجد الباحث أن من الأنسب تفتيت السؤال الواحد الى جملة أسئلة ليتدرج فى استخلاص البيانات من المبحوث حسب مستواه الثقافى . أما فى المقابلة المقننة فمن الضرورى توجيه الاسئلة بنفس الاسلوب وبنفس الترتيب لجميـــع المبحـوثين . واذا لـم يفهم المبحـوث المعنى المقصود من أحد الأسئلة فينبغى على القائم بالمقابلة أن يعيد السؤال بتأن مع تأكيد بعض الاجزاء الهامة التى توضح المعنى دون أن يحاول تفسيره من

(١) Selltiz C. , et al, op. cit, P. 576.

بتعديله ، فاذا استمر المبحوث فى عدم فهمه للسؤال ، فيمكن الانتقال الى السؤال الذى يليه .

ويجب ان يظل القائم بالمقابلة ممسكا بزمام المناقشة بحيث يوجهها الى الناحية التى تحقق أهداف البحث دون أن يترك الأمر للمبحوث يوجهه كيفما يشـــــاء .

***

٤ ـ الحصول على الاجابة :

يجب أن يسعى القائم بالمقابلة الى الحصول على اجابات عن جميع الاسئلة ، فاذا وجد أن المبحوث قد أجاب على السؤال فى سؤال سابق فلا ينبغى أن يتخطى عن ذلك السؤال . فمثل هذا السؤال غالبا ما يوضع للتأكد من صحة الاجابة الأولى .

أما اذا كانت الاجابة ناقصة فعليه أن يحـــاول استكمال المعـــلومات الناقصة والتى يرى أنها ضرورية للبحث .

واذا لم يجب المبحوث على أحد الأسئلة قـــائلا « لا أعرف » ، فعلى القائم بالمقابلة أن يحاول معرفة العوامل التى تدفعه الى عدم الاجابة . فقد يكون المبحوث حقا لا رأى له فى الموضوع ، أو لا يكون قادرا على التعبير عن رأيه بالالفاظ أو يكون السؤال غير واضح . وعلى القائم بالمقابلة أن يميز بقدر الامكان بين هذه الحالات وأن يتصرف فى كل موقف بما يناسبه . فقـــد يجد أن من المناسب اعادة السؤال مبتدئا بعبارة مثل «اننى لم أعبر لك تعبيرا كافيا عن السؤال » . ثم يعيد السؤال ببطء مع تأكيد النقط الهامة . أو بعبارة مثل « ان اشخاصا كثيرين لا رأى لهم بشأن هذا الموضوع ، لكنى أرغب فى معرفة رأيك الشخصى » . أو بعبارة مثل « ان الاجابة التى تدلى بها ليس فيها صحيح وخطأ ، ولكنها مسألة رأى » (١) .

واذا حاول المبحوث أن يسأل القائم بالمقابلة عن رأيه هو ، فعليه أن يبتسم مبتسما قائلا له : « ان مهمتى الآن أن أحصل على معلومات لا أن ادلى برأيى الخاص » .

---

(١) Selltiz, C. et al. op. cit., P. 578-579.

ونجيب اسكندر ابراهيم ، عماد الدين اسماعيل ، دراسات فى الاسرة ـــ تعليمات لجامعى البيانات .

ويجب أن يتجنب القائم بالمقابلة الايحاء الى المبحوث باجابة معينة ، وأن يجيد الاصغاء لكل ما يقوله ، وأن يمنحه الفرصة الكاملة ليقول كل ما يريده بالصورة التي يريدها دون أن يخرج عن الموضوع .

فاذا حدث واستطرد المبحوث استطرادا خارجا عن الموضوع ، فما على القائم بالمقابلة الا أن يعيده الى الموضوع برفق ولباقة .

وينبغي الا يظهر القائم بالمقابلة نفورا أو اشمئزازا من المبحوث ، والا يظهر دهشة أو استنكارا لما يقول ، والا يصدر عليه أحكاما خلقية ، فوظيفة القائم بالمقابلة هي الحصول على بيانات من المبحوث دون أن يقف منه موقف الناقد أو الواعظ أو المحقق .

ولكي يحصل الباحث على الفائدة الكاملة من المقابلة لابد من ملاحظة الأحوال الاجتماعية والاقتصادية للمبحوثين أثناء اجراء المقابلة ومطابقتها بما يحصل عليه من اجابات ، ومن الضروري أيضا ملاحظة سلوك المبحوثين وما يطرأ على هذا السلوك من تغير أثناء توجيه الاسئلة وتلقي الاجابة عليها . ومن المستحسن أن ينظر القائم بالمقابلة الى عملية جمع البيانات كأنها دراسة لطباع الناس ، ودراسة الناس بما يصدر عنهم من سلوك حركي وسلوك لفظي هي من أمتع الدراسات في الحياة . « وبهذه الطريقة يمكن أن يتحول جمع البيانات من عملية روتينية آلية أولها مريح وآخرها متعب الى عملية ممتعة أولها متعب وآخرها مريح » (١) .

***

ه — تسجيل اجابات المبحوثين :

ينصح فريق من المشتغلين بمناهج البحث الاجتماعي بعدم تسجيل اجابات المبحوثين أثناء المقابلة لأن التسجيل من شأنه أن يثير مخاوف المبحوثين ، ويدفعهم الى الانفعال والتكلف ، ويمنعهم من الانطلاق التلقائي في الاجابة ، فلا يعبرون تعبيرا صريحا عن آرائهم . ويرون أن واجب الباحث أن يكتفي بتسجيل الاسم والعنوان والسن والوظيفة وما الى ذلك من بيانات أولية ، ثم يعمد الى استكمال البيانات وتسجيل الاجابات بعد انتهاء المقابلة .

غير أننا لا ننصح بتأجيل تدوين الاجابات الى ما بعد المقابلة . فقد أظهرت البحوث الميدانية المختلفة — سواء في جمهورية مصر العربية أو في الخارج أن معظم الاعتراضات التي سبق ذكرها وهمية ولا أساس لها من الصحة .

---

(١) عبد العزيز القوصي : الاتصال بالجمهور وكسب ثقته للحصول على المعلومات ، صحيفة التربية ، مايو ١٩٦٠ .

فالخوف والتكلف وعدم الانطلاق من جانب المبحوثين ، كلها أمور يمكن التغلب عنها فى بداية المقابلة بخلق الظروف الملائمة لموقف المقابلة ، وبإشاعة جو من السماحة والتقبل بين الباحث والمبحوث . هذا بالاضافة الى أن تسجيل اجابات المبحوثين يشعرهم بجدية الموقف فيجعلهم يهتمون بالاجابة والتدقيق فيها . ومن ناحية أخرى فان تسجيل اجابات المبحوثين يجعلهم يشعرون بأهميتهم لأن شخصا ما يهتم بهم لدرجة انه يكتب أقوالهم . ويلاحظ بوجه عام أن المبحوثين يعتبرون تدوين أقوالهم شيئا طبيعيا وأمرا متوقعا(١).

وتشير كثير من البحوث الى أن عدم تدوين اجابات المبحوثين وقت سماعها يؤدى الى نسيان كثير من المعلومات وتشويه كثير من الحقائق . فقد أظهرت نتائج احدى الدراسات أن التقارير التى تكتب بعد الانتهاء من المقابلة مباشرة تحتوى ٣٦٪ فقط من مضمون الإجابات ، والتقارير التى تكتب بعد المقابلة بيومين تحتوى على ٣٠٪ من مضمون الاجابات ، والتقارير التى تكتب بعد اجراء المقابلة بسبعة أيام تحتوى على ٢٣٪ من مضمون الاجابات (٢) .

وقد تبين من احدى الدراسات أن الباحثين الذين كتبوا تقاريرهم عن المقابلة اعتمادا على الذاكرة كانوا يميلون الى الربط بين نقاط لم يربط بينها المبحوثون فى اجاباتهم فعلا (٣) .

وعلى هذا فان من الضرورى تدوين اجابات المبحوثين بعد أن ينتهوا من أقوالهم مباشرة ، وأن يتم ذلك على مرأى منهم ، وأن يكون مطابقا تماما لما يتفوهون به ضمانا لدقة البيانات وسلامة النتائج التى يمكن الوصول اليها . ويمكن أن يتم تسجيل اجابات المبحوثين باستخدام وسائل متعددة ففى غالب الأحيان يستعين الباحث الاجتماعى باستمارة مقابلة . وكلما كانت الاستمارة مقننة ذات اجابات محددة ، سهل على القائم بالمقابلة أن يدون اجابات المبحوثين لان مهمته لن تنحصر الا فى وضع علامة (✓) أمام

---

(١) Maccoby, E., and Maccoby, N., The Interview; A Tool of Social Science, in Lindsey 1954.

(٢) Ibid, pp. 449-487.

(٣) المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية : تعاطى الحشيش ، التقرير الاول ص ٦٦ ، ٦٧ .

الاستجابة التي يتخيرها المبحوث . واذا كانت هناك بعض الأسئلة المفتوحة النهاية فانها لن تحتــاج الى كتابة كثيرة نظرا لقلة عددها . أما اذا كانت المقابلة حرة (غير مقننة) فينبغي تدوين كل ما يقوله المبحوث تدوينا حرفيا الا في الحالات التي يمكن فيهــا الاستغناء عن بعض الكلمات التي لا تؤثر في سلامة المعنى . ومن الممكن الاستعانة بالاصطلاحات المختصرة في الكتابة أو باستخدام طريقة الاختزال .

والى جانب استمارات المقابلة يمكن استخدام أجهزة التسجيل لتسجيل كل ما يقوله المبحوث . وقد يكون ذلك بعلم المبحوث أو بغير علمه . ويعارض كثيرون في اخفاء أجهزة التسجيل لأن ذلك يتعارض مع النواحي الأخلاقيــة التي يجب مراعاتها في مختلف مواقف البحث . ويناقش المركز القــومي للبحوث الاجتماعية والجنائية هذه النقطة في تقرير الحشيش اذ يقــول : « ونريد أن نناقش موضوع التسجيل الآلي الذي لجأت اليه الهيئة في بعض استبياراتها . فقد قررت الهيئة أن تضع جهاز التسجيل واضحا في قاعــة الاجتماع ، وكان يجري أعداده على مشهد من المفحوص ، وكانت الهيئــة تكتفي بذلك أحيانا كأنما هو أمر مسلم به أن يوجد معنا هذا الجهاز كأداة من أدوات البحث ، وأحيانا أخرى كانت تزيد على أن تستأذن المفحوص . ولم يحدث أن رفض أي شخص من المفحوصين تسجيل اجاباته .

واستخدام جهاز التسجيل على هــذا النحو يثير تساؤل البعض على النحو الآتي : ولماذا لا نخفي الجهــاز بحيث لا يشعر المفحوص بوجوده ؟ وبذلك نحفظ عليه تلقائيته وانطلاقه ، غير أن الاقتراح يتعارض مع مقتضيات المسئولية الأخلاقية للباحث نحو مفحوصيه ، وقد يؤدي الى عواقب وخيمة بالنسبة لمستقبل البحث اذا ما عرف ذلك بعض المفحوصين ، ولو على سبيل الظن دون اليقين . فاذا أدخلنا في حسابنا أن هذا النوع من البحوث العلمية الاجتماعية لا يزال في بداية طريقه في مجتمعنا أدركنا الى أي مدى يمكن أن تعم هذه العواقب الوخيمة على مستقبل هــذه البحوث جميعا . وقد نبــه « ماكوبي وماكوبي » على ضرورة مراعاة هذا الجانب الاخلاقي في استخدام آلات التسجيل الميكانيكي في جلسات الاستبار ، كمــا نبها الى أن محاولة بعض الباحثين اخفاء الآلة طــوال جلســة الاستبار ثم اظهارها بعد ذلك للحصول على اذن من المفحوص قد يبدو كذلك عملا لا أخلاقيــا ويثير ثائرة المفحوص (١) .

---

(١) المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية : المرجع الســابق ص ٣٩ ، ٤٠ .

وعلى هذا فان من الضرورى أن يهتم الباحث بتسجيل اجابات المبحوثين مباشرة تسجيلا كتابيا أو آليا . وعلى مشهد منهم ، لتفادى الاخطار التى تترتب على التسجيل من الذاكرة وأهمها النسيان والتحريف .

***

ثالثا : اعداد استمارة الاستبيان والمقابلة

تستلزم عملية جمع البيانات بطريق الاستبيان أو المقابلة اعداد خطة مفصلة للاهتداء بها عند جمع البيانات . وتكون هذه التفاصيل مكتوبة فى شكل أسئلة وأمامها فراغات ليملأها المبحوث بنفسه أو يملأها الباحث بناء على مشاهداته الخاصة وعلى ما يدلى به المبحوثون من بيانات .

ويستخدم بعض المشتغلين بالبحث الاجتماعى مصطلحات متعددة للتفرقة بين استمارتى الاستبيان والمقابلة ، فيطلقون على الأولى مثلا مصطلح « صحيفة الاستبيان أو الاستخبار » بينما يطلقون على الثانية مصطلح « كشف البحث أو الاستمارة » ولكننا نفضل اطلاق مصطلح واحد على كلتيهما وهو « استمارة » نظرا لعدم وجود فوارق جوهرية بين الاستمارتين ولا فى طريقة اعداد كل منهما . وللتفرقة بينهما يمكن أن تقول : استمارة الاستبيان أو استمارة المقابلة (الاستبار) .

وسنحاول فى هذا المجال أن نناقش القواعد الرئيسية التى تستخدم فى اعداد الاستمارة وطريقة صياغة الأسئلة وتسلسلها .

● خطوات اعداد الاستمارة :

هناك عدة خطوات يجب اتباعها عند اعداد الاستمارة . وهذه الخطوات هى :

١ ـــ تحديد نوع المعلومات التى يرغب الباحث فى الحصول عليها .

٢ ـــ تحديد شكل الأسئلة والاستجابات والصياغة وتسلسلها .

٣ ـــ اختبار الاستمارة قبل تعميم تطبيقها على المبحوثين .

٤ ـــ تنسيق الاستمارة واعدادها فى صورتها النهائية .

أ ـــ تحديد نوع المعلومات المطلوبة :

ينبغى تصميم استمارة البحث فى ضوء الاطار العلمى لموضوع الدراسة . ومن الضرورى أن يتم هذا التصميم بناء على خطة محكمة تضمن احتواءها

على جميع النقط الرئيسية والفرعية التى يشتمل عليها البحث ، كما يضمن تسلسل هذه النقط بطريقة منطقية .

ويبدأ تصميم الاستمارة بتحديد الأبواب والميادين الرئيسية التى يتضمنها البحث ، ثم توضع قائمة بالنقط التى يحتويها كل ميدان تمهيدا لوضع أسئلة متعلقة بكل نقطة من هذه النقاط .

وينصح بعض المشتغلين بمناهج البحث الاجتماعى بأن يبدأ الباحث بدراسة كل ميدان من ميادين البحث مبتدئا من الداخل الى الخارج ، أى أن يبدأ الباحث بخبرته الخاصة فى تحديد الميادين التى تتضمنها مشكلة البحث، ثم باستشارة الزملاء والأصدقاء فى نواحى المشكلة ، ثم باستشارة الخبراء فى الموضوع (١) .

وبعد أن ينتهى الباحث من تحديد الميادين العامة للاستمارة والنقط التى يمكن أن تشتمل عليها ، ينبغى أن يتجه الى تحديد عدد الأسئلة اللازمة لكل ميدان من الميادين . وينصح البعض بأن يضع الباحث عشرة أسئلة لكل ميدان من هذه الميادين وترتيبها ترتيبا منطقيا متسلسلا . ويسجل بجوار كل سؤال فى الاستمارة رمزا يدل على الميدان الذى ينتمى اليه وترتيبه بين أسئلة الاستمارة مثل ٣ جـ أو ٤ د أو ١ ٧ . وفى رأيى أنه ليس من الضرورى أن يكون عدد الاسئلة متساويا بالنسبة لكل ميدان بل ينبغى أن يتناسب عدد الاسئلة مع أهمية كل ميدان وما يمكن أن يحتويه من نقاط .

ولتحديد نوع البيانات المطلوبة ينصح كثيرون بضرورة تخيل الباحث النتائج الفعلية التى يمكن أن يحصل عليها . ومن أفضل الطرق لتحقيق ذلك أعداد مجموعة من الجداول التخيلية أو الصماء «Dummy tables» وتتجلى أهميتها فى حصر احتمالات الاجابة فى أضيق الحدود وفى تحديد صيغة السؤال . ولتوضيح ذلك نضرب المثال التالى :

نفرض أننا وضعنا اطارا للبحث عن : الاحوال الاجتماعية التى تؤثر فى الكفاية الانتاجية للعامل المصرى ، واننا فكرنا فى النتائج التى يمكن الحصول عليها من سؤال خاص بحالة العامل المعيشية .

هل يعيش بمفرده أم فى داخل أسرة ؟ فاننا نجد أن من الممكن الحصول

---

(١) السيد محمد خيرى : الاحصاء فى البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية ص ٤٧٥ .

على استجابات مختلفة (١) . ومن الممكن تحليل النتائج التي يمكن الحصول عليها من العمال — وليكن عددهم ٥٠٠ عامل — في جدول كالآتي :

توزيع العمال حسب الحالة المعيشية

الحالة المعيشية	عـــدد العمال
يعيش بمفرده	
مع أسرة	
مع أقارب	
مع أصدقاء	
مع آخرين	
المجمـــوع	٥٠٠

ولكي يتمكن الباحث من الحصول على مثل هذه النتيجة ، كان لزاماً عليه أن يوجه السؤال التالي : « مع من تعيش » ؟ ثم عليه أن يضـــع الاحتمالات المختلفة للاجابة بما يتفق مع الفئات التي حـــددها في الجدول التخيلي ليختار المبحوث احداها .

***

٢ — تحديد الأسئلة وصياغتها وتسلسلها :

● شكل الأسئلة :

هناك نوعان من الأسئلة أحدهما يطلق عليه اسم الأسئلة المفتوحة النهاية (غير المقيدة) والآخر يطلق عليه اسم الأسئلة المقيدة أو المحددة "Structured"

ولكل نوع مزاياه وعيوبه . فالأسئلة المفتوحة لها فائدتها الكبرى اذا كان الميدان جديدا . واذا أراد الباحث أن يسمح للمبحوث بالتعبير الحر التلقائي ، فيترك له حرية التعبير عن مشاعره وانفعالاته . وفي كثير من الأحيان تعتبر الأسئلة غير المقيدة خطوة لازمة لعمل الاستمارات ذات الأسئلة المقيدة حتى

---

(١) من دراسة عن العوامل الاجتماعية وعلاقتها بالكفاية الانتـــاجية للعامل المصري في الصناعة ، إعداد أسامة أبي نصار ، ومحمود عبد الخالق تحت اشراف الدكتور عبد الباسط محمد حسن .

تكون الأخيرة نابعة من واقع الحياة الاجتماعية وليس نتيجة التفكير الذاتي للباحث وحده . ومن عيوب الأسئلة المفتوحة أن كثيراً من البيانات المطلوبة لا يتيسر الحصول عليها من توجيه أسئلة مفتوحة ، ذلك أن المبحوث قد يغفل الاجابة عن بعض النقط الهامة بالنسبة للبحث ، فيستحيل في هذه الحالة المقارنة بين المبحوثين . ومن عيوب الأسئلة المفتوحة أيضا أن البيانات التي يحصل عليها الباحث يصعب تحليلها احصائيا .

أما الأسئلة المحددة أو المقيدة فهي التي يطلب فيها الاستجابة بأحد المتغيرات المحددة مثل (نعم) أو (لا) أو (موافق) أو (لاأعرف) . وقد تتدرج المتغيرات في كل سؤال من النفي المطلق الى النفي المعتدل الى التأييد المعتدل الى التأييد المطلق .

مثال ذلك : أوافق — أوافق نوعا ما — لا أدري — لا أوافق نوعا ما — لا أوافق . وقد توضع قوائم اجابات متعلقة بكل سؤال ، وما على المبحوث الا أن يضع خطا تحت الرأي الذي يميل اليه أو علامة (✓) ليقرر بذلك اختياره واجابته .

وتسمى هذه الأسئلة في بعض الأحيان بالأسئلة الانتخابية لأنها تستخدم غالبا في الدراسات التي تحاول التنبؤ بنتائج الانتخابات ، ويستخدم هذا النوع من الأسئلة اذا كانت الاستجابات محدودة ومعروفة . ومن مزايا هذا النوع من الأسئلة أنها توجه ذهن المبحوث وجهة معينة بحيث تتفادى الاستطرادات التي لا مبرر لها والتي تستند أحيانا الى تداعيات سطحية . وهذا من شأنه أن يوفر كثيراً من الوقت والجهد ثم انها تجعل الاجابة سهلة على المبحوث دون أن تحتاج الى تفكير طويل ، وفي نفس الوقت تيسر عملية تسجيل الاجابة وعمليات التحليل الاحصائي للبيانات . ومن عيوبها أنها لا تسمح للمبحوث بأن يعبر عن نفسه تعبيراً حراً كاملاً . ويحاول البعض أن يجمع بين مزايا هذين النوعين . فيصممون الاستمارة بحيث تكون الأسئلة مفتوحة ، ثم تقيد في الحالات التي يتوقعون فيها احتمال بعد الاجابة عن المطلوب .

ومن أمثلة الأسئلة المفتوحة ما يأتي :

١ — ما أكثر مشكلة تتوقع أن تواجهها في عملك الجديد ؟

٢ — ما هي في رأيكم الأسباب العامة المؤدية الى انحراف بعض الطلاب ؟

٣ ــ ما هى أهم الاقتراحات التى ترى ادخالها فى المدرسة لمعالجة نواحى الانحراف التى أشرت اليها ؟

ومن أمثلة الأسئلة المقيدة ما يأتى :

١ ــ أى الطبقات الاجتماعية تعتقد أنك تنتمى اليها ؟

(أ) الطبقة الغنية ( )

(ب) الطبقة فوق المتوسطة ( )

(جـ) الطبقة المتوسطة

(د) الطبقة دون المتوسطة ( )

(هـ) الطبقة الفقيرة ( )

٢ ــ كيف تقضى اجازتك الاسبوعية ؟

(أ) فى المقهى ( )

(ب) فى نادى رياضى ( )

(جـ) فى البيت ( )

(د) فى منظمة دينية ( )

(هـ) أماكن أخرى ( )

٣ ــ هل أنت راض عن مسكنك ؟

(أ) نعم ( )

(ب) لا ( )

٤ ــ فى حالة الاجابة بالنفى : ما سبب عدم رضاك عن مسكنك ؟

(أ) ضيق المسكن ( )

(ب) ارتفاع الايجار ( )

(جـ) بعده عن العمل ( )

(هـ) أسباب أخرى تذكر ( )

وتفضل الاسئلة المفتوحة فى الدراسات الاستطلاعية حيث يكون الميدان جديدا والاستجابات غير معروفة للباحث . ولذا فانه يبدأ بعدد من الاسئلة المفتوحة ليكتشف عن طريق اجابتها الميادين التى يمسها البحث ونوع الاستجابات اللازمة(١) .

---

(١) راجع ما كتبناه عن الدراسات الاستطلاعية فى هذا الكتاب .

أما فى حالة معرفة جميع الاحتمالات الممكنة للاجابة فان الأسئلة المقفلة تكون أفضل بكثير من الاسئلة المفتوحة .

***

● الأسئلة من حيث الصياغة والمضمون :

هناك قواعد أساسية يجدر بالباحث مراعاتها بشأن صياغة الاسئلة. ونورد هنا أهم القواعد المتفق عليها لتكون بمثابة توجيهات وارشادات للباحثين ، ولمعرفة طبيعة الأخطاء التى يمكن أن يتعرض لها الباحث حتى يمكنه تلافيها . وهذه القواعد هى :

١ ـــ يجب أن تكون لغة السؤال سهلة وبسيطة ومتمشية مع مستوى ثقافة المبحوثين . فأسلوب استمارة موجهة الى طائفة من المثقفين يجب أن يختلف عن أسلوب استمارة موجهة الى العمال والفلاحين . وفى حالةوجود عناصر تختلف فى مستوياتها الثقافية يجب اختيار اللغة التى يفهمها أقل الناس ثقافة . وليس هناك ما يمنع من استخدام اللغة العربية البسيطة أو اللغة العامية .. وقد استخدمت اللغة العامية فى كثير من الاستمارات التى وضعت فى جمهورية مصر العربية نظرا لانخفاض المستوى التعليمى بين كثير من فئات المجتمع .

ففى بحث أجراه بعض طلبة بكالوريوس الخدمة الاجتماعية تحت أشراف المؤلف والاستاذ سليمان مرزوق عن عمال التراحيل بمحافظة الدقهلية،حاول الباحثون مساعدة المبحوث على التعبير الحر عن رأيه دون تحرج أو تزمت أو اصطناع لهجة أو أسلوب معين يختلف عن الاسلوب الذى يستخدمه فى حديثه العادى ، فبدأوا بصياغة الأسئلة باللغة العربية البسيطة ثم قاموا بما يشبه الترجمة الى اللهجة العامية ليفهمها جميع أفراد العينة(١) . وهذه عينة من الأسئلة بعد تحويلها الى العامية :

١ ـــ ما نوع العمل السابق ؟

كنت بتشتغل ايه ؟

---

(١) أحمد ابراهيم سالم ومحمود حمزة مهنا وعبد العزيز عبد الله وآخرون : دراسة اجتماعية لعمال التراحيل بمحافظة الدقهلية ، كلية الخدمة الاجتماعية بالقاهرة ، تحت اشراف الاستاذ سليمان محمود مرزوق والدكتور عبد الباسط محمد حسن .

٢ — كم كان أجرك اليومى ؟

كنت بتاخد كام فى اليوم ؟

٣ — كم ساعة كنت تشتغل يوميا ؟

كنت بتشتغل كام ساعة فى اليوم ؟

٤ — ما مصادر الدخل التى كنت تعتمد عليها أثناء التعطل ؟

لما كنت بتعطل كنت بتصرف منين ؟

وفى بحث الدكتورين نجيب اسكندر ابراهيم ومحمد عماد الدين اسماعيل عن الاتجاهات الوالدية فى تنشئة الطفل استخدم الباحثان اللهجه العامية فى صياغة اسئلة الاستمارة . ولنضرب مثالا لنوع الأسئلة :

١ — ساعات الواحد يبقى عنده وقت فاضى ويبقى عاوز يقضيه فى حاجة غير الشغل ، ايه الحاجات اللى الواحد ممكن يعملها فى وقت ده ؟

٢ — فيه ناس لما تجيلهم ناس صحاب يخلوا الست (الجماعة) تقعد معاهم ، ايه رأيك ؟ (موافق ولا مش موافق) ؟ (١) .

وفى بحث تعاطى الحشيش حاولت الهيئة أن تصوغ الاستمارة باللغة العربية البسيطة ، الا أنها بعد تجربة الاستمارة رأت أن من الضرورى صياغة أسئلة الاستمارة باللهجة العامية تماما ليفهمها جميع أفراد العينة . وقد وضعت الهيئة قائمة بالكلمات العربية بعد تحويلها الى العامية منها :

هل = ياترى ؟

ماذا = ايه ؟ ..

ما سبب = ليه او ايه السبب ؟ ..

---

(١) نجيب اسكندر ابراهيم ، ومحمد عماد الدين اسماعيل : المرجع السابق ، ص ٢١٢ .

الأرق = يتقلق بالليل ؟
رئيس = ريس ..
باهت = بهتان(١) .

وتنصح الهيئة التى أشرفت على بحث تعاطى الحشيش بأنه لايكفى أن يجلس الباحث الى مكتبه ويقوم بعملية الترجمة الى العامية ، فهناك ألفاظ كثيرة لا يشيع استخدامها الا داخل فئات اجتماعية معينة ، ولذا لابد من التجريب المباشر للالفاظ حتى يمكن اختيار الكلمة المناسبة التى تمثل المعنى الذى يقصده الباحث الى المبحوث بأوضح صورة ممكنة .

٢ ـــ يجب الا تشتمل الأسئلة على وقائع شخصية أو محرجة دون أن تكون هناك فرصة للمناقشة بين الباحث والمبحوث لشرح الهدف من هذه الأسئلة بنوع خاص ، واعطائه الضمانات الكافية للتأكد من أن البيانات التى سيدلى بها ستظل سرية ولن تستخدم الا لغرض البحث العلمى .

٣ ـــ يجب صياغة الأسئلة بطريقة لا توحى باجابة معينة فلا نقول :

أظنك موافق على كذا ؟ بل نقول : ما رأيك فى كذا ؟ كما يجب أن نبتعد عن الأسئلة التى تدفع المبحوث الى الادعاء ، فلا نقول له : أظنك تذهب الى المسجد أو الكنيسة بانتظام ؟ بل يستحسن أن نسأله : هل لديك الوقت الذى يسمح لك بالذهاب الى المسجد أو الكنيسة ؟

ولأسلوب السؤال تأثير كبير فى النتائج التى يحصل عليها الباحث . ومن الدراسات الكلاسيكية فى هذا المجال الدراسة التى أجراها السيكولوجى الانجليزى « مسكيو Muscio» فقد أراد أن يقيس دقة البيانات التى يحصل عليها بالاجابة عن أسئلة متنوعة الأساليب . وكانت الاسئلة ذات ثمانية أنماط . فبعضها يحتوى على أداة معرفة مثل : هل رأيت الـ .... ؟ وبعضها الآخر لا يحتوى على أداة معرفة مثل : الم تر ... ؟ . الى غير ذلك من أنماط . وقد وجد أن الاجابات التى يحصل عليها تختلف باختلاف النمط الذى يوضع فيه السؤال(٢) . وعلى هذا فان من الضرورى مراعاة الدقة التامة فى صياغة الأسئلة .

---

(١) المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية : تعاطى الحشيش: التقرير الاول ، ص ٥٨ .

(٢) Musico, B. «The Influence of the Form of the Question», British Journ. of Psych 1916, 8 : 351-389.

٤ — يجب الا تكون صيغة السؤال قابلة للتاويل حتى يفهم المبحوث المعنى الذى يقصده الباحث دون غيره .

٥ — يجب الابتعاد عن الاسئلة المزدوجة . فلا نقول : هل انت طالب وموظف ؟ أو هل انت راض بحالتك أم غير راض ؟.. فقد تأتى الاجابة عليها بنعم أو لا . فلا يكون لهذه الاجابة معنى . ولذلك يحسن أن نذكر احتمالات الاجابة منفصلة ، ويترك للمبحوث أمر الاختيار بينها بما يلائمه .

٦ — عند السؤال عن شيء يمكن قياسه فيجب الابتعاد عن الاسئلة الكيفية كلما أمكن استخدام مقاييس كمية . فلا نسأل عن الوقت الذى يستغرقه فى الوصول الى العمل بأنه طويل أو قصير ؛ بل نسأل عن الزمن بالساعات أو بالدقائق ، ولا نسأل عن الحرارة اذا كانت معتدلة أو مرتفعة أو منخفضة ؛ بل نسأل عن درجة الحرارة . وبالمثل اذا سألنا عن طول شارع أو التهوية فى المنزل ... وهكذا .

٧ — اذا كانت الاسئلة من النوع المحدد . فيجب اعطاء جميع الاجابات المحتملة عليها ؛ وفى حالة عدم التأكد من أن الاجابات لا تمثل جميع الاستجابات الممكنة ؛ ينبغى اضافة جملة : بيانات أخرى تذكر .

٨ — يجب أن يكون الباحث متأكدا من أن لدى المبحوثين المعلومات أو الآراء التى يستطيعون الاجابة بواسطتها على الاسئلة . وفى حالة احتمال عدم معرفتهم الاجابة ينبغى اعطاؤهم فرصة للتعبير عن ذلك بأن توضع فى السؤال خانة : لا أعرف .

٩ — يجب صياغة بعض الاسئلة بأكثر من صياغة للتأكد من صحة الاجابات التى يدلى بها المبحوث ، ويعرف هذا النوع من الأسئلة باسم أسئلة المراجعة . فالسؤال عن السن قد يعززه سؤال آخر عن تاريخ الميلاد ، أو عن السن وقت الزواج ومدة الحياة الزوجية . على أنه يستحسن أن تصاغ أسئلة المراجعة بشكل يخفى مغزاها الحقيقى ، كما يحسن الا تتلو بعضها بعضا .

١٠ — ينبغى ألا تتطلب الاسئلة من المبحوث تفكيرا عميقا أو القيام بعمليات حسابية معقدة . فليس من المعقول أن يطلب الى المبحوث تقرير المصروفات موزعة على المأكل والملبس فى سنة مثلا ، وانما تؤخذ فترة زمنية محددة ولتكن أسبوعا أو شهرا .

١١ — يجب ان يحدد الباحث نوع الاجابة المطلوبة من المبحوث : هل المطلوب منه وضع علامة معينة ، أو الاجابة بكلمة ، او يترك المبحوث ليعبر عن رأيه بحرية ؟.. واذا كان المطلوب وضع علامة معينة فلا ينبغي أن تصاغ الاسئلة بحيث يوضع أمام كل سؤال : ضع علامة (√) أمام الاجابة التي تعبر عن وجهة نظرك ، بل يكتفى بوضعها فى بداية الاستمارة .

١٢ — يجب أن تكون الأسئلة محدودة العدد بقدر الامكان وبالصورة التى تخدم اغراض البحث فقط ، ولذا يجب الاستغناء عن كافة الاسئلة التى لا يستفاد من نتائجها .

***

● تسلسل الأسئلة :

يجب أن تتدرج الأسئلة بحيث يساعد تدرجها على اثارة اهتمام الأفراد الذين يجيبون عنها . وأن يكون ترتيبها متمشيا مع تدرج العلاقة الودية بين الباحث والمبحوث وخاصة فى مواقف المقابلة .. ومن الاساليب المعروفة فى تسلسل الاسئلة مايسمى بالترتيب القمعى «Funnel approach» وذلك بأن يبدأ الباحث بتوجيه سؤال عام جدا وغير مقيد ويليه بعد ذلك أسئلة تضيق وتتخصص بالتدريج .

ويجب أن تتابع الأسئلة فى تسلسل منطقى حتى يتسنى لأفراد البحث أن ينظموا أفكارهم . ويجب تقسيم الأسئلة الى مجموعات متناسقة توضع لها عناوين فرعية وخاصة اذا كان البحث متشعبا ويشمل لأكثر من ظاهرة واحدة . ويجب أن تعطى الاسئلة أرقاما مسلسلة حتى يمكن الاستدلال على أى سؤال بسهولة .

***

٢ — اختبار الاستمارة قبل تعميم تطبيقها على المبحوثين :

ينبغى قبل النزول الى الميدان أو ارسال الاستمارات لأفراد البحث تجربة الاستمارة على مجموعة منهم مع مراعاة أن تكون المجموعة المختارة من الناس متفقة فى خواصها وصفاتها مع أفراد البحث لكى يصح الاسترشاد باجاباتهم فى حذف أو توضيح بعض الأسئلة اذا ما اقتضى الأمر ذلك . وترجع اهمية اختبار الاستمارة قبل تعميمها على المبحوثين الى مايلى :

أ — تحديد درجة استجابة المبحوثين للبحث بصفة عامة وللاستمارة على وجه الخصوص .

٢ — تحديد طول الاستمارة والزمن الذى يستغرقه الباحث فى عملائها .

٣ — تحديد صعوبات اللغة ومعرفة ما اذا كانت الالفاظ والعبارات فى مستوى فهم المبحوثين أم لا .

٤ — الوقوف على الأثر الذى يحدثه تتابع أسئلة الاستمارة لارجاء بعض الاسئلة التى تبدو أنها محرجة الى أجزاء أخرى من الاستمارة . ويستحسن أن يتم هذا الاختبار بطريق المقابلة الشخصية لملاحظة سلوك الافراد وقت الاجابة ومناقشتهم فى بعض الاسئلة والاستفادة من الملاحظات التى يبدونها .

واذا قام الباحث بهذه التجربة فان هناك دلائل على اشتمال الاسئلة على نواح تحتاج الى تعديل . واهم هذه الدلائل ما يأتى :

١ — عدم انتظام توزيع الاجابات على الاسئلة ، فالاجابات التى لايمكن تجميعها فى رتب ومجموعات والتى لا تتبع نظاما معقولا عادة ماتكون نتيجة لعيب أو عيوب فى نظام الاسئلة .

٢ — قد يحصل الباحث على استجابة واحدة لا تتغير من جميع أفراد العينة ردا على سؤال من أسئله الاستمارة . ومثل هذه الاسئلة يجب اسقاطها أو تعديلها .

٣ — اذا كثرت الاستجابات المحايدة أو من نوع « غير متأكد » أو « لا أعرف » دل ذلك على أن السؤال المستخدم يحتاج الى تعديل أو حذف . وقد يكون سبب ذلك انه يمس مشكلة صعبة الحل ، أو أن السؤال غامض غير محدد ، أو انه يمس ناحية لا يرغب الافراد فى الافصاح عنها .

٤ — اذا امتنع كثيرون عن الاجابة فقد يكون ذلك نتيجة لطريقة صياغة الأسئلة ، وعلى الباحث أن يعدلها ويجربها من جديد .

٥ — قد تكون هناك تعليقات كثيرة على الاستمارة فى الوقت الذى تكون فيه الاسئلة من النوع المقيد .

٦ — اذا اختلفت النتائج التى يحصل عليها الباحث بتغيير ترتيب الاجابات المعطاة دل ذلك على أن الاسئلة تحتاج الى تعديل(١) .

---

(١) Goode and Hatt., op. cit., p. 158-161.

وبعد تجربة الاستمارة ينبغى تعديل الاسئلة بما يتلاءم مع النتائج التى أسفرت عنها التجربة . واذا كانت التعديلات جوهرية فى تصميم الاستمارة أو فى صياغة أسئلتها ، فان من الواجب اعادة اختبارها الى أن تصبح وحداتها منسجمة وقادرة على التمييز وتقيس مايجب قياسه فعلا ، وتكون عباراتها قد مرت فى سلسلة من التهذيب والتعديل عن طريق اختيار أصلحها وادقها وأكثرها تحقيقا لغرض البحث .

***

٤ — تنسيق الاستمارة واعدادها فى صورتها النهائية :

بعد أن ينتهى الباحث من الخطوات السابقة تكون الاستمارة قد مرت فى سلسلة من التهذيب والتعديل تجعلها أداة صالحة لتحقيق أغراض البحث . ولكى تكتمل الفائدة لابد من العناية بتنسيق الاستمارة ، واعدادها بطريقة مشوقة تثير اهتمام المبحوثين وتحفزهم على الاستجابة وتدفعهم الى التعاون مع الباحث .

ويتطلب الاستبيان اهتماما أكبر بتنسيق الاستمارة ، لأن الباحث أو من ينوب عنه يتولى بنفسه شرح الغرض من البحث فى موقف المقابلة ، وهو الذى يملؤها بنفسه ، أما فى الاستبيان وخاصة الذى يرسل بالبريد ، فان المبحوث يحكم على البحث بما يراه . وهو فى تلك الحالة لايرى الا الاستمارة التى تتولى مهمة التعريف بالبحث والقائمين به . فاذا كان اعدادها محكما ، وشكلها العام مناسبا ، وطريقة عرضها منسقة ، زاد اقبال المبحوثين على الاستجابة ، وكثرت نسبة الردود .

ولتنسيق الاستمارة واعدادها فى صورتها النهائية ينبغى اتباع ما يأتى :-

١ — يجب أن يكون حجم الاستمارة مناسبا ونوع الورق جيدا يمكن الكتابة عليه بالحبر أو بالقلم أو باستخدام الآلة الكاتبة ، ويمكن تداوله بين الباحثين والمبحوثين والمرمزين دون أن يفقد شكله أو يتمزق . كما يجب أن تكون الاستمارات ذات أحجام متساوية وذلك لتسهيل وتبسيط الأعمال المكتبية الخاصة بتصنيف البيانات من جانب وحفظ الاستمارات وتداولها من جانب آخر .

٢ — لوحظ أن الوان الورق المستخدم فى الاستبيان والوان الكتابة مما يؤثر فى وضوح الاسئلة ويشجع المبحوثين على الاجابة . وقد أظهرت التجارب أن اللون الاسود على الارضية الصفراء يعتبر من الدرجة الاولى لترتيب الوضوح فى القراءة ، يليه اللون الاخضر على الارضية البيضاء ، أما اللون

الاسود على الارضية البيضاء فيأتى فى المرتبة السادسة من مراتب الوضوح فى القراءة ، ويعتبر اللون الاحمر على الأرضية الخضراء أقل درجات الوضوح اذ ظهر أن ترتيبه الثالث عشر والأخير فى مراتب الوضوح فى القراءة (١) .

٣ — اذا كانت الاستمارة مكونة من عدة صفحات فيفضل أن تكون على شكل كراسة ، واذا استدعى الأمر ثنى الاستمارة فيجب أن يكون ذلك فى اماكن غير مخصصة للاجابة .

٤ — فى حالة ما اذا كان الباحث يرغب فى المقارنة بين استجابات مجموعات من الافراد فيفضل وضع علامات مميزة على الاستمارات لتسهيل التعرف على كل فئة منها، ومن امثلة هذه العلامات تلوين اطراف الاستمارات وتثقيب احدى الزوايا ووضع ارقام تحت اطرافها واستخدام حرف ابجدى لكل منها واستخدام شعار معين أو صورة رمزية لكل فئة .

٥ — فى الاستبيان البريدى يفضل أن يكون طلب الاجابة على اسئلة الاستمارة فى شكل خطاب موجه الى المبحوث . ويحدد فيه الباحث عنوان البحث واسم الهيئة المشرفة عليه ، والغرض منه ، مع دعوة المبحوث الى ملء الاستمارة واعادتها ، والاشارة الى ما يفيد سرية البيانات وعدم استخدامها الا لغرض البحث العلمى .

٦ — يجب طبع الاستمارة على وجه واحد فقط لتكون سهلة القراءة ، ويستحسن عدم كتابة أكثر من سؤال واحد على السطر الواحد . وأن يخصص أمام أو تحت كل سؤال المكان الكافى للاجابة عليه ، ولا تطلب الاجابة على ورقة منفصلة .

٧ — يجب تقسيم الاسئلة الى مجموعات توضع لها عناوين واضحة ، ويجب اعطاء الاسئلة ارقاما مسلسلة . وفى حالة الرغبة فى استخدام الآلات الاحصائية يفضل وضع دليل رقمى «Code» لاجابات كل سؤال .

٨ — فى استمارة المقابلة يجب تخصيص مساحة كافية لتسجيل البيانات المميزة مثل رقم الاستمارة ، والمكان والتاريخ والاسم والحالة الزواجية والمهنية وعدد الابناء .. ويفضل أن ترد هذه البيانات فى نهاية الاستمارة بعد أن يكون المبحوث قد أجاب على أسئلة الاستمارة بحرية وصراحة .

---

(١) مجموعة محاضرات برنامج التدريب على جمع البيانات الاحصائية، من ابحاث اللجنة المركزية للاحصاء بالجمهورية العربية المتحدة . القاهرة . مايو ١٩٥٨ ص ٣٣ — ٣٧ .

٩ — يجب توضيح المصطلحات المستخدمة فى الاستمارة وتحديدها لمساعدة المبحوث على الاجابة الصحيحة على الاسئلة . وفى استمارة المقابلة ينبغى كتابة التعليمات فى صفحة منفصلة لمساعدة جامعى البيانات على اداء مهمتهم اثناء ملء الاستمارات ، ويجب أن تتوافر فى هذه التعليمات البساطة والايجاز والوضوح .

١٠ — فى الاستبيان البريدى ينبغى ارسال الاستمارة ومعها مظروف معنون عليه طابع بريدى لتيسير مهمة الرد بالنسبة للمبحوثين .

***

المـــراجع

(١) باللغة العربية :

١ ـ حسن الساعاتي : التصنيع والعمران : بحث ميداني للاسكندرية وعمالها ، دار المعرفة ، الطبعة الاولى ، ١٩٥٨ .

٢ ـ منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية : البغاء في القاهرة ، مسح اجتماعي ودراسة اكلينيكية ، ١٩٦١ .

٣ ـ منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية : تعاطي الحشيش ، التقرير الاول ، استمارة الاستبار ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٠ .

٤ ـ نجيب اسكندر ابراهيم ومحمد عماد الدين اسماعيل : دراسات في الاسرة ـ ١ ، الاتجاهات الوالدية في تنشئة الطفل ، دار المعرفة ، الطبعة الاولى ، ديسمبر ، ١٩٥٩ .

٥ ـ والتر بنجهام وآخرون : سيكولوجية المقابلة ، ترجمة فاروق عبد القادر وعزت حسين اسماعيل ، دار النهضة العربية ، ١٩٦١ .

(٢) باللغة الانجليزية :

1. English, H. ; and English, A : Comprehensive Dictionary of Psycholigical and Psychoanalytical Terms. 1958.

2. Furfey, P. ; The Scope and Method of Sociology. New York, 1945.

3. Garrett, A. ; Interviewing : Principles and Methods New York, 1942.

4. Good, C., and Scates, D. ; Methods of Research. New York, 1945.

5. Goode, W., and Hatt, P. ; Methods in Social Research, New York, 1952.

6. Hader, J. and Lindeman, W. ; Dynamic Social Research, New York, 1933.

7. Hyman. H., Interviewing in Social Research, Chicago Press, 1953.

8. Maccoby, E. and Maccoby, N. : Ahe Interview : A Tool of Science, in G. Lindsey, Handbook of Social Psych. 1951.

9. Merton, R., Fiske, M. and kendall, P., ; The Focused Interview Press, 1956.

10. Rice S. ; «Contagious Bias in the Interview : A Methodological Note. Amer. Jour. of Social 1929, 35, 240-424.

11. Selltiz, C., et. al. : Research Methods in Social Relations Henry Holt, 1960.

12. Young P. : Scientific Social Survey and Research New York, 1947.

***

الفصل التاسع عشر

مقاييس العلاقات الاجتماعية
والاتجاهات والرأى العام

القياس عملية جوهرية فى التقدم العلمى . والباحث الاجتماعى لاغنى له عن استخدام المقاييس على اختلاف أنواعها سواء فى دراسة العلاقات الاجتماعية لمعرفة ما يحدث بين الافراد والجماعات من جذب وتنافر ، واتفاق واختلاف ، وتعاون وتنافس ، وصراع وتكيف ، أو فى قياس اتجاهات الافراد نحو مختلف الموضوعات لتحديد درجة اعتناقهم لرأى اجتماعى معين ، ومدى تقبلهم لأحد البرامج الاجتماعية وخاصـــة ما يتصل منهـــا ببرامج التنميـــة الاجتماعية ، أو دراسة الرأى العام للوقوف على ما يسود الجماعة من آراء واتجاهات جماعية .

وقبل أن نستطرد فى شرح أنواع المقـــاييس ، يتعين علينا أن نبـــدأ بالتعريف بالمعنى العلمى للقياس ، والأسس المنهجية التى يقوم عليها عمل المقياس .

● معنى القياس :

يعرف القياس بأنه تحديد درجة امتلاك شىء أو شخص لصفة معينة ، ويعرف أيضا بأنه نوع من المقارنة التى تعرض فى شـــكل رقمى . وتبـــدأ المقارنة بالنواحى الكيفية وتنتهى الى النواحى الكمية .

وتكشف النواحى الكيفية عن وجود صفة أو خاصية معينة ومـــدى اختلافها عن الصفات أو الخصائص الاخرى . فالقدرة على السمع كصفة من صفات الحواس تختلف عن الطول كصفة من صفات الجسم البشرى . وتحديد الصفة يحدد نوع المقياس الذى يصلح لها . فالمقياس الذى يصلح لقياس القدرة على السمع لا يصلح لقياس الطول شأنه فى ذلك شأن القياس

الذى يصلح لقياس الاتجاهات ولا يصلح لقياس الذكاء أو التحصيل الدراسى(١) .

وتكشف النواحي الكمية عن مقدار وجود الصفة أو مستواها . فهى بذا ، تحدد درجتها بالكشف عن مدى احتوائها على الوحدات القياسية التى يد طلح عليها . فاذا اصطلحنا على أن الطول مثلا صفة تقاس بالسنتيمترات فمعينا بعد ذلك أن نستعين بالمتر فى تحديد عدد السنتيمترات التى يحتوى عليها طول معين أو بمعنى آخر عدد الوحدات التى يحتوى عليها ذلك الطول(٢) .

ويدخل ضمن القياس العد والترتيب ترتيبا تصاعديا أو تنازليا بالنسبة لخاصية معينة أو صفة خاصة ، فنستطيع أن نرتب عددا من الأشخاص بالنسبة للمستوى الثقافى أو الاقتصادى أو بالنسبة لقدراتهم العقلية أو التحصيلية طالما ان هذه الصفات الإجتماعية أو النفسية يمكن ان تختلف من فرد لآخر من الناحية الكمية . وترتيب الأشخاص أو الأشياء يفيد كثيرا فى مقارنتها بعضها ببعض ، بل ويفيد أيضا فى بيان مركز الفرد بالنسبة لمجموعته ، الا أن الرتب لاتدل على مقدار امتلاك الشخص للصفة المطلوبة الا بدرجة نسبية ، كما أن الرتب لا تخضع للعمليات الحسابية المعتادة كما تخضع الدرجات أو القيم كالدقائق والارطال ، بينما لو أمكن تحديد قيم للأفراد أتاحت هذه القيم فرصا كثيرة لاستنتاجات تتعلق بهذه القيم ، كما يمكن استخدام هذه القيم فى عمليات أخرى يستفيد بها الباحث لأغراض شتى . وعلى هذا فإن الفكرة الاساسية فى القياس تقوم على أساس اعطاء الفرد أو الشيء قيمة خاصة ، وذلك بمقارنة ما نريد قياسه بمعيار دقيق نصطلح عليه كمقارنة الأطوال بالمتر ، والأوزان بالكيلو ، والزمن بالساعة .

ومما هو جدير بالذكر ان عملية القياس تفترض وجود قيم مستمرة Continuous Values للوحدات المطلوب قياسها . ويمكن تمثيل القيم المستمرة بنقط متتابعة لا حصر لها على مستقيم واحد ، بين كل وحدة والتى

---

(١) يمكن الرجوع فى ذلك تفصيلا الى ماكتبه :

فؤاد البهى السيد : علم النفس الاحصائى وقياس العقل البشرى . دار الفكر ، ١٩٥٨ ، فؤاد البهى السيد : الذكاء ، دار الفكر العربى ، ١٩٠٩ .

السيد محمد خيرى : الاحصاء فى البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية ، دار الفكر العربى ، ١٩٥٧ .

(٢) فؤاد البهى السيد ، الذكاء ، دار الفكر العربى ص ٥ - ٦ .

قيمها لا حصر له من القيم المتلاحقة بحيث لاينقطع تتابعها مطلقا . فالطول صفة لا تنقطع وحداته . فبين ٥ سم ، ٦ سم نستطيع أن نجد ٥،١ و ٥ سم ٤ ، ٢ و ٥ سم ... الخ بينما عدد الاشخاص لا يوجد الا فى اعداد صحيحة(١).

***

● خطوات اعداد المقياس :

لاعداد المقياس بالطرق العلمية السليمة ينبغى اتباع الخطوات التالية :

١ — تحديد وحدات المقياس :

ينبغى عند اعداد المقياس المراد استخدامه البدء بتحديد وحدات القياس .

وهذه الوحدات على أنواع . فقد تكون الوحدة عبارة عن كمية صغيرة من الشيء الذى يقاس . مثال ذلك : لقياس الطول نحن نستخدم كمية صغيرة من الطول كالبوصة أو القدم أو الياردة . ولقياس الزمن نستخدم كمية صغيرة من الزمن مثل الثانية أو الدقيقة أو الساعة . وفى هذه الحالات يكون المقياس دقيقا لأن تقدير كمية هذا الشيء يعبر عنه بواسطة مقياس مماثل لنفس نوع الظاهرة(٢) .

وقد تكون الوحدة عبارة عن متغير آخر يتضمن علاقة وظيفية ثابتة مع المتغير المراد قياسه . فعند استخدام ميزان زنبركى فان كفة الميزان تتصل بسلك لولبى . فاذا ما وضع الشيء المراد وزنه فى كفة هذا الميزان .. فان السلك اللولبى يزداد طوله ويتحرك مؤشر متصل بهذا السلك اللولبى على مقياس مدرج ذى أرقام توضح اختلافات كمية الثقل . وهنا نجد انه قد حدث علاقة وظيفية بين كمية الثقل وازدياد طول أو شد السلك اللولبى (٣) .

٢ — تحديد نقطة الصفر المطلق :

تستلزم عملية القياس تحديد نقطة بداية تكون واحدة بالنسبة لجميع الأشياء المراد قياسها حتى يمكن المقارنة بينها على أساس علمى سليم . وتعرف نقطة البداية هذه باسم نقطة الصفر المطلق . ومن اليسير تحديد نقطة الصفر هذه بالنسبة للمقاييس المادية ، بينما يتعذر تحديدها فى غالب الاحيان بالنسبة للمقاييس النفسية والاجتماعية . فبالنسبة للوزن نجد أن

---

(١) Goode and Hatt, op. cit., p. 334.

(٢) محسن عبد الحميد احمد : مذكرات غير مطبوعة فى طرق البحث الاجتماعى .

(٣) المرجع السابق .

٣٠ كيلو تعادل ضعف ١٥ كيلو ، لأن الكمية الأولى ترتفع عن الصفر المطلق ثلاثين وحدة بينما ترتفع الثانية ١٥ وحدة فقط ، أما فى الاختبارات النفسية فان قيمة درجة ١٠ فى اختبار عقلى لا يمكن أن تعادل ثلث درجـــة ٣٠ فى الاختبار لأننا لانستطيع أن نفترض وجود صفر لهذا التقدير . فهذا معنـــاه فى مثل هذه الحالات عدم وجود القدرة على الاطلاق .

٣ — تحديد نوع المجتمع الذى تجرى عليه عملية القياس :

من الضرورى تحديد نوع المجتمع الذى تجرى عليه عملية القياس لأن ما يحدث فى مجتمع قد لا يحدث فى مجتمع آخر . ولهذا ينبغى على الباحث أن يكون حذراً عند استخدامه المقياس وضع لجماعة أخرى غير الجمـــاعة التى تجرى عليها عملية القياس الجديدة . فقد تكون هناك فوارق كبيرة بين الجماعتين تجعل المقياس الذى يصـــلح للجمـــاعة الاولى لا يصـــلح الثانية .

٤ — التأكد من ثبات المقياس :

يدل الثبات للمقياس على المطابقة الكاملة بين نتائجه فى المرات المتعددة التى يطبق فيها على نفس الأفراد . فان دل التطبيق الثانى للمقياس على نفس النتائج التى دل عليها التطبيق الأول بالنســبة لمجموعة معينـــة من الافراد أصبح المقياس ثابتاً ثباتاً تاماً .

فاذا أجرى اختبار ما على مجموعة من الطلبة ، ورصدت درجات كل فرد فى هذا الاختبار ، ثم أعيد أجراء هذا الاختبار على نفس هذه المجموعة ورصدت أيضا درجات كل فرد ، ودلت النتائج على ان النتائج التى حصل عليها الطلبة فى المرة الأولى لتطبيق الاختبار هى نفس الدرجة التى حصل عليها هؤلاء الطلبة فى المرة الثانية ، استنتجنا من ذلك ان نتـــائج الاختبـــار ثابتة ثباتا تاما لأن نتائج القياس لم تتغير فى المرة الثانية ، بل كمـــا كانت عليه فى المرة الأولى .

ويمكن تحديد أهم الوسائل الاحصائية لقياس الثبات فى الطرق التالية :

(أ) طريقة اعادة الاختبار Test-Retest

(ب) طريقة التجزئة النصفية Split Half

(جـ) طريقة تحليل التباين . Analysis of Variance

(د) طريقة الاختبارات المتكافئة (١) .

---

(١) Goode and Hatt., op. cit., p. 236.

وسنشير في هذا المجال الى هذه الوسائل الاحصائية بشيء من الايجاز .

(أ) طريقة اعادة الاختبار :

تقوم فكرة هذه الطريقة على اجراء المقياس على مجموعة من الافراد ثم اعادة اجراء نفس الاختبار على نفس مجموعة الافراد بعد مضي فترة زمنية ، وترصد درجات الافراد في الاختبارين ، ويحسب معامل ارتباط درجات المرة الاولى بدرجات المرة الثانية للحصول على معامل ثبات الاختبار (١) .

ويؤخذ على هذه الطريقة تأثرها بالفاصل الزمني الذي يمضي بين اجراء الاختبار المرة الأولى واعادة اجرائه للمرة الثانية ، ثم ان العوامل المؤثرة على الموقف التجريبي في الاجراء الاول للاختبار تختلف الى حد ما عن العوامل المؤثرة على الموقف التجريبي في الاجراء الثاني ، وقد يحدث اختلاف الظروف التجريبية في المرتين اختلافا كبيرا .

(ب) طريقة التجزئة النصفية :

تهدف هذه الطريقة الى علاج المشكلات التي تنجم من وراء اعادة تطبيق المقياس (الاختبار) ، وذلك بحساب معامل الثبات مباشرة من نتائج التطبيق الاول للاختبار وذلك بقسمتها الى جزئين متساويين ثم حساب معامل ارتباط هذين الجزئين ، والتنبؤ من ذلك بمعامل ارتباط المقياس الكلي مع نفسه ، الذي يدل على معامل ثباته . ولحساب الثبات باستخدام طريقة التجزئة النصفية يستعان بعدة معادلات احصائية يمكن الرجوع اليها في كتب الاحصاء (٢) . ويؤخذ على هذه الطريقة انها لا تصلح لحساب معامل ثبات الاختبارات الموقوتة التي تقيس سرعة الاستجابة أكثر مما تقيس قوتها .

(ج) طريقة تحليل التباين :

استعان كودر Kuder وريتشاردسن Richardson في دراستهما الثبات بتحليل أسئلة الاختبار أو المقياس ودراسة تباين تلك الاسئلة . وتعتمد طريقتهما على الدراسة التفصيلية لهذا التباين ، وقد استنتجا بعض المعادلات التي تصلح لقياس الثبات ، الا أن أغلب هذه المعادلات يحتاج الى وقت طويل وجهد شديد لحساب الثبات من المقاييس الاحصائية للاسئلة .

---

(١) فؤاد البهي السيد ، علم النفس الاحصائي ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٨ ، ص ٤٢٤ .

(٢) يمكن الرجوع الى معادلات حساب الارتباط في كتب الاحصاء وخاصة ما كتبه : فؤاد البهي السيد : علم النفس الاحصائي ، ص ٤٢٤ ، ٤٢٥ .

ولذا لم تلق صدق قويا بين المشتغلين بالدراسات الاحصـــائية النفســية والاجتماعية .

(د) طريقة الاختبارات المتكافئة :

تعتمد هذه الطريقة على صورتين متماثلتين متكافئتين تماما للاختبار ثم يحسب معامل ارتباط الصورة الأولى بالصورة الثانية بعد تطبيق الاختبارين على نفس الأفراد . ويدل هذا الارتباط على معامل ثبات كل صورة من هاتين الصورتين المتكافئتين ، أى على معامل ثبات الاختبار .

ه ـــ التأكد من صدق المقياس :

من الضروري عند اعداد المقياس التأكد من صدقه وصحته . ويدل الصدق على مدى تحقيق المقياس لهدفه الذى وضع من أجله أى قياس ما يجب قياسه . فعندما نقيس الطول بالمتر فنحن على بينة من أمرنا لأننا نقيس الأطوال بأطوال أخرى اصطلحنا عليها لهذا القياس وهى المتر ولكن عندما نقيس الاطوال بالكيلو فنحن غير صادقين فيما نقيس .

ويحسب مستوى صدق المقياس الذى نستخدمه بمقارنة نتائجه بنتائج مقياس آخر دقيق لتلك الصفة . ويسمى هذا المقياس بالميزان Criterion اذ به نزيد صدق الاختبار أو المقياس الذى نريد استخدامه .

ولما كان الصدق يقوم فى جوهره على مدى ارتباط المقياس الجـديد بالميزان فيجب أن يكون ثبات الميزان كبيرا حتى يصبح صالحا للقياس .

وتفيض كتب الاحصاء فى شرح أنواع الصدق التى أهمها الصـــدق الوصفى ، والصدق الاحصائى . ويمكن الرجوع الى ذلك تفصيلا فى المراجع الاحصـــائية .

ونكتفى فى هذا المجال بهذا العرض السريع لمعنى القياس والخطوات المنهجية اللازمة لاعداد المقياس ، لننتقل الى التعريف ببعض المقاييس التى تستخدم فى البحوث الاجتماعية :

أولا : قياس العلاقات الاجتماعية

تتلخص العلاقات الاجتماعية فى تفاعل فرد معين مع افراد آخرين مؤثرا فيهم ومتأثرا بهم . وهذه العلاقة قد تكون واضحة أو خفية ، أولية أو ثانوية مباشرة أوغير مباشرة .

وتهتم العلوم الاجتماعية وخاصة علم الاجتماع وعلم النفس بدراسة هذه العلاقات دراسة علمية موضوعية لمعرفة الاسس التى تقوم عليها ، والعوامل المؤثرة فيها . وقد ترتب على هذا الاهتمام تقدم الأساليب المستخدمة فى دراسة العلاقات .

وقد سبقت الاشارة فى فصل سابق الى الملاحظة المنظمة وكيفية استخدامها فى دراسة العلاقات الاجتماعية فى مواقف طبيعية ، وسنشير فى هذا الفصل الى اسلوب آخر هو الاسلوب السوسيومترى الذى كثر استخدامه فى قياس العلاقات الاجتماعية منذ اكثر من ربع قرن من الزمان .

***

● المقاييس السوسيومترية :

السوسيومترية Sociometry أو القياس الاجتماعى اصطلاح يطلق على طريقة خاصة تتبع فى قياس العلاقات الاجتماعية داخل جماعة محدودة خلال فترة زمنية معينة . وتكشف هذه الطريقة عما يحدث فى داخل الجماعة من جذب وتنافر وانحلال وتماسك ، كما تكشف عن التنظيم غير الرسمى للجماعة وكذلك المكانات الاجتماعية للافراد .

ويرجع الفضل فى ابتداع هذه الطريقة الى العالم « مورينو Moreno» وشريكته « هيلين جيننجز H. Jennings» ونظرا لما تتميز به هذه الطريقة من بساطة فقد أمكن تطبيقها فى كثير من المواقف والوحدات الاجتماعية كالفصول الدراسية ووحدات الجيش ، والسجون ، والمصانع ، وأمكن عن طريقها اكتشاف كثير من خصائص الجماعة والظواهر المرتبطة بها كظاهرة القيادة والانقياد ، والصداقة والعداء ، وتفكك الجماعة وتماسكها ، الى غير ذلك من ظواهر (١) .

ويتطلب مورينو عند اجراء القياس السوسيومترى توافر عدة شروط هى :

١ — أن تكون الجماعة محددة المعالم ، واضحة الحدود .

٢ — أن يسمح للاشخاص باختيار أو نبذ أى عدد من الاشخاص دون تحديد.

---

(١) Jennings, H., Sociometry in Group Relations, Washington, 1948, P, 11.
Goode and Hatt, op. cit., p. 250

٣ — أن يحدد نوع النشاط الذي يطلب الى الفرد أن يشارك أو لا يشارك فيه الأفراد الآخرين ، وبعبارة أخرى أن يحدد محك الاختيار أو النبذ كما ينبغي أن يكون النشاط ذا دلالة وأهمية بالنسبة للأشخاص المشتركين في الاختيار .

٤ — أن يعرف الأشخاص أن نتائج القياس السوسيومترى سوف تستخدم في اعادة بناء الجماعة . فاختياراتهم الايجابية أو السلبية لها شأن في تحديد الأشخاص الذين يشاركونهم في المستقبل في ألوان نشاطهم .

٥ — أن تتوافر السرية التامة في الاختيار .

٦ — أن تكون الأسئلة المستخدمة مناسبة لأعضاء الجماعة متمشية مع مستوى فهمهم ، فأسلوب السؤال الذي يوجه الى الكبار ينبغي أن يختلف عن أسلوب السؤال الذي يوجه الى الصغار ، وكذلك الحال بالنسبة للمثقفين وغير المثقفين (١) .

وبمرور الوقت أدخلت تعديلات متعددة على الشروط السابقة كان أهمها ما يتعلق بعدد الأفراد الذين يطلب الى الفرد اختيارهم . فبدلا من أن يسمح للشخص باختيار أي عدد من الأشخاص يطلب اليه أن يختار عددا محددا من الأشخاص الذين يود أن يشاركهم أو لا يشاركهم في نشاط معين ، على نحو ما سنوضح في المثال التالي :

● مثال لتطبيق الاختبار السوسيومترى :

قد تكون العلاقة الاجتماعية المراد تمثيلها بسيطة ، فيسأل الباحث أفراد المجموعة — كلا على حدة — عن أي فرد في المجموعة أحبهم الى نفسه ، أو أيهم يتقبله رئيسا له في لون من ألوان النشاط . ويمكن توضيح تطبيق هذه الطريقة بمثال من أمثلة التجارب التي أجراها المؤلف على بعض طلبة كلية الخدمة الاجتماعية بالقاهرة . وتتألف العينة من ١٢ طالبا كانوا أعضاء في الأسرة التي يشرف عليها المؤلف . وقبل نهاية العام أجرى المؤلف عليهم الاختبار التالي :

كلية الخدمة الاجتماعية بالقاهرة .

أسرة ....

أيها الزميل وأيتها الزميلة :

---

(١) Moreno, J. Who Shall Survive ? New York, 1953.

بعد أن انقضى علم على وجودك فى الاسرة ، واشتركت مع زملائك وزميلاتك فى ألوان النشاط الاجتماعى الذى قامت به الاسرة ، وتبادلت معهم العلاقات فى أكثر من موقف .. نريد منك — فى ضوء ما قام بينك وبين زملائك وزميلاتك من علاقات — أن تقوم باختيار الشخص الذى تفضل العمل معه أكثر من غيره .

هذا وسوف يكون لهذا التفضيل اثره عند اختيار أعضاء الاسرة الجدد فى العام القادم . فسوف نحاول بقدر الامكان ، أن نجعل معك من تفضل العمل معه ، علما بأن البيانات المعطاة ستكون سرية ، ولن يعلم بها أحد من أعضاء الاسرة أو من خارجها .

الاســـم : . . . .

اسم الزميل الذى أفضل العمل معه . . . .

رائـــد الاسرة

(. . . . . .)

وقد تكون العلاقة المطلوبة أكثر تعقدا بأن يطلب الى كل فرد أن يحدد ثلاث رتب ، فيعطى رقم (١) للشخص الذى يفضله أكثر من الجميع ، ورقم(٢) المرتبة الثانية من الاختيار ، ورقم (٣) للمرتبة الثالثة . ولتوضيح ذلك نضرب المثال التالى : بعد أن أجـــرى الاختبار الاول على اعضاء الاسرة للقيـــام باختيار واحد ، وزع عليهم الاختبار التالى ليقوموا بثلاث اختيارات ، ووجهت اليهم التعليمات التالية :

كلية الخدمة الاجتماعية بالقاهرة .

أسرة . . . . . .

أيها الزميل وأيتها الزميلة :

بعد أن انقضى علم على وجودك فى الاسرة ، واشتركت مع زملائك وزميـــلاتك فى مختلف ألوان النشـــاط الاجتمـــاعى الذى قامت به الاسرة ، وتبادلت معهم العلاقات فى أكثر من موقف . نريد منك — فى ضوء ما قام بينك وبين زملائك وزميلاتك من علاقات — أن تقوم بما يأتى :

١ — اكتب أسماء ثلاثة من الزملاء أو الزميلات الذين تود أن تشاركهم فى نشاط الاسرة بحيث تكون هذه الاسماء مرتبة ترتيبا تنازليا حسب درجة

تفضيلك لهم . فالاسم الاول هو الذى تفضل أن تعمل معه أكثر من غيره ، يليه الاسم الثانى ثم الثالث .

٢ — ما الاسباب وما الصفات الشخصية لهؤلاء الاشخاص التى أدت الى اختيارك لهم ؟

٣ — اكتب أسماء ثلاثة من الزملاء أو الزميلات الذين لا تود أن تشاركهم فى نشاط الاسرة بحيث تكون هذه الاسماء مرتبة ترتيبا تنازليا بحسب درجة عدم تفضيلك لهم .

٤ — ما الاسباب وما الصفات الشخصية لهؤلاء الاشخاص التى أدت الى عدم تفضيلك لهم ؟

هذا وسوف يكون لهذا التفضيل اثره عند اختيار أعضاء الأسرة الجدد فى العام القادم . فسوف نحاول بقدر الامكان أن نجعل معك بعض هؤلاء الزملاء أو الزميلات ، علما بأن البيانات المعطاة ستكون سرية ، ولن يعلم بها أحد من زملائك أو زميلاتك .

الاسم : . . . .

أسماء الزملاء والزميلات الذين افضل العمل معهم :

١ — . . . .
٢ — . . . .
٣ — . . . .

أسباب تفضيل هؤلاء الاشخاص :

. . . .
. . . .
. . . .
. . . .

صفاتهم الشخصية :

- . . . .

- . . . .

. . . .

أسماء الزملاء والزميلات الذين لا أفضل العمل معهم :

١ — . . . .

٢ — . . . .

٣ — . . . .

أسباب عدم تفضيل هؤلاء الأشخاص :

- . . . .

- . . . .

. . . .

صفاتهم الشخصية :

- . . . .

- . . . .

- . . . .

رائدة الأسرة

(. . . . .)

● تحليل بيانات الاختبار السوسيومترى :

بعد الحصول على بيانات الاختبار السوسيومترى ، ينبغى تحليلها باتباع خطوة أو أكثر من هذه الخطوات :

١ ـ تفريغ الاختيارات :

الخطوة الاولى فى التحليل هى تفريغ الاختيارات التى يتلقاها كل فرد من الجماعة فى جدول يسمى « جدول تفريغ الاختيارات السوسيومترية » أو « مصفوفة العلاقات الاجتماعية Sociometric Matrix » كما هو موضح فى الجدول رقم (٣) .

وقد عرضت فى هذا الجدول نتائج الاختبار السوسيومترى الاول الذى اجرى على طلبة كلية الخدمة الاجتماعية . ويتكون هذا الجدول (المصفوفة) من سطور رأسية طولية وسطور افقية مستعرضة . ويوضح السطر الرأسى الاول الارقام التى تدل على الافراد ، ويوضح السطر الافقى الاول ارقام الاختيار ، وتدل ارقام السطر الافقى الاخير على مجموع الافراد الذين اختاروا فرداً ما .

جدول رقم (٣) — مصفوفة اجتماعية العلاقات بين اثنى عشر طالبا قام كل منهم باختيار عضو واحد من اعضاء الجماعة

القائم بالاختيار	الشخص المختار											
	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	المجموع
١	—			١									١
٢		—				١							١
٣			—										١
٤				—			١						١
٥			١		—		—						١
٦				١	١	—							١
٧							—			.			١
٨						١	-	—					١
٩				١					--				١
١٠				١						—			١
١١						١					—		١
١٢						١						—	١
المجموع	—	—	١	٤	١	٤	١	—	—	١	-	-	١٢

اما اذا طلب من الافراد ترتيب اختياراتهم ، فنكتب الاسماء فى مصفوفات العلاقات الاجتماعية افقيا ورأسيا بنفس الترتيب ، ثم تفرغ الاختيارات بحيث يستخدم الرقم (١) للدلالة على الاختيار الاول ، والرقم (٢) للدلالة على الاختيار الثانى ، والرقم (٣) للدلالة على الاختيار الثالث ، ثم تجمع اختيارات كل فرد كما هو موضح فى الجدول رقم (٤) الذى يوضح اختيارات التفضيل الثلاثة لطلبة كلية الخدمة الاجتماعية . وللحصول على نتائج دقيقة يمكن إعطاء وزن معين لكل اختيار . فيعطى الاول وزنا يعادل ثلاث درجات ، والثانى درجتين ، والثالث درجة واحدة . ويحسب ما حصل عليه كل فرد حتى يتسنى ترتيبهم وفقا لما حصل عليه كل منهم .

جدول رقم (٤) ـ مصفوفة اجتماعية العلاقة بين اثنى عشر طالبا
قام كل منهم بثلاث اختيارات

القائم بالاختيار	الشخص المختار ١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	عدد الاختيارات
١	ـ			١		٢						٣	٣
٢		ـ	٢	٣		١							٣
٣			ـ	٢	١	٣							٣
٤			٣	ـ		٢	١						٣
٥			١	٢	ـ				٣				٣
٦		٢		١		ـ						٣	٣
٧				٢			ـ			١		٣	٣
٨				٣		١		ـ	٢				٣
٩			٣	١		٢			ـ				٣
١٠				١		٣			٢	ـ			٣
١١				٢		١	٣				ـ		٣
١٢				٢		١			٣			ـ	٣
اختيار أول	ـ	ـ	١	٤	١	٤	١	ـ	ـ	١	ـ	ـ	١٢
اختيار ثاني	ـ	١	١	٥	ـ	٣	ـ	ـ	٢	ـ	ـ	ـ	١٢
اختيار ثالث	ـ	ـ	٢	٢	ـ	٢	١	ـ	٢	ـ	ـ	٣	١٢
المجموع	ـ	١	٤	١١	١	٠	٢	ـ	٤	١	ـ	٣	٣٦
مجموع الأوزان	ـ	٢	٧	٢٤	٣	٢٠	٤	ـ	٦	٣	ـ	٣	٧٢

ومن الواضح أن مصفوفات العلاقات الاجتماعية تفيد في رصد استجابات الجماعات الكبيرة ، كما أنها تلخص العلاقات في صورة رياضية تجعلها قابلة للتحليل الدقيق ..

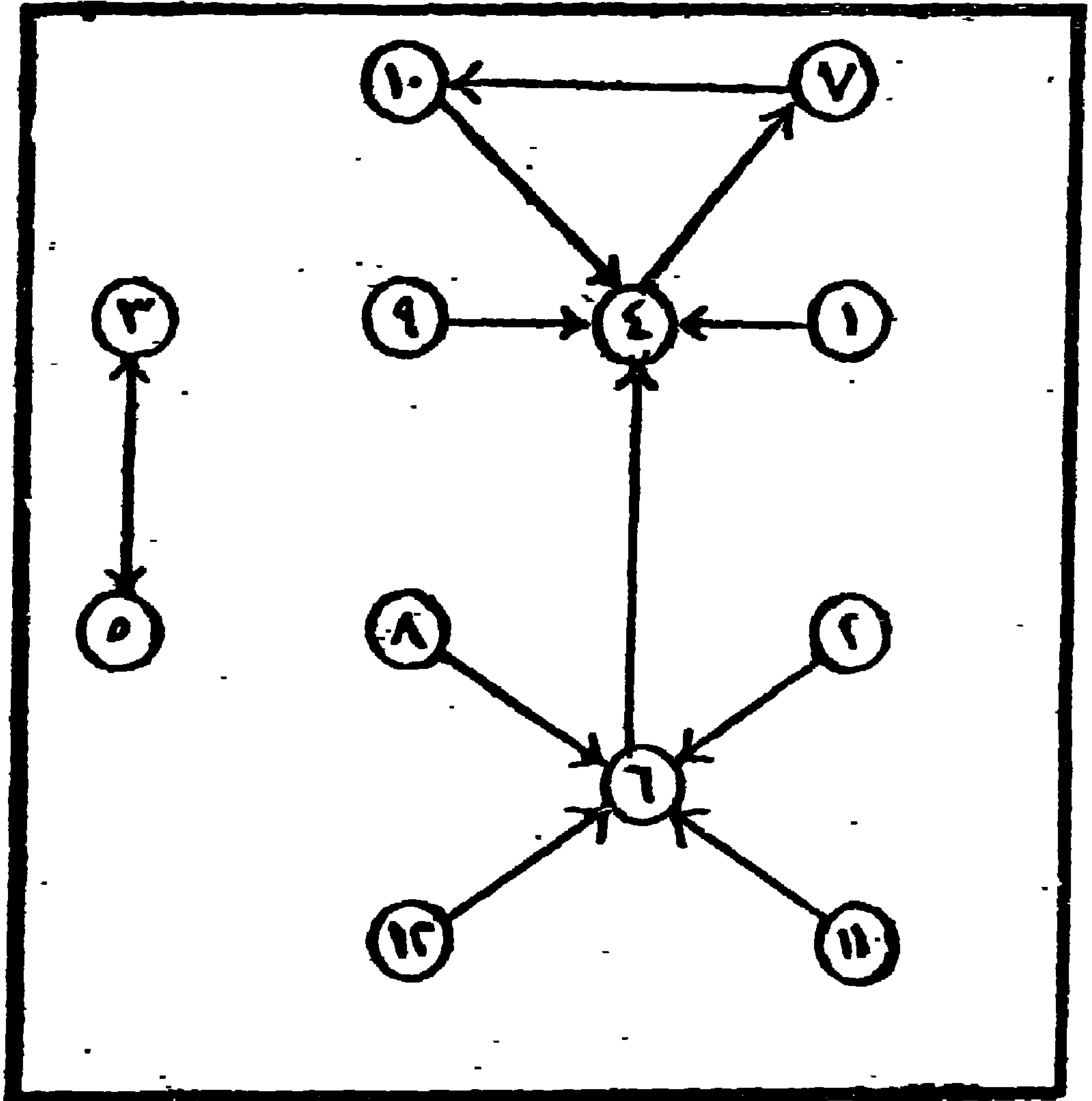
٢ ـ عمل رسوم لتوضيح العلاقات الاجتماعية « السوسيوجرام « Sociogram :

بعد تفريغ الاختيارات ، يمكن عمل رسوم تخطيطية فى صورة ما يسمى بالسوسيوجرام كما يتضح فى الشكل رقم (٢) الذى يوضح نتائج الاختيار الاول لطلبة كلية الخدمة الاجتماعية بالقاهرة والذى قام فيه كل طالب باختيار عضو واحد من أعضاء الاسرة .

فاذا رمزنا لكل طالب بدائرة تحمل رقمه ، ورمزنا للاختيار بخط يصل ما بين كل طالبين ، ورمزنا لاتجاه الاختيار بسهم فى نهاية كل خط ثم رصدنا هذه الرموز المختلفة رصدا يوضح تكوينها ، فاننا نصل بذلك الى السوسيوجرام الموضح بالشكل رقم (٢) .

وليست هناك طريقة معينة لرسم السوسيوجرام . فاذا كانت الجماعة تتكون من فئات مختلفة مثل الذكور والاناث ، أو من جنسيات أو أديان أو مستويات اقتصادية متفاوتة ، فمن الممكن أن يرمز لافراد كل فئة بشكل خاص . فمثلا : قد يشار الى الذكور بمثلثات أو مربعات ، والى الاناث بدوائر . واذا أريد توضيح الاتصال بين أفراد الفئات المختلفة ، يجمع أفراد كل فئة فى جانب من جوانب السوسيوجرام . فقد ترسم المثلثات كلها الى اليمين ، والدوائر الى اليسار . وفى كل فئة يكتب اسم العضو الذى نال أكبر قدر من الأصوات فى الوسط ، ثم تكتب اسماء الأشخاص الذين يلونه فى الترتيب فى أشكال قريبة من الوسط ، اما الاشخاص الذين نالوا أقل قدر من الاصوات أو لم تذكر أسماؤهم اطلاقا فينبغى كتابة اسمائهم فى الاشكال البعيدة عن الوسط .

ثم يرمز للاختيار بخط يصل ما بين كل عضوين ، كما يرمز لاتجاه الاختيار بسهم فى نهاية كل خط . اما الاختيار المتبادل فيرمز له بسهم ذى رأسين أو بخط تتوسطه نقطة دائرية سوداء ، ويرمز للاشخاص الغائبين بدوائر أو مثلثات أو مربعات متقطعة أو ملونة . وفى حالة وجود أكثر من اختيار لكل عضو يمكن تمثيل العلاقات بخطوط مختلفة فى أشكالها أو ألوانها حسب الاختيار الذى تدل عليه .



شكل رقم (٣) : سوسيوجرام يوضح العلاقات الاجتماعية

٢ ـ تفسير البيانات السوسيومترية :

تعطينا مصفوفة العلاقات الاجتماعية وكذا السوسيوجرام معلومات هامة عن بناء الجماعة . وفيما يلى بعض انماط العلاقات التى يوضحها السوسيوجرام :

(أ) علاقات مركزية :

وتبدو فى اختيار الجماعة لفرد واحد منها ، كمثل اتجاه علاقات (٣ ، ٨ ، ١١ ، ١٢) نحو (٦) . واتجاه علاقات (١ ، ٩ ، ٦ ، ١٠) نحو (٤) . ويعرف الشخص الذى يتلقى عددا كبيرا من الاختيارات باسم « النجم » لان له شعبية كبيرة بين اعضاء الجماعة . ويتضح من السوسيوجرام ان (٦) يتأثر بـ (٤) . ويبدو ذلك فى اختياره له . ولهذا فان زعامة (٦) تستمد بعض قوتها من (٤) . ولهذه العلاقات اهميتها البالغة فى معرفة التجمعات الداخلية للجماعة . وتوضيح العشيرات التى قد تنقسم لها الجماعة . ذلك لان (٣ ، ٨ ، ١١ ، ١٢) تمثل عشيرة يتزعمها (٦) ، (١ ، ٩ ، ٦ ، ١٠) تمثل عشيرة يتزعمها (٤) .. وهكذا .

(ب) علاقات متبادلة :

تبدو فى تبادل الاختيار بين فردين ، كما هو الحال بين الفردين (٣ ، ٥) ولا شك ان انتشار هذا النوع من العلاقات يؤدى الى انعدام التماسك الداخلى للجماعة ، ونقص التعاون العام بين افراد الجماعة الكلية .

(ج) علاقات متتابعة :

وتبدو فى اختيار الافراد كما هو الحال فى اتجاه العلاقة بين (١ ، ٤ ، ٧ ، ١٠ ، ٤) . ويساعد تتابع العلاقات على انتشار الاشاعات وسرعة انتقالها وذلك لان (١) ينقل الاخبار الى (٤) وهذا ينقلها بدوره الى (٧) التى ينقلها الى (١٠) .

(د) علاقات دائرية :

وهى التى تبدأ من فرد معين ثم تعود الى نفس الفرد ، كمثل (٤ ، ٧ ، ١ ، ٤) .

(هـ) علاقات منعزلة :

وهى التى تبدو فى فشل الفرد فى اجتذاب الآخرين نحوه فهو يختار افرادا من جماعته الا انهم يتجاهلونه كما هو الحال بالنسبة لاشخاص مثل (٢) ، (٨) ، (١١) ، (١٢) ، (١) ، (٦) .

٤ ـ استخراج الدرجات والمعاملات السوسيومترية :

حاول مورينو وغيره من العلماء تحليل المصفوفة الاجتماعية لاستخراج الدرجات والمعاملات السوسيومترية التى توضح الجوانب المعقدة فى العلاقات

الاجتماعية . وقد أمكن استخلاص عدد من المعادلات الرياضية للاستفادة بها في هذه الناحية . ويمكن الرجوع في ذلك الى المراجع الاحصائية ومراجع علم النفس الاجتماعي التي تعالج هذا الجانب بتفصيل لا يسمح به مجال هذا الكتاب .

والخلاصة أن الاساليب السوسيومترية تفيد في دراسة العلاقات الاجتماعية داخل جماعة محدودة ، ويمكن عن طريقها اكتشاف كثير من خصائص الجماعة والظواهر المرتبطة بها كظاهرة القيادة والصداقة والتوافق الاجتماعي ومكانة الافراد الاجتماعية بالنسبة لغيرهم من الافراد ، كما تفيد في قياس مستوى الروح المعنوية بين أعضاء الجماعة ومدى ارتباطهم ببعض .

ويمكن أيضا من طريق اعادة الاختبار السوسيومتري في مراحل مختلفة معرفة التغيرات التي تحدث في تنظيم الجماعة وفي مراكز الافراد واتجاهاتهم . الا أننا نود أن نشير الى أن الاختبارات السوسيومترية لا تكفي وحدها في أعطاء بيانات متعمقة عن العلاقات بين الاشخاص . ولذا ينبغي الاعتماد — الى جانبها — على الدراسات والبحوث المنظمة التي تستند الى أساس نظري عميق ، والتي تستعين بأدوات ووسائل أخرى تفيد في دراسة العلاقات الاجتماعية المختلفة في تفاعلها المباشر وغير المباشر .

***

ثانيا : قياس الاتجاهات

● تعريف الاتجاه :

اختلفت تعاريف العلماء في تحديد معنى الاتجاه Attitude فيعرفه توماس Thomas وزنانيكي Znanieki بأنه الموقف النفسي للفرد حيال احدى القيم والمعايير . فموقف المواطن الصالح من السرقة في مجتمع يعاقب اللص ويدعو الى الامانة ، اتجاه نفسي تحدده المعايير الاجتماعية القائمة (١).

ويعرفه بوجاردوس Bogardus بأنه الميل الذي ينحو بالسلوك قريبا من بعض عوامل البيئة أو بعيدا عنها ، ويضفي عليها معايير موجبة أو سالبة تبعا لانجذابه لها أو نفوره منها ، أي انه بذلك يؤكد البيئة الخارجية (٢) .

ويعرفه البورت Allrort بأنه حالة استعداد عقلي عصبي نظمت عن

---

(١) Thomas, W., and ZnaniKi, F., The Polish Peasant in America, 1918, Vol. 1, p. 27.

(٢) Bogardus, E., Fundamentals of Social Psychology, 1931, p. 52.

طريق التجارب الشخصية ، وتعمل على توجيه استجابة الفرد لكل الأشياء والمواقف التي تتعلق بهذا الاستعداد (١) .

فالاتجاه اذن عبارة عن حالة استعداد كامنة يظهر اثرها اذا ما ظهر المثير المتعلق بها . وقد يكون الاتجاه تجاه شيء مادي خاص أو مجموعة أشياء، وقد يكون نحو شخص أو مجموعة أشخاص ، وقد يكون نحو شيء معنوي . وتتكون الاتجاهات نتيجة لتأثر الفرد بمثيرات مختلفة تنبعث من اتصاله بالبيئة المادية والاجتماعية والثقافية ولذا فانها قابلة للتغير تبعـا لتغير صلة الفرد بتلك المثيرات .

ولنأخذ مثالا يوضح لنا معنى الاتجاه : في المجتمعات المختلفة نجـد الافراد قد كونوا اتجاهات مختلفة نحـو حق اشـتغال المرأة في الوظائف العامة . فاذا درسنا ما يكنه هؤلاء الافراد تجاه المرأة لوجدنا الوانا مختلفة من الموافقة أو المعارضة . وهذه الالوان تتراوح في الغالب بين الموافقة التامة على مبدأ اشتغال المرأة والمعارضة الشديدة لهذا المبدأ .

وقد يعبر المؤيدون والمعارضون عن اتجاهاتهم لفظيا نتيجة سؤالهم ، او تلقائيا في جلسة مع بعض المعارف أو الاصدقاء ، أو قد يعبرون عن سلوكهم بشكل عملي ان كانوا في مركز يسمح لهم بالممارسة العملية لاتجاهاتهم . وفي مقدور الباحث أن يقيس هذه الاتجاهات باستخدام الاسـاليب العلمية الصحيحة ليتعرف على نوع الاتجاه ومداه ، والظروف التي تصاحب نشأته وتطوره .

***

● **الطريقة العلمية لقياس الاتجاهات :**

يتضح من التعريفات السابقة للاتجاهات العقلية أنها ليست استجابات يمكن ملاحظتها ملاحظة مباشرة ، وانما هي مجرد حالات استعداد للاستجابة اذا ما ظهرت المثيرات المتعلقة بها . وهذه الحالات يمكن استنتاجها بالحصول على استجابات لفظية أو غير لفظية لمواقف معينة يوجدها الباحث . وتنقسم أساليب قياس الاتجاهات الى قسمين هما :

(أ) المقاييس اللفظية :

يتكون المقياس اللفظي من عدد من العبارات (الوحدات) تختلف من حيث شدتها ومداها ، ويطلب الى المبحوث أن يحدد موقفه منها سواء بالموافقة

---

(١) G. Allport, Atitudes, in A Handbook of Social Psychology, 1935. p. 310.

أو بالرفض ويشترط فى العبارات التى يتكون منها المقياس اللفظى أن يمثل مواقف فعلية تترجم معنى الاتجاه ترجمة أقرب الى الواقع ، وتعكس ما يمكن أن يفعله الفرد فعلا فى هذه المواقف حتى يكون الاتجاه اللفظى مطابقا للاتجاه الحقيقى للفرد .

(ب) الاساليب الاسقاطية Projective Aechniques :

تقوم الاساليب الاسقاطية على أساس « مكانيزم الاسقاط » فى نظرية التحليل النفسى ، أى على أساس الافتراض بأن تنظيم الفرد لموقف غامض غير محدد البناء يدل على ادراكه للعالم وعلى استجابته له (١) . ولذا تتميز هذه الاساليب بأنها تواجه الفرد بمواقف غامضة تثير استجابات متعددة متباينة وقد تكون هذه المواقف عبارة عن صورة غير واضحة كما فى اختبار بقع الحبر Inkblot Test ، أو صور مبهمة كما فى اختبار فهم الموضوع ، أو عبارات ناقصة كما فى اختبار التداعى الحر .

وتهدف هذه الاساليب الى تهيئة الجو المناسب للفرد ليعبر عما فى نفسه من أفكار واتجاهات دون أن يتبين حقيقة المقصود من تقديم المثير أو الدلالة الحقيقية لاستجابته . ولذا يعرف هذا النوع بالاساليب الاسقاطية لان الفرد يسقط ما فى نفسه من أمور خفية فى استجاباته لتلك المثيرات الغامضة (٢) .

ونظرا لسهولة استخدام الاساليب اللفظية فى قياس الاتجاهات العقلية عن الاساليب الاسقاطية ، فقد شاع استخدامها فى مجال البحث الاجتماعى أكثر مما عداها من أساليب .

وسنحاول فى هذا المجال أن نعرض لأهم الأساليب اللفظية المتبعة فى قياس الاتجاهات :

١ — طريقة المقارنة الزوجية Paired Comparisons :

كان « ثرستون Thurstone » أول من استخدم هذه الطريقة فى قياس الاتجاهات (٢) . وتعتمد فى جوهرها على المقارنة بين موضوعين ثم تفضيل أحدهما على الآخر بالنسبة لهدف الاتجاه المراد قياسه . ويمكن استخدام هذه الطريقة للمقارنة بين أى عدد من الموضوعات على أن يقدم

(١) Selltiz et al., op. cit., p. 280.

(٢) Ibid., p. 182.

كل اثنين معا للحكم والمقارنة بينهما . فاذا اردنا أن نقيس اتجاهات الطلاب نحو المواد الدراسية أو الجماعات المدرسية مثلا ، فاننا نعرض على الطلاب مادتين أو جماعتين ليفضل احداهما على الاخرى، ثم نعرض عليه زوجا ثانيا وثالثا حتى تستغرق المقارنات جميع الاحتمالات الزوجية الممكنة .

فاذا افترضنا أن لدينا أربع مواد دراسية هي : الاجتماع ، وعلم النفس ، والاحصاء ، والبحث الاجتماعي ، واردنا قياس اتجاهات طلاب نحوها باستخدام طريقة المقارنة الزوجية ، فاننا نحصل على ست مقارنات هي :

١ — الاجتماع وعلم النفس .
٢ — الاجتماع والاحصاء .
٣ — الاجتماع والبحث الاجتماعي .
٤ — علم النفس والاحصاء .
٥ — علم النفس والبحث الاجتماعي .
٦ — الاحصاء والبحث الاجتماعي .

ولحساب عدد المقارنات نضرب عدد الحالات (المواد الدراسية) في (عددها — ١) ثم يقسم الناتج على ٢ . فاذا كان عدد الحالات = ن كان

عدد المقارنات الزوجية الممكنة = $\frac{ن (ن — ١)}{٢}$ اى $\frac{٤ (٤ — ١)}{٢}$ = ٦ .

ولما كان عمل المقياس لا يقتصر على ترتيب الوحدات ، بل يتعدى ذلك الى تحديد الفترات اى البعد بين كل وحدة والتى تليها حتى يتسنى للباحث عند الحاجة اختيار وحدات متساوية البعد ، فان الباحث يحتاج الى تكرار البحث عدة مرات ليحصل على ترتيب التفضيل اما من اشخاص عديدين أو من شخص واحد عدة مرات ، ثم النسب المئوية لتفضيل أى موضوع بالنسبة لبقية الموضوعات . ويمكن بعد ذلك تحويل هذه النسب المئوية الى درجات معيارية ، وتجمع هذه النسب في كل عمود ويحسب متوسطها يمكن الحصول على مقياس متدرج مع الوقوف على بعد المسافات بين كل موضوع (عنصر) وآخر في هذا المقياس(١) .

---

(١) يرجع الى : السيد محمد خيرى : الاحصاء في البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية ، ص ٥١٢ — ٥١٤ للوقوف على طريقة التحليل الاحصائي لنتائج المقارنات الزوجية .

وتتميز هذه الطريقة على غيرها فى أنها تسمح للفرد بالمقارنة بين موضوعين فقط فى وقت واحد ، الا أن من عيوبها أنها تحتاج الى عدد كبير من المقارنات الزوجية كلما زاد عدد الموضوعات المراد قياس الاتجاه نحوها .

***

٢ — مقياس البعد الاجتماعى Social Distance Scale :

أعد « بوجاردوس «Bogardus» هذا المقياس سنة ١٩٢٥ لقياس اتجاهات الامريكيين نحو افراد شعوب أجنبية مختلفة ، ولا يزال هذا المقياس يستخدم حتى الآن فى التعرف على اتجاهات الافراد نحو مختلف الاجناس العنصرية .

ويحتوى المقياس على سبع عبارات تعبر كل منها عن موقف من مواقف الحياة الحقيقية ، وتقيس مدى البعد الاجتماعى الذى يحسه المبحوث نحو الشعوب المختلفة . فالشخص الذى يتقبل شخصا آخر لا يرغب فى أن يكون بينهما بعد اجتماعى بخلاف الشخص الذى ينفر من شخص آخر . ولذا وضعت العبارات لتقيس درجة التقبل أو النفور .

وفيما يلى تعليمات المقياس : تبعا لانطباعاتى الاولى : أقبل عن رضاء وضع اعضاء كل جنس من الاجناس الآتية (على اعتبار أنهم مجموعة — وليس على أساس الانطباع أو الاثر الفردى الذى تركه أحسن ، وأسوأ من عرفت منهم) فى قسم أو أكثر من الاقسام التى وضعت دائرة حولها .

ويتكون المقياس من السبع وحدات الآتية :

١ — علاقة متينة بالزواج .
٢ — فى النادى الذى أنتمى اليه كأصدقاء .
٣ — فى نفس الشارع الذى أعيش فيه كجيران .
٤ — كموظفين فى مثل عملى فى نفس القطر .
٥ — كمواطنين فى بلدى .
٦ — كزائرين فقط لبلدى .
٧ — أستبعدهم من بلدى (١) .

وقد قاس بوجاردوس البعد الاجتماعى تجاه الكوريين والانجليز والبولانديين والسويديين . فوجد أن الامريكيين يتقبلون الشعوب بالترتيب الآتى : الانجليز — السويديين — البولانديين — الكوريين .

---

(١) Bogardus, E., Immigration and Race attitudes, Boston, 1928. p. 25.

وفيما يلى نتائج تطبيق هذا المقياس بالنســبة للشعوب الأربعة فى صورة نسب مئوية (١) :

درجات المقيــاس

الشعوب	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
الانجليز	٩٣ر٧	٩٦ر٧	٩٧ر٣	٩٥ر٤	٩٥ر٩	١ر٧	—
السويديون	٤٥ر٣	٦٢ر١	٧٥ر٦	٧٨ر٠	٨٦ر٣	٥ر٤	١ر٠
البولنديون	١١ر٠	١١ر٦	٢٨ر٣	٤٤ر٠	٥٨ر٣	١٩ر٧	٥ر٧
الكوريون	١ر٠	٦ر٨	١٣ر٥	٢١ر٤	٢٣ر٧	٤٧ر١	٤٩ر١

ويلاحظ على مقياس بوجاردوس ما يأتى :

١ — أن المقياس تجمعى حتى الوحدة الخامسة . فمن يوافق على الوحدة الاولى يوافق عادة على الثانية والثالثة والرابعة والخامســة كذلك ، لأن الشخص الذى يرضى بأن يتزوج فتاة من جنس آخر غالبا ما يقبل انتماء هذا الجنس الى النادى أو الشارع الذى يسكنه — ولذلك تزداد النسب المئوية حتى الوحدة الخامسة دائما . أما الذين يوافقون على الوحدتين الســادسة والسابعة فهم فئة أخرى لا علاقة لها بالذين يوافقون على الوحدات الخمس الاولى . ولذا يمكن الحصــول على درجة واحدة لأى شعب من الشــعوب بالاقتصار على الوحدات الخمس الاولى .

٢ — أن وحدات المقياس لا تتدرج بشــكل متساو كما أنها تشتمل على مواقف تعكس اتجاهات بعض الأفراد المتطرفين تطرفا زائدا نحــو الأجناس أو الشعوب المختلفة .

٣ — هنــاك طرق عديدة يمكن اتباعها لاعطاء درجة لكل شعب من الشعوب بتحليل الاستجابات التى يعطيها الأفراد الذين يجرى عليهم القياس . منها اعطاء أوزان للنسب المئوية لاستجابات وحدات القياس أى بضرب كل نسبة فى رقم الوحدة . ثم اختبار دلالة الفروق للتعرف على وجود فروق لها دلالة احصائية قبل الأخذ بهذه الدرجات .

ومما تجدر الاشارة اليه ان الدرجات التى تحصل عليها لا تفيــد فى المقارنة النسبية بين المجموعات ، وانما تفيد فقط فى مجرد ترتيب هــذه

---

(١) Ibid., p. 25.

الشعوب ، ذلك لأن هذا المقياس ليس له صفر مطلق من ناحية ولا تتساوى الأبعاد بين وحداته من ناحية أخرى ، وهى شروط أساسية ينبغى أن تتوافر فى المقياس العلمى الصحيح(١) .

***

٢ — مقياس ثرستون Thurstone :

تستهدف هذه الطريقة اختيار وحدات القياس تمثل درجات مختلفة من الاتجاه بصورة يمكن معها تحديد قيم دقيقة لكل منها ، وبحيث تكون متساوية الأبعاد .

وقد طبق ثرستون هذه الطريقة أولا فى قيـــاس الاتجاه العقلى نحـــو الكنيسة ، ثم طبقها بعد ذلك فى قياس الاتجـــاهات نحو موضوعات أخرى متعددة مثل الحرب وتحديد النسل والعقاب البدنى(٢) .

ويمكن تحديد الخطوات التى تتبع فى أعداد المقياس بطريقة ثرستون فيما يلى :

١ — يجمع الباحث عددا كبيرا من العبارات التى تمثل الاتجـــاه نحـــو الموضوع المراد قياسه بحيث تمثل درجات مختلفة من التأييد والمعارضة . وقد جمع ثرستون على سبيل المثال ١٣٠ عبارة ليستعين بها فى مقياس الاتجـــاه نحو الكنيسة .

٢ — تفحص الجمل للتأكد من أنها ذات طول معقول ، وأنها بســـيطة وواضحة وتشير الى الموضوع اشارة مباشرة .

٣ — تكتب كل عبارة على بطاقة منفصلة ، ثم توزع على عدد كبير من المحكمين الذين لهم صلة بالموضوع ويطلب اليهم أن يقوموا بتصنيفها — كل على حدة — حسب ما تتضمنه من التأييد والمعارضة فى ١١ فئة يرمز الى كل منها بحرف من حروف الهجاء . ثم تعطى كل فئة درجة ، فتعطى الفئة الأولى الرقم ١ ، والفئة الوسطى الرقم ٦ ، والفئة الأخيرة الرقم ١١ ، وهكذا .

وقد وجد ثرستون أن اغلب المحكمين يتفقون فى تصنيفهم لمعظم العبارات

---

(١) Goode and Hatt, Ibid.

(٢) Remmers, H. H., Introduction to Opinion and Attitude Measurement, p. 8.

لدرجة لا بأس بها . اما العبارات التى لا يتفقون عليها اتفاقا كبيرا فكان يحذفها لأنها تعتبر غامضة فى تعبيرها عن الاتجاه المطلوب قياسه .

٤ — تدرج جميع الجمل الباقية بعد حذف غير الواضح منها ، فتعطى الجمل فى الفئة الأولى درجة واحدة ، وفى الفئة الثانية درجتين ، ثم يحسب وسيط الدرجات المعطاة لكل جملة من تقديرات جميع المحكمين .

٥ — يقوم الباحث باختيار الجمل التى تكون المقياس بحيث تكون موزعة بين حدى المقياس ، واذا كانت هناك فواصل لم تملأ تضاف جمل جديدة يحتمل ان تملأ هذه الفواصل ويعاد تقدير المحكمين الى أن يتم اختيار العبارات المطلوبة ، وينبغى اختيار العبارات التى تحقق توزيعا ذا مسافات متساوية تقريبا على المقياس ، واذا وجدت عبارات تعطى وسيطا واحدا فينبغى الاكتفاء منها بجملة واحدة(١) .

وتتكون معظم مقاييس ثرستون من ٢٢ عبارة موزعة بالتساوى تقريبا ، بحيث تفصل كل عبارة عن التى تليها نصف وحدة متساوية . وكانت العبارات ترتب على المقياس ترتيبا عشوائيا ، ويمتاز هذا المقياس بأنه يقلل العناء بالنسبة للمبحوث بدرجة كبيرة جدا ، فما عليه الا أن يقرأ العبارات ويضع علامة الى جانب العبارة أو العبارات التى يرى أنه موافق عليها . وقد أثبتت التجارب أن المقياس اذا أعد اعدادا دقيقا كان ثباته وصدقه مرتفعين . الا أن اعداد المقياس يتطلب عناء وجهدا كبيرين حتى يصبح المقياس صالحا للاستعمال ، وخاصة مشكلة المحكمين للتوصل الى الاوزان الخاصة بكل عبارة أو وحدة من وحدات المقياس(٢) .

***

٤ — مقياس ليكرت Likert :

حاول ليكرت التغلب على صعوبة المحكمين فى طريقة ثرستون ، ولذا لجأ الى طريقة أخرى يستعان فيها بالمبحوثين بدلا من المحكمين ، وتشتمل هذه الطريقة على الخطوات التالية :

---

(١) Thurstone, L., and Chave, E., The Measurement of Attitude Toward the Church Chicago, 1929 ; Thurstone, L. The Measurement of Soc. Attitudes. Journ abnorm. Soc. Psychol., 1931 26; 249-269 ; Remmers, H. H., Introduction to opinion and Attitude Measurement, chap. 4, pp. 87-90.

(٢) Goode and Hatt, op. cit., pp. 262-278; Selltize et al., pp. 359-362.

١ — يجمع الباحث عددا من العبارات التى تمثل الاتجاه نحو الموضوع المراد قياسه بحيث تمثل درجات مختلفة من التأييد والمعارضة . ولا يتطلب هذا المقياس العدد الكبير من العبارات الذى يتطلبه مقياس ثرستون اذ يكتفى فيه بحوالى ١٥ عبارة ، ومن الأفضل أن يبدأ الباحث بحوالى ٣٠ عبارة فى المتوسط .

٢ — تصـاغ الجمل بحيث تـكون ذات طول معقول ، وبحيث تتميز بالبساطة والوضوح ، ولا ينبغى أن يتضمن المقياس عبارات غامضـة أو محايدة أو عبارات تحتمل أكثر من معنى .

٣ — تخلط العبارات عشوائيا ، وتجرب على مجموعة من الأشخاص يطلب منهم الاستجابة لكل عبارة باحدى العبارات التالية :

أوافق بشدة — أوافق — غير متأكد — أعارض — أعارض بشدة .

٤ — لتصحيح الاستجابات تعطى درجة من ١ الى ٥ على الاستجابات المختلفة بحيث تعطى درجة واحدة على المعارضة الشديدة للعبارة التى تمثل الاتجاه، وخمس درجات على الموافقة التامة للعبارة التى تمثل الاتجاه . ففى مقياس للاتجاه نحو اشتغال المرأة بالاعمال السياسية ، اذا أجاب شخص على عبارة « يجب اشتغال المرأة بالأعمال السياسية » بالموافقة الشديدة فانه يعطى خمس درجات أما اذا وافق بشدة على عبارة « اشتغال المرأة بالأعمال السياسية يعتبر جريمة فى حق الوطن » فانه يعطى درجة واحدة ، ثم تجمع الدرجات التى يحصل عليها الفرد فى جميع وحدات المقياس ، وتمثل درجة الكلية للفرد مجموع درجاته فى العبارات المختلفة التى يتكون منها المقياس واذا أريد الحصول على الدرجة المتوسطة يقسم مجموع الدرجات على عدد العبارات .

٥ — لتحقيق الثبات الداخلى بين وحدات المقياس ، تحسب معاملات الارتباط بين درجات استجابة كل عبارة ودرجات المقياس كله ، ثم تستبعد العبارات التى لا ترتبط ارتباطا عاليا بالدرجة الكلية للمقياس ، وتستبقى العبارات الأخرى .

وتتميز طريقة ليكرت على طريقة ثرستون فى أنها تتغلب على صعوبة الاعتماد على المحكمين ، كما أنها تمدنا بمعلومات وافية عن المبحوث حيث أنه يعبر عن شدة اتجاهه بالنسبة لكل عبارة من عبارات المقياس بخلاف طريقة ثرستون التى لا تسمح للمبحوث الا بالتعبير بالموافقة أو الرفض على

عبارات المقياس دون أن يبين مدى موافقته أو معارضته للعبارات المطروحة امامه(١) .

ومن عيوب هذه الطريقة أن الدرجة النهائية التى يحصل عليها المبحوث لا تحمل معنى واضحا . فقد يحصل على نفس الدرجة أشخاص كثيرون يختلفون بعضهم عن بعض فى اتجاهاتهم (٢) .

ثم ان البعد بين وحدات المقياس ليس متساويا ، فاذا حصل أربعة أشخاص على درجات ٢٥ ، ٣٠ ، ٣٥ ، ٤٠ فان الفرق فى الاتجاه بين الشخص الاول والثانى لا يكون بالضرورة مساويا للفرق فى الاتجاه بين الشخص الثانى والثالث أو بين الثالث والرابع ، وللتغلب على هذه الصعوبة لجأ بعض الباحثين الى ترجيح مقياس ليكرت باعطاء الفئات الخمسة أوزانا خاصة تؤدى الى جعله مقياسا متساوى الأبعاد .

هذا ومن الممكن الجمع بين طريقتى ثرستون وليكرت بحذف العبارات المحايدة فى مقياس ثرستون وجعل الاستجابات بالفئات المحددة فى مقياس ليكرت .

***

٥ ــ طريقة جتمان Guttman :

تعرف هذه الطريقة باسم الطريقة أحادية البعد Unidimentional أو طريقة التدرج التجمع حيث انها تستهدف عمل مقياس يتزايد تجمعه كلما اقتربت العبارات من نهاية المقياس . فالشخص الذى يوافق على عبارة معينة لابد أن يكون قد وافق على جميع العبارات الأدنى منها . وتوضح ذلك بالمثال التالى :

اذا سألنا شخصا عن وزنه ، ووجهنا اليه الأسئلة التالية :

١ ــ هل يزيد وزنك عن ٩٠ كيلو ؟	نعم ( ) لا ( )
٢ ــ هل يزيد وزنك عن ٨٠ كيلو ؟	نعم ( ) لا ( )
٣ ــ هل يزيد وزنك عن ٧٠ كيلو ؟	نعم ( ) لا ( )
٤ ــ هل يزيد وزنك عن ٦٠ كيلو ؟	نعم ( ) لا ( )
٥ ــ هل يزيد وزنك عن ٥٠ كيلو ؟	نعم ( ) لا ( )

---

(١) Selltiz et al., p. 363; Rummers, op. cit., p. 96.

(٢) Selltiz et al. ,p. 870.

فاذا أجاب الشخص بالايجاب عن السؤال الأول فلابد وأن يجيب بالايجاب عن بقية الاسئلة . واذا أجاب بالنفى عن السؤال الثالث وبالايجاب على السؤال الرابع ، فعليه أيضا أن يجيب بالايجاب عن السؤال الخامس لأن الشخص الذى يزيد وزنه عن ٦٠ كيلو يزيد كذلك عن ٥٠ .

وبالمثل اذا سألنا شخصا عن مدخراته فقال انها تزيد على ١٠٠٠ جنيه فاننا نستدل على أنه قد ادخر من قبل ٩٠٠ ، ٨٠٠ ، ٧٠٠ جنيها وهكذا .

واذا سألنا شخصا عن مدى تأييده لتعليم البنات فقال انه يؤيد تعليمهن تعليما عاليا ، فاننا نستدل على أنه لا يعتبر تعليم البنات حتى نهاية المرحلة الثانوية أو الاعدادية أو الابتدائية كافيا .

ومن المتبع عادة زيادة خطوات مثل هذا المقياس المتدرج بوضع الاستجابة لكل جملة فى المقياس على درجات كالدرجات المتبعة فى مقياس ليكرت بدلا من الاكتفاء بكلمتى نعم ولا (١) .

ويلاحظ ان التدرج التجمعى شرط أساسى فى نظر جتمان . وهذا الشرط لم يتوفر فى أى من المقاييس التى عرضنا لها . ومن مزاياه ان الباحث يستطيع من الدرجة التى يحصل عليها الفرد ان يتعرف على العبارات التى وافق عليها ، ولن يشترك فردان فى درجة واحدة على مقياس جتمان الا اذا كانا قد اختارا نفس العبارات ، كما أنه بعد أعداد المقياس يمكن ترتيب الأفراد بسهولة تبعا لاستجاباتهم دون الحاجة الى عمليات احصائية .

ومما يؤخذ على طريقة جتمان فى القياس أنها لا تضمن تساوى البعد بين وحدات المقياس ، كما أنها لاتدل على وسيلة حاسمة لاختيار الوحدات الصالحة أو لضم فئات درجات اجابة هذه الوحدات . ثم ان من النادر ان يصل الباحث الى المستوى الذى يتطلبه المقياس من التدرج فى الظواهر الاجتماعية أو النفسية . ولذا فان تطبيق هذه الطريقة لايزال قاصرا على الاتجاهات الواضحة التدريج .

***

---

(١) للوقوف على الخطوات التفصيلية لاعداد المقياس بطريقة جتمان يمكن الرجوع الى :

Selltiz, et al., Ibid, pp. 373-377.

Remmers, op. cit., pp. 99-105.

Goode and Hatt, op. cit., pp. 285-295.

ثالثا : مقاييس الرأى العام

● تعريف الرأى العام :

تتفق أغلب تعريفات الرأى العام على أنه عبارة عن الاتجاه بين أفراد مجتمع معين نحو أمر من الامور تتعلق بهم والتى تؤثر فى مصالحهم العامة والخاصة . وبناء على هذا التعريف يمكن تحديد مكونات الرأى العام بما يأتى :

١ ـ أنه اتجاه جماعى بمعنى أنه حالة استعداد عقلى تؤثر تأثيرا توجيهيا على استجابات الافراد لجميع الاشـياء والمواقف المتعلقة بهذا الاستعداد . فاذا قلنا مثلا انه فى أعقاب العدوان الثلاثى على مصر فى سنة ١٩٥٦ ، ظهر موقف عام يستنكر موقف فرنسا وانجلترا واسرائيل ، فان معنى ذلك أنه وجد اتجاه جماعى يسـتنكر هذا الموقف ويقف منه موقفا عدائيا . وقد عبر هذا الاتجاه عن نفسه بوقوف المصريين فى وجـه الدول المعتدية ، ومحاولتهم رد العدوان عن بلادهم .

٢ ـ الرأى العام لا يعبر عن اتجاه جميع أفراد المجتمع ، وانما يعبر عن رأى الغالبية العظمى فيه . ولذا يعبر عنه بكلمة ـ الرأى الغالب ـ لان من النادر أن يكون الرأى العام اجماعيا بمعنى الكلمة . أى أنه لا يكون مطلقا فى عموميته الا فى القليل النادر .

٣ ـ قد يعبر الرأى العام عن اتجاهات الافراد فى جماعة صغيرة أو فى مجتمع محلى ، وليس من الضرورى أن يكون صادرا عن اتجاهات الافراد فى المجتمع العام . فقد يكون هناك رأى عام بالنسبة لمجتمع المدرسة أو مجتمع المصنع أو مجتمع القرية ، كما قد يشمل الرأى العام أفراد الامة أو أفراد العالم أجمع . ففى المدرسة قد ينشأ رأى عام معارض لاحد النظار نتيجـة لاجراءاته التعسفية داخل المدرسة ، وفى المصنع قد ينشأ رأى عام بين العمال يطالب بزيادة الأجور أو تقليل ساعات العمل ، وبالمثل يمكن أن يظهر رأى عام فى داخل الدولة يطالب باقالة وزارة معينة أو يدعو الى تأميم وسـائل الانتاج ، كما قد يظهر رأى عام عالمى يطالب بحظر الأسـلحة الذرية فى الحروب . ويتوقف ذلك على مدى أهمية الموضـوع ودرجة ارتباطه بالجماعات المختلفة .

هذا وقد تعرض كثير من الكتاب الاجتماعيين لموضوع الرأى العام ، واختلفوا فى تحديد ماهيته ، وتفسير طبيعته . فذكروا آراء كثيرة منها أن

الرأى العام « رأى مركب » أى انه يتكون من التقارب والتوفيق بين الآراء المختلفة فى المجتمع ، الا ان هذا الرأى غير صحيح . فمجرد الجمع بين الآراء لا يكون رأيا عاما ، وانما يتكون هذا الرأى من تفاعل آراء أفــراد المجتمع وأحكامهم ومشاعرهم بعضها مع بعض بحيث ينشأ عن هذا التفاعل رأى جديد متميز يختلف اختلافا كليا عن كل رأى على حدة .

ويخلط البعض بين الاشاعة والرأى العام . ويصفون الاشاعة بأنها رأى عام لم يستقر بعد ، الا أن هناك فرقا كبيرا بين الاثنين . فالاشــاعة لا تنتمى الى شخص معين أو هيئة بذاتهـــا ، بينما الرأى العام يتضـــمن شخصية جمعية ولو من الناحية النظرية ، اذن لكى يوجد الرأى العام لابد من وجود جمهور يعبر هذا الرأى عنه .

ويخلط البعض أيضـــا بين الرأى العام وانفعالات الجماهير . الا أن الرأى العــــام يختلف اختــــلافا واضحا عن انفعالات الأفراد فى الجمهرة : فالرأى العام يعتمد على اتصال الاشخاص روحيا وتقاربهم فى الآراء والاتجاهات والميول ، أما انفعالات الجماهير فتعتمد على اجتماع الاشخاص بعضهم مع بعض واتصالهم المادى الوثيق . والرأى العام يعتمد على المنطق والاتزان وتقل فيه قوة الايحاء ، أما فى الجمهرة فتشتد قوة الايحاء نتيجة تقارب الافراد فترة من الزمان واتصالهم ببعض اتصالا وثيقا . ونتيجة لأن الرأى العام يعتمد على أفكار وآراء وأحكام مشتركة نوقشت واتضحت فانه أكثر بقاء واستمرارا من انفعالات الجماهير التى يحركها الحماس المؤقت فى مناسبة من المناسبات أو ظرف من الظروف .

***

● أنواع الرأى العام :

توجد تصنيفات متعددة للرأى العام . نذكر منها هذه الانواع .

أولا ـــ من ناحية وجـــوده :

(أ) رأى عام موجود بالفعل :

وهو الرأى العام القائم فعلا فى وقت من الاوقات ، ويظهر هذا الرأى فيما تكتبه الصحف أو فيما يظهره الناس فى أحاديثهم ومناقشاتهم من تعليقات. فاذا فصلت احدى الشركات مجموعة من العمال ، فان ذلك قد يترتب عليه ظهور رأى عام بين العمال يستنكر موقف الادارة من العمال المفصولين . وقد يتمثل هذا الرأى العام فى تعليقات العمال أو احتجاجهم أو قيامهم باضراب . فى هذه الحالة يكون الرأى العام موجودا بالفعل ، وقائمـــا بطريقـــة يمكن ملاحظتها ملاحظة مباشرة أو غير مباشرة .

(ب) رأى عام متوقع :

وهو الرأى الذى يتوقع ظهوره فى أعقاب حادثة من الحوادث أو مشكلة من المشكلات التى تشغل بال الرأى العام . ولتوضيح ذلك نضرب المثال التالى : اذا فصلت الشركة مجموعة من العمال وترتب على ذلك ظهور رأى عام معارض ، فى هذه الحالة يكون الرأى العام موجودا بالفعل . أما اذا فرض وفكرت الشركة فى فصل مجموعة من العمال وهى تعلم ما يمكن أن يترتب على هذا الفصل من معارضة ، فان من المتوقع فى هذه الحالة حدوث رأى عام معارض لموقف الشركة ويسمى هذا الرأى العام « بالرأى العام المتوقع وجوده » .

ثانيا — من ناحية ظهوره :

(أ) رأى عام ظاهر :

وهو الرأى الذى يعبر عنه الناس علانية فى الصحف والمجلات والأحاديث العامة والخاصة . وكلما كان الافراد يتمتعون بالحرية السياسية والاجتماعية أمكنهم التعبير عن آرائهم فى المشكلات التى تشغل أذهانهم بحيث تكون هذه الآراء معبرة تعبيرا صريحا صادقا عما يعتمل فى نفوسهم من مشاعر وأحاسيس ، وما يبدو فى أذهانهم من آراء واتجاهات .

(ب) رأى عام غير ظاهر :

وهو الذى لا يستطيع الأفراد أن يعبروا عنه تعبيرا صريحا واضحا ، ويحدث هذا غالبا فى المجتمعات التى لا يتمتع فيها الافراد بالحرية السياسية والاجتماعية . فاذا أتيحت لهم فرصة التعبير عن هذا الرأى بأية صورة من الصور فانه يتحول من رأى عام غير ظاهر الى رأى عام ظاهر .

ثالثا — من ناحية درجة اندفاعه :

(أ) رأى عام مستنير :

وهو الرأى الذى يتكون نتيجة للمناقشة الهادئة المتزنة ولا يندفع أصحابه وراء العواطف والانفعالات . وينشأ هذا الرأى كلما كانت الجماعة متماسكة وكانت مصالح الافراد مشتركة ، وكلما كان المجتمع متمتعا بشخصية ذاتية تساعد الأفراد على أن يعتزوا بقوميتهم وأنفسهم ، فيساهموا فى بناء مجتمعهم مساهمة فعالة قائمة على الفهم الصحيح والادراك السليم . ومما يساعد أيضا على تكوين رأى عام مستنير انتشار التعليم بين الافراد ووجود قادة يرعون مصالح الجماعة ، وقيام العلاقات الطيبة بين الحاكمين والمحكومين .

(ب) رأى علم غير مستنير :

وهو الرأى العام الذى يندفع أصحابه وراء العواطف والانفعالات دون أن يناقشوا الامور بهدوء وروية . فاذا وجدت فى الجماعة دعاية كاذبة ، فانها تؤدى الى عدم فهم الافراد للامور فهما صحيحا ، ويؤدى ذلك الى تعذر تكوين رأى علم مستنير . واذا وجد فى الجماعة قائد يستبد برأيه وأحكامه ، تعذر على أفراد المجتمع ابداء آرائهم ومناقشة الآخرين فيها . ومعنى ذلك الا يتكون رأى عام مستنير . ولقد كان بسمارك يقول : « أنا الرأى العام لانى اصنعه » . وكان يؤثر على الرأى العام عن طريق الصحافة والاذاعة . ومما يساعد على عدم ظهور رأى عام مستنير عدم تماسك الجماعة وعدم التجانس بين الجماعات المكونة للمجتمع ، وانتشار الجهل ، وسوء العلاقات بين الحاكمين والمحكومين .

رابعا — من ناحية استمراره :

(أ) رأى عام دائم :

وهو الذى يعتنقه الافراد لفترات طويلة مثل كراهية العرب للصهيونية ، وكراهية البيض فى الولايات المتحدة للزنوج . وهذا الرأى العام قد يصل بأصحابه الى درجة التعصب .

(ب) رأى عام مؤقت :

وهو الذى يقوم حول حادثة طارئة لا تستمر فترة طويلة ، ويزول هذا الرأى بمجرد زوال الاثر الواقع على الافراد نتيجة لهذه الحادثة أو الظرف الطارىء .



● قياس الرأى العام :

على الرغم من أن الرأى العام اتجاه ، الا أن طرق قياسه تختلف عن طرق قياس الاتجاهات التى سبقت الاشارة اليها ، اذ بينما تهدف مقاييس الاتجاهات الى تحديد موقع دقيق للافراد على مقياس ما ، تهدف مقاييس الرأى العام الى الحصول على مجرد توزيع لاستجابات الاتجاهات فى الجماعة ، وقد يكون هذا التوزيع فى أبسط صوره عبارة عن النسب المئوية لمن يؤيدون أو يعارضون موضوعا ما .

وتختلف مقاييس الاتجاهات عن مقاييس الرأى العام أيضا فى أن الاولى تحتوى عادة على عدد كبير من الوحدات المتدرجة ، بينما تحتوى الثانية على عدد أقل كثيرا . وقد تصل الى سؤال واحد أو جملة واحدة ، واذا وجدت عدة أسئلة فى مقاييس الرأى العام فانها تهدف فى الغالب الى الاحاطة بجميع

جوانب المشكلة المراد دراستها . ويكتفى الباحث فى استفتاءات الرأى العام توجيه السؤال أو مجموعة الأسئلة الى مفردات العينة ، ثم يحسب النتائج باستخدام النسب المئوية .

فاذا أراد أحد الباحثين مثلا أن يقيس اتجاهات الرأى العام نحو توظيف الزوجات ، فان من الممكن أن يوجه سؤالا كالآتى :

هل ترغب فى توظيف زوجتك ؟ أوافق ( ) لا أوافق ( ) لا رأى ( )
ثم تصنف الاستجابات ، وتحسب التكرارات والنسب المئوية وتوضع فى جدول بسيط كالآتى :

اتجاه الرأى العام	النسب المئوية
موافق	٣٠ ٪
غير موافق	٦٠ ٪
لا رأى	١٠ ٪
المجموع	١٠٠ ٪

ولدراسة اتجاهات الرأى العام نحو تحديد النسل يمكن توجيه سؤال كالآتى :

هل توافق على تحديد النسل ؟ أوافق ( ) لا أوافق ( ) لا رأى ( )
وبحساب النتائج يمكن توزيع الاستجابات فى جدول كالآتى :

اتجاه الرأى العام	النسب المئوية
موافق	٨٠ ٪
غير موافق	١٥ ٪
لا رأى	٥ ٪
المجموع	١٠٠ ٪

وتتضمن أغلب استفتاءات الرأى العام أسئلة عن الجنس والدين والسن والحالة العلمية والزواجية والاجتماعية بصفة عامة ليتسنى للباحث ايجاد العلاقة بين هذه المتغيرات المختلفة وبين توزيع الاستجابات العامة لمفردات البحث .

وللتأكد من دلالة النسب المئوية يمكن حساب ذلك بطريقتين : احداهما بمقارنة النسبة المئوية بالانحراف المعياري لها ، والثانية باستخدام اختبار كا٢ لاختبار الفرض الصفري بأنه ليس هناك اتجاه خلص نحـــو الموافقة أو المعارضة (١) .

هـــذا وتمـــر عملية قياس الرأي بالخطوات التي سبق تحـــديدها في أكثر من موضع في هذا الكتاب ، والتي تبدأ باختيار المشكلة وتحديد الهـــدف من البحث وتنتهي بتصنيف البيانات وتحليلها وكتابة التقرير .

وينبغي الاشارة الى أنه في بحوث الرأي العام تختار العينة اما بطريق الحصة أو بالطريقـــة العمدية . وفي العينة المختارة بطريق الحصـــة يقسم المجتمع الى طبقات أو فئات بالنسبة لخصائص معينة ، ثم يعمل الباحث على تمثيل كل فئة في العينة بنسبة وجودها في المجتمع ، ويترك لجامع البيـــانات حرية اختيار مفردات الحصة ، واستيفاء البيانات بشرط أن يلتزم بالحـــدود النوعية والعددية للعينة . أما في العينة العمدية فيتعمد الباحث أن تتكون من وحدات معينة لأنه يعتقد أنها تمثل المجتمع الاصلي تمثيلا صحيحا . وقد وجد الباحثون في استفتاءات الرأي العام أن بعض المناطق تعطي نتائج قريبة جدا لنتـــائج المجتمع الاصـــلي ، ولذا يتعمدون أن تكون العينة مكونة من هـــذه الوحدات طالما أنهم يعلمون بخبرتهم السابقة أنها تعطي صـــورة صحيحـــة للمجتمع بأكمله (٢) .

وقد وجهت الى طرق قياس الرأي العام عدة اعتراضات نناقشها فيما يلي :

١ ــ تقيس اغلب الاستفتاءات الرأي العام الظاهر فقط ، ولا تـــكشف عن الآراء الحقيقية التي يخشى الأفراد أن يعبروا عنها تعبيرا صريحا واضحا لخوفهم من أن البيانات المعطاة لن تحاط بالسرية التامة ، فيطلع عليها من يستطيع أن يلحق بهم الأذى .

(١) يرجع في ذلك الى :

السيد محمد خيري : الإحصاء في البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية ، الطبعة الثانية ، ص ٥٣٢ ــ ٥٣٦ .

(٢) يرجع في ذلك تفصيلا الى ماكتبناه في هـــذا الكتاب عن اختيـــار العينات .

وقد أظهرت نتائج احدى الدراسات التى أجريت بالولايات المتحدة أن شخصا واحدا من كل خمسة أشخاص (أى بنسبة ٢٠٪) يخشون الادلاء ببيانات صحيحة فى استفتاءات الرأى العام (١) .

وردنا على ذلك أن هذه المشكلة ليست قاصرة على استفتاءات الرأى العام وانما هى مشكلة عامة بالنسبة لجميع البحوث الميدانية . ففى كثير من الأحيان يرفض المبحوثون الادلاء ببيانات لجامعى البيانات ، أو يتعمدون تضليل الباحث باعطائه بيانات غير صحيحة . وقد ناقشنا هذه المشكلة بشىء من التفصيل ، وبينا أنه لعلاج هذه المشكلة ينبغى اثارة الوعى لدى المبحوثين عن طريق وسائل الاعلام المختلفة ، واختيار جامعى البيانات من بين الأفراد المدربين تدريبا كافيا والذين يسهل عليهم الاتصال بالجمهور وكسب ثقته . كما ينبغى المقارنة بين أقوال المبحوثين وبين الأدلة الموضوعية المتصلة بموضوع البحث ، واضافة أسئلة المراجعة للتأكد من صدق البيانات وصحتها .

٢ — يرى كثيرون أن العينات التى تختار فى بحوث الرأى العام لا تكون صادقة فى تمثيلها للمجتمع المأخوذة منه(٢) .

وفى رأينا أن هذه المشكلة ليست قاصرة على بحوث الرأى العام، وانما هى مشكلة عامة يمكن أن تواجه الباحث فى أى ميدان اجتماعى . الا أنها ليست مشكلة جوهرية ، فطالما كان الباحث على دراية بالعوامل التى تسبب الوقوع فى الخطأ — وخاصة الصدفة والتحيز — وملما بالقواعد الأساسية فى اختيار العينات ، أمكنه أن يختار مفردات البحث على أساس علمى سليم وأن يحصل على نتائج دقيقة بعيدة عن التحيز .

ولضمان صدق تمثيل العينة فى بحوث الرأى العام ، لا يترك الباحث لجامعى البيانات ، فى العينة المختارة بطريق الحصة ، حرية اختيار أى مجموعة من الأفراد . وانما يقسم المجتمع الى طبقات أو فئات بالنسبة للعوامل التى يرى أنها تعطى فروقا فى الرأى لها دلالتها الاحصائية ، ويترك لهم حرية اختيار مفردات الحصة ، مع اعطائهم التعليمات بضرورة استيفاء شروط العينة بالنسبة لكل عامل من العوامل أو بالتزام حدود عددية بالنسبة لمختلف العوامل المرتبطة بعضها ببعض كما سبقت الاشارة الى ذلك .

---

(1) Gallup, G., and Forbes R., the Pulse of Democrarcy, the Public Opinion Poll and How it Works, New York, 1940, p. 185

(٢) Rice, S., Polling Methods, Washington Post, No. 12, 1948; Heberle, R., Social Movements, New York, 1951, p. 199.

وفى العينة العمدية ، لا يتعمد الباحث اختيار وحدة معينة الا اذا كان يرى أنها تمثل المجتمع الأصلى تمثيلا صحيحا .

وعلى العموم فان الاخطاء المترتبة على اختيار العينات يمكن تلافيها باتباع الأساليب العلمية الصحيحة فى اختيار العينات .

٣ — يأخذ البعض على استفتاءات الرأى العام أنها تقيس الرأى الشخصى دون الرأى العام لأنها تعتمد على سؤال الأفراد كل على حدة(١). وليس من شك فى أن الأفراد لو سئلوا عن آرائهم وسط الجماعة ، فان النتائج سوف تختلف . وعند تصنيف الاستجابات وحساب النسب المئوية ، فان النتائج تلخص بصورة رقمية لا تظهر الفرق بين آراء القادة ذوى التأثير فى الجماعة وبين بقية آراء الاعضاء ، علما بأن رأى الجماعة له وزنه واعتباره ، ولا ينبغى أن يوضع على قدم المساواة مع غيره من الآراء(٢) .

وقد أدرك الباحثون فى ميدان الرأى العام أهمية هذا الاعتراض ، فاستعانوا منذ سنة ١٩٣٧ بالمقابلة الجماعية فى بحوثهم . وليس من شك فى أن هذا النوع من المقابلة يهيىء للباحث فرصة الحصول على معلومات أوفر ، ويسمح للافراد بالمساهمة فى المناقشة ، ويخلق تفاعلا فى الرأى يؤدى الى ظهور رأى عام شبيه بالرأى العام السائد فى المجتمع .

وقبل أن نختتم هذه المناقشة نود أن نشير الى أن دراسات الرأى العام تلقى اهتماما كبيرا فى الوقت الحاضر سواء من جانب الهيئات الحكومية أو الهيئات الأهلية . وقد أنشئت معاهد كثيرة للرأى العام فى مختلف بلاد العالم لقياس الاتجاهات الجماعية نحو المشاكل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

وفى جمهورية مصر العربية أدركت الحكومة أهمية هذا النوع من الدراسات فبرزت للوجود فى سنة ١٩٥٤ مصلحة الاستعلامات التى تحاول التعرف على آراء الأفراد وتعريفهم فى الوقت نفسه بكل ما يحيط بهم من أحداث داخلية وخارجية .

كما أنشئت بمصلحة الاستعلامات ادارة لتحليل اتجاهات الرأى العام معتمدة فى ذلك على ماتنشره الصحف والمجلات من أخبار ومقالات ، وما يثار فى الاجتماعات العامة من مناقشات ، وما يبديه الأفراد فى أحاديثهم من تعليقات .

---

(١) Blumer, H., Public Opinion and public Opinion polling, amer., social., Rev. Vol. 13, No : 5. 1948.

(٢) Cantrill, H., Gauging Public Opinion. Princeton University Press, 1944.

المـــراجع

(١) باللغة العربية :

١ — السيد محمد خيرى : الاحصاء فى البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية ، دار الفكر العربى ، ١٩٥٧ .

٢ — فؤاد البهى السيد : علم النفس الاحصائى وقياس العقل البشرى ، دار الفكر العربى ، ١٩٥٨ .

٣ — فؤاد البهى السيد : علم النفس الاجتماعى ، دار الفكر العربى ، ١٩٥٨ .

٤ — فؤاد دياب : الرأى العام وطرق قياسه ، سلسلة من الشرق والغرب ، العدد ١٩٥٩ .

٥ — نجيب اسكندر ابراهيم ولويس كامل مليكة ورشدى فام منصور : الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعى ، مؤسسة المطبوعات الحديثة ، ١٩٦٠ .

(٢) باللغة الانجليزية :

1. Blumer, H., Public Opinion and Public Opinion Polling. Amer. Social. Rev., Vol. 13 : No : 5, 1948 :

2. Bogardus, E., Immigrartion and Race Attitude, Boston 1928.

3. Cantril. H. ; Gauging Public Opinion, Princeton University Press. 1944.

4. Gallup, G. and Forbes, R. ; The Pulse of Democracy : The Public Opinion Poll and How it Works, New York, 1940.

5. Goode, W. and Hatt, P. : Methods in Social Research, New York, 1952.

6. Heberle, R. ; Social Movements, New York, 1951.

7. Jennings. H. ; Sociometry in Group Relations Washington, 1948

8. Moreno, J. ; Who shall Survive ? New York, 1953.

9. Remmers, H. H. ; Introduction to Opinion and Attitude Measurement, New York, 1954.

10. Rice S. ; «Polling Methods», Washington Post, Nov : 12 1948,

11. Selltiz C., et., al., Research Methods in Social Relations, Henry Holy 1960.

12. Young, P. ; Scientific Social Surveys and Research, New York, 1947.

***

الفصل العشرون

وسائل أخرى لجمع البيانات

● **تمهيـــد :**

ناقشنا فيما سبق من فصول هذا الباب بعض وسائل جمع البيانات . وقد تبين لنا من العرض السابق لتلك الوســائل أنها تســتخدم في البحوث الميدانية حيث ينزل الباحث الى الميدان ويتصل بالمبحوثين ليحصل منهم على البيانات اللازمة للبحث . ونود أن نشــير في هذا المجال الى أنه ليس من المفروض في كل بحث اجتماعي أن يحصل الباحث على البيانات المطلوبة من مصــادر ميدانيــة ، فقد يحصـــل على ما يلزمـــه من معلومات بتحليـــل محتوى المادة التي تقدمها وسائل الاتصال الجمعي والمجلات والكتب وأفلام السينما وبرامج التليفزيون ، أو بالرجوع الى السجلات الاحصائية .

ويمتاز استخدام تحليل محتوى الاتصال في البحوث الاجتماعية بأن مادة الاتصال تفيد في الكشف عن القيـم والآراء والاتجاهات الثقافية التي تسود المجتمع في ماضيه وحاضره . ولذا فانها تستخدم في تصوير الاوضاع الاجتماعية والثقافية القائمة ، كما يستعان بها في الدراسات المتعلقة بالتغير الاجتماعي . فيجمع الباحث المواد التي ظهرت في مجتمع معين خلال فترات تاريخية متتالية ، محاولا تحديد اتجاه التغير ومداه بالنســبة لظاهرة أو ظواهر معينة . ولا تقف اهمية مادة الاتصال عند هذا الحد ، بل انها تفيد في دراسة اتجاهات الرأى العام العالمي باستخدام الملاحظة أو الاستبيان . ولذا لجأ الباحثون الاجتماعيون الى معرفة اتجاهات الرأى العام العــالمي نحو دولة ما بدراسة اتجاهات الصحف والمجلات والكتب التي تصــدر في الدول المختلفة ، وكذا برامج الاذاعة والتليفزيون التي تمس هذه الدولة . ولما كانت مواد الاتصال الجمعي لا تنتج أساسـا لغرض البحث الاجتماعي ، فانها تكون صادقة في تعبيرها عن الواقع الى حد كبير ، بعيدة عن التحريف الذي قد يحدث خلال الملاحظة أو المقابلة أو الاستبيان (١) .

(١) Selltiz et al., op. cit., pp. 330, 331.

أما السجلات الاحصائية فانها تمد الباحث بكثير من البيانات التى تلزم لاثبات صحة أو خطأ فرض من الفروض ، للتأكد من صحة بيانات جمعت فى البحث الميدانى ، أو لغير ذلك من أغراض نشير اليها فيما بعد .

وسنحاول فى هذا الفصل ان نناقش أسلوب تحليل المحتوى الذى يتبع فى تحليل المادة التى تقدمها وسائل الاتصال، كما نعرض للسجلات الاحصائية لدى الاعتماد عليها ، وطرق الافادة منها فى مجال البحث الاجتماعى .

أولا : تحليل المضمون (المحتوى)
Content Analysis

● تعريفه :

يعرف تحليل المضمون بأنه « الأسلوب الذى يهدف الى الوصف الموضوعى المنظم الكمى للمحتوى الظاهر للاتصال » (١) .

وعلى أساس هذا التعريف يمكن تحديد السمات الرئيسية لأسلوب تحليل المضمون فيما يلى :

١ — يستخدم هذا الأسلوب فى وصف محتوى مادة الاتصال لما لهذه المادة من أهمية فى مجال البحث الاجتماعى ، وقد اقتصر استخدام هذا الاسلوب فى بداية الامر على الابحاث الصحفية ثم اتسع مجال استخدامه بحيث شمل الكتب والرسائل والخطب والمحادثات والصور وأفلام السينما وبرامج التليفزيون ، أما فى وقت الحاضر فانه يستخدم فى كثير من أبحاث علم النفس ، والاجتماع ، والانثروبولوجيا ، والتربية .

٢ — يهتم هذا الاسلوب بدراسة المضمون الظاهر للاتصال . وليس من الضرورى أن يشغل الباحث نفسه بمحاولة التعرف على نوايا ومقاصد الكاتب أو المتحدث ، وان كان من الممكن تبين دوافع الكاتب أو المتحدث من خلال كتاباته أو أحاديثه .

٣ — ينبغى مراعاة الموضوعية التامة فى تحليل مضمون مادة الاتصال بحيث لا يتأثر الباحث بأهوائه الشخصية أو دوافعه الخاصة . ولتحقيق هذه الغاية توضع فئات محددة للتحليل يستطيع الباحث أن يستخدمها فى

---

(١) Berelson, B., Content Analysis in Communication Research, Free Press, 1952

دراساته ، كما يستطيع أن يطبقها غيره من الباحثين على مضمون المـــادة التى يقوم بتحليلها فيصلوا جميعا الى درجة كبيرة من الاتفاق والثبات التى يقوم بتحليلها فيصلوا جميعا الى درجة كبيرة من الاتفاق والثبات .

٤ ـــ ينبغى أن يتم تحليل مضمون مادة الاتصال بطريقة منظمة ، فلا يصنف الباحث المواد التى تسترعى انتباهه فحسب ، أو التى تخدم فكرة معينة يأخذ بها ، وانما يصنف جميع المواد المناسبة فى العينة فى ضوء جميع الفئات التى سبق تحديدها حتى يمكن الوصول الى تعميمات علمية سليمة .

٥ ـــ يستلزم استخدام تحليل المضمون ترجمة الفئـــات الى أرقام ، وذلك عن طريق رصد تكرار الفئات المختلفة، وتحديد درجات لانتشار وسيلة الاتصال ، وشدة تأثيرها فى جمهور القراء أو المشاهدين أو المستمعين .

***

● أسس استخدامه :

١ ـــ من الممكن الى حد ما تبين الدوافع والأهداف التى يرمى اليهـــا الكاتب أو المتحدث من محتويات كتابته أو أحاديثه ، كما أن من الممكن الى حد ما معرفة تأثير مضمون مادة الاتصال على أفكار الناس واتجاهاتهم .

٢ ـــ ان المعانى التى اشتقها الباحث من مادة الاتصال تتفق بعد تبويبها وتحليلها مع مايقصده الكاتب أو المتحدث ومع مايفهمه القراء والمستمعون . وبعبارة أخرى يمكن القول بأن الباحث ، والمرسل (المؤلف أو المتحدث) ، والمستقبل (القارىء أو السامع) ، يلتقون عند نقطة واحدة ، وهذه النقطة هى المعانى والافكار التى تهدف اليها الكاتب أو المتحدث ، والتى تصبح محور الاهتمام فى الاتصال .

٣ ـــ إن الوصف الكمى لمضمون مادة الاتصال هو وصف ذو معنى ، أى ان الارقام لها مدلولات محددة ، وهذا يعنى أن تكرار خواص فئات معينة فى مادة الاتصال هو فى حد ذاته عامل هام من عوامل الاتصال . وعلى ذلك فان تحليل المضمون لا يكون صحيحا الا عندما تتساوى أوزان وحدات المحتويات التى يستخدمها الباحث(١) .

***

● أوجه استخدامه :

يحصر د برلسون «Bereison» أوجه استخدام تحليل المضمون فيما يلى :

(١) Ibid. pp. 18-20.

١ ــ تحديد خصائص المحتوى :

ويتضمن ذلك وصف الاتجاهات البارزة فى محتويات الاتصال ، أو الكشف عن الفروق القائمة بين دولة وأخرى بتحديد المفاهيم التى استقرت فى كل دولة من الدول كالاشتراكية أو الحياد الايجابى أو الاتجاهات العنصرية ، أو المقارنة بين أدوات ومستويات الاتصال ، أو محاولة الربط بين محتوى الاتصال وأهدافه أو تحديد معايير معينة يمكن تطبيقها على مادة الاتصال ، أو تحليل وسائل الدعاية وأساليبها ، أو قياس امكانية قراءة المادة المكتوبة التى تعرضها وسائل الاتصال أو الكشف عن خصائص الأسلوب الذى تكتب به .

٢ ــ تحديد أهداف الاتصال والطرق التى اتبعت فى عرض مادته :

ويتضمن ذلك تحديد الأهداف التى يرمى اليها المرسل ، والتعرف على الحالة السيكولوجية للأفراد والجماعات التى تعرض عليها مادة الاتصال ، والكشف عن وجود دعاية فى دولة ما وخاصة من حيث اتصالها بالجوانب القانونية .

٣ ــ دراسة الجمهور المستمع أو القارىء أو المشاهد وتأثير الاتصال على الجمهور :

ويتضمن ذلك الكشف عن الاتجاهات والاهتمامات والقيم السائدة فى الجماعات المختلفة ، وتحديد محور الاهتمام فى محتوى الاتصال ، ووصف تأثير مادة الاتصال فى تغير الاتجاهات والأساليب السلوكية للجمهور المستمع أو القارىء أو المشاهد(١) .

***

٥ خطوات تحليل مضمون الاتصال :

تختلف مادة الاتصال المراد تحليل مضمونها حسب نوع المشكلة المراد دراستها ، فقد يتخير الباحث مجموعة من الصحف ، أو الكتب ، أو الخطابات ، أو المحاضرات أو الافلام ، أو السير الشخصية ليقوم بتحليلها . ويتم هذا التحليل دائما وفق خطة مرسومة لا تختلف كثيرا عن خطط البحث فى العلوم الاجتماعية .

فاذا افترضنا أن الباحث يرغب فى تحديد اتجاهات الصحف الامريكية نحو تمويل مشروع السد العالى ، فى هذه الحالة يمكن تحديد الخطوط العريضة لخطوات الدراسة فيما يلى :

---

(١) Selltiz et al., op. cit., pp. 334. 335.

ا ــ اختيار عينة المصادر :

لاجراء بحث بطريق العينة ينبغى البدء بتحديد مجتمع البحث . وقــد سبقت الاشـارة الى أن مجتمع البحث قد يتكون من مجموعة افراد أو مصانع أو مزارع . . وأما فى بحثنا هذا فان مجتمع البحث يتكون من مجموعة الصحف الامريكية . ولا يكفى فى مثل هذا البحث أن نحصى الصحف التى تصــدر فى الولايات المتحدة ، ونحدد حجم العينة المطلوبة ، ثم نختار عينة عشــوائية من بين تلك الصحف . ويرجع ذلك الى أن الصحف تختلف فيما بينهــا من ناحية درجة توزيعها وانتشارها ، وتمثيلها للمناطق الجغرافية المختلفة ، وتعبيرها عن اتجاهات فئات أو احزاب سياسية معينة .. لذا فان اختيار عينة ممثلة للمجتمع يستلزم تقسيم الصحف الى فئات طبقا لخصائص معينة، واختيار عينة طبقية يراعى فيها تمثيل كل فئة فى العينة بنسبة وجودها فى المجتمع . وقد نتغلب على صعوبة تحديد الفئات المختلفة باختيار أكبر عشر صحف فى الولايات المتحدة طبقا لأحجام توزيعها . وفى هذه الحالة لا ندعى تمثيل العينة للمجتمع تمثيلا كاملا ، الا أن هذا الاختيار يتم بطريقة موضوعية سليمة . واذا استلزم الأمر القيام بدراسة مقارنة بين اتجاهات الصحف فى مختلف البلاد المختلفة نحو تمويل مشروع السد العالى ، فان من المــكن اختيار الجريدة الرسمية أو الجريدة التى تعبر عن الاتجاه الغالب فى كل بلد من البلاد ، ويكون الاختيار فى هذه الحالة أيضا موضوعيا وصحيحا الا انه لا يمثل المجتمع الأصلى تمثيلا كاملا(١) .

ولتوضيح طريقة اختيــار العينة فى بعض الدراسات التى استخدمت طريقة تحليل المحتوى نضرب مثلين أحدهما من واقع احدى الدراسات التى أجريت بالولايات المتحدة ، والآخر من واقع احدى الدراسات التى أجريت بجمهورية مصر العربية .

فقد قام « برلســون وسولتر Berelson and Satler » بدراسة عن النمطية القومية فى سنة ١٩٤٦ متبعين طريقــة تحليل محتــوى المجــلات القصصية . وقد حدد الباحثان مجتمع البحث بأنه المجلات القصصية التى صدرت فى الولايات المتحدة فى الفترة ما بين ١٩٣٧ ــ ١٩٤٣ . ولاختيار العينة حدد الباحثان ثمانية من أكثر المجلات القصصية انتشارا فى الولايات المتحدة خلال الفترة الزمنية المحددة للبحث ، وقاما باختيار ١٨٥ قصة قصيرة

---

(١) Ibid., pp. 337, 338.

من التى نشرت فى تلك المجلات ، وحلل الباحثان السمات الرئيسية لجميع الأفراد الذين قاموا بأدوار هامة فى تلك القصص(١) .

وفى دراسة أخرى أجريت بجمهورية مصر العربية قام الدكتور ابراهيم كاظم بدراسة تتبعية لقيم الطلاب المصريين فى خمس سنوات تمتد من سنة ١٩٥٧ الى ١٩٦٢ متبعا طريقة تحليل محتويات سير الحياة . وكانت عينة الطلاب مكونة من أربعين طالبا وطالبة فى السنتين الاخيرتين فى الجامعة والمعاهد العليا ، وكان نصفهم من الذكور ونصفهم الآخر من الاناث.وقد اتبع الباحث طريقة موحدة فى جمع سير الحياة بتكليف بعض الأساتذة بجمع هذه السير من الطلبة والطالبات بعد اعطائهم تعليمات مكتوبة ، كما ألحق بالتعليمات أسئلة تكميلية يقرأها الطالب بعد الانتهاء من كتابة تاريخ حياته وله أن يجيب عليها ان احتاج الامر . وقد جمع الباحث أربعة وثلاثين تاريخا للحياة فى سنة ١٩٥٧ انتقى من بينها عشرين تاريخا للحياة : عشرة للذكور وعشرة للاناث . وفى سنة ١٩٦٢ جمع الباحث تسعا وعشرين تاريخا للحياة انتقى من بينها عشرين تاريخا للحيـــاة ، وكان نصفهم من الذكور والنصف الآخر من الاناث . وكان أساس اختيار تاريخ الحياة الصالح للدراسة هو مقدار المادة المكتوبة وخصوبتها ودرجة اهتمـــام وجدية الكاتب وتعـــاونه وتلقائيته فى التعبير عن نفسه(٢) .

وفى دراسة أخرى قام بها الدكتور محمود الشنيطى لتحليل مضـــمون مجموعة من القصص القصيرة التى ظهرت فى بعض المجلات المصرية الذائعة الانتشار بين فبراير ١٩٥٧ وأكتوبر سنة ١٩٥٨ ، بقصـــد التعرف على أهم الملامح الشخصية لبطل القصة ، قام الباحث باختيار مائة قصـــة قصـــيرة موزعة على عشر مجلات روعى فى اختيـــارها أن تمثل قطاعا عريضـــا من المجلات المصرية ، كما روعى أن يكون عدد القصص مائة لتيسير عملية جمع البيانات ورصدها وتفريغها وتحليلها من جهة أخرى (٣) .

---

(١) Berelson, B., and Satler, P., «Majority and Minority Americans : An Analysis of Magazine Fiction», Public Opinion Quarterly, Vol., X, 1946, pp. 168-190.

(٢) محمد ابراهيم كاظم : تطورات فى قيم الطلبة ، مكتبـــة الانجلو المصرية ، ١٩٦٢ ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٣) محمود الشنيطى : القصة القصيرة فى المجلات المصرية : دراسة فى تحليل المضمون ، وقد نشرت فى كتاب الدكتور لويس كامل مليكة : قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى البلاد العربية ، الجزء الاول ١٩٦٥ ، الفصـــل الثلاثون .

وفى دراسة رابعة قام بها الدكتور حامد ربيع باستخدام أسلوب تحليل المضمون لبعض عينات من الاعلام المكتوب بدول غرب أوروبا ، بقصد الكشف عن مقومات المنطق الدعائى الاسرائيلى ، اختار الباحث ثمانى صحف ومجلات صدرت فى مجتمعات غرب أوروبا فى الفتره الزمنية من يناير ١٩٥٢ الى مايو ١٩٦٧ ، وكانت من بين الصحف التى تعبر عن مواقف واضحة من حيث تأييدها لوجهة النظر الاسرائيلية(١) .

٢ — اختيار العينة الزمنية :

يتطلب البحث الميدانى تحديد المجال الزمنى للدراسة ، أى الفترة التى يقوم فيها الباحث بجمع البيانات من الميدان . وفى البحوث التى يستخدم فيها أسلوب تحليل المحتوى ينبغى أن يحدد الباحث الفترة التى تمثل فى الدراسة . ففى مثالنا السابق قد يحدد الباحث اتجاهات الصحف الأمريكية نحو تمويل مشروع السد العالى من أواخر عام ١٩٥٤ أى منذ خرج مشروع السد العالى من نطاق البحث العلمى حتى شهر يوليو ١٩٥٦ وهو الشهر الذى سحبت فيه أمريكا العرض الذى سبق أن قدمته بشأن تمويل المشروع . وتختلف الفترة الزمنية من بحث الى آخر حسب طبيعة المشكلة والهدف من الدراسة .

٣ — اختيار عينة الوحدات :

بعد اختيار العينة الزمنية ينبغى على الباحث أن يختار عينة الوحدات . ويقصد بها جوانب الاتصال التى يمكن اخضاعها للتحليل ، وتستخدم لتحليل محتوى مادة الاتصال خمس وحدات أساسية هى :

(أ) الكلمة Word :

وتستخدم الكلمة حينما يراد الكشف عن بعض المفاهيم التى استقرت فى دولة ما كالحرية والعدالة الاجتماعية والاشتراكية والديمقراطية والتعاونية والتعايش السلمى والحياد الايجابى ... وتستخدم الكلمة كذلك فى تحديد

---

(١) حامد ربيع : بحث استطلاعى للكشف عن مقومات المنطق الدعائى الاسرائيلى عن طريق استخدام تحليل المضمون لبعض عينات من الاعلام المكتوب الدورى بغرب أوروبا ، وقد نشر البحث فى كتابه الدكتور لويس كامل مليكة : قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى البلاد العربية ، المجلد الثانى ، ١٩٧٠ ، الفصل الثلاثون .

الألفاظ التى يستخدمها الأدباء فى بلد ما . وفى هذه الحالة يحاول الباحث أن يسجل الكلمات والتكرارات المختلفة لكل كلمة .

وتستخدم الكلمة أيضا فى البحوث التى تجرى لتحديد درجة سهولة أو صعوبة قراءة المادة المكتوبة .

(ب) الموضوع Theme :

يعتبر الموضوع من أهم وحدات التحليل فى دراسة المضمون لأنه يكشف عن الآراء والاتجاهات الرئيسية فى مادة الاتصال . فقد يكون الموضوع الذى تعالجه مادة الاتصال هو « جمهورية مصر العربية قد حققت نجاحا كبيرا فى سياستها الداخلية » أو « أن أهل هذا البلد يؤمنون بالخرافات » أو « أن الولايات المتحدة تؤيد سياسة التمييز العنصرى » ، أو أى موضوع من الموضوعات التى تتناولها مادة الاتصال .

(ج) الشخصيات :

تستخدم الشخصية فى تحليل القصص والدراما وتواريخ الحياة . فتحلل الشخصيات لمعرفة ما اذا كانت شخصيات خيالية أو تاريخية .

(د) المفردة Item :

تختلف المفردة باختلاف وسيلة الاتصال . فقد تكون كتابا أو مقالا أو قصة أو حديثا أو خطابا أو برنامجا اذاعيا .. الخ . وتستخدم المفردة وحدة للتحليل اذا وجدت عدة مفردات دون أن توجد بينها فروق جوهرية . وفى هذه الحالة يمكن تصنيف القصص حسب موضوعاتها مثلا « الى سياسية أو خلقية أو اجتماعية ... » الخ .

(هـ) مقاييس المساحة والزمن Space and Time Measures :

تستخدم مقاييس المساحة والزمن كوحدة للتحليل وذلك عن طريق حساب عدد السطور أو عدد الاعمدة أو الصفحات ، أو الزمن الذى استغرقته أحاديث اذاعية من نوع معين أو وحدات الطول فى الافلام السينمائية .

٤ — تحديد فئات التحليل :

ينبغى أن تتناول الدراسة التحليلية لمحتوى الاتصال المادة التى يتضمنها وسيلة الاتصال ، وكذا النواحى الشكلية التى صيغت بها هذه المادة . ويقترح برلسون الفئات التالية لتحليل كل من مادة الاتصال وشكل الاتصال .

(ب) فئات مادة الاتصال :

تشتمل هذه الفئات على ما يأتي :

١ ـ موضوع الاتصال : غالبا ما ينقسم الموضوع الأصلي الذي تدور حوله مادة الاتصال الى عدد من الموضوعات الفرعية . ولذا ينبغي أن يتجه الباحث وهو بصدد التحليل الى تحديد الفئات الرئيسية والفرعية التي يتضمنها الموضوع ومدى الاهمية التي توليها مادة الاتصال الى كل فئة من الفئات .

ولسنا هنا بصدد وضع فئات محددة يمكن أن يعتمد عليها اى باحث ، لان هذه الفئات ترتبط بمشكلة البحث . وهذه المشكلات ولا ريب تختلف من بحث الى آخر .

ونكتفي في هذا المجال باعطاء مثال من واقع احدى الدراسات التى اجريت بجمهورية مصر العربية لتوضيح الغرض المقصود . ففى دراسة قام بها الاستاذ الدكتور سيد عويس لمحتوى الخطابات التى أرسلت بالبريد الى ضريح الامام الشافعى حاول الباحث أن يحدد مضمون الرسائل . هل هى شكاوى فقط ؟ أم طلبات ؟ أم شكاوى وطلبات ؟ نذور ؟ ثم قسم الشكاوى الى أنواع منها الشكاوى بسبب الاعتداء على الاموال ، والشكاوى بسبب الاعتداء على الاشخاص ، وشكاوى فى نطاق الاسرة ، وشكاوى فى نطاق العمل ، وشكاوى أخرى . حاول الباحث أن يحدد المشكو فى حقهم ، وجنس مرسلى الطلبات وأنواع الطلبات وما فى ذلك من نواح تتصل بموضوع الاتصال (١) .

٢ ـ اتجاه محتوى الاتصال : من الضرورى بعد تحديد الموضوعات التى تدور حولها مادة الاتصال الكشف عن اتجاه هذا الاتصال . هل هو اتجاه مؤيد أو محايد أو معارض . وينبغى دائما تحديد الفئات التى تصنفه بمقتضاها الاتجاهات .

٣ ـ المعايير التى تطبق على محتوى الاتصال : ويفضل وضع مقاييس ومعايير ثابتة يرجع اليها فى تصنيف اتجاه مضمون الاتصال . ويفضل وضع مقاييس كمية لتحديد الاتجاهات وتقديرها تقديرا سليما .

---

(١) سيد عويس : من ملامح المجتمع المصرى المعاصر : ظاهرة رسائل الامام الشافعى ، منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ١٩٦٥ .

٤ — القيم التى يعتنقها الأشخاص : لكل فرد مستوى أو معيار يستهدفه فى سلوكه ، ويسلم بأنه مرغوب فيه أو غير مرغوب فيه . ويعرف هذا المعيار أو المقياس بأنه القيمة التى يؤمن بها الفرد . وكما توجد قيم خاصة بالافراد توجد قيم أخرى خاصة بالجماعات والمجتمعات . وهذه القيم توجد بين أفراد المجتمع الواحد وتجعلهم يشعرون بالانتماء ليتضمهم البعض رغم الاختلافات الفردية القائمة بينهم . ومن الضرورى فى تحليل مادة الاتصال ، وخاصة اذا كانت رواية أدبية أو سيرة حياة ، وضع فئات لتحليل القيم الفردية والجماعة وتقديرها تقديرا صحيحا .

وقد قام رالف هوايت R. White بأول بحث فى القيم مستخدما فيه أسلوب تحليل المضمون . وقد اثبتت دراسته تلك أن من الممكن الوصول الى درجة عالية من الموضوعية باستخدام أسلوب تحليل المضمون بدون التضحية بالفهم الشامل للجوانب المختلفة المحيطة بالاتصال (١) .

٥ — طرق تحقيق الأهداف والغايات : يختلف الناس فيما يسلكونه من سبل لتحقيق أهدافهم وغاياتهم . فقد يسعى عدد من الناس الى جمع الثروة والحصول على الجاه ، ولكنهم يختلفون فيما بينهم فى طريقة حصولهم على الثروة . فقد يجمعها بعضهم بطريق شريف ، بينما يجمعها البعض الآخر بطريق غير شريف . والمجتمعات كذلك شأنها شأن الافراد كثيرا ما تسعى الى تحقيق غاية واحدة ولكن بطرق مختلفة . فأغلب المجتمعات تسعى الى تحقيق الرفاهية الاجتماعية لأكبر عدد ممكن من الناس ، ولكنها تختلف فيما بينها فيما تصطنعه من وسائل لتحقيق الرفاهية المنشودة . فبعض المجتمعات يستخدم الاساليب الثورية لتحقيق اغراضه ؛ وبعضها الآخر يؤمن بالتطور ، وبعضها الثالث يستخدم أسلوبا وسطا بين الاثنين .

ولذا ينبغى عند تحليل محتوى الاتصال تحديد الفئات التى تستخدم للتحليل والتى يمكن بمقتضاها الكشف عن الطرق التى يسلكها الافراد أو الجماعات لتحقيق أهدافهم وغاياتهم .

٦ — تحديد السمات : تستخدم هذه الفئة لتحديد السمات الشخصية للافراد مثل السن والجنس والخصائص السيكلوجية ، وكذا السمات المتعلقة بالجماعات والمجتمعات مثل الجماعات الاولية والثانوية ، والجماعات المتعاونة والمتنافرة والمجتمعات الرأسمالية والاشتراكية والشيوعية .. الخ .

---

(١) White R. Black Boy : A Value Analysis, J. Abnorm. Soc. Psychool., 42, 440-461.

٧ ـــ تحديد الفاعل : وذلك بتحديد الفئات التي تساعد على الكشف عن الشخص أو الجماعة التي تبدو في محتوى الاتصال على أنها تقوم بفعل معين أيا كان هذا الفعل .

٨ ـــ تحديد السلطة : وذلك للتعرف على المصدر أو المرجع الذى تنسب اليه مادة الاتصال . ويفيد ذلك في التعرف على مدى موضوعية المصدر وامكانية الثقة فيما يسوقه من معلومات .

٩ ـــ تحديد المكان الذى تصدر منه مادة الاتصال : وتستخدم هذه الفئة للتعرف على نوع البيئة التى تصدر منها هذه المادة . هل هى قرية أو مدينة صغيرة أو كبيرة ؟ وهل هى عاصمة محافظة أو عاصمة الدولة كلها؟ ويفيد ذلك في الكشف عن القيم السائدة بتلك البيئة ، ومدى ما يمكن أن تمارسه من نفوذ على غيرها من البيئات .

١٠ ـــ تحديد الهدف : تستخدم هذه الفئة للتعرف على نوع الأفراد أو الجماعات التى توجه اليها مادة الاتصال .

(ب) فئات شكل الاتصال :

وتشتمل على الفئات التالية :

١ ـــ نوع الاتصال : تستخدم هذه الفئة للتفرقة بين الأشكال المختلفة للاتصال مثل تحليل برامج الاذاعة الى أحاديث وأخبار وموسيقى وأغانى ومنوعات ، وتحليل الكتب الى روائية وغير روائية .. الخ .

٢ ـــ شكل الموضوع : قد يعبر الموضوع عن بعض الحقائق أو الأمانى أو كليهما ولذا ينبغى التفرقة بين هذه الأشكال جميعا .

٣ ـــ شدة التعبير : تستخدم هذه الفئة لقياس مدى الانفعال الذى يظهر في محتوى الاتصال : هل العبارات محايدة أو حماسية ؟ وهل كان الخطيب أو المحاضر أو المذيع متحمسا عند القائه الكلمات أو هادئا ؟

٤ ـــ الوسيلة : ويقصد بها تحديد الطريقة التى تتبع في الاقناع . هل يتم ذلك عن طريق الاستشهاد بكثير من المصادر ؟ أو عن طريق تزييف الحقائق . . . الخ ؟ .

٥ — تصنيف المواد المناسبة فى العينة :

بعد تحديد فئات التحليل ، ينبغى تصنيف محتوى الاتصال بطريقة منظمة ، فلا يصنف الباحث المواد التى تسترعى انتباهه فحسب ، أو التى تخدم فكرة معينة يأخذ بها ، وانما يصنف جميع المواد المناسبة فى العينة فى ضوء جميع الفئات التى سبق تحديدها حتى يمكن الوصول الى تعميمات علمية سليمة .

٦ — تحليل البيانات المصنفة :

يستلزم استخدام أسلوب تحليل المحتوى ترجمة الفئات الى أرقام ، وذلك عن طريق رصد تكرار الفئات المختلفة ، وتحديد درجات لانتشار وسيلة الاتصال ، وشدة تأثيرها فى جمهور القراء أو المشاهدين أو المستمعين .

وقد اتفق على أن يراعى فى الترجمة الكمية للاتجاهات النظرية التى تضمنها المسائل الاعلامية المختلفة الشروط التالية :

١ — أن يقدر لمضمون المادة الاعلامية درجة واحدة .

٢ — أن يضاف لمضمون المادة الاعلامية درجة ثانية لانتشار الوسيلة الاعلامية مثل التوزيع فى حالة الصحف .

٣ — أن يضاف لمضمون المادة الاعلامية درجة ثالثة لشدة تأثير ونفوذ الوسيلة الاعلامية .

٤ — أن يضاف لمضمون المادة الاعلامية درجة رابعة لمكان النشر ودرجة الظهور فى الصحف ، كما ينطبق ذلك على مكان الخبر بالنسبة للنشرة الاذاعية أو التليفزيونية أو السينمائية . وباتباع هذا المعيار يصير تقويم كل مقال بين درجة وأربع درجات بحسب الشروط السابقة .

هذا ، ولا ينبغى فى سعينا وراء الكم أن نهمل الكيف لأن كليهما له أهميته فى البحوث الاجتماعية .

٧ — التأكد من ثبات التحليل :

لابد لتحليل المحتويات — باعتبارها أداة علمية — من توفر صفة الثبات أى لابد أن يحصل الباحث على نفس النتائج لنفس التحليل حتى ولو اختلف المحلل أو تفاوت الزمن الذى يتم فيه التحليل .

وهناك نوعان من الاتفاق لابد أن يتوافرا فى الاستخدام السليم لأسلوب تحليل المحتوى هما :

١ — الاتفاق بين المحللين المختلفين بمعنى أن يصل المحللون المختلفون لنفس النتائج عندما يستخدمون نفس وحدات التحليل .

٢ — الاتفاق بين المحلل ونفسه فى فترتين زمنيتين متفاوتتين ، بمعنى أن المحلل أو مجموعة المحللين — كل على انفراد — يحصل على نفس النتائج عند استخدام نفس الوحدات لنفس المحتويات فى فترات زمنية متفاوتة .

***

● أمثلة واقعية الدراسات تحليل المضمون :

قبل أن نختتم مناقشة أسلوب تحليل المحتوى نضرب مثالين لدراستين أجريتا فى جمهورية مصر العربية ، واستخدم فيهما أسلوب تحليل المحتوى الأولى لدراسة قيم الطلاب المصريين فى خمس سنوات تمتد من سنة ١٩٥٧ الى سنة ١٩٦٢ قام بها الدكتور محمد ابراهيم كاظم ، والثانية قام بهـا الدكتور سيد عويس لدراسة محتوى الخطابات التى أرسلت بالبريد الى ضريح الامام الشافعى .

أولا — دراسة قيم الطلاب المصريين :

قام الدكتور محمد ابراهيم كاظم بدراسة قيم الطلاب المصريين فى سنة ١٩٥٧ متبعا طريقة محتويات سير الحياة . ولمعرفة اتجاهات التغيرات القيمية قام بدراسة أخرى فى سنة ١٩٦٢ على عينة مماثلة للعينة الأولى . وقد اتبع الباحث طريقة موحدة فى جمع سير الحياة بتكليف بعض الاساتذة بجمع هذه السير من الطلبة والطالبات بعد اعطائهم تعليمات مكتوبة ، كما ألحق بالتعليمات اسئلة تكميلية يقرأها الطالب بعد الانتهاء من كتابة تاريخ حياته وله أن يجيب عليها ان احتاج الامر

وفيما يلى وصف الطريقة التى استخدمت فى هذه الدراســة لتقدير القيم كميا . وهى تتكون من ثلاث خطوات :

١ — تحديد العبارات التى تحمل القيم ، ثم تفسيرها وتنقيح وتعديل هذا التفسير فى ضوء السياق العام لتاريخ الحياة ، والوصول الى تحــديد القيم المعينة المكتشفة ودرجة تأكيدها .

٢ — تجميع وتنظيم الوحدات القيمية الخاصة بكل قيمة .

٣ — تصنيف وتبويب الدرجات الخام — أى الوحدات القيمية — وحساب نسبها المئوية .

وفيما يلى الخطوات العلمية لاجراء التحليل :

١ — (أ) اقرأ تاريخ الحياة كله بعناية .

(ب) حدد العبارات التى تكشف أو تتضمن قيما ، وعين ماهية هذه القيم .

(ج) أمام كل قيمة مكتشفة اكتب الوزن الخاص بها أى عدد الوحدات القيمية التى تصف قوة العبارة التى تضمنت القيمة ومدى تأكيدها لأهميتها . وهذه الاوزان أو الوحدات القيمية تتراوح بين ١ ، ٢ ، ٣ ، فاذا تضمنت العبارة مجرد قبول القيمة عين لها وزنا واحدا أى وحدة قيمية واحدة (١) ، فاذا صرحت العبارة بقبول القيمة عين لها (٢) ، فاذا صرحت العبارة بتأكيدها الشديد للقيمة عين لها (٣) .

وهذه الوحدات تمثل القيم المرغوب فيها عند كاتب تاريخ الحياة ، فاذا كانت القيمة سلبية أى غير مرغوب فيها ، أضف للقيمة حرف النفى « لا » كما فى « اللاعدوان » .

٢ — (أ) أعد قائمة بالقيم المتضمنة فى مادة الاتصال . واستعمل هذا قائمة بالقيم التى استعملت . وقد اتبع فى هذه القائمة تصنيف القيم الى مجموعات قيمية .

وفيما يلى قائمة القيم المبينة فى سير حياة الطلبة المصريين (١) :

١ — المجموعة القيمية الاخلاقية :

الاخلاق — الصدق — العدل — التقاليد — الطاعة — الدين — لا تقاليد — اللا طاعة — اللا دين .

٢ — المجموعة القيمية الاجتماعية الاولى :

الظرف (الشخص اللطيف) — الصبر — التواضع — التسامح .. الخ .

---

(١) نكتفى فى هذا المجال بعرض الفئات الرئيسية وأمثلة للفئات الفرعية التى استخدمت فى البحث . ويمكن الرجوع الى قائمة التحليل كلها فيما كتبه الدكتور كاظم فى كتابه من ص ١٦ — ٢٦ .

٣ ـ المجموعة القيمية الاجتماعية الثانية :

حب الوطن ـ حب الأسرة ـ الصداقة ٠٠ الخ

٤ ـ المجموعة القيمية الذاتية الأولى :

القوة ـ الذكاء والحكمة ـ التصميم ـ المظهر ٠٠ الخ ٠

٥ ـ المجموعة القيمية الذاتية الثانية :

اعتبار الذات ـ الاستقلال ـ النجاح والوصول ٠٠ الخ ٠

٦ ـ مجموعة قيم الأمن ٠

٧ ـ مجموعة القيم الجسمانية :

الصحة ـ النشاط ـ الراحة ٠

٨ ـ مجموعة القيم الترويحية :

الخبرات الجديدة ـ الاثارة ـ الجمال ـ المرح ٠٠ الخ ٠٠

٩ ـ مجموعة القيم العملية :

القيمة العملية ـ القيمة الاقتصادية ـ التملك ٠٠ الخ ٠

١٠ ـ مجموعة القيم المعرفية ٠

١١ ـ مجموعة القيم المتنوعة :

الحرص ـ النظافة ـ التثقيف ـ التكيف ـ السعادة ٠

(ب) تعتبر القائمة النهائية للقيم التى تكونت فى الخطوة السابقة أساسا لجدول يتضمن القيم المتضمنة فى تاريخ الحياة ٠

(جـ) تجمع الأوزان الخاصة بكل قيمة على حدة وتوضع فى مكتبها فى القائمة وهذا يمثل درجة تأكيد هذه القيمة بالنسبة لغيرها فى نفس تاريخ الحيـــاة ٠

(د) تحسب النسب المئوية لكل قيمة ولكل مجموعة قيمية حتى يمكن اجراء المقارنات الاحصائية ٠

٣ ـ (أ) الخطوات السابقة ـ كلها خاصة بتواريخ الحياة الفردية • وهي خطوات تتكرر في كل تاريخ حياة وتسجل النتائج في جدول عام ثم تحسب وسيطات النسب المئوية للعينات الفرعية •

(ب) تعد جداول لتفريغ النتائج وتوضيح مقدار الوحدات القيمية ونسبها المئوية بالنسبة لكل عينة فرعية •

(جـ) تستخدم طريقة التحليل العاملي المقارنة بين العينات الفرعية المختلفة بالنسبة لعامل فرق الزمن وعامل الجنس وعامل التفاعل بين الزمن والجنس •

* * *

ثانيا ـ دراسة ظاهرة رسائل الامام الشافعي (١) :

قام الدكتور سيد عويس بدراسة اجتماعية للرسائل التي ارسلت الى ضريح الامام الشافعي عن طريق البريد • وتتمثل أهمية هذه الدراسة في انها تكشف عن جانب هام من جوانب ثقافتنا • فمن المعروف ان هناك عادات شائعة بين أفراد الشعب تتمثل في التردد على أضرحة المشايخ والأولياء ، ونذر النذور لهم ، والاستعانة بهم عند الشدائد • ويصل الأمر ببعض الناس الى كتابة عرائض يضمنونها شكاواهم وطلباتهم • ويسقطونها في المقصورات التي تحيط ـ في العادة ـ بوفات الشيخ او الولي • غير انه استلفت نظر الباحث ، وأثار دهشته الشديدة ، ما عرفه من أن هناك أشخاصا يرسلون الى الأولياء رسائل بالبريد يضمنونها شكاواهم وطلباتهم • واهتم الباحث بالرسائل التي ارسلت الى ضريح الامام الشافعي في المدة من ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨•

وقد اتبع الباحث في تحليل الرسائل ، أسلوب تحليل المضمون • وقد قام بتحليل ١٦٢ خطابا تحليلا كميا وتحليلا كيفيا ، ثم انتهى الى تفسير الظاهرة واضعا في الاعتبار مقومات ثقافتنا المصرية ، والعوامل التي اثرت فيها منذ حضارة الفراعنة حتى عصرنا الحاضر •

ونعرض في هذا المجال لطريقة التحليل الكمي التي اتبعت في البحث وكذا الفئات الرئيسية وبعض الفئات الفرعية التي استخدمت في البحث •

١ ـ عناوين الظروف : (اما موجهة الى شخص الامام بدون ذكر القاب

---

(١) سيد عويس : من ملامح المجتمع المصري المعاصر : ظاهرة رسائل الامام الشافعي منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ١٩٦٥ •

تنظيم ، أو يذكر الكاتب تنظيم . وقد يوجه الظروف الى ضـريح الامـام الشافعى أو الى القائم أو الى المسجد) .

٢ ـ تواريخ الرسائل .

٣ ـ الأماكن التى أرسلت منها الرسائل .

٤ ـ مرسلو الرسائل .

ـ وجود اسم مرسلى الرسائل من عدمه .

ـ مكان وجود الاسم .

ـ شكل الاسم (امضاء ، ختم ، بصمة .. الخ) .

٥ ـ نوع الورق المكتوب عليه الرسالة .

٦ ـ وجود البسملة فى أول الرسالة من عدمه .

٧ ـ توجيه الرسائل . موجهة الى الامام أو الى الله أو الرسول .. الخ .

٨ ـ أسلوب بداية الرسالة .

٩ ـ مضمون الرسائل .

١٠ ـ جنس مرسلى الشكاوى .

١١ ـ انواع الشكاوى .

١٢ ـ المشكو فى حقهم .

١٣ ـ جنس مرسلى الطلبات .

١٤ ـ انواع الطلبات .

١٥ ـ جنس الواعدين بالنذور .

١٦ ـ انواع النذور ٠

١٧ ـ اسلوب خاتمة الرسالة ٠

١٨ ـ صفة الموقعين على الرسالة ٠

١٩ ـ جنس الموقعين :

وبالاضافة الى نظام التحليل الكمى السالف الذكر ، قام الباحث بتحليل الخطابات تحليلا كيفيا على اساس تصنيفها الى شكاوى وطلبات ، ثم حلل كل نوع تحليلا متعمقا ٠

* * *

ثانيا : السجلات الاحصائية — Statistical Records

اشرنا فى بداية هذا الفصل الى أنه ليس من المفروض فى كل بحث اجتماعى أن ينزل الباحث الى الميدان ، ويقوم بجمع البيانات اللازمة من اشخاص معينين ٠ فكثيرا ما تكون البيانات المطلوبة مدونة فى سجلات حكومية أو أهلية ، ويمكن الافادة منها والاعتماد عليها لتحقيق أغراض البحث ٠٠ فى هذه الحالة يستطيع الباحث أن يأخذ من السجلات كل ما يسد حاجته من بيانات ، موفرا على نفسه كثيرا من الوقت والجهد والمال ٠

وتتميز البيانات الاحصائية التى يستقيها الباحث من السجلات الاحصائية المختلفة بعدة مزايا ٠ فهى فضلا عن توفيرها كثيرا من الوقت والجهد والمال تسجل لنا مقادير الظاهرة التى ندرسها وما يطرأ عليها من تغيرات مع الزمن ٠ ولما كان من المفروض أن البيانات الاحصائية تقاس بنفس المتغيرات التى تطرأ على الظاهرة موضوع الدراسة ، وتساعد على معرفة أسباب الوحدات وبنفس الطريقة خلال الأزمنة المختلفة ، فانها تفيد فى الكشف عن هذه التغيرات ونتائجها ، وما يمكن أن يكون هناك من علاقة بين هذه الظاهرة وغيرها من الظواهر ٠

ويعتمد رجال الاقتصاد اعتمادا كبيرا على البيانات الاحصائية فى دراسة التغيرات التى تطرأ على الظواهر فى الزمن ، ويعملون على تحليل ما يسمونه باسم السلاسل الزمنية أو السلاسل التاريخية أى دراسة قيم ومقادير الظاهرة فى سلسلة تواريخ متتابعة ، ويصلون من وراء ذلك الى تحديد

الاتجاهات العامة للتغير ، ومعرفة القوانين المتعلقة بالتغيرات المنظمة والعرضية والثورية (١) .

وبالمثل يستطيع الباحثون فى أى ميدان اجتماعى أن يدرسوا ما يطرأ على الظواهر التى يقومون بدراستها من تغيرات . قام الدكتور فتح الله طلول مثلا بدراسة التطور لعددى السكان الريفيين والحضريين بالاقليم المصرى ، وحاول الكشف عن الخصائص الاجتماعية لسكان الريف معتمدا على التعدادات السكانية للاقليم المصرى فى الفترة ما بين ١٩١٧ ، ١٩٤٧ (٢).

كما قام باحثون من المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية بعدة بحوث عن ظاهرة تشرد الأحداث معتمدين على البيانات الاحصائية . من بين هذه البحوث ما قام به الدكتور سيد عويس وآخرون فى دراسة لهم تحت عنوان ظاهرة تشرد الأحداث حدد مجالها الزمنى بعام واحد بدأ من أول فبراير ١٩٦١ وانتهى فى آخر يناير ١٩٦٢ ، وروعى أن تمتد هذه الفترة طوال عام كامل حتى يكون هناك احتمال لاستخلاص بعض دلالات من الاحصاءات ، كتأثير فصل الشتاء والصيف على ممارسة انماط التشرد المختلفة . وحتى تكون الاحصاءات حصيلة وحدة زمنية محددة يمكن اتخاذها اساسا للمقارنة او القياس (٣) . وفى دراسة اخرى قام الدكتور سيد عويس وآخرون بدراسة صور الاجرام فى مصر . وقد قسمت فترات الدراسة الى : الأولى من عام ١٩٢٥ - ١٩٤٤ ، والثانية من ١٩٤٥ - ١٩٥٣ ، والثالثة من ١٩٥٣ - ١٩٥٨ ، واعتمد الباحثون على الاحصاءات الرسمية وكان هدفهم الكشف عن اتجاهات اجرام الأحداث على مر هذه السنين ، ومحاولة تفسير التغير فى هذه الاتجاهات (٤) .

وفى دراسة اخرى قام بها طلبة بكالوريوس الخدمة الاجتماعية تحت اشراف المؤلف ، حاول الباحثون دراسة ظاهرة الانتحار والشروع فيه فى الجمهورية العربية المتحدة . وقد اعتمد الباحثون على احصائيات

---

(١) راجع فى ذلك : عبد المنعم ناصر الشافعى : مبادىء الاحصاء ، الجزء الثانى ، الطبعة الرابعة ١٩٥٩ ، الباب الأول والثانى .

(٢) فتح الله طلول : الخواص الاجتماعية للسكان الريفيين بالاقليم المصرى من الجمهورية العربية المتحدة ، مطبعة جامعة الاسكندرية ١٩٦١ .

(٣) منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية : تشرد الأحداث ، دراسة احصائية ، ١٩٦٣ .

(٤) سيد عويس وآخرون : صور اجرام الاحداث فى الاقليم المصرى المجلة الجنائية القومية ، المجلد الثانى ، ص ١٧٧ - ١٩٠ .

تقارير الأمن العام لوزارة الداخلية خلال ثلاثة عشر عاما من ١٩٥٠ الى ١٩٦٢ ولمكنتهم أن يحددوا الاتجاهات العامة لظاهرة الانتحار والشروع فيه وتوزيع كل من هاتين الظاهرتين بالنسبة للذكور والاناث ، وفئات العمر والمهن ، وما الى ذلك من تقسيمات (١) .

هذا ولما كانت البيانات الاحصائية تجمع بانتظام وبطريقة روتينية فانها لاتثير مقاومة المبحوثين كما هو الحال فى جمع البيانات بطريق الملاحظة والمقابلة والاستبيان .

* * *

● أوجه استخدام البيانات الاحصائية :

يمكن الاستفادة من البيانات الاحصائية فيما يلى :

١ ـ صياغة الفروض المتعلقة بالمشكلة : ليس من شك فى أن البيانات الاحصائية تجمع لأغراض أخرى غير أغراض البحث الذى يقوم به الباحث . ولذا يمكن الاستفادة منها فى صياغة فروض متعلقة بالمشكلة موضوع الدراسة . وينبغى على الباحث أن يتعمق فى قراءة البيانات الاحصائية حتى يستطيع أن يوجه الأسئلة المناسبة التى يمكن الاجابة عليها باستخدام هذه البيانات . كما ينبغى أن يكون مرنا فى وضع الأسئلة المتعلقة بفروض البحث بصورة يتيسر معها استخدام البيانات المتوفرة لديه (٢) .

٢ ـ التحقق من صحة الفروض الموضوعية : تفيد البيانات الاحصائية فى التحقق من صحة الفروض التى يضعها الباحث . ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما قام به دوركايم فى دراسته التى أجراها عن الانتحار اذ استطاع باستخدام البيانات الاحصائية أن يفند بعض الفروض عن أسباب الانتحار مثل العوامل الجوية والنفسية ، وان يثبت أن الميل الى الانتحار يتناسب عكسيا مع درجة التكامل فى الهيئة الدينية ومع درجة التماسك فى الأسرة ، ومع الوحدة فى الهيئة السياسية . فكلما قويت هذه الهيئات الثلاث واشتدت سلطتها على الأفراد كلما قل عدد المنتحرين (٣) .

٣ ـ اختيار عينات البحث : تفيد البيانات الاحصائية فى اختيار بعض الحالات التى يمكن دراستها دراسة متعمقة والتى تساعد على تزويد الباحثين

---

(١) قاسم رمضان مصطفى وفايز أمين خليل وآخرون : دراسة استطلاعية لدوافع الانتحار ، تحت اشراف المؤلف .

(٢) Selltiz et al., op. cit., p. 318.

(٣) Ibid., pp. 313-319.

باستبصارات جديدة عن الموضوع الذى يرغبون فى دراسته . كما تفيد فى اختيار عينة من المدارس تختلف فى مستوياتها التعليمية ، أو عينة من المصانع تختلف فى مستوياتها الانتاجية .. وهكذا .

٤ـ التأكد من البيانات التى سبق جمعها بوســـائل أخــرى : يمكن الاستفادة من البيانات الاحصائية فى التأكد من صحة البيانات التى سبق جمعها بوسائل أخرى كالملاحظة والمقابلة والاستبيان أو لتكملة هذه البيانات .

* * *

● مصادر البيانات الاحصائية :

تختلف المصادر الاحصائية باختلاف الظاهرة موضوع الدراسة ويمكن تحديد أهم المصادر الاحصائية فيما يلى :-

١ ـ تعداد الســكان :

هو عبارة عن عملية عد تشمل جميع سكان البلد فى وقت واحد . وهذه العملية ترمى فى نفس الوقت الى التعرف على الاوضاع المختلفة للسكان مثل العمر والنوع والحالة المدنية والحالة العلمية والحالة العملية والديانة والجنسية، وغير ذلك من الأوضاع التى تساعد على اعطاء صورة كاملة لأحوال الشعب.

وقد أجرى أول تعداد للسكان فى مصر سنة ١٨٨٢ وتلاه آخر سنة ١٨٩٧ ، ومنذ ذلك التاريخ تقوم الحكومة بعمل تعداد للسكان مرة كل عشر سنوات بانتظام وقد أجرى تعداد السكان الثامن بالجمهورية فى سبتمبر ١٩٦٠ نظرا لأن ظـروف العـدوان الثـلاثى على مصر حالت دون اجرائه فى سنة ١٩٥٧. ، ويتميز بالآتى :

١ ـ اتخذت الوحدات الادارية أساسا للعمليات الميدانية بخلاف التعدادات السابقة التى تجرى وفقا للعمليات المالية . وكانت الشياخة أو القرية أصغر الوحدات الادارية فى عملية جمع البيانات .

٢ ـ صدرت نتائج التعــداد النهائية فى جزئين :

الأول : كراسة لكل محافظة . وتعتبر الشياخة أو القرية أصغر الوحدات التى تنشر عنها بيانات تفصيلية .

الثانى : كراسة للجمهور . بعض جداولها على مستوى المحافظة والباقى بيانات اجمالية عن الجمهور .

هذا وتفيد تعدادات السكان فى اعطاء صورة واضحة لحالة السكان من جميع النواحى ، نعرف بواسطتها اثر التشريع القائم فى سرعة نهوض الشعب وتقدمه ، وتحكم على صلاحية النظم والتقاليد السائدة وملاءمتها لتطورات العصر ومقتضيات الأحوال • وقد فكرت كثير من الدول فى جعل التعداد كل خمس سنوات بدل عشر ، ولكن النفقات الكبيرة والمجهودات الفنية اللازمة لاجراء التعداد تحول دون تحقيق هذه الرغبة (١) •

٢ ـ احصاءات المواليد والوفيات :

تسجيل المواليد والوفيات أمر تحتمه القوانين • وفى مصر تقوم مكاتب الصحة بتسجيل المواليد والوفيات وتبلغ هذه البيانات تباعا الى مصلحة الاحصاء حيث تبوب وتنشر فى جداول ونشرات دورية منظمة •

٣ ـ احصاءات الزواج والطلاق :

توجد فى كل البلاد المتحضرة احصاءات وافية عن الزواج والطلاق الا ان السجلات الخاصة بالزواج فى مصر لم يبدأ تنظيمها الا فى سنة ١٩٣١ للمدن الكبرى ، وفى سنة ١٩٣٥ لجميع البلاد المصرية • اما عن الطلاق فلم تكن فى مصر أية احصاءات عن الطلاق قبل سنة ١٩٣٥ • أما الآن فيحتم تسجيل الطلاق واعطاء بيانات كافية عن اسباب الطلاق وظروف الزوجين وهذه البيانات ترسل تباعا الى مصلحة الاحصاء وتبوب وتنشر فى جداول ونشرات دورية منظمة (٢) •

٤ ـ الاحصاءات المتخصصة :

وأهم هذه الاحصاءات ما يأتى :

١ ـ احصاءات الأمن العام : تصدر ادارة الأمن العام بجمهورية مصر تقريرا سنويا يتضمن احصاءات متعلقة بأنواع الجنايات التى وقعت بالمحافظات وحوادث الانتحار والشروع فيه والوسائل التى استخدمت فى

---

(١) راجع فى ذلك تفصيلا : عبد المنعم الشافعى ، مبادىء الاحصاء ج ٢ ص ٦٦ ـ ٨٣ •

(٢) انظر النشرة الربع سنوية عن المواليد والوفيات والزواج والطلاق ، وكذلك الاحصاء السنوى العام •

صلاح محمد احمد سليمان : دليل المصادر الاحصائية فى الجمهورية العربية المتحدة (مركز التربية الأساسية فى العالم العربى ـ سرس الليان) ١٩٥٩ •

الانتحار ، وبيانات عن الفارين من الجندية والهاربين من الليمانات والسجون وبيان الجنح التى وقعت بالمحافظات (١) ٠

٢ ــ الاحصاءات الاجتماعية : يصدر المجلس الدائم للخدمات العامة اطلسا للخدمات باللغتين العربية والانجليزية ٠ ويحتوى على الخدمات الصحية والتعليمية واثر تنفيذ برنامج الوحدة المجمعة فى انتشار الخدمات فى الريف ، ونسب المناطق المخدومة ، وتكاليف الانشاء والادارة السنوية للوحدة المجمعة وعدد المراكز والمؤسسات الاجتماعية والجمعيات التعاونية والخيرية ، كما يشتمل على بعض المقارنات عن النواحى الاقتصادية والاجتماعية ، وتصدر مصلحة الاحصاء والتعداد احصاء عن الأجور وساعات العمل ٠

٣ ــ الاحصاءات التعليمية : تصدر مصلحة الاحصاء والتعداد الاحصاء العام لمعاهد التعليم ، كما تصدر ادارة الاحصاء بوزارة التربية والتعليم الاحصاء السنوى للتعليم ، واحصاءات عن المؤهلات والمستويات التعليمية كل خمس سنوات ، واحصاءات عن المؤهلات والمستويات لهيئات التدريس ، ونتائج الامتحانات واتجاهات الخريجين ٠

٤ ــ الاحصاءات الزراعية والتجارية والصناعية واحصاءات النقل والمواصلات : تصدر نشرات متعددة متعلقة بالنواحى السابقة ٠ ويمكن الرجوع اليها فى دليل المصادر الاحصائية (٢) ٠

* * *

● حدود البيانات الاحصائية :

ليس من شك فى ان البيانات الاحصائية لها اهميتها الكبرى فى مجال البحث الاجتماعى ، الا ان هناك مواطن ضعف فى هذه البيانات نذكرها فيما يلى :

١ ــ كثيرا ما تنطوى الاحصاءات الرسمية على بعض الثغرات التى تعوق الباحث عن مواصلة البحث ، فقد تكون البيانات ناقصة أو مدونة بصفة اجمالية بحيث لايتيسر للباحث الاستفادة منها سواء فى فرض الفروض أو فى التحقق من صحة ما وضعه من فروض ٠ ويلاحظ أن هذه الشكوى عامة

---

(١) للوقوف على مصادر الاحصاء الجنائية يرجع الى ما كتبه دكتور محسن عبد الحميد : النظم الاحصائية فى الجمهورية العربية ، المجلة الجنائية القومية ، المجلد الثالث والرابع والخامس ٠

(٢) صلاح أحمد سليمان : المرجع السابق ٠

من الباحثين المختلفين فى المجتمعات المختلفة مع تفاوت فى الدرجة • وقد ناقش المركز القومى للبحوث الاجتماعية هذه النقطة بقوله :

ان كثيرا من جوانب خبرتنا الاجتماعية تشير الى صحة هذا الاعتراض، كما أن كثيرا من جوانب خبرتنا العلمية الناتجة عن اطلاعنا على عدد من البحوث الاجتماعية تشير الى أن هذه الشكوى عامة من الباحثين فى المجتمعات المختلفة مع تفاوت فى الدرجة • غير أن هذه الخبرات جميعا لا تبرر المغالاة فى الاهتمام بهذا الاعتراض الى الدرجة التى قد تشل الباحث عن مواصلة البحث ، لاسيما وأن الاحصاءات الاجتماعية هى المادة الخام التى يعتمد عليها فى عدد كبير من الدراسات الاجتماعية والاقتصادية والنفسية • وعلى ذلك فليس أمام الباحثين فى هذه الميادين الا أن يختاروا واحدا من أمرين :

فاما أن يتقبلوا هذه الحقيقة ويحاولوا التغلب على بعض آثارهـا السيئة مع التواضع فيما يولونه من ثقة للاستنتاجات التى يرتبونها على تحليل هذه الاحصاءات غير الدقيقة ، أو يمتنعون تماما عن البحث فى الظواهر الاجتماعية حتى تتوافر الاحصائيات الدقيقة دقة تامة •

على أن الاحصائيات ذات الدقة التامة مثل أعلى يندر أن يتحقق وبخاصه فيما يتعلق بجوانب الحياة الاجتماعية • ويبدو أن تحققها سيظل كذلك مثلا أعلى نادر الحدوث ، نظرا للعوامل التى لا نهاية لعددها التى تتدخل ـ بطرق لا حصر لها ـ فى تحديد المستوى الذى تصل اليه هذه الدقة •

ومعنى ذلك أن اختيار الامتناع عن البحث حتى تتوافر الاحصائيات الدقيقة اختيار عقيم لأن هذا الاختيار ينطوى من الناحية المنطقية على القضاء التام على الدراسة العلمية لمظاهر النشاط الاجتماعى جميعا (١) •

٢ ـ قد لاتكون معانى المصطلحات واحدة فى الاحصاءات المختلفة • فقد تختلف باختلاف المصدر والزمان والمكان مما يجعل من الصعوبة بمكان استخدام البيانات الاحصائية فى الدراسات المقارنة •

---

(١) منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية : تعاطى الحشيش : التقرير الأول ، ص ٥ ، ٦ •

٣ ـ قد لاتكون الوسائل التى اتبعت فى جمع البيانات الاحصائية صحيحة أو لاتكون معبرة تعبيرا دقيقا عن الواقع . فاحصاءات الجريمة مثلا تعتمد على الحالات التى ضبطت فعلا ، ولكن توجد حالات أخرى يتستر عليها المجتمع ولا يعرف عددها . ولذا ينبغى قبل استخدام الاحصاءات التأكد من دقتها وصحة الأساليب التى استخدمت فى جمعها .

٤ ـ لاتكفى البيانات الاحصائية وحدها فى فهم المواقف الاجتماعية فهما كاملا ، أو لاعطاء صورة متعمقة للظاهرة المدروسة . ولذا ينبغى الاستعانة بأكثر من أسلوب من أساليب جمع البيانات والاستفادة من الكيفية والكمية معا ، حتى يتيسر فهم الموقف الاجتماعى فهما صحيحا كاملا .

* * *

المراجع

(١) باللغـة العربيـــة :

١ ــ سيد عويس : من ملامح المجتمع المصرى المعاصر ، ظاهرة رسائل الامام الشافعى ، منشورات المركز القومى البحوث الاجتماعية والجنائية ١٩٦٥ .

٢ ــ سيد عويس وآخرون : صور اجرام الأحداث فى الاقليم المصرى المجلة الجنائية القومية ، المجلد الثانى ، ص ١٧٧ ــ ١٩٠ .

٣ ــ صلاح أحمد سليمان : دليل المصـادر الاحصائية فى الجمهوريه العربية المتحدة ، مركز التربية الأساسية فى العـالم العربى ، سرس الليان ١٩٥٩ .

٤ ــ عبد المنعم ناصر الشافعى : مبادىء الاحصاء ، الجزء الثـــانى الطبعة الرابعة ، ١٩٥٩ .

٥ ــ عبد المنعم الشافعى وآخرون : الاحصاء الاجتماعى ، ١٩٥٤

٦ ــ محسن عبد الحميد : النظم الاحصائية الجنائية فى الجمهورية العربية المتحدة ، المجلة الجنائية القومية ، العــدد الثانى من المجلد الثالث العدد الأول من المجلد الرابع ، العدد الثانى من المجلد الخامس .

٧ ــ محمد ابراهيم كاظم : تطورات فى قيم الطلبة،مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٢ .

٨ ــ منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية : تشـرد الاحداث دراسة احصائية ، ١٩٦٣ .

* * *

(٢) باللغة الانجليزية :

1. Berelson, B. ; Content Analysis in Communication Research. Free Press, 1952.

2. Berelson, B., and Salter, P. ; «Majority and Minority Americans : An Analysis of Magazine Fiction». Public Opinion Quarterly, Vol X. 1946.

3. Jahoda and others ; Research Methods in Social Relations, New York, 1952.

4. Selltiz and others ; Research Methods in Social Relations, 1960.

5. White, R., Black Boy, J. Abnom., ; Sic. Psychol., 1947, 42, 440, p. 1.

* * *

الملخص

يستخدم الباحث الاجتماعي عددا كبيرا من ادوات جمع البيانات ، من بينها الملاحظة والاستبيان والمقابلة ومقاييس العلاقات الاجتماعية والاتجاهات والرأى العام ، وتحليل المحتوى ، والمصادر الاحصائية على اختلاف انواعها ·

وتتميز الملاحظة عن غيرها من ادوات جمع البيانات بأنها تفيد فى جمع بيانات تتصل بسلوك الافراد الفعلى فى بعض المواقف الواقعية فى الحيـــاة بحيث يمكن ملاحظتها دون عناء كبير أو التى يمكن تكرارها بدون جهد ، ثم انها تفيد أيضا فى جمع البيانات فى الاحوال التى يبدى فيها المبحوثون نوعا من المقاومة للباحث ويرفضون الاجابة على الاسئلة · ويمـــكن الاستفادة بالملاحظة فى جمع بيانات لها أهميتها سواء فى الدراسات الكشفية أو الوصفية أو التجريبية ·

والملاحظة أساليب متعددة أهمها الملاحظة البسيطة والملاحظة المنظمة ، ويقصد بالملاحظة البسيطة ملاحظة الظواهر كما تحدث تلقائيا فى ظروفهـــا الطبيعية دون اخضاعها للضبط العلمى وبغير استخدام أدوات دقيقة للقياس للتأكد من دقة الملاحظة وموضوعيتها · ويمكن ان تتم الملاحظة البسيطة اما بمشاركة الباحث فى الظاهرة التى يقوم بدراستها أو بدون مشاركة فى نشاط الجماعة التى يقوم بدراستها · أما الملاحظة المنظمة فانها تخضع للتحـديد الدقيق والضبط العلمى سواء بالنسبة للقـــائم بالملاحظة او بالنسبة للأفراد الملاحظين أو بالنسبة للموقف الذى تجرى فيه الملاحظة ، كما انها تنحصر فى موضوعات محددة سلفا ، وتقتصر على اجابة الأسئلة أو تحقيق الفروض التى وضعها الباحث ·

ويشيع استخدام الاستبيان والمقابلة فى البحث الاجتماعى حينما تكون البيانات المطلوبة لها صلة وثيقة بمشاعر الأفراد ودوافعهم وعقائدهم واتجاهاتهم نحو موضوع معين ، وكذلك بالنسبة للمواقف التى يصعب الحصول على بيانات عنها بطريق الملاحظة كالمواقف الماضيـة والمستقبلة · وتعتمد هـاتان الوسيلتان معا على التقرير الذاتى اللفظى للفرد عن سلوكه وعن المؤثرات التى يتعرض لهـا ·

وتشير كلمة « استبيان » الى وسيلة لجمع البيانات قوامها الاعتماد على مجموعة من الأسئلة ترسل اما بطريق البريد لمجموعة من الافراد ، أو تنشر على صفحات الجرائد والمجلات ، او على شاشة التليفزيون او عن طريق الاذاعة ليجيب عليها الأفراد ويقوموا بارسالها الى الهيئة المشرفة على البحث أو تسليمها بأيد المبحوثين ليقوموا بملئها ثم يتولى الباحث أو أحد مندوبيه جمعها منهم بعد أن يدونوا اجاباتهم عليها • أما المقابلة فانها عبارة عن تبادل لفظى موجه بين الباحث والمبحوث هدفها الحصول على معلومات للاستفادة بها فى أغراض البحث •

وتستلزم عملية جمع البيانات بطريق الاستبيان أو المقابلة اعداد خطة مفصلة للاهتداء بها عند جمع البيانات ، وتكون هذه التفاصيل مكتوبة فى شكل اسئلة وأمامها فراغات يملأها الباحث بناء على مشاهداته الخاصة وعلى ما يدلى به المبحوث من بيانات ، وتجمع هذه البيانات فيما نسميه باستمارة الاستبيان أو استمارة المقابلة •

ولاعداد الاستمارة ينبغى أن يلتزم الباحث باتباع خطوات رئيسية أهمها :

(١) تحديد نوع المعلومات التى يرغب الباحث فى الحصول عليها ، (٢) تحديد شكل الأسئلة والاستجابات والصياغة وتسلسلها ، (٣) اختبار الاستمارة قبل تعميم تطبيقها على المبحوثين ، (٤) تنسيق الاستمارة واعدادها فى صورتها النهائية •

اما عن مقاييس العلاقات الاجتماعية والاتجاهات والرأى العام فانها ضرورية لمعرفة ما يحدث بين الأفراد والجماعات من جذب وتنافر ، واتفاق واختلاف . وتعاون وتنافس ، وصراع وتكيف ، وفى قياس اتجاهات الأفراد نحو مختلف الموضوعات لتحديد درجة اعتناقهم لرأى اجتماعى معين ، ومدى تقبلهم لأحد البرامج الاجتماعية وفى دراسة الرأى العام للوقوف على ما يسود الجماعة من آراء واتجاهات جماعية •

ولاعداد المقياس ينبغى البدء بتحديد وحدات المقياس ، وكذا نقطة الصفر المطلق ، ونوع المجتمع الذى تجرى عليه عملية القياس كما ينبغى التأكد من ثبات المقياس وصدقه •

ويمكن قياس العلاقات الاجتماعية باستخدام كل من الملاحظة المنظمة والأساليب السوسيومترية • وتستخدم المقاييس السوسيومترية لقياس

العلاقات داخل جماعة محدودة المعالم والحدود ، وخلال فترة زمنية معينة ، ويسمح للأفراد باختيار أو نبذ أى عدد من الأشخاص ، وان يحدد نوع النشاط الذى يطلب الى الفرد ان يشارك أو لا يشارك فيه الأفراد الآخرين • ولتحليل بيانات الاختبار السوسيومترى ينبغى تفـريغ الاختبارات فيما يسـمى بالسوسيوجرام •

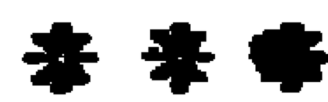
ولقياس الاتجاهات يمكن الاستفادة بالمقاييس اللفظية أو بالأساليب الاسقاطية • ويشيع استخدام المقاييس اللفظية فى قياس الاتجاهات العقلية نظرا لسهولة استخدامها ودقة نتائجها • ومن المقاييس اللفظيـة المشهورة طريقة المقارنة الزوجية التى تعتمد أساسا على المقارنة بين موضوعين ثم تفضيل احـدهما على الآخـر بالنسبة لهـدف الاتجاه المراد قياسه ، ومقياس البعد الاجتماعى الذى يستخدم فى التعرف على اتجاهات الأفراد نحو مختلف الاجناس العنصرية ، ومقاييس ثرستون ، وليكرت وجتمان •

وفى الوقت الذى تهدف فيه مقاييس الاتجاهات العقلية الى تحديد درجة معتقدات كل فرد على حدة ، تهدف مقاييس الرأى العام الى الحصول على النمط الشائع لهذه المعتقدات ، كما ان مقاييس الاتجاهات تحتوى على عدد كبير من الوحدات المتدرجة فى حين ان مقاييس الرأى العام تحتوى على وحدات اقل كثيرا وغالبا ما تحسب النتائج فى بحوث الرأى العام باستخدام النسب المئوية •

أما عن اسلوب تحليل المضمون فانه يستخدم فى تحليل محتوى المـادة التى تقدمها وسائل الاتصال الجمعى كالجرائد والمجلات والكتب وأفلام السينما وبرامج التليفزيون • ويهدف هذا الأسلوب عامة الى الوصف الموضوعى المنظم الكمى للمحتوى الظاهر للاتصال • وللقيام بتحليل محتوى الاتصال ينبغى اختيار عينة المصدر والعينة الزمنية وعينة الوحدات وينبغى تحديد فئات التحليل التى تشمل مادة الاتصال وشكله ثم ينبغى العناية بتصنيف كل المواد المناسبة حتى يتيسر استخلاص النتائج بطريقة سليمه • ولضمان دقـة النتائج ينبغى التأكد من توفر صفتى الصدق والثبات ، فالمـادة التى تخضع للتحليل يجب ان تكون صادقة فيما تشتمل عليه ، كما أن من الضرورى أن يحصل الباحث على نفس النتائج لنفس التحليل حتى ولو اختلف المحلل او تفاوت الزمن الذى يتم فيه التحليل •

اما عن السجلات الاحصائية فانها توفر على الباحث كثيرا من الوقت والجهد والمال الذى ينفقه فى جمع البيانات • كما انها تفيد فى دراسة الظواهر المختلفة وما يطرأ عليها من تغيرات خلال الأزمنة المختلفة • ثم ان جمع البيانات الاحصائية لا تثير مقاومة المبحوثين أو تدعوهم الى اعطاء بيانات محرفة نظرا لأنها تجمع بطريقة روتينية منتظمة •

وتفيد البيانات الاحصائية فى صياغة الفروض المتعلقة بالمشكلة وفى التحقق من صحة الفروض الموضوعية ، وفى اختيار عينـــات البحث ، وفى التأكد من صحة البيانات التى سبق جمعها بوسائل أخرى كالاجلة والمقابلة والاستبيان ولتكملة هذه البيانات • وبالرغم من أن الاحصائيات الرسمية وغير الرسمية تنطوى على بعض الثغرات الا انها أداة هامة لايمكن الاستغناء عنها فى البحث • ومـا على الباحثين الا أن يحاولوا التغلب عـلى بعض آثارها السيئة ، مع التواضع فيما يولونه من ثقة للاستنتجات التى يرتبونها على تحليل هذه الاحصائيات •



الباب السادس

جمع البيانات وتصنيفها وتبويبها وتفسيرها وكتابة التقرير

الفصل الحادى والعشرون : اختيار عينة البحث .

الفصل الثانى والعشرون : جمع البيانات .

الفصل الثالث والعشرون : تصنيف البيانات وتحليلها وتفسيرها

الفصل الرابع والعشرون : كتابة تقرير البحث .

الفصل الحادى والعشرون

اختيار عينة البحث

- **الحصر الشامل والعينة :**

لما كان من العسير فى كثير من البحوث الاجتماعية القيام بدراسة شاملة لجميع المفردات التى تدخل فى البحث ، فان الباحث لايجد وسيلة أخرى يستطيع الاعتماد عليها سوى الاكتفاء بعدد محدود من الحالات او المفردات فى حدود الوقت والجهد والامكانيات المتوفرة لديه ، ثم يقوم بدراسة هذه الحالات الجزئية ، ويحاول تعميم صفاتها على المجتمع الكبير . وتعرف طريقة جمع البيانات من جميع المفردات التى تدخل فى البحث بطريقة الحصر الشامل ، بينما تعرف الثانية بطريقة العينة (١) .

ولا شك فى أن لكل من طريقة الحصر الشامل وطريقة العينة مزايا . ففى الحصر الشامل يستطيع الباحث أن يتجنب أخطاء التعميم التى تنتج من استخدام بيانات مأخوذة من جزء من المجتمع فى الحكم على المجتمع كله . الا أن هذه الطريقة كثيرة التكاليف وتحتاج الى وقت طويل وامكانيات طائلة قد لا تتوفر كلها أو بعضها للباحثين . ويكفى أن نتصور مقدار الوقت والجهد الذى يبذل عندما تقوم الحكومة باحصاء عام كل عشر سنوات . فعملية التحضير للاحصاء ثم عملية جمع البيانات وتفريغها وتبويبها وعرضها تستغرق سنين طويلة ، الى جانب ما يستلزمه الاحصاء من تدريب طويل لجامعى البيانات وما يستنفده من أموال لا تتيسر لكل الباحثين ، مع ان الاحصاء ، لا يشتمل الا على عملية عد بسيط ، فاذا كان البحث يشتمل على بحث حالات ،

---

(١) يستطيع القارىء ان يتوسع فى هذا الجزء بالرجوع الى كتب الاحصاء وخاصة الكتب الآتية :

السيد محمد خيرى : الاحصاء فى البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية. دار الفكر العربى ، الطبعة الثانية ، يونية ١٩٥٧ . عبد المنعم ناصر الشافعى : مبادىء الاحصاء ، الجزء الأول ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة ، ١٩٦٠ .

عبد المنعم ناصر الشافعى ، حسن محمد حسين وآخرون : الاحصاء الاجتماعى ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٤ .

فردية ، والتعمق فى دراستها للتـــأكد من صحة فرض من الفروض ، كانت الصعوبة التى يصادفها الباحث فى تطبيق بحثه على المجتمع بأكمله مضاعفا (١) ثم ان جمع البيانات من جميع افراد المجتمع يؤدى الى اخطاء كثيرة نتيجة لكثرة عددَ الأفرادِ وضخامة المجهود اللازم لجمع بيانات منهم جميعا . وفضلا عن هذا فَانِ اجراء بحث على جميع افراد المجتمع قد يدعو الى ملل البعض من كثرة الأبحاث التى تجرى عليهم تباعا ، فيؤدى هذا الى عدم تعاونهم مع الباحثين . وهناك حالة اخرى ــ وهى حالة تجانس المجتمع ــ نجد فيهـــا أن دراسة المجتمع كله مجرد ضياع للوقت والجهد بلا مبرر . فقطعة صغيرة من نسيج معين تعتبر عادة عينة ممثلة لنسيج ثوب كبير ، ذلك لأن عملية النسيج والصباغة تضمن لنا التجانس الشديد لأجزاء القماش المختلفة . كما أن حفنة من الارز أو الغلال تكفى لأن تكون عينة ممثلة لكميات كبيرة من هذه المواد . فالحالات المدروسة اذا كانت متجانسة فان أى جزء من المجموع يعتبر ممثلا للكل (٢) .

وتتميز طريقة العينة على طريقة الحصر الشامل بانها توفر الوقت والجهد والمال ، كما تيسر استخدام مجموعة صغيرة من الباحثين المدربين تدريبا عاليا ، ثم انها تتيح للباحث فرصة جمع معلومات وافية دقيقة تهيىء لـه اصدار احكام اكثر تعمقا . وفضلا عن ذلك فانها تتيح الفرصة لاجراء أبحاث اخرى على أفراد آخرين من نفس المجتمع .

وقد دلت كثير من البحوث على أن العينة اذا اختيرت اختيارا ممثلا للمجتمع الذى تؤخذ منه ، فان ذلك يؤدى الى توفير جهد كبير سواء على الباحث أو على الناس ، وفى نفس الوقت تكون النتائج قريبة من النتائج التى نحصل عليها لو أجرينا البحث على جميع أفراد المجتمع .

ومن امثلة تلك البحوث ما قـــام به « رونترى «Rowntree سنة ١٩٤١ فى دراسته الكلاسيكية عن الفقر فى مدينة يورك بانجلترا . فقد درس حالة الطبقة العاملة وقارن بين ما تنفقه طبقات عاملة متفاوتة من ناحية الدخل على ايجار السكن .

بدأ رونترى بدراسة المجتمع كله ، وقام بحساب النسب المئوية لـما ينفق على ايجار السكن . ثم اخذ بطريقة عشوائية منتظمة عدة عينات من فئات

---

(١) السيد محمد خيرى : المصدر السابق ، ص ٣٢٩ .

(٢) Lundberg, op. cit., p. 135.

المجتمع . فنأخذ فى احدى العينات حالة واحدة من كل ١٠ حالات ، وفى عينة ثانية اخذ حالة من كل ٢٠ ، وفى ثالثة حالة من كل ٣٠ ، وفى رابعة حالة من كل ٤٠ ، ثم اخذ من عينة خامسة حـالة من كل ٥٠ حالة فى المجتمع . وقام بحساب النسب المئوية لمتوسط ما ينفق على السكن لـكل فئة وذلك بالنسبة لكل عينة من العينات الخمس السابقة .

ويوضح الجدول التالى النسب المئوية للعينات الخمس . ويلاحظ أنها لاتختلف كثيرا فيما بينها ، كما انها لاتختلف كثيرا عن النسب المئوية للمجتمع الأصلى . وقد استنتج رونترى بناء على تلك النسب ان العينة طريقة عملية تفيد فى دراسة مجتمع البحث ، ويمكن عن طريقها معرفة خصائص المجتمع والاستدلال على المعلومات اللازمة عنه .

جدول (٥) النسب المئوية لما ينفق من الدخل على ايجار السكن

فئات الدخل	العدد الأصلى فى المجتمع	نتائج المسح الشامل	نتائج مسح العينات ١ من كل ١٠	١ من كل ٢٠	١ من كل ٣٠	١ من كل ٤٠	١ من كل ٥٠
(أ)	١٨٤٨	٢٦ر٥	٢٦ر٩	٢٥ر٩	٢٧ر٠	٢٨ر٣	٢٧ر١
(ب)	٢٤٧٧	٢٢ر٧	٢٢ر٩	٣٣ر٥	٢٣ر٣	٢٢ر٣	٢٢ر٦
(جـ)	٢٥١٤	١٩ر٨	١٨ر١	١٧ر٦	١٨ر٣	١٧ر٢	١٨ر٠
(د)	١٦٧٦	١٥ر٨	١٦ر٠	١٤ر٤	١٥ر٨	١٧ر١	١٦ر٩
(هـ)	٣٧٤٠	١١ر٣	١١ر٠	١٠ر١	١٠ر٧	١١ر٦	١١ر٥

هذا وقد تتعرض نتائج البحث بطريقة العينة لأنواع مختلفة من الاخطاء. ولذا وجب أن يكون الباحث على دراية تامة بالشروط التى ينبغى توافرها فى العينة ليستطيع اختيار مفردات البحث على أساس علمى سليم ، ولتكن نتائج بحثه اقرب الى الدقة ، وابعد عن التحيز .

* * *

● مصادر الخطأ فى اختيار العينة :

قد تتعرض نتائج البحث بطريق العينة لنوعين من الاخطاء همـا :

اولا : خطأ الصدفة : وينشأ هذا الخطأ من الفروق بين أفراد العينة وافراد المجتمع كله . ولتوضيح ذلك نضرب المثال التـالى : نفرض أن لدينا مجتمعا

مكونا من ستة افراد اعمارهم على التوالى هى : ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٩ ، ١٢ ٠ فاذا أردنا أن نحسب المتوسط الحسابى لأعمار هؤلاء الافراد الذى هو ست سنوات ، فعلينا أن نحدد أولا كل مفردة من مفردات الناس ٠ ولكن نفترض اننا لم نستطع تحديد الأعمار لظروف خارجة عن ارادتنا ٠ فى هذه الحالة نستطيع أن نقـــدر المتوسط الحسابى للأعمار باختيار عينة عشوائية من المجتمع ثم نعمم نتيجة العينة على المجتمع بأكمله ٠ فاذا قررنا اختيار عينة مكونة من حالتين لنقدر على اساسها متوسط الأعمار ، فقد يقع اختيارنا على الفردين اللذين يبلغ عمراهما ٢ ، ٤ ٠ وفى هذه الحالة يكون المتوسط الحسابى

للأعمار هو : $\frac{2 + 4}{2}$ أى ٣ سنوات ٠ وقد نختار عينة ثانية أو ثالثة مكونة

من حالتين ، الا أن تقديرنا لمتوسط الأعمار لن يكون دقيقا كل الدقة الا اذا اخترنا الفردين اللذين يبلغ عمراهما ٣ ، ٩ ٠ وفى الحالة الأخيرة يمكن القول بأن القيمة المقدرة للأعمـار Estimated Value تنطبق تماما على القيمـة الحقيقية للأعمار True Value .

من هذا نرى ان خطأ الصدفة يرجع الى ان العينة التى نختارها تكون دائما محدودة العدد ، وليس مضمونا أن يكون متوسط القيم فى اية عينـة نختارها هو نفس المتوسط العام فى المجتمع ٠ فقد يكون فى العينة التى نختارها شخص صغير السن ، فينحرف بالمتوسط الى أسفل ، او شخص كبير السن فينحرف به الى أعلى ، ويرجع ذلك كله الى عامل الصدفة ٠

وليس معنى هذا القول أن الصدفة تعمل دائما دون نظام أو ضـابط ٠ فان الصدفة التى أعطتنا شخصا صغير السن ، قد تعطينا شخصا آخـر كبير السن ، فيتعادل بذلك عمرا هذين الشخصين ، ولا يتأثر متوسط الأعمار فى العينة ٠ وهذا التعادل ، وان كان محتملا Probable الا انه ليس فى الغالب مضمونا ٠ ويمكن التقليل من خطأ الصدفة باختيار عينة كبيرة الحجم ، بحيث اذا اقترب حجم العينة من حجم المجتمع – وخاصة فى المجتمعات الصغيرة – فان خطأ الصدفة يقترب من الصفر (١) ٠

ويفيد علم الاحصاء فى تحديد المجال الذى تقع فيه أخطاء الصادفات ، ويستطيع الباحث ان يحدد مدى الثقة التى يود أن يلتزمها ، ونسبة الخطأ التى يود ان يتسامح فيها ٠ فاذا قبل الباحث أن يتسامح فى نسبة خطأ قدرها

---

(١) J. P. Guilford, Fundamental Statistics in Psychology and Education, pp. 160-162.

٥ ٪ مثلا ، فانه يستطيع ان يحسب الحد الأدنى لحجم العينة بحيث لايخرج بهذا الخطأ عن الحد الذى ارتضاه (١) •

ثانيا : خطأ التحيز : قد يتعرض الباحث عند اختياره للعينة للوقوع فى خطأ التحيز • وينتج هذا الخطأ عادة من أن اختيار مفردات البحث لم يتم بطريقة عشوائية ، أو ان الاطار الذى اعتمد عليه الباحث فى اختيار العينة لم يكن وافيا بالغرض ، أو لصعوبة الاتصال ببعض المبحوثين وتركهم دون الحصول على الاستجابات المطلوبة منهم (٢) •

* * *

● ويختلف خطأ التحيز عن خطأ الصدفة فيما يلى :

١ ـ ليس فى امكان الباحث ان يجد وسيلة لتقدير خطأ التحيز تقديرا يطمئن الى دقته كما هو الحال فى خطأ الصدفة •

٢ ـ لايتناقص خطأ التحيز بزيادة حجم العينة كما هو الحال فى خطأ الصدفة (٣) •

ولما كانت هناك صعوبة فى حساب هذا الخطأ ، فان من الضرورى ان يكون الباحث على علم تام بالأسباب المؤدية الى التحيز ليتلافاها او يتحكم فيها على قدر الاستطاعة • وسنشرح فيما يلى أسباب التحيز بشىء من التفصيل :

١ ـ عدم مراعاة مبدأ الاختيار العشوائى :

من الأمور الهامة التى تجب مراعاتها عند اختيار العينة مراعاة مبدأ العشوائية Randomness فى الاختيار ، ويتحقق هذا المبدأ باعطاء جميع الوحدات فى المجتمع فرصا متساوية فى الاختيار ، وبذلك تصبح العينة ممثلة تمثيلا صحيحا لجميع خواص المجتمع الأصلى •

---

(١) لحساب هذه النسب يستطيع القارىء الرجوع الى ما كتبه :

السيد محمد خيرى فى كتابه : الاحصاء فى البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية •

وعبد المنعم الشافعى فى كتابه : مبادىء الاحصاء ، الجزء الأول •

(٢) C.A. Moser, Survey Methods in Social Investigation, the U. Press, 1959, p. 73.

(٣) عبد المنعم الشافعى وآخرون : الاحصاء الاجتماعى ، ص ٧٧ •

ولكن يحدث فى بعض الأحيان ان يقع الباحث فى خطأ عدم استيفاء هذا الشرط فى العينة التى يختارها ، فيأخذ عينة من طبقة واحدة من المجتمع ثم يعمم نتائجه على جميع طبقات المجتمع • مثال ذلك ما حدث فى أحد استفتاءات الرأى العام التى تجرى فى الولايات المتحدة قبل الانتخابات العامة لمعرفة من يتولى منصب رياسة الجمهورية • فقد حدث أن اختيرت العينة من بين أسماء الأشخاص المدونة أسماؤهم فى دليل التليفونات ، الا أن الذين يمتلكون التليفون يمثلون فئة واحدة فى المجتمع ، وهم ذوو الدخل المرتفع نسبيا • وقد ترتب على ذلك حدوث خطأ فى اختيار العينة ترتب عليه خطأ فى تقدير النتائج الانتخابية (١)•ولم يكن كبر حجم العينة كفيلا بتلافى ذلك الخطأ ، فالبرغم من ان حجم العينة بلغ عشرة ملايين الا أن الباحثين فشلوا فى تقدير النتائج الصحيحة • ذلك لأن طريقة الاختيار كانت فى أساسها متحيزة Biased كما أن نسبة العائد من الاستفتاءات بلغت ٢٠ ٪ فقط من المجموع الكلى لأفراد العينة • وهذه النسبة ولا شك كانت تمثل الأفراد الذين نالوا قسطا أوفر من التعليم ، ولذا كان من التحيز تفسير النتائج وتعميمها فى ضوء الردود التى وصلت (٢) •

وقد يحدث التحيز اذا ما اختار الباحث الأشخاص الذين يعرفهم معرفة وثيقة ، أو الأشخاص القريبين منه، أو المحتكين به ، فاختيار هؤلاء الأصدقاء والمعارف دون غيرهم لا يتيح لجميع أفراد المجتمع فرصا متساوية فى الاختيار ، ثم ان هؤلاء الأشخاص غالبا ما تجمع بينهم صفات مشتركة مثل مستوى الدخل والتعليم والسن ••• الخ ، الأمر الذى يؤدى الى تحيز النتائج اذا كانت هذه الصفات متصلة بالمسائل التى يريد الباحث الحصول على بيانات عنها •

وقد يحدث التحيز من اتخاذ المتطوعين كعينة • فهؤلاء المتطوعون غالبا ما تكون لديهم مميزات خاصة تدفعهم الى التطوع دون غيرهم•فاذا كان الباحث يقوم بدراسة عن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية لعمال مصنع من المصانع ، ثم تقدم اليه جماعة من المتطوعين • فان من الخطأ الاعتماد عليهم فى البحث اذ كثيرا ما يحدث أن يعتقد العمال ذوو الأجور المنخفضة ان الباحث سيتصل بالادارة ليعمل على تحسين مستوياتهم الاقتصادية ، ولذا يبادرون بالاتصال به • ومن هنا تكون العينة التى يعتمد عليها الباحث متحيزة فيما يختص بالمستوى الاقتصادى والاجتماعى للعمال •

---

(١) J.P. Guilford, op. cit., p. 73.

(٢) J.P. Guilford, op. cit., p. 157.

وقد يحدث التحيز من اختيار الأسماء التي تبدأ بحرف معين كحرف الميم أو النون أو العين . ويضرب الدكتور عبد المنعم الشافعي مثالا بقوله :

« قد يخطر ببالنا ان نختار الأسماء التى تبدأ بحرف النون مثلا ، ويخيل الينا ان الأسماء التى تبدأ بهذا الحرف ، ليس لها طابع يدعونا الى الخوف من التحيز فى الديانة او الجنسية . ولكننا اذا اخذنا دليل التليفون لعام ١٩٥٢ وفرزنا الأسماء التى تبدأ بحرف النون لوجدناها كما يأتى : مسلمون ١١٣ ، غير مسلمين ٣٧٠ . وهذه الأرقام تبين التحيز فى هذه الأسماء ، ولولا صعوبة تحديد الجنسية من الأسماء لوجدنا نسبة الأجانب بين هذه الأسماء أكبر بكثير من نسبتهم بين عامة الشعب أو من يمتلكون تليفونا » (١) .

وقد يحدث التحيز أيضا عن طريق « ترك العين تقع على أى أسماء من بين أسماء مكتوبة . والعين فى هذه الحالة تقف عند الأسماء اللافتة دون غيرها . وبالمثل اختيار نقطة على خريطة عن طريق وضع القلم فى أى موضع . اذ يجد الباحث — دون تعمد — أن قلمه يقف عند بعض النقط اللافتة دون غيرها » (٢) .

٢ — عدم دقة الاطار وكفايته :

يحدث فى بعض الأحيان ان يقع الباحث فى خطأ التحيز نتيجة لرجوعه الى ملفات أو خرائط أو احصائيات قديمة لا تشتمل على جميع الأسماء أو البيانات المتعلقة بالمجتمع .

ويحدث التحيز من رجوع الباحث الى اطار لا يضم كل الفئات التى يتضمنها البحث كأن يحصل على قوائم أسماء تضم عمال الغزل فقط فى حين أن الدراسة تشتمل على عمال الغزل والنسيج معا .

ولذا كان من الضرورى ان يكون اطار البحث كاملا يضم جميع وحدات المجتمع ، وشاملا لجميع البيانات التى يريدها الباحث ، وان تكون بياناته حديثة وصحيحة حتى لا يكون الباحث عرضة للوقوع فى خطأ التحيز .

٣ — عدم الحصول على بيانات من بعض مفردات البحث :

يحدث فى كثير من الأحيان الا يتمكن الباحث من الحصول على بيانات من جميع مفردات العينة . وفى هذه الحالة يكون الباحث عرضة للوقوع فى

---

(١) عبد المنعم الشافعى وآخرون : المرجع السابق ، ص ٩١ .

(٢) نفس المرجع ص ٩١ ، ٩٢ .

خطأ التحيز حينما يقتصر على الجزء الذى حصل عليه ، فيعمم نتائجه على المجتمع كله دون التأكد مما اذا كان ذلك الجزء يمثل المجتمع تمثيلا صحيحا أم لا ·

وعلى هذا فانه ينبغى على الباحث قبل أن يعمم نتائجه عـــلى المجتمع الأصلى أن يتأكد من أن المجموعة التى استجابت للبحث تمثل المجتمع تمثيلا صحيحا ، ولا تتميز بخواص أو صفات تجعل العينة غير ممثلة للمجتمع كله ·

* * *

● خطوات اختيـــار العينة :

لاختيار عينة البحث لابد للباحث أن يقوم بما يأتى :

١ ـ تحديد وحدة العينة ·

٢ ـ تحديد الاطار الذى تؤخذ منه العينة ·

٣ ـ تحديد حجم العينة ·

٤ ـ تحديد طريقة اختيار العينة ·

وسنعرض فيما يلى لهذه النقاط بشىء من التفصيل :

١ ـ تحديد وحـدة العينـة :

تتألف عينة البحث من مجموعة وحدات · وليس من الضرورى أن تكون الوحدة التى تختارها هى الفرد نفسه · فكثيرا ما نجد عينات وحدتها أسرة أو مزرعة أو مدرسة أو مصنع او محصول من المحاصيل او مجموعة أفـراد (١)· فاذا كان البحث يهـــدف الى الوصول الى صورة حقيقية أو تقريبية لميزانية الأسرة فى الريف المصرى ، فان مجموع الأسر فى الريف المصرى تكون مجتمع البحث بينما تمثل الأسرة الواحدة وحدة العينة · واذا اراد الباحث مثلا أن يقـــوم بدراســـة عن مدارس المرحـــلة الأولى فى حى من الأحياء فان جميع مدارس المرحلة الأولى فى ذلك الحى تكون مجتمع البحث فى حين ان المدرسة الواحدة تكون وحدة العينة · واذا كان هدف البحث الحصول على بيانات عن مجموعة من الأحياء بمدينة القاهرة فان المجتمع هنــا يتكون من مجموعــة الأحياء ، ووحدة العينة هنا هى الحى الواحد · واذا كان الباحث يهدف الى

---

(١) J.G. Peatman, Descriptive and Sampling Statistics, New York, 1947 p. 297.

دراسة مشكلات الطلبة الوافدين الى القطر المصرى فى سنة من السنوات ، فان مجتمع البحث يتكون من جميع الطلبة الوافدين بينما يكون الطالب الواحد هو وحدة العينة .

ولما كانت الوحدة تختلف من بحث الى آخر ، فان من الضرورى أن يبدأ الباحث بتحديد وحدة العينة . ويعبر رجال الاحصاء عن هذه القاعدة بقولهم : يجب تعيين وحدة الشيء المعدود أو المطلوب جمع بيانات بصدده . وتحديد معنى الوحدة يتوقف على تحديد الصفات الأساسية التى يجب أن تتحقق فى كل وحده من وحداته ، فاذا لم تتحقق كلها فى وحدة ، خرجت هذه الوحدة عن الاحصاء .

ويلاحظ دائما ان الباحث يحصل على أدق النتائج اذا كانت الوحدة هى الفرد نفسه ، وأنه كلما كبر حجم المجموعة التى تكون وحدة العينة قلت دقتها . وذلك لأن درجة التجانس بين الأفراد تقل كلما زاد عدد افراد المجموعة . الا أن الصعوبات العملية كثيرا ما تقف حائلا دون اختيار عينة من الأفراد وتضطر الباحث الى اتخاذ وحدات من المجموعات (١) .

٢ ــ تحديد الاطار الذى تؤخذ منه العينة :

لاجراء البحث بطريق العينة ينبغى على الباحث ان يحدد نوع الاطار الذى يعتمد عليه فى اختيار الوحدات . وقد يكون الاطار قوائم أسماء او خرائط أو احصائيات من أى نوع . ويشترط فى اطار البحث ما يأتى :

١ ــ ان يكون كافيا Adequate يحتوى على جميع الفئات التى تدخل فى البحث . فاذا أراد الباحث مثلا أن يدرس اتجاهات طلبة الجامعة نحو منح المرأة حقوقها السياسية ، وحدد وحدة البحث بالطالب أو الطالبة من الجنسين ، ثم اعتمد على اطار يضم الطلبة فقط دون الطالبات ، حينئذ نقول ان الاطار غير كاف لغرض البحث لأنه لا يضم الطلبة والطالبات معا .

٢ ــ يكون كاملا Complete بمعنى انه يحتوى على جميع مفردات المجتمع الأصلى . فالاطار الذى يضم اسماء الطلبة فقط يكون كاملا اذا كان يتضمن جميع أسماء طلبة الجامعة فعلا . وبالعكس اذا كانت تنقصه بعض الأسماء . وفى الحالة الأخيرة لا يمكن الاعتماد عليه لانه لا يحقق مبدأ تكافؤ الفرص لجميع الوحدات التى يجب أن تدخل فى نطاق البحث .

---

(١) يمكن الرجوع الى ذلك تفصيلا فيما كتبه عبد المنعم ناصر الشافعى وآخرون . الاحصاء الاجتماعى ص ٩٧ .

٣ ـ أن تكون البيانات المعطاة عن كل وحدة من وحدات البحث دقيقة Accurate . وينبغي الا يتضمن الاطار اسماء الموتى ، أو المنازل التى أزيلت ، أو الأشخاص الذين ليس لهم وجود حقيقى فى المجتمع ، ولذا فانه ينبغى ان يكون الاطار حديثا تلافيا للوقوع فى أخطاء من ذلك النوع .

٤ ـ ألا تكون الأسماء المدونة فى اطار البحث مكررة . ويحدث هذا كثيرا بالنسبة للأشخاص الذين يغيرون مساكنهم . فهؤلاء قد ترد أسماؤهم أكثر من مرة . ويترتب على ذلك ضياع فرص الاختيار بالنسبة لأفراد آخرين .

٥ ـ يفضل أن يكون الاطار الذى يستخدم فى البحث منظما بطريقة تسهل اختيار العينة ، وكلما كانت الوحدات تحمل ارقاما مسلسلة ، كان ذلك أدعى الى سهولة اختيار العينة (١) .

٣ ـ تحديد حجم العينة :

يتوقف تحديد حجم العينة على عدة اعتبارات أهمها :

أ ـ الاعتبارات الفنية : وأهمها درجة تجانس أو تباين وحدات المجتمع ومدى الدقة التى يود الباحث أن يلتزمها فى البحث . فاذا كان المجتمع الأصلى متجانسا أمكن أن تكون العينة صغيرة الحجم ، أما اذا كان التباين واضحا فى المجتمع : فمن الضرورى ، أن تكون العينة كبيرة الحجم للتقليل من خطأ الصدفة الذى أشرنا اليه سابقا .

أما عن مدى الدقة التى يود الباحث أن يلتزمها فى البحث ، فان من الضرورى أن يحدد الباحث نسبة الخطأ التى يود أن يتسامح فيها . فاذا قبل الباحث أن يتسامح فى نسبة خطأ قدرها ٥٪ مثلا ، فانه يستطيع أن يحسب الحد الأدنى لحجم العينة بحيث لا يخرج بهذا الخطأ عن الحد الذى ارتضاه .

وقد وجد أن خطأ المعاينة العشوائى يتوقف على حجم الخطأ المعيارى فى النسبة المئوية الناتجة فى البحث ، وأنه يتناسب تناسبا عكسيا مع الجذر التربيعى لحجم العينة . وبالرجوع الى كتب الاحصاء ، والى معادلة الخطأ

---

(١) C. Yates, Sampling Methods for Censuses and Surveys, Griffin, London, 2nd. ed., 1953, Section, 4, 8,

C. Moser, op. cit., pp. 121, 122.

المعيارى يستطيع الباحث ان يحدد حجم العينة المطلوب (١)

٢ ـ الاعتبارات غير الفنية : واهمها الامكانيات المادية المخصصة للبحث والوقت المحدد لجمع البيانات ، ففى كثير من الأحيان يكون الباحث محددا بانفاق مبلغ معين لا يستطيع ان يتعداه ، وبزمن محدد لجمع البيانات • وفى أغلب هذه الحالات تكون الامكانيات المادية والزمنية المحدودة هى الحاسمة فى تحديد حجم العينة بصرف النظر عن الخطأ المحتمل وقوعه •

٤ ـ تحديد طريقة اختيار العينة :

تختلف انواع العينات باختلاف الطرق التى تتبع فى اختيارها ، وان كانت جميعها تهدف الى تمثيل المجتمع الأصلى تمثيلا صحيحا بحيث تحتوى العينة المختارة على جميع مميزات وخواص مجتمع البحث •

وغالبا ما يجد الباحث امامه عدة طرق للمعاينة يستطيع ان يستخدمها فى البحث الواحد • ولذا وجب عليه ان يفاضل بين الطرق المختلفة لاختيار العينة التى تعطيه ادق النتائج باقل التكاليف ، ولن يتيسر له ذلك الا اذا كان على علم تام بالطرق المختلفة لاختيار العينات : صفاتها ، مميزاتها وعيوبها ، وحالات استخدامها وهذا ما سنعرض له فى الفقرة التالية •

* * *

● انــواع العينــات :

١ ـ العينة العشوائية البسيطة Simple Random Sample :

هى العينة التى لا يعتمد الباحث فى اختيارها اية وسيلة مهما كانت ، بل تؤخذ بطريقة تضمن اعطاء جميع وحــدات المجتمع فرصا متســاوية فى الاختيــــار •

وقد يظن ان الاختيار العشوائى يحدث عرضا او اعتباطا او حيثما اتفق ، الا ان ذلك تصوير خاطئ لمفهوم العشوائية ، فالاختيار العشوائى يتم وفقا

---

(١) يحال القارئ الى كتب الاحصاء وخاصة كتاب :

السيد محمد خيرى : المرجع السابق ، الباب الثامن والعاشر •

السيد عبد الحميد العطى : قواعد البحث الاجتماعى بالطريقة الاحصائية الفصل الثامن •

للقواعد عملية تعطى لجميع الوحدات فرصا متكافئة في الاختيـار (١) . أما الاختيار الذى يتم عفوا أو اعتباطا أو حيثمـا اتفق ، كاختيار الباحث لأشخاص القريبين منه أو المحتكين بـه ، أو اعتماده على المتطوعين ، أو ترك العد ، تقع على أى أسماء مكتوبة أو الأسماء التى تبدأ بحرف معين ... الخ، فلا يمكن أن يعتبر اختيارا عشوائيا بالمفهوم العلمى الصحيح ، بل يترتب عليه وقوع الباحث فى خطأ التحيز الذى أشرنا اليه سابقا .

ولاختيار عينة عشوائية يلجأ بعض الباحثين الى كتابة أسماء أو أرقام وحدات المجتمع على أوراق متشابهة ، وتوضع هذه الأوراق كلها فى صنـدوق أو كيس ، وتخلط جيدا ، وتختار منها الوحـدات دون تمييز بين الأوراق المختلفة . وقد يعيد الباحث المفردة التى سبق سحبها الى المجتمع قبل اجراء عملية السحب الثانية ، أو لا يعيدها محاولا اختيار مفردة جديدة فى كل مرة كما هو الحال فى البحوث الاجتماعية التى لا يحتاج فيها الباحث الى اختيـار المفردة الواحدة أكثر من مرة .

وتؤخذ على طريقة البطاقات انها ليست طريقة عملية وخاصة اذا كان المجتمع كبيرا ، ولذا أعـد بعض العلماء جـداول تعـرف بجداول الأرقـام العشوائية لتسهيل عملية الاختيار العشوائى (انظر مثال الجداول العشوائية بالكتاب) .

* * *

(١) G. Lundberg, op. cit., p. 137;
Goode and Hatt, op. cit., p. 214.

جدول رقم (١٦) مثال من الجداول العشوائية

أرقام فى مجموعات رباعية

٠٧٥١	٥٣٢٠	٣٣٨٤	٤٤٦٧	٨٤٥٣
٨٦٥٩	٤٦٤٧	٦٤٢٩	٤٨٨٩	٥١٦١
٨٣٧٣	٦٩٩٤	٠١٧٤	٢٣٣٥	٧٦٥١
٠٨٥٩	٦٩١٩	٥٨٤٨	٤٨٦٢	٩٧٦٤
٤١٣٧	٢٢٥٤	٠٦٥٣	٤٦٣٥	٩٥٦٥
٠٠٤٧	٧٦٥٠	٢٩٨٢	٥٦٠٩	٩٨٥٧
٨٦١٣	١٥٨٧	٥٣٣٦	١١٢٢	٠٨٢٥
٣٣٨٤	٤٥٦٩	٩٩٦٤	٢٦٩٥	١٦٦٨
٦١٨٧	١٨٦٧	٦٨٧٥	٣٤٧١	٦٥٩٤
٤٣٨٩	٩٣٧٨	٥٣٦١	٦٦٩١	٧٣٧٨
٢٩٩٣	٣٠٠٠	٠٣٤٢	٤٤٢٢	٢٥٤١
٣٨٥٠	٦٣٦١	٤٣٨١	٨٩٨٨	٥٤٥٤
٣١٨٢	٤٨٨٣	٩١٩٥	٦٢٨٤	٢٥٢٨
٩١٤٣	٦٥٤٥	٠١٧١	٦٧٦٥	٠٠٧٥
٣٨٦٣	٣٢٤٥	٢٤٥٢	٦٧٤٢	٤٩٧٦
٠٢٤٩	٥٩٠٧	٠٤٥٩	٥٥٩٥	٦١٥٦
١١٩٦	٣٢٢٨	٢٤٨٢	٦٧٠٧	٢٤٩٠
٤٨٢٥	٩١٤٩	٧٦٥٦	٨٧٥٣	١٠٢٨
٢٧٢٤	٣٦٦٦	٨٠٠٠	٦٩٧٨	٥٩٠١
٣٢٥٣	٥٠٩٠	٥٥٣٦	٥٥٤٤	٤٥٤٧

ولتوضيح طريقة اختيار العينة من الجداول العشوائية نضرب المثال التالى : لنفرض أننا نقوم بدراسة عن متوسط أجور العمال فى مصنع من المصانع خلال فترة زمنية . فلكى يتم اختيار عينة من العمال عشوائيا يمكن اتباع الخطوات الآتية :

١ ـــ نحصل على قوائم بأسماء عمال المصنع خلال الفترة الزمنية التى حددناها ونحسب عدد العمال وليكن ٤٦٠٠ عاملا .

٢ ـــ نعطى لكل اسم رقما مسلسلا من ١ ـــ ٤٦٠٠ .

٣ ـــ نحدد حجم العينة المطلوبة ولتكن بنسبة ١٥ ٪ وهذا معناه أن حجم العينة يساوى :

٤٦٠٠ x ———— أى ٦٩٠ عاملا .
١٥

٤ — تفتح جدول الأرقام العشوائية لنحاول أن نحصل منها على ٦٩٠ رقما مع مراعاة أن تكون الأرقام مكونة من أربع خانات (كما هـو الحال بالمثال الموضح بالكتاب) ، لأن أكبر رقم فى المجتمع هو ٤٦٠٠ لتضمن اعطاء كل مفردة فى المجتمع الفرصة فى أن يقع عليها الاختيار .

٥ — نضع اصبعنا دون أن ننظر على أى رقم فى أول الجدول أو فى وسطه أو فى أى مكان بالجدول . وليكن هذا الرقم هو (١٧٤٠) بالمجموعة الثالثة ، السطر الثالث . وهذا الرقم له مثيل فى كشف المجتمع الأصلى . فنسجله على ورقة ، والاسم المقابل لهذا الرقم يمثل أول شخص فى العينة المطلوبة .

٦ — يمكننا بعد ذلك أن نقرأ الأرقام أفقيا أو عموديا فاذا قرأنا أفقيا كان الرقم الثانى هو (٢٣٣٥) وهذا الرقم له ما يطابقه فى كشف المجتمع الأصلى فنسجله ، فيصبح صاحب الرقم هو الشخص الثانى فى العينة ، ثم ننتقل الى الرقم الذى يليه وهو (٨٩٥١) ، الا أن هذا الرقم أعلى من ٤٦٠٠ وليس له مثيل فى كشف الأسماء ولذلك لا نسجله ، ثم ننتقل الى الرقم الذى يليه وهو (٠٨٥٩) فنسجله ، وهكذا نستمر فى قراءة الأرقام التالية مسجلين الأرقام المحصورة بين (١ ، ٤٦٠٠) ، ومستبعدين الأرقام التى تزيـد عن ذلـك .

٧ — نستمر فى القراءة والتسجيل حتى نحصل على حجم العينة المطلوب وهو ٦٩٠ رقما ، وأن تكرر رقم مرتين لا نسجله الا مرة واحدة . ونعد كشفا بالأسمـاء التى تقابل الأرقام التى اخترناها تمهيـدا لجمع البيانات المطلوبة للبحث .

من هذا العرض يتضح لنا أن للاختيار العشوائى مزايا أهمها ما يأتى :

١ — يعطى الاختيار العشوائى الصحيح صورة صادقـة للمجتمع الأصلى لأنه يقوم على مبدأ اعطاء جميع الوحدات فرصا متكافئة فى الاختيار .

٢ — يتيح الاختيار العشوائى للباحث حساب حدود الخطأ فى العينة باستخدام القوانين الرياضية للاحتمالات .

***

٢ — العينة المنتظمة Systematic Sample :

تمتاز العينة المنتظمة على العينة العشوائية البسيطة بسهولة اختيار مفرداتها . ففى العينة المنتظمة يختار الباحث الوحدة الأولى فى العينة اختيارا عشوائيا ، ثم يمضى فى اختيار بقية الوحدات طبقا لما يقتضيه حجم العينة مراعيا انتظام الفترات بين وحدات الاختيار . أى أن تكون المسافة بين أى وحدة من وحدات العينة السابقة لها ثابتة لجميع الوحدات . ولتوضيح ذلك . نضرب المثال التالى :

لنفرض أننا نريد القيام بدراسة عن الأسر التى تمتلك أجهزة تليفزيون فى حى معين ، وكان عددها ٥٠٠ أسرة ، ثم أردنا أن نختار عينة بنسبة ٢٠٪ من الأسر أى بواقع أسرة من كل خمس أسر ، فى هذه الحالة نأتى بإطار يضم الخمسمائة أسرة ونضع لها أرقاما مسلسلة ، ثم نبدأ باختيار الوحدة الأولى بين (١ ، ٥) اختيارا عشوائيا ولتكن الوحدة رقم ٤ فتكون الأسرة صاحبة هذا الرقم هى الأسرة الأولى فى العينة ، ولاختيار بقية وحدات العينة نضيف ٥ الى الرقم الذى اخترناه ثم الى الذى يليه ، حتى نحصل على حجم العينة المطلوب ، وبذلك تكون الأرقام التى وقع عليها الاختيار هى : ٤ ، ٩ ، ١٤ ، ١٩ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٣٤ .. الخ .

وتختلف العينة المنتظمة عن العينة العشوائية فيما يلى :

١ — فى العينة العشوائية البسيطة يتم اختيار جميع المفردات عشوائيا فى حين أنه فى العينة المنتظمة يتم اختيار المفردة الأولى فقط بطريقة عشوائية . ويلاحظ أنه بعد اختيار الباحث للمفردة الأولى فى العينة المنتظمة يتحدد اختيار بقية مفردات العينة . أما فى العينة العشوائية البسيطة فإن اختيار كل مفردة من مفردات العينة يكون مستقلا عن اختيار المفردات الأخرى (١) .

٢ — فى العينة العشوائية البسيطة قد يختار الباحث الرقمين ٤ ، ٥ ولكن هذا لا يحدث مطلقا فى الطريقة المنتظمة لأن معنى ذلك أن تكون المسافة بين الوحدتين المتتاليتين واحد . ومن المستحيل أن تحتوى العينة على جميع وحدات المجتمع (٢) ومن هنا يرى البعض أن العينة المنتظمة تعتبر عينة نصف عشوائية أو شبه عشوائية Quasi-Random (٣) .

---

(١) Moser, op. cit., p. 76 .

(٢) عبد المنعم الشافعى وآخرون ، المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

(٣) Moser, op. cit. p. 80 .

ومن الملاحظ أن أغلب الباحثين الاجتماعيين يفضلون اتباع الطريقة المنتظمة فى اختيار العينة نظرا لسهولة اختيار وحدات البحث ، ولأنها تعطى نتائج أدق لمتوسط المجتمع عما اذا استخدمت الطريقة العشوائية . الا أن من الضرورى أن يحتاط الباحث فى حالة ما اذا كان المجتمع يحتوى على تغيرات دورية منتظمة ويكون طول الفترة الثابتة بين وحدات العينة ذا علاقة بطول الدورة (١) مثال ذلك سحب عينة منتظمة من مصنع به ثلاثة عنابر ، بكل عنبر ١٠٠ عامل ، منهم رئيس وأسطى والباقى عمال . أى أن رقم ١ مسلسل اسم الرئيس ، ورقم ٢ الأسطى ، وهذا متبع بكل كشف . فى هذه الحالة نجد أن العينة المنتظمة لا تنفع فى هذا الاطار ، اذ لو سحبنا عينة حجمها ١٠ ٪ بأخذ عامل من كل عشرة . وبدأنا بالرقم ٢ . نجد أن الأسطوات جميعهم ممثلون فى العينة ولا يوجد بها رئيس واحد (٢) .



٣ — العينة الطبقية :

يحدث فى كثير من الأحيان أن يكون مجتمع البحث غير متجانس كأن يكون مقسما الى فئات من ناحية السن أو النوع أو الوطن أو الدين أو المهنة .. الخ . فى هذه الحالة يصبح من الضرورى اختيار عينة طبقية تتمثل فيها الفئات المختلفة بنسب وجودها فى المجتمع الأصلى .

وتمتاز العينة الطبقية على العينة العشوائية والمنتظمة بدقة تمثيلها للمجتمع الأصلى بحيث يضمن الباحث فى العينة وحدات من أى جزء من المجتمع تهمه دراسته ، كما أن العينة الطبقية تساعد على تقليل التباين الكلى للعينة وذلك بتقسيم وحدات العينة بطريقة تجعل التباين داخل الطبقة أقل ما يمكن والتباين بين الطبقات أكبر ما يمكن (٣) .

ولاختيار عينة طبقية يمكن اتباع الخطوات التالية :

١ — نبدأ بتحليل المجتمع الأصلى تحليلا دقيقا . وذلك لتقسيمه الى فئات أو طبقات رئيسية تختلف عن بعضها فى خاصية أو خواص معينة تكون هى موضع الدراسة والبحث .

٢ — نحسب عدد الوحدات الموجودة فى المجتمع ، وكذا الوحدات

---

(١) Ibid. p. 77.

(٢) حسن حسين ، مجموعة محاضرات برنامج التدريب على جمع البيانات الاحصائية ، اللجنة المركزية للاحصاء ، مايو ١٩٥٨ ، ص ١١٣ ، ١١٤ .

(٣) Moser, op. cit., p. 80 .

الموجودة فى كل طبقة من الطبقات التى حددناها ، ثم نحدد حجم العينة ، وعدد الوحدات التى نريدها من كل طبقة ، وهناك طريقتان يمكن اتباعهما فى اختيار العينة من الطبقات المختلفة :

أولهما : نعمل على تمثيل الطبقات المختلفة بنسبة وجودها فى المجتمع الأصلى وذلك فى حـالة العينة النسبية Proportionate Stratified S.
والثانية : الا نتقيد فى اختيار وحدات الفئات المختلفة بنسب وجودها فى المجتمع الأصلى وذلك فى حالة العينة الغير نسبية Disproportionate SS,

٣ ــ نشرع فى اختيار الوحدات من القوائم التى أعددناها اما بطريقة عشوائية أو بطريقة منتظمة . ونستمر فى اختيار الوحدات المطلوبة من كل طبقة حتى تكتمل لدينا العينة الكلية التى تمثل المجتمع الأصلى .

ولتوضيح هذه الخطوات نضرب المثال التالى (٢) :

لنفرض أن باحثا أراد أن يقـوم بدراسة عن طلبة بعض الكليـات الجامعية وأنه اختار ثلاث كليات عدد طلبتها ٥٢٧٥ .(انظر الجدول رقم ٧) فلاختيار أصغر عينة طبقية ممكنة من هؤلاء الطلبة ، فان عليه أن يدرس طلبة الكليات الثلاث ليقسمهم الى فئات تختلف عن بعضـها فى خصائص مميزة قد يكون من بينها :

(أ) نوع الكلية .
(ب) السنة الدراسية .
(جـ) عدد الطلبة والطالبات بكل فرقة دراسية .

وبالنظر الى الجدول اتضح أن أصغر مجموعة من الطلبة هى التى تضم طالبات السنة الرابعة بمدرسة ادارة الأعمال ، اذ يبلغ عددهن ٥٠ طالبة . فى هذه الحالة يحاول الباحث أن يمثل هذه المجمـوعة فى العينة بطالبة واحدة على الأقل . الا أن ذلك يتعذر حدوثه من الوجهه العملية . لأنه لو مثل هذه المجموعة بطالبة واحدة ، وجب عليه أن يمثل طالبات السنة الثالثة بطالبة ونصف ، حيث أن عددهن ٧٥ طالبة . ومادام ذلك متعذرا

---

(١) Ackoff, cit., p. 110.
(٢) هذا المثال مأخوذ عن : Lundberg, op. cit., p. 141-144.

بالنسبة لطبيعة الوحدات ، وجب على الباحث أن يمثل كل فئة بحيث يحصل على أعداد صحيحة .

ولتحقيق ذلك يحسب الباحث القاسم المشترك الأدنى لجميع الأعداد الذى هو ٢٥ . ثم يحـاول اختيار عينات طبقية من الفئات التى لديه بنسبة ١ : ٢٥ أى ٤٪ وبحساب هذه النسب يحصل الباحث على عينة عدد أفرادها ٢١٥. ، ويوضح الجدول رقم ٧ توزيع العينات المختاره من هؤلاء الطلبة حسب الكلية والنوع والسنة الدراسية .

وهناك مثال آخر من واقع الدراسات التى أجريت فى جمهورية مصر العربية ، والتى أخـذت فيها العينـة بالطريقة الطبقية . ففى احـدى الدراسـات التى قام بها المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية عن النزلاء المحكوم عليهم بالسجون المصرية كان الهدف من البحث هو الحصول على صورة صادقة لخصائص النزلاء المحكوم عليهم والمودعين بالسـجون المصرية ، حتى يمكن على ضوء ذلك تخطيط واعداد البرامج المناسبة واللازمة لتصنيف وتأهيل وتقويم هؤلاء النزلاء وفقا للقواعد الاصلاحية الحديثة (١) .

وقد اتفق على اختيار عينة النزلاء مجال البحث بنسبة خمسة فى المائة من جميع عدد النزلاء المحكوم عليهم بالسجون المصرية صباح يوم ١٥ مارس سنة ١٩٦٠ ، على أن تكون العينة ممثلة تمثيلا سليما لجميع النزلاء من حيث جميع السجون التى ينتمون اليها وجميع أنواع الجرائم التى ارتكبوها .

وقد قسمت اجراءات البحث على خطوات ، نذكر منها ما يلى :

١ ـــ بدأت اجراءات البحث فى ادارة السجلات والاحصاء بمصلحة السجون بمصر ، وتجميع كافة البطاقات الاحصائية المتعلقة بجميع النزلاء المحكوم عليهم المودعين بالسجون المصرية صباح يوم ١٥ مارس عام ١٩٦٠ حيث كان عددها ٢٢٥٢٩ بطاقة تمثل ٢٢٥٢٩ مسجونا وهم المحكوم عليهم والمودعين بالسجون المختلفة وعددها ٢٢ سجنا .

٢ ـــ تم فرز بطاقات نزلاء كل سجن على حدة حسب نوع الواقعة الأخيرة التى ارتكبها نزلاء السجن ، وذلك حسب تصنيف تفصيلى شـــامل

---

(١) بدر الدين على : « النزلاء المحكـوم عليهم بالسجون المصرية ، دراسة احصـائية تحليلية » ، المجلة الجنـائية القومية ، العدد الثانى ، يوليو ١٩٦٢ المجلد الخامس ص ١٩٥ ـــ ٢٢٨ .

لأنواع الجرائم وضعته وتسير عليه ادارة السجلات والاحصاء بمصلحة السجون ، وقد أمكن بناء على ذلك تقسيم بطاقات النزلاء (٢٢٥٢٩ بطاقة) بالنسبة لكل سجن (٢٢ سجنا) الى ٧٤ نوعا طبقا للجريمة الأخيرة المرتكبة .

٣ — رؤى اختيار العينة بطريقة « طبقية منتظمة » وذلك : بتقسيم نزلاء كل سجن حسب انواع الجرائم الى طبقات تمثل كل طبقة واقعة معينة ، ثم اختيار عينة النزلاء من هذه الطبقات على أساس الاختيار المنتظم ، وذلك لسهولة الاختيار بهذه الطريقة وقلة احتمال وجود خطأ الصدفة بها . وقد تم تجميع عينة البطاقات الاحصائية المختارة من مجموعة بطاقات كل سجن حسب الطريقة الموضحة عليه . حيث اتضح أن عددها ١١٢٦ بطاقة خاصة بعدد ١١٢٦ من النزلاء المحكوم عليهم الذين يمثلون نسبة ٥٪ وبطريقة طبقية منتظمة جميع النزلاء المحكوم عليهم المودعين بالسجون المصرية صباح يوم ١٥ مارس ١٩٦٠ . وقد تناول البحث بالعرض والوصف والتصنيف والتحليل والاختبار الاحصائي هذه العينة التي تم اختيارها بالطريقة الطبقية المنتظمة .

***

جدول (٧) توزيع طلبة ثلاث كليات حسب الكلية ، والنوع والسنة الدراسية

الكلية	عدد الطلبة	الحد الأدنى للعينة	ذكور عدد الطلبة	الحد الأدنى للعينة	اناث عدد الطالبات	الحد الأدنى للعينة
الآداب	٢٣٠٠	٩٢	١٥٠٠	٦٠	٨٠٠	٣٢
السنة الأولى	٨٧٥	٣٥	٦٠٠	٢٤	٢٧٥	١١
السنة الثانية	٦٠٠	٢٤	٤٠٠	١٦	٢٠٠	٨
السنة الثالثة	٤٧٥	١٩	٣٠٠	١٢	١٧٥	٧
السنة الرابعة	٣٥٠	١٤	٢٠٠	٨	١٥٠	٦
ادارة الأعمال	١٠٧٥	٤٣	٧٠٠	٢٨	٣٧٥	١٥
السنة الأولى	٤٥٠	١٨	٣٠٠	١٢	١٥٠	٦
السنة الثانية	٣٠٠	١٢	٢٠٠	٨	١٠٠	٤
السنة الثالثة	٢٠٠	٨	١٢٥	٥	٧٥	٣
السنة الرابعة	١٢٥	٥	٧٥	٣	٥٠	٢
التربية	٢٠٠٠	٨٠	٦٢٥	٢٥	١٣٧٥	٥٥
السنة الأولى	٦٠٠	٢٤	٢٠٠	٨	٤٠٠	١٦
السنة الثانية	٥٢٥	٢١	١٧٥	٧	٣٥٠	١٤
السنة الثالثة	٤٧٥	١٩	١٥٠	٦	٣٢٥	١٣
السنة الرابعة	٤٠٠	١٦	١٠٠	٤	٣٠٠	١٢
المجموع	٥٣٧٥	٢١٥	٢٨٢٥	١١٣	٢٥٥٠	١٠٢

٤ ـ العينة المساحية Area-Sample :

اذا كان حجم المجتمع الأصلى كبيرا ، ويتعذر على الباحث استخدام الأساليب السابقة لاختيار العينات ، نظـرا لانتشار وحدات العينة فى مساحات جغرافية متشعبة ، ولصعوبة اعداد قوائم تفصيلية لجميع الوحدات فان من الممكن تركيز البحث فى مناطق معينة ، وذلك باتباع أسلوب المراحل المتعددة لاختيار العينة .

ويتم الاختيار على مستويات متعددة تبدأ من المستويات العامة الى المستويات الخاصة . ويطلق على هذه العينة أحيانا اسم عينة التجمعات Cluster Sample (١) ، أو العينة المساحية (٢) . أو العينة المسـاحية الاحتمالية Probability Sample area (٣) ، نظرا لأنهـا تهـدف الى تمثيل مساحات متسعة بعينة صغيرة تمثلها ، تمهيدا لاختيار مفردات العينة من المساحات الممثلة .

ويلزم لاختيار هذه العينة اعداد خرائط دقيقة عن المنطقة التى يشملها البحث .. فيبدأ الباحث بتقسيم المجتمع الى وحدات أولية Primary units يختار من بينها عينة عشوائية أو منتظمة ، ثم تقسم الوحدات الأوليـة المختارة الى وحدات ثانوية Secondary units تختـار من بينها عينة جديدة ، ثم تقسم الوحدات الثانوية المختارة الى وحدات ثالوثية ثم وحدات رباعية ، الى أن يقف الباحث عند مرحلة معينة . فقد يختار الباحث مثلا عينة من المحافظات التى تدخل فى اطار البحث ، ثم يختار من بين المحافظات المختارة عينة من المدن ، ثم يختار من بينها عينة من الأحياء ، ثم المساكن .. وهكذا .

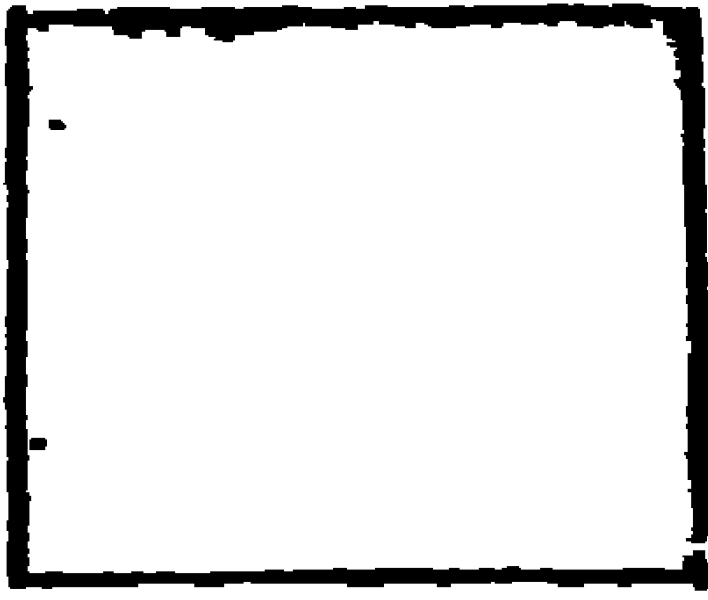
---

(١) C. Selltiz et al., op. cit., pp. 533-535.

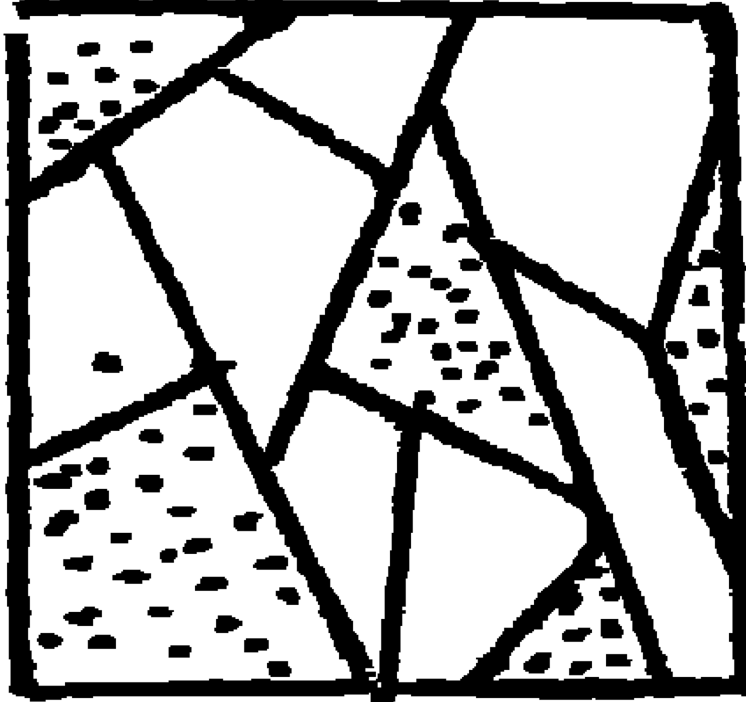
(٢) Ackoff., op. cit., 11-116.

(٣) Goode and Hatt., pp. 222, 223.

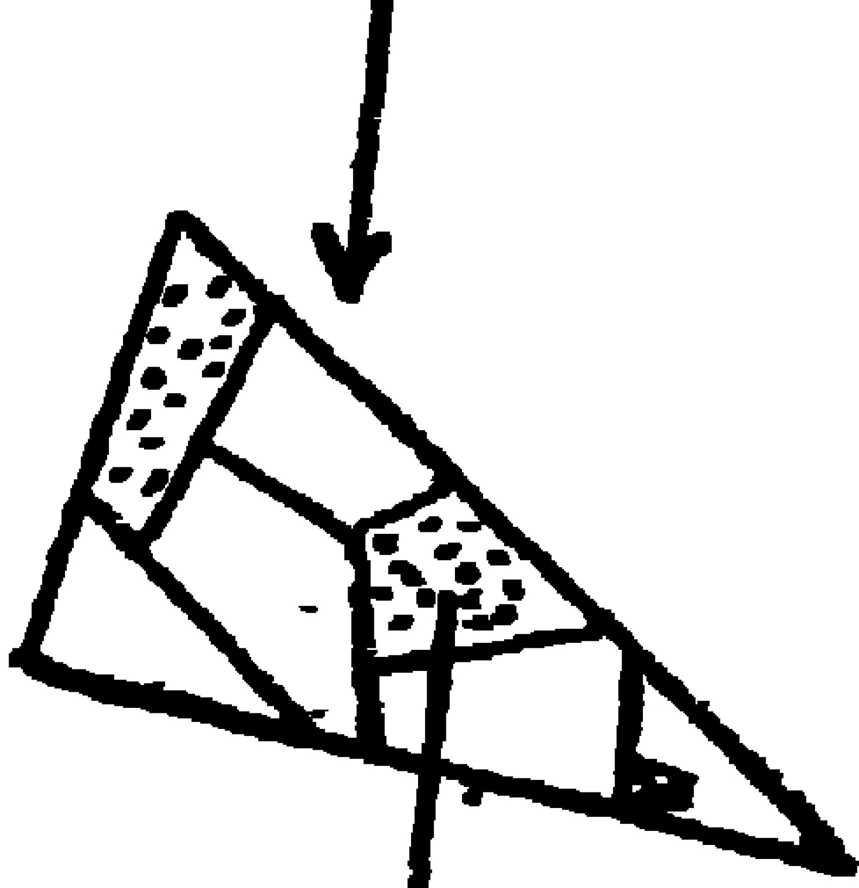
والنموذج التالى يوضح طريقة اختيار العينة المساحية (١) .



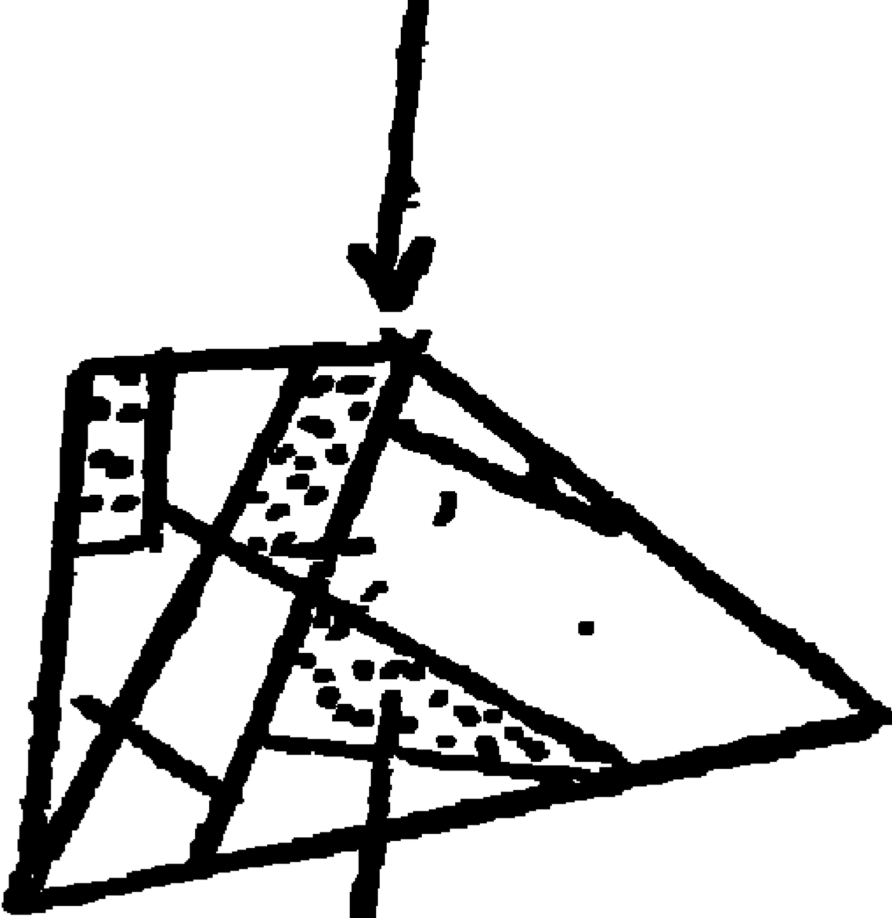
ويمثل هذا المربــع المســاحة الكبرى التى يشملها البحث .



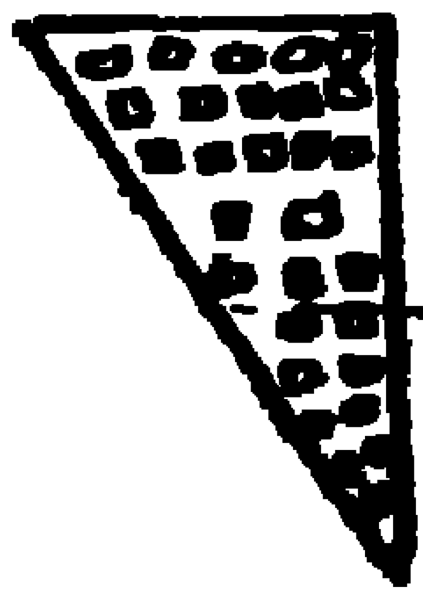
توزيع المحافظات التى يشتمل عليها مجتمع البحث . والأجزاء المنقطة تمثل المحافظات التى وقع عليها الاختيار . ويطلق عليها اسم مساحات العينة .



توزيع المدن فى المحافظة والأجزاء المنقطة تمثل عينة المدن المختارة .



توزيع الأحياء فى المدينة والأجزاء المنقطــة تمثل عينة الأحياء المختارة .



توزيع المساكن فى الحى . والأجزاء المنقطة تمثل المساكن المختارة .

(١) هذا النموذج مأخوذ بتصرف من كتاب : Goode and Hatt, p. 224.

وقد اتبعت هذه الطريقة فى البحث الذى قامت به اللجنة المركزية للاحصاء لدراسة ميزانية الأسرة المصرية ١٩٥٨/٥٧ (١) فقد رأت اللجنة اختيار عينة تشمل الريف والحضر ، تتمثل فيها المناطق الادارية من محافظات ومديريات ، وتشمل جميع السكان حتى يمكن تعميم النتائج على المجتمع المصرى بأكمله .

ولاختيار العينة أخذت اللجنة بيانات العد المبدئى الذى أجرى بمعرفة مصلحة الاحصاء والتعداد فى فبراير سنة ١٩٥٧ . واستخدمت اطارا لاستخراج العينة يشمل بيانات كاملة عن عدد الأسر وأسماء أربابها موزعة فى المناطق الجغرافية المختلفة بالجمهورية وعناوينها .

وقد قسم الاقليم المصرى الى قسمين .

(ا) الحضر ويضم المحافظات وعواصم المديريات وعواصم المراكز .

(ب) الريف ويضم القرى .

مع مراعاة تتبع الضواحى ذات الطبيعة الريفية من الحضر الى المناطق الريفية المجاورة أى أنها بذلك تستبعد من الحضر .

ووحدة المعاينة فى هذا البحث هى الأسرة . وقد تم تصميم العينة على النحو الآتى :

- فى الريف :

١ — يقسم الريف فى الاقليم المصرى الى مديريات .

٢ — يختار عشوائيا نصف المراكز من كل مديرية .

٣ — تقسم قرى المراكز التى ظهرت فى العينة الى فئتين ، قرى كبيرة وقرى صغيرة والقرى الكبيرة هى التى بها ألف أسرة فأكثر ، والقرى الصغيرة بها أقل من ١٠٠٠ أسرة .

---

(١) لجنة التخطيط القومى ، اللجنة المركزية للاحصاء ١٩٥٧ / ١٩٥٨ ، مطابع أخبار اليوم ص ٣٧ ، ٣٨ .

٤ — يؤخذ واحد فى الألف من الأسر الريفية بكل مديرية ، ويوزع هذا العدد من الأسر بين طبقتى القرى الكبرى والصغيرة فى كل مديرية بنسبة عدد الأسر بكل منها .

٥ — يختار ١/٤٠ من القرى فى كل مديرية من الطبقتين حتى تصل النسبة الى ١/١٨٠٠ من مجموع القرى فى المديرية بحيث تظهر قرية على الأقل فى كل طبقة .

٦ — توزع أسر كل طبقة على القرى المختارة حسب حجم كل منها .

● فى الحضر :

١ — تختار عينة حجمها اثنان فى الألف من الأسر المقيمة فى المحافظات وعواصم المديريات .

٢ — يكون اختيار الأسر فى المحافظات وعواصم المديريات من الأقسام مباشرة ، فيؤخذ اثنان فى الألف من كل قسم وتهمل الشياخات وتستبعد الضواحى ذات الطبيعة الريفية ، وتضاف على الجهات الريفية المجاورة .

٣ — تؤخذ عينة حجمها اثنان فى الألف أيضا من الأسر المقيمة فى عواصم المراكز .

٤ — يختار عشوائيا نصف عواصم المراكز من كل مديرية ويوزع العدد المحدد من الأسر بكل مديرية على العواصم التى ظهرت فى العينة حسب حجمها .

***

● — العينة المختارة بطريقة الحصة Quota Sample :

يكثر استخدام العينة بطريق الحصة فى بحوث الرأى العام . فينقسم المجتمع الى طبقات أو فئات بالنسبة لخصائص معينة ، ثم يعمل الباحث على تمثيل كل فئة من العينة بنسبة وجودها فى المجتمع . ويترك لجامع البيانات حرية اختيار مفردات الحصة واستيفاء البيانات بشرط أن يلتزم بالحدود العددية والنوعية للعينة . فاذا كان الباحث يرغب فى استفتاء المتعلمين تعليما عاليا والمتعلمين تعليما متوسطا فى منطقة ما بنسبة ٣ : ٤ ، فعلى جامع البيانات أن يختار أربعة أفراد متعلمين تعليما متوسطا كلما اختار ثلاثة أفراد متعلمين تعليما عاليا . واذا أراد الباحث أن يستفتى الذكور والاناث بنسبة ٩ : ١ فعلى جامع البيانات أن يلتزم بهذه النسبة .

وفى أغلب بحوث الرأى تقسم العينة الحصية بالنسبة لعوامل ثلاث هى : السن ، والنوع ، والطبقة الاجتماعية اذ وجد أنها تعطى فروقا فى الرأى لها دلالتها الاحصائية . وقبل البدء فى جمع البيانات تعطى التعليمات للقائمين بالمقابلة باستيفاء شروط العينة بالنسبة لكل عامل على حــدة ، أو بالتزام حدود عددية بالنسبة للعوامل الثلاثة مرتبطة بعضها مع بعض كما يتضح من الجدولين التاليين :

جدول (٨) توزيع العينة بالنسبة لعوامل النوع والسن والوضع الطبقى كل على حدة

النـــوع	
ذكور	٩
اناث	١١
المجموع	٢٠

السن	
٢٠ — ٢٩	٤
٣٠ — ٤٤	٦
٤٥ — ٦٤	٧
٦٥ +	٣
المجموع	٢٠

الطبقة الاجتماعية	
عليـــا	٢
وسطى	٤
دنيـــا	١٤
المجموع	٢٠

ومن مزايا الاختيار المستقل — اى عدم تقييد جامع البيانات بنسب عددية بالنسبة للعوامل الثلاثة مجتمعة — انه يجعل جامع البيانات أكثر حرية فى اختيار الأفراد ، وبذلك تصــبح مهمته أكثر ســـهولة ويسرا ، كما انه تقليل التكاليف الا انه يخشى فى هذا النوع من الاختيار ، عــدم تمثيل العينة للمجتمع الأصلى تمثيلا صحيحا ، اذ أن عدم تقييد الباحث بنسب عددية للعوامل الثلاثة مجتمعة قد يترتب عليها الاناث من بين الشـــابات فقط أو من بين المســـنات فحسب ، أو من طبقـــة اجتماعية معينـــة دون أن يكون ذلك متمشيا مع النسب الحقيقية لتوزيعهن فى المجتمع الأصلى (١) .

(١) Moser op. cit., p. 108.

جدول (٩) توزيع العينة بالنسبة لعوامل النوع والسن والوضع الطبقى مجتمعـة

النـوع		الطبقة الاجتماعية						المجموع
		عليـا		وسطى		دنيـا		
		اناث	ذكور	ذكور	اناث	ذكور	اناث	
السن	٢٠ — ٢٩	١	—	—	١	١	١	٤
	٣٠ — ٤٤	—	١	—	١	٣	١	٦
	٤٥ — ٦٤	—	—	١	١	٢	٣	٧
	٦٥ +	—	—	—	—	١	٢	٣
المجموع		١	١	١	٣	٧	٧	٢٠
		٢		٤		١٤		

وتتميز العينة المختارة بطريقة الحصة عموما بانها تهدف الى استخدام مزايا التقسيم الطبقى بدون تكاليف المعاينة العشوائية . ومن عيوبها أن الحرية التى تعطى لجامعى البيانات قد يترتب عليها التحيزات فى اختيار الأفراد الذين يمثلون كل فئة .

وجريا على طريقتنا فى توضيح ما نقول بضرب بعض الأمثلة من واقع البحوث التى اجريت فى جمهورية مصر العربية نضرب المثال التالى من أحد البحوث التى تم فيها اختيار العينة بطريق الحصة (١) .

قام فؤاد دياب بقياس اتجاه الرأى العام نحو منح المـرأة حقوقهـا السياسية فى القاهرة . وقد تطلب ذلك منه استطلاع راى الأفراد الذين تنطبق عليهم شروط الانتخاب ، أى الذين يزيد سنهم على ١٨ سنة من الجنسين ، وللوصول الى هذه الغاية ، استخدم الباحث كاطار لبحثه بيانات الجدول السابع عشر من الكراسة رقم ١٥ محافظة القاهرة من تعداد سكان مصر سنة ١٩٤٧ ويشمل هذا الاطار بيانات عن عدد المشتغلين بالصناعات حسب الحرف والمهن الشخصية . ثم قام الباحث بتجميع بيانات هـذه

(١) الرأى العام وطرق قياسه (سلسلة من الشرق والغرب) .

الجداول طبقا للحرف التى وردت فى دليل التصنيف المهنى الذى أعدته اللجنة المركزية للاحصاء وأوجد النسب المئوية لأصحاب كل حرفة أو صناعة .

وقد رأى الباحث استخدام طريقة المعاينة بطريق الحصة للمزايا التى سبق أن ذكرناها — ثم رأى أنه لكى تكون العينة ممثلة تمثيلا صادقا للرأى العام فى محافظة القاهرة علاوة على اختيار وحدات المعاينة بطريق الحصة أن يكون حجمها ألف حالة ، وعلى ذلك قام بضرب رقم (١٠٠) فى كل نسبة مئوية للذكور والاناث . وبهذه الطريقة أمكنه الحصول على مجموع الحصة المطلوبة فى كل حرفة أو صناعة .

* * *

٦ — العينــة العمــدية : Purposive Sample

هى العينة التى يتعمد الباحث أن تتكون من وحدات معينة لأنه يعتقد أنها تمثل المجتمع الأصلى تمثيلا صحيحا . ففى بحوث الرأى العام مثلا وجد القائمون بالاستفتاءات أن بعض المناطق تعطى نتائج قريبة جدا لنتائج المجتمع الأصلى . فى هذه الحالة يتعمد كثير من الباحثين أن تكون العينــة مكونة من هذه الوحدات طالما أنهم يعلمون بخبرتهم السابقة أنها تعطى صورة صحيحة للمجتمع بأكمله .

وواضح أن هذه الطريقة توفر على الباحث كثيرا من الوقت والجهد الذى يبذله فى اختيار العينة الا أنها تســتلزم معرفة المعالم الاحصــائية بالنســبة المجتمع الأصلى ، وبالنســبة للوحدات التى يرغب الباحث فى اختيارها ، وهذا أمر قد لا يتيسر فى جميع الأحوال . ثم ان هذه الطريقة تفترض بقاء خصائص الوحدات على ما هى عليه ، وهذا أمر غير مضمون حيث أن جميع الظواهر تخضع للتغير المستمر ومن المحتمل جدا أن تتغير خصائص الوحدات بحيث لا تبقى ممثلة لخصائص المجتمع الأصلى (١) .

***

● تعقيب :

يعتبر البحث بطريق العينة ضرورة من الضرورات التى تقتضيهــا الظروف العملية المحيطة بالبحث . وقد رأينا أن العينة اذا اختيرت اختيارا ممثلا للمجتمع ، فان نتائج البحث تكون قريبة من النتائج التى تحصل عليها لو اجرينا البحث على جميع وحدات المجتمع .

ونود أن نشير هنا الى أن هناك تصنيفات كثيرة لطرق اختيار العينات

---

(١) J. P. Guilford, op. cit., p. 159.

بعضها رئيسي وبعضها الآخر فرعي ، الا أن التصنيفات التي أوردناها تعتبر أهم هذه التصنيفات وأكثرها استعمالا . وليس من الضروري أن يتقيد الباحث بطريقة واحدة في الاختيار ، فقد يجمع بين أكثر من طريقة وفقـا لطبيعة المجتمع الأصلي ، وطبقا لما تقتضيه الظروف المحيطة بالبحث .

وقد نبهنا الباحث أيضا الى أن يكون حـذرا عند اختياره للعينة ، وشرحنا العوامل التي تعرضـه للوقوع في الخطأ — وخاصة خطأ الصدفة وخطأ التحيز — وحددنا بعض القواعد التي يمكن أن تجنب الباحث مواطن الخطأ الا أننا نتفق مع لوندبرج في قوله : « ان من المستحيل ان نضـع قوائم كاملة بالاحتياطات التي يمكن للباحث أن يتخذها تجنبا للوقوع في الخطأ . ثم ان معرفة القواعد لا تغني عن ذكاء الباحث وفطنته » (١) وكما يقول بولي Bowly « لا توجد قواعد جامدة تستطيع أن تحل محل تقدير الباحث وخبرته في اختيار العينات ، وتفسير النتائج » (٢) . فكل ما يمكن أن تعمله هو تحذير الباحث من الأخطاء الشائعة ، ومساعدته على أن يتجنب التعميمات المبالغ فيها .

***

---

(١) Lundberg, op. cit., p. 152.

(٢) Ibid., p. 148.

المراجـــع

(١) باللغة العربية :

١ ــ السيد محمد خيرى : الاحصاء فى البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية ، دار الفكر العربى ، الطبعة الثانية ، يونيو ١٩٥٧ .
٢ ــ عبد المنعم ناصر الشافعى : مبادىء الاحصاء ، الجزء الأول ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة ، ١٩٦٠ .
٣ ــ عبد المنعم ناصر الشافعى وحسن حسين وآخرون : الاحصاء الاجتماعى ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٤ .

(٢) باللغة الانجليزية :

1. Ackoff, R.L. The Design of Social Research, the U. of Chicago, Press, 1953.
2. Goode, W. and Hatt, P., Methods in Soc. Research, New York, 1952.
3. Guilford, J.P., Fundamental Statistics in Psych., and Education, New York, 1956.
4. Jahoda, M. et al., Research Methods in Soc. Relations, New York, 1951.
5. Lundberg, F., Social Research, New York, 1942.
6. Moser. C.A., Survey Methods in Soc. Investigation, The U. Press 1959.
7. Moser C. and Stuart A. An Experimental Study of Quota Sampling, Journ. of the Royal Statis. Society, 1953, 116-349-405.
8. Parten, M., Suveys, Polls, and Samples, New York, 1950.
9. Peatman, J., Descriptive and Sampling Statistics, New York 1947.
10. Selltiz, C. et al, Research Methods in Soc. Relations, henry Holt, 1960.
11. Walker, H., and Lev., J., Statistical Inference, New York, 1953.
12. Yates, F., Sampling Methods for Sensuses and surveys London, 1953.

***

جمع البيانات

اشرنا فى الفصول السابقة الى ان الباحث الاجتماعى يستعين بوسائل متعددة لجمع البيانات من بينها : الملاحظة ، والاستبيان ، والمقابلة ، ومقاييس العلاقات الاجتماعية والاتجاهات والرأى العام ، وتحليل المحتوى ، والسجلات الاحصائية على اختلاف انواعها . وقد تعرضنا بالتفصيل – أثناء عرضنا لأغلب تلك الأدوات – للاجراءات المنهجية التى يستخدمها الباحث للحصول على البيانات المطلوبة ، والأساليب التى يستعين بهـا للتحقق من صدق البيانات وثباتها ، غير أن بعض البيانات الميدانية التى يجمعها الباحث عن طريق أدوات خاصة – كالاستبيان والمقابلة – تحتاج الى معالجة مستقلة ، لما يواجه الباحث من صعاب أثناء جمعه لتلك البيانات ولما تستلزمه من اعداد وتدريب لجامعى البيانات ، ولذلك فاننا نعرض فى هذا الفصل للاجراءات المنهجية التى تستخدم فى جمع البيانات الميدانية بشىء من التفصيل.

اولا – اعداد دليل العمل الميدانى Working Guide :

يتضمن دليل العمل الميدانى جميع الاحتمالات التى يمكن ان يواجهها الباحث اثناء اجراء البحث . وهذا الدليل يعده الباحث ليكون بمثابة مرشد له يعينه على تحديد المواقف التى يمكن ان تواجهه اثناء التنفيذ الفعلى للبحث، كما يحدد كيفية تصرفه فى كل منها ، ولتوضيح فكرة الدليل نضرب المثال التالى (١) :

اذا اردنا أن نقوم ببحث اجتماعى ، وكانت وسيلتنا لجمع البيانات هى المقابلة الشخصية ، فى هذه الحالة يمكن ان نعد دليل العمل بحيث يتضمن مختلف المواقف التى يحتمل ان يواجهها باحثو الميدان . ومن بين تلك الاحتمالات :

(١) هذا المثال مأخوذ بتصرف عن :

M. Parten Surveys, Polls and Samples New York, 1950 pp. 343-44

١ ـ أن يذهب الباحث الميداني الى منزل المبحوث فلا يجيبه أحد ، وفي هذه الحالة :

(أ) يحتمل أن يكون المبحوث بعيدا عن المنزل لفترة قصيرة ، في عمل خاص أو زيارة • ويمكن التأكد من الوقت الذي يحتمل أن يعود فيه المبحوث الى المنزل عن طريق الرجوع الى الجيران •

(ب) يحتمل أن يكون المبحوث وأفراد أسرته بعيدين عن المدينة لفترة طويلة كأن يكونوا في اجازة أو في عمل طويل • يمكن الباحث أن يتأكد ـ ربما من الجيران أيضا ـ ثم يعاود الاتصال بالمبحوث بعد عودته اذا لم تكن الفترة المخصصة لجمع البيانات قد انتهت بعد •

(جـ) يحتمل أن يكون المبحوث بالمنزل ولكنه لا يرغب في مقابلة احد • في هذه الحالة يكون من الأفضل الاتصال بالمبحوث تليفونيا أو عن طريق البريد لتحديد موعد للمقابلة •

(د) يحتمل أن يكون المبحوث قد انتقل من مسكنه الى مسكن آخر

٢ ـ قد لا يهتدي الباحث الى العنوان الذي يريد الوصول اليه • وفي هذه الحالة :

(أ) يحتمل أن يكون المنزل قد أزيل •

(ب) يحتمل أن تكون نمرة المنزل قد تغيرت •

(جـ) يحتمل أن يكون هناك خطأ في العنوان الذي حصل عليه الباحث ، وذلك لوجود خطأ في الاطار الذي اختار منه الباحث عينته ، أو لأن اسم الشارع قد تغير بعد أن صدر الاطار الذي اعتمد عليه الباحث ، أو لحدوث خطأ من الشخص الذي أعطاه العنوان •

٣ ـ يحتمل أن تكون الوحدة السكنية التي اختارها الباحث قد حدث بها تجديد ، فأصبحت تقيم بها عائلتان أو ثلاث بدلا من عائلة واحدة •

٤ ـ يحتمل أن يكون العنوان الذي يحمله الباحث يشتمل على وحدة سكنية فقط ، أما العنوان الذي توصل اليه فيشتمل على وحدة سكنية وفندق أو مستشفى •

٥ ــ يحتمل أن تكون الأسرة الأصلية تشترك معهــا أسرة أخــرى فى السكن (ايجار من الباطن) •

هذه بعض الاحتمالات التى يمكن أن يفكر فيها الباحث • وكل موقف من المواقف يستلزم أعمال الفكر ، لتحديد طريقة التصرف ازاءه • فلماذا استطاع الباحث أن يفكر فى مختلف خطوات البحث بهذه الصورة أمكنه أن يعد دليلا مفصلا يكون بمثابة مرشد له وللعاملين معه فى البحث • ونود أن نشير هنا الى أن دليل العمل يختلف اختلافا كبيرا عن التعليمات التى تعطى لباحثى الميدان ، فالدليل يشتمل على جميع خطوات البحث على حين أن التعليمات غالبا ما تكون قاصرة على الاستمارة وطريقة ملئها •

* * *

ثانيا ــ اعداد تعليمات البحث :

وهى التى يعدها الباحث لجامعى البيانات لمساعدتهم على أداء مهمتهم اثناء ملء الاستمارة ، ويجب أن تتوافر فى هذه التعليمات البساطة والايجاز والوضوح •

وقد تتناول التعليمات فكرة موجــزة عن الغرض من البحث والتعريف بالمصطلحات ثم تعليمات عامة عن الاستمارة ، وتعليمات خاصة بملء الجداول الموجودة بالاستمارة •

ولتوضيح ذلك نضرب مثــالا بالتعليمات التى أعدها المجلس الدائم للخدمات العامة لبحث ميزانية الأسرة فى الريف •

١ ــ ابتدأت التعليمات بمقدمة الى الباحث جاء فيها :

● مجهودك فى هذا البحث يكمل مجهودات المجلس فى اداء رسالته نحو النهوض بمستوى الريف •

● دراسة التعليمات تساعدك على اداء مهمتك على اكمل وجه ••

٢ ــ كانت الخطوة الثانية فى التعليمات هى التعريف بالغرض من البحث الذى هــو :

● التعرف على مستوى معيشة طبقات الشعب المختلفة •

● تحديد العوامل التى تؤثر على هذا المستوى •

● الوقوف على كيفية توزيع الدخل على ابواب الانفاق المختلفة ، حتى يمكن رسم سياسة لارشاد طبقات الشعب الى خير السبل التى تكفل مستوى معيشة افضل .

٣ ـ كانت الخطوة الثالثة هى التعريف بالمصطلحات كاصطلاح الأسرة ورب الأسرة .

٤ ـ كانت الخطوة الرابعة هى اعطاء تعليمات عامة عن الاستمارة جاء فيها ما يلى :

١ ـ على الباحث ان يدون البيانات الواردة فى هذه الاستمارة بنفسه .

٢ ـ من المهم أن يتم ملء جداول هذا البحث بالزيارة والمقابلة الشخصية لرب الأسرة وأن تكون المقابلة فى محل سكن الأسرة ما أمكن . ويمكن الاستعانة بمصادر أخرى تؤيد صحة البيانات أ وترضحها اذا لزم الأمر .

٣ ـ ان لباقة الباحث فى صياغة الأسئلة ، وكياسته فى معاملة أرباب الأسر واكتساب ثقتهم من أهم العوامل فى الحصول على بيانات صحيحة .

٤ ـ على الباحث افهام رب الأسرة أن البيانات المعطاة سرية للغاية ، ولن يسمح بنشر بيانات فردية .

٥ ـ تملأ الجداول بخط واضح بالحبر ، ولا يستعمل أى شىء سواه .

٦ ـ عند وقوع اخطاء ، تشطب الكلمة او الرقم الخطأ ، ويكتب التصحيح فوقهـا .

٧ ـ يراعى كتابة التاريخ فى المكان المخصص له عند ملء كل جدول .

٨ ـ كانت الخطوة الخامسة فى الاستمارة هى اعطاء تعليمات خاصة بالجـدول (١) .

---

(١) يمكن الرجوع الى بحث ميزانية الأسرة فى الريف لجمهوريـة مصر عام ١٩٥٥ .

ثالثا ــ اختيار وتدريب المشتركين في جمع البيانات :

لابد من اختيار الأشخاص الذين يشتركون في جمع البيانات على أسس موضوعية سليمة ، واتاحة الفرصة للأشخاص الأكفاء ذوى الخبرة والدراية والذين يتميزون بسلامة الحس ، وقوة الذاكرة ، واللباقة ، وحسن التصرف ، وسعة الأفق للاشتراك في جمع البيانات • ويفضل الأشخاص الذين لديهم خبرة سابقة بالبحوث الميدانية بصفة عامة ، والذين لديهم قدر كاف من المعلومات المتصلة بموضوع الدراسة بصفة خاصة •

وغالبا ماتحتفظ مراكز البحوث بقوائم تضم أسماء الأشخاص الذين يمكن الاعتماد عليهم في جمع البيانات الميدانية • وأغلب هؤلاء من طلاب الدراسات العليا بالجامعات والمعاهد العليا ، ممن يشتغلون بأعمال قريبة الصلة بالبحث الاجتماعي ، أو ممن سبق لهم الاشتراك في بحوث حقلية • ومن الممكن الرجوع الى هذه القوائم لاختيار أنسب العناصر وأصلحها •

ومن الضرورى أيضا تحديد أنسب الطرق لتدريب الأشخاص المشتركين في جمع البيانات ، وغالبا ما يتم ذلك عن طريق دورة تدريبية تلقى فيها مجموعة من المحاضرات يتم فيها شرح أهداف البحث وخطته ، وكيفية تطبيق الأدوات المستخدمة في جمع البيانات ، والظروف الملائمة لتطبيق كل اداة • وفي حالة الاستعانة بالمقابلة الشخصية ، ينبغى شرح النقاط التى تتضمنها استمارة البحث ، والأسئلة التى تشتمل عليها ، وكذلك الطريقة التى توجه بها الأسئلة ، وكيفية الحصول على الاجابات (١)•

ويتضمن تدريب جامعى البيانات شرح الخصائص الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لمجتمع الدراسة ، والتعريف بالسمات المميزة للسكان وكيفية التعامل معهم ، والطريقة المثلى للحصول على الاجابات بأقل مقاومة ممكنة ، بأكبر قدر من الدقة العلمية •

ومن الضرورى أيضا في هذه المرحلة تحديد الحد الأدنى للعمل الذى يمكن أن يؤديه الشخص المشترك في جمع البيانات ، ومستوى الأداء المطلوب

رابعا ــ اعداد المجتمع للبحث :

تتوقف استجابة المبحوثين في أى مجتمع من المجتمعات على مجموعة من العوامل نذكر أهمها فيما يلى •

---

(١) يمكن الرجوع الى ذلك تفصيلا فيما كتبناه عن كيفية اجراء المقابلة•

٤ — القيم الاجتماعية والثقافية السائدة فى المجتمع :

تشير كثير من البحوث الى أن درجة استجابة المبحوثين ترتبط الى حد كبير بالقيم الاجتماعية والثقافية السائدة فى المجتمع · فهناك مسائل يمكن التحدث فيها بحرية وصراحة فى بعض المجتمعات ، على حين أنها تقابل بشىء من التستر فى مجتمعات أخرى ، كما هو الحال فى الريف المصرى حينما يرغب الباحث فى الحصول على بيانات عن عدد أفراد الأسرة مقسمين الى ذكور واناث ، والعمر ، ونوع العمل ، والحالة الاجتماعية والزواجية ، والدخل بمقداره ومصادره ؛ فقد يعتبر المبحوث أن المعلومات المطلوبة تقع من شئونه الدقيقة الشخصية الخاصة ، والتى لايجوز أن يطلع عليها أى انسان بأى حال من الأحـــوال ·

ويرى الدكتور التوصى « اننا نحن المصريون ميالون بطبعنا الى التستر فى حياتنا ونزواتنا واعمالنا ، كما اننا ميالون الى التبصص على الغيــر ، وهذه سيكلوجية المصريين · وهذا التبصص على أعمال الغير هو الذى يدفعنا الى هذا التستر ، ومحاولة البعد عن أعين النــاس والسنتهم ، حتى لا نقع فريسة لهذا التبصص من الآخرين » (١) ·

٢ — موقف المبحوثين من السلطة :

تقوم كثير من الوزارات والمصـــالح الحكومية ومراكز البحث العلمى وأجهزة التخطيط بجمع البيانات العلمية ، وليس من شك فى أن تقديم الباحث من قبل أصحاب السلطة قد يشجع المبحوث على الادلاء بالبيانات المطلوبة اذا كانوا يقدرون هذه السلطة ويحترمونها ، وقد يدفعهم الى الحذر اذا كان أصحاب السلطة لا يحتلون مكانة طيبة فى نفوس الأفراد ، أو اذا كانت البيانات المطلوبة تتطلب تعبيرا عن رأى أو اتجاه يمس هؤلاء من قريب أو بعيد ·

٣ — الوضع الاجتماعى للمبحوثين :

يشير الواقع الاجتماعى القائم فى كثير من المجتمعات الى أن الناس يهمهم تكوين صلات مع الأشخاص الذين يمثلون مستويات اجتماعية أعلا من مستوياتهم أكثر مما يهمهم تكوين هذه الصلات مع أشخاص فى مراكز اجتماعية أدنى · فالأفراد من الطبقة العليا قد لايرون فـــائدة كبيرة فى التعبير عن آرائهم للباحثين الميدانيين بخلاف الحال بالنسبة للأفراد من الطبقات الدنيا الذين يحرصون على ابداء آرائهم ، والتعبير عن وجهات نظرهم ·

---

(١) عبد العزيز التوصى : الاتصال بالجمهور وكسب ثقته للحصول على المعلومات ، صحيفة التربية ، مايو ١٩٦٠ ، ص ٤ ·

وقد وجد « موزر وستيورات » أن نسبة المتنعين عن الاجابة تزداد بين أفراد الطبقة العليا ، كما تزداد بين النساء عنها بين الرجال ، وبين الأشخاص الذين تتراوح أعمارهم بين ٤٥ ، ٦٤ سنة (١) ويتضح ذلك من الجدول رقم (١٠) .

جدول رقم (١٠) توزيع المتنعين عن الاستجابة بالنسبة لعوامل النوع والعمر والوضع الطبقي

النوع	النسبة المئوية	السن	النسبة المئوية	الطبقة الاجتماعية	النسبة المئوية
ذكر	٦٫١	٢٠ ــ ٢٩	٤٫٦	عليا	١٢٫٢
أنثى	٨٫٩	٣٠ ــ ٤٤	٦٫١	وسطى	٩٫٧
		٤٥ ــ ٦٤	٧٫٥	دنيا	٦٫٣
		٦٥+	١١٫٠		

٤ ــ المستوى الثقافي للمبحوثين :

تتضمن أغلب استمارات البحث أسئلة دقيقة تتعلق بالسن والدخل ومدة الحياة الزوجية . وتشير أغلب الدراسات التي أجريت في المجتمعات النامية الى أن الأفراد ــ وبخاصة الأميين منهم ــ يصعب عليهم اعطاء اجابات دقيقة على مثل هذه الأسئلة (٢) .

٥ ــ الوعي بأهمية البحوث الاجتماعية :

يقل الوعي بأهمية البحوث الاجتماعية في كثير من المجتمعات النامية ، كما أن كثيرا من البحوث تكون بعيدة عن اهتمامات المبحوثين وواقعه . ويمكن التدليل على ذلك بما كتبه الأستاذ يحيى حقي في احدى قصصه :

(١) Moser, C., and Stuart, A., An Experimental Study of Quota Sampling, Journ. of the Royal Society, 1953, 116, 349-405.

(٢) Sjoberg G. and Nett, R., A Methodology for Social Research Harpre, New York, 1968, pp. 207-209.

يقول : جاء الصراف من المركز الى دوار العمدة ، وأنزل معه زكيبتين منتفختين بالورق • ودار الحديث بين الصراف والعمدة على النحو التالى :

ــ مطلوب منا فى مدة أسبوع نملأ الاستمارات ؛

ــ هى ليه الخرونية دى •

ويعلق الكاتب بقوله : « هذه استمارات الاحصاء الزراعى ، صدر به قانون ، لا أدرى لماذا صدر ؟ ولا من الذى أصدره ؟ أغلب الظن أننا دعينا الى مؤتمر دولى تعهدنا فيه بتبادل هذه الاحصائيات طبقا لنموذج موحد ، ان مثل هذه المؤتمرات نكبة على الدول الصغيرة التى تتسابق محافظة على كرامتها بالتعهد بأعمال تفوق قدرتها • فالمطلوب أن يحرر كل مزارع هذه الاستمارة ليبين فيها مساحة أرضه وأنواع محاصيله ــ محصولا محصولا ــ ومقداره وأنواع ماشيته ودوابه ودراجته وأشجاره بالاسم والتحديد • فى الاستمارة أسماء لمحاصيل وأشجار لا أسمع بها ولا أعرفها ــ من الذى سيملأ هذه الاستمارات ؟ أين هو الفلاح الذى يقرؤها أو يفهمها ؟

لقد أدرك العمدة والصراف أنها مصيبة وقعت على رأسهما • وقعد الصراف على الأرض ، وتناول استمارة ورفع قلمه عن أذنه »••

ــ خذ الأول أرض الباشا (العمدة) • بيقولوا ليه عندك ؟ ••

ــ كام شجرة لبخ ؟

ــ قول عشرة عشرين •

ــ وكام شجرة بلوط •

ــ قول عشرين تلاتين • حد ح يعد ورانا !!

ــ كام شوفان ؟

ــ شوفان ليه ؟ جتهم العمى ، والله ما نعرفناه ، حط أمامه ، لم كان•

ويستطرد الكاتب بقوله : « لم أتم من مجلسى حتى كان العمدة والصراف قد أنجزا عددا غير قليل من الاستمارات على هذا النحو • ظللت طوال الطريق يخيل الى أن حوافر الحمار ــ الذى ركبه الكاتب الى المحطة ــ تكرر فى أذنى نغمة العمدة :

ـ هذ ح يعد ورلتا » !! (١) .

هذه القصة ، ولا شك ، توضح أن كثيرا من البيئات لم تتقبل بعد مثل هذه الأبولت ، كما أنها تتضمن كثيرا من البيانات البعيدة الصلة باهتمامات المبحوثين ، ومستواهم الحضارى ، ولذا فانها لا تلقى تفهما أو تقبلا من جانب المبحـــوثين .

كل هذه العوامل تؤكد أهمية اعداد المجتمع للبحث ، وعمل التوعية اللازمة للمبحوثين عن طريق وســـائل الاعـــلام المختلفة ، أو عن طريق الاتصال بالهيئات المسئولة ، أو القيادات المحلية التى يمكنها تهيئة المنــاخ اللائم لجمع البيانات .

ومن الضرورى أن يشعر كل فرد بأن عملية البحث تعود عليه شخصيا بنفع ، وأن يشعر بأن المعلومات لن تستعمل ضده بحال من الأحوال ، وانها مكفولة السرية ، وأن نشعره بأنه بالاسهام الجدى انما يسهم فى عمل قومى جليل ، وفى بناء المجتمع وتدعيمه .

خامسا ـ جمع البيانات من الميدان :

١ ـ قبل النزول الى الميدان ينبغى القيـــام بدراسة استطلاعية عن الأشخاص الذين تتكون منهم العينة لتحديد الوقت المناسب لجمع البيانات . فاذا كانت نسبة كبيرة منهم تقوم بأداء فريضة الحج ، أو تذهب الى المصايف، أو تقوم بجنى المحصول أو مقاومــة دودة القطن ، أو تتغيب عن المــدارس والجامعات استعدادا للامتحان ، فينبغى أن يتخير الباحث الوقت الذى يضمن فيه تواجد المبحوثين ، وعدم انشغالهم بأعمال تعوقهم عن المشاركة الفعلية فى البحث .

٢ ـ يفضل الاتصال بالمبحوثين لتحديد موعد المقابلة قبل القيام بها ، اذ يحدث فى كثير من الأحيان أن يكون المبحوثون متغيبين عن منــازلهم فى الوقت الذى يذهب فيه الباحث لجمع البيانات .

ويلاحظ عادة أن الأسر التى لا يجد الباحث أحــدا من أفرادها ، غالبا ما تكون مكونــة من شخص أعــزب متغيب فى عمله ، ومن زوج وزوجـــة

(١) يحيى حقى : خليها على الله ، كتب للجميع ، العدد ١٤٥ ، القاهرة ١٩٥٩ ، عن حامد عمار ، المنهج العلمى فى دراسة المجتمع ، ص ٣٠ ، ٣١ .

والاثنين يعملان خارج المنزل . وواضح انه كلما زاد عدد افراد الأسرة ، أصبح من المحتمل ان يجد الباحث واحدا من افرادها على الأقل وقت الزيارة .

ويصف « ستوك Stock » خطورة هذه المشكلة بقوله : يحدث في كثير من البحوث أن يحدد الباحث الأشخاص الذين يرغب في اجراء المقابلات معهم ، غير أن الخبرة الميدانية تشير الى ان عددا كبيرا من الأفراد ، وبخاصة في المدن الحديثة ، يتغيبون عن منازلهم ، مما يترتب عليه ان تصبح العينة التي تجمع منها البيانات الفعلية متحيزة نحو اصحاب الأسر الكبيرة (١) .

وقد يعتقد البعض انه لعلاج هذه المشكلة ، يمكن زيادة حجم العينة ، غير أن ذلك لم يحل المشكلة لأن العينة ستظل متحيزة ، ولتوضيح ذلك نضرب المثال التـــالي :

نفرض ان باحثا اراد ان يقوم بدراسة عن المرأة العاملة ، وانه اراد ان يحدد نسبة السيدات المشتغلات الى غير المشتغلات في حي من الأحياء ، وانه فكر في جمع البيانات من الساعة الخامسة الى الساعة التاسعة مساء ليضمن وجود أكبر نسبة من السيدات العـــاملات في منـــازلهن . في هـــذه الحالة لن يتمكن الباحث من جمع بيانات من السيدات اللاتي يشتغلن ليلا في المصانع والمحال التجارية ، ومصلحة التليفونات ، وغيرها من الأعمـــال التي يوجد بها عمل ليلي . كما أن من المحتمل ألا يجد عددا كبيرا من العاملات غير المتزوجات ، والمتزوجات اللاتي لم يرزقن بأطفـــال لأن معظمهن يقضين وقت فراغهن خارج المنزل . فمهما كبر حجم العينة ، مع استبعاد الفئـــات التي سبق ذكرها ، فان نتائج البحث ستظل غير صحيحة .

ويشير « ســـتوك Stock » الى أنه في دراســة عن الهجرة الداخلية بمدينة واشنطن بالولايات المتحدة ، كان الهدف تحديد نسبة المهاجرين الى المدينة لدراسة الظواهر والمشكلات المرتبطة بالهجرة . ولاجراء البحث قـــام الباحثون باختيار عدة وحدات سكنية بطريق العينة المساحية ، وتم الإتصال بأصحابها لمعرفة المدة التي قضوها بالمدينة . وعنـــد جمـــع البيـــانات تمكن الباحثون الميدانيون من العثور على ٧٠٪ فقط من أفراد العينة ، اما البقيـــة منهم فكانت متغيبة عن منازلها . وبحساب نسب المهاجرين المستجيبين ، وجد أنها تبلغ ٢٪ فقط .

---

(١) Ackoff, op. cit., p. 292, 293.

وقد أراد القائمون بالبحث ان يتأكدوا من نسبة المهاجرين فى الثلاثين في المائة الأخرى ، فقاموا بثلاثة اتصالات أخرى ، فظهر لهم أن نسبة المهاجرين أخذت فى الارتفاع بعد الاتصالات الثلاثة ، بحيث وصلت الى ٤ ٪ ثم ارتفعت الى ٧ ٪ ، وأخيرا وصلت الى ١٦٪ مما يؤكد ان خصائص عينة غير المستجيبين أو المتغيبين تختلف اختلافا كبيرا عن عينة المستجيبين (١) •

ولذا كان من الضرورى الاتصال بالمبحوثين لتحديد موعد المقابلة وغالبا ما يتم عن طريق البريد او بالتليفون •

٣ ـ يفضل أن يكون جامعو البيانات غرباء عن المجتمع ضمانا للموضوعية والحياد العلمى ، حتى لا يشعر المبحوثون بالحرج حينما يتحدثون عن مشكلاتهم امام شخص يعرفونه ، بالاضافة الى أن الناس يفضلون الغريب عن مجتمعهم عند اعطاء البيانات ، لأنه يترك المجتمع بعد الانتهاء من مهمته ، وليس من صالحه أن يستغل المعلومات لصالح فريق من الناس دون آخر (٢) •

٤ ـ اذا كان هناك نزاع بين الجماعات المكونة لمجتمع البحث ، فيمكن الإستعانة بفريقين من جامعى البيانات ، فمثل هذا الاجراء يمكن أن يقلل من مقاومة الجماعات المختلفة ، حيث ان كل جماعة يمكن أن تتعاون مع فريق واحد من جامعى البيانات •

٥ ـ يجب الا يثير جامع البيانات عداء المبحوثين • فعليه أن يحترم عادات وطباع الأسر التى يزورها ، وأن يكون اتجاهه نحو هذه الأسر فيه احترام وتقدير وتعاون وثقة • وهذه الصفات هى التى تبعث الطمأنينة فى المبحوثين •

٦ ـ اذا امتنع المبحوثون عن اعطاء البيانات لبعض جامعى البيانات لسوء تفاهم حدث بينهم • فيمكن الاستعانة بجامعى بيانات آخرين يستطيعون مراعاة النواحى الوجدانية والسلوكية لهؤلاء المبحوثين •

---

(١) Ibid., p. 293.

(٢) يمكن الرجوع الى ذلك تفصيلا فيما كتبناه عن : دراسة المجتمعات المحلية •

٧ – يمكن اغراء المبحوثين ببعض الهدايا البسيطة أو الرمزية التى تعوضهم عن الوقت الذى يقضونه مع الباحث ، خاصة اذا كانت عملية جمع البيانات تستغرق وقتا طويلا •

٨ – ينبغى أن يعمل الباحث على كسب ثقة المبحوثين ، وأن يتدرج فى توجيه الأسئلة متمشيا مع تدرج العلاقة الودية التى تنشأ بينه وبين المبحوثين ، وأن يوجه الأسئلة برفق متجنبا أسلوب التحقيق •

٩ – ينبغى تخصيص المكان المناسب لجمع البيانات ، والا يصحب الباحث معه اشخاصا آخرين لأن ذلك قد يثير مخاوف المبحوث أو يدفعه الى التحفظ فى اقواله •

١٠ – ينبغى على الباحث ان يأخذ البيانات من المبحوث وحده ، ويتطلب ذلك ان تكون المقابلة مقصورة على كل من الباحث والمبحوث •

١١ – من الضرورى أن يحصل الباحث على اجابات عن جميع الأسئلة ، والا يوحى الى المبحوث باجابة معينة ، والا يصدر أحكاما قيمية على ما يبديه المبحوث من آراء •

١٢ – ينبغى ملاحظة الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمبحوث أثناء جمع البيانات ، ومطابقتها بما يدلى به المبحوث من بيانات ، ومن الضرورى أيضا ملاحظة سلوك المبحوث ، وما يطرأ عليه من تغيير أثناء توجيه الاسئلة وتلقى الاجابة عليها •

١٣ – يفضل تسجيل استجابات المبحوث اولا بأول ، لأن عدم تسجيل الاجابات فى حينها يؤدى الى نسيان كثير من المعلومات ، وتشويه كثير من الحقـــائق (١) •

***

سادسا – المراجعة الميدانية للبيانات :

من الضرورى أن يقوم الباحث أو الهيئة المشرفة على البحث بمراجعة البيانات التى جمعت للتأكد من انها كاملة ودقيقة ومسجلة بطريقة منظمة تساعد على سهولة تبويبها •

---

(١) يمكن الرجوع الى ذلك تفصيلا فيما كتبناه عن كيفية اجراء المقابلة ؛

فكثيرا ما يحدث أن يدلى بعض المبحوثين ببيانات غير صحيحة ، اما لانهم يتعمدون تضليل الباحث ، او لأنهم يعطونه البيانات التى يرون أنها تتفق مع مايريد ، أو لأنهم يخلطـون بين مدلولات الألفـاظ ولا يستطيعون تحديد المطلوب تحديدا دقيقا ٠

وهناك عدة طرق يمكن ان يتبعها القائم بالمراجعة للتأكد من صـدق البيانات ٠ نذكر اهمها فيما يلى :

١ ـ سبقت الاشارة الى انه عند تصميم استمارة البحث ، تضـاف أسئلة للمراجعة ، وذلك للتأكد من صدق الاجابات التى يدلى بها المبحوث ، فالسؤال عن السن قد يعززه سؤال آخر عن تاريخ الميلاد ، أو عن السن وقت الزواج ، ومدة الحياة الزوجية ٠ فاذا وجد القائم بالمراجعة ارتباطـا مرتفعا بين الاجابات عن الأسئلة المتماثلة ، امكن أن يعتبر ذلك مقياسـا يتسم بالثبـات ٠

٢ ـ المقارنة بين أقوال المبحوث وبين الأدلة الموضوعيـة المتصـلة بموضوع البحث ٠ فاذا كنا نسأل عن عمره او ممتلكاته أو دخـل الأسرة ، فيمكن الرجوع الى السجلات التى نستدل منها على صدق أقواله ٠ وقد لاحظ المؤلف فى دراسة أجراها على الطلبة المغتربين بالولايات المتحدة أن نسبة كبيرة منهم كانت تتردد فى ذكر التقديرات التى حصـلت عليهـا فى الفصـل الدراسى السابق لاجراء البحث ، او كانت تعطى تقديرات غير صحيحة ، مما دعا الى الرجوع الى سجلات الجامعة للتأكد من صدق البيانات ٠

واذا تبين القائم بالمراجعة ان نسبة المستجيبين من المبحوثين لم تكن كاملة فيمكنه اتباع الأساليب الآتية :

١ ـ يمكن الحصول على البيانات المطلوبة من شخص آخر ينوب عن الشخص الأصلى ٠ كأن ينوب الأب مثلا عن ابنـه أو الزوجـة عن زوجهـا ٠ ويلاحظ ان هذه الطريقة ليست مأمونة فى جميع الحالات ٠ فالأب قد يعطى بيانات صحيحة عن الابن اذا سألناه عن عمر الابن أو السنة الدراسية او عدد الساعات التى يقضيها خارج المنزل ٠٠٠ الخ ، ولكنه لا يستطيع الاجابة بدقة عن الأسئلة المتعلقة بميول الابن واتجاهاته ، وكذلك المسائل الشخصية المتعلقة بالابن ٠

٢ ـ يمكن الاتصال بالأسر التى غيرت محل السكن فى المكـان الذى انتقلت اليه اذا امكن الاستدلال على العنوان الجديد ، اما اذا تعذر ذلك فيمكن

الحصول على البيانات من الأسرة التى حلت محلها فى المسكن لافتراض تساوى ظروف الأسرتين . وقد اتبعت اللجنة المركزية للاحصاء نفس الأسلوب فى بحث القوى العاملة الذى اجرى فى مصر .

أما فى حالة الاستبيان البريدى ، فاذا وجد الباحث أو القائم بالمراجعة أن نسبة المستجيبين محدودة ، فعليه أن يرسل الى المبحوثين خطابات رقيقة ، أو يتصل بهم تليفونيا ليذكرهم بالاستمارات التى لديهم ، وباهمية البيانات التى يدلون بها . وينبغى عليه أن يرسل عدد من خطابات التابعة Follow ups لحث المتخلفين على الرد . ويتفاوت عدد خطابات التابعة بين ست وعشر خطابات . وقد يستغرق انتظار الباحث الردود على هذه الخطابات عدة أشهر حتى يحصل على بقية صحائف الاستبيان . وينبغى على الباحث أن يحدد عدد المرات التى يرسل فيها خطابات التابعة فى حدود الوقت المخصص للبحث وفى حدود امكانياته المادية دون أن يضحى بدقة النتائج .

ويمكن للباحث أن يستعين بطريقة التحليل التتابعى ليستدل على مدى صحة تمثيل العائد من صحائف الاستبيان للعينة كلها . وخلاصة هذه الطريقة أن يحسب النتائج التى توصل اليها من المجموعة التى استجابت فى المرة الأولى ، ويطلق عليها « المجموعة الأصلية » ثم يضيف اليها المجموعة التى استجابت فى المرة الثانية ، ويطلق عليها « المجموعة الاضافية » ، ويطلق على مجموع الاثنتين « المجموعة الكلية » ، وبعد ذلك يحسب العلاقة التى تربط بين نتائج المجموعة الأصلية من جهة ، ونتائج المجموعة الكلية من جهة أخرى فاذا وجد أن الفرق ضئيل ، وليست له دلالة احصائية insignificant ، كان هذا دليلا على كفاية الردود ، أما اذا وجد أن الفرق كبير بالنسبة لما يستهدفه البحث ، فعلية أن يعاود الاتصال بالمبحوثين ، ثم يضيف العائد الى المجموعة التى لديه ، ويقارن بين النتائج قبل الاضافة وبعدها ، فاذا كان استمرار اضافة نتائج العائد من صحائف الاستبيان يغير فى النتائج ، وجب الاستمرار فى الحصول على بقية الصحائف حتى تستقر النتائج .

ويشير « هانسن وهورفتز Hensen and Hurwitz » الى أن من الممكن اختيار عينة من بين المتخلفين فى الرد بنسبة ١ : ٣ أو بنسبة ١ : ٢ اذا كانت نفقات الاتصال بالمبحوثين قليلة ، ثم يقوم الباحث بالمقارنة بين العينة الجديدة والعينة الأصلية ليطمئن الى أن المجموعة التى استجابت للبحث ليس فيها ما يميزها عن المجموعة الاخرى (١) .

---

(١) Hansen M., and Hurwitz, W., The Problem of Non-response in Sample Surveys, Journ. of the Amer. Statistical Assoc., XLI, 1946, pp. 517-529.

المراجـــع

(١) باللغـة العربية :

١ ـ السيد محمد خيرى : الاحصاء فى البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية ، دار الفكر العربى ، الطبعة الثانية ، يونيه ١٩٥٧ .

٢ ـ المجلس الدائم للخدمات العامة ، لجنة الاحصاء : بحث ميزانية الأسرة فى الريف عام ١٩٥٥ .

٣ ـ حسن حسين : مجموعة محاضرات برنامج التدريب على جمع البيانات الاحصائية باللجنة المركزية للاحصاء ، مايو ١٩٥٨ .

٤ ـ عبد العزيز القوصى : « الاتصال بالجمهور وكسب ثقته للحصول على المعلومات » ، صحيفة التربية ، ١٩٦٠ .

(٢) باللغـة الانجليزية :

1. Ackoff, R. L., The Design of Social Research, the U. of Chicago Press, 1953.

2. Goode, W. and Hatt, P. Methods in Social Research, New York, 1952.

3. Hansen, M. and Hurwitz, W., «The Problem of Nonresponse in Sample Surveys», Journ. of the Amer. Statis, Assoc., XLI, 1946, 517-29.

4. Jahoda, M. et al., Research Methods in Soc. Relations, New York 1951.

5. Lundberg, G., Social Research, New York, 1942.

***

الفصل الثالث والعشرون

تصنيف البيانات وتحليلها وتفسيرها

● تمهيـــد :

فرغنا فى الفصول السابقة من عرض الخطوات المختلفة التى يمر بها البحث منذ ان يختار الباحث المشكلة الى أن ينتهى من جمع البيانات من مصادرها الميدانية وغير الميدانية • ونعرض فى هـذا الفصل لخطوة تصنيف البيانات وتحليلها وتفسيرها لينتهى العرض العام لخطوات البحث ، وتنتهى الدورة التى يصطلح العلماء على تسميتها بدورة البحث •

على أننا نود ان نؤكد من جديد أن خطوة التصنيف والتحليل والتفسير لا تنفصل مطلقا عما سبقها من خطوات ، بل ترتبط بها ارتباطا عضويا وثيقا ، كما أن الباحث لايرجىء التفكير فيها الى ما بعد الانتهاء من جمع البيانات• فالطبيعة المنهجية البحث تقتضيه أن يفكر منذ البداية فى الطريقة التى سوف تعالج بها البيانات من حيث التحليل والتفسير ، والا تبين له بعد ضياع الوقت وفوات الفرصة أن البيـانات التى جمعها لا تحقق أغراض البحث ، أو انه لايستطيع تصنيفها فى نسق معين يمكنه من تحليلها واستخلاص النتائج منهـــا •

ونعرض فيما يلى المبادىء الرئيسية فى التصنيف والتحليل والتفسير :

اولا : تصنيف البيانات

● اهداف التصنيف والأسس التى يقوم عليها :

يجمع الباحث الاجتماعى كثيرا من البيانات ، ولكنه يجد صعوبة كبرى فى استخلاص الحقائق التى استهدفها أصلا من البحث ، والخروج منهـــا بنتائج واضـــحة بدون أن يجمع شتاتها ، ويصنفهـــا فى نسق معين يتيح للخصائص الرئيسية ان تبدو واضحة جلية •

والتصنيف عملية يقصد من ورائها ترتيب البيانات وتقسيمها الى فئات بحيث توضع جميع المفردات المتشابهة فى فئة واحدة • فطلبة الجامعة مثلا يمكن تصنيفهم فى فئات وذلك بتقسيمهم الى مجموعات على أساس الجنس الى ذكور واناث ، او على أساس الجنسية الى مصريين وغير مصريين ، أو على أساس التفوق الدراسى الى متفوقين وغير متفوقين ، وهذه الفئات ولاشك

تساعد على ترتيب البيانات وتلخيصها بحيث تتاح الخصائص الرئيسية أن تبدو أمام الباحث بوضوح ٠

وتختلف الطرق التى تتبع فى تصنيف كل من البيانات الكيفية والبيانات الكمية : فالبيانات الكيفية هى التى تكشف عن وجود صفات معينة يصعب قياسها أو عدها ٠ أما البيانات الكمية فهى التى تكشف عن مقدار وجود هذه الصفات ٠ ولذا يعتمد فى تصنيف البيانات الكيفية على وجود اختلافات فى النوع أو فى الدرجة بين المفردات المختلفة ، فاذا صنفنا الطلبة الجامعيين حسب الجنس الى ذكور واناث ، أو حسب الجنسية الى مصريين وغير مصريين ، أو حسب الديانة الى مسلمين ومسيحيين ، فان التقسيم هنا يقوم على أساس الاختلاف فى النوع بمعنى أن فئات التصنيف تتصف بصفات نوعية مختلفة ٠ ولذا صنفنا الطلبة الجامعيين الى فئات حسب درجة انتظامهم فى حضور المحاضرات الى « مواظبين مواظبة تامة » ، « مواظبين الى حد ما » ، « غير مواظبين » ، يكون أساس التقسيم هنا هو الاختلاف فى درجة الانتظام ٠

أما البيانات الكمية فيمكن تصنيفها وفقا لمتغيرات قد تكون متصلة وقد تكون منفصلة ، والمتغير المتصل هو الذى لايتصور وجود فراغات بين القيم التى يتخذها ، فالطول الأشخاص والأعمار ودرجات الحرارة لا يمكن أن تتغير من قيمة الى أخرى الا اذا مرت بجميع القيم الواقعة بين القيمتين ٠ أما المتغير المنفصل فهو الذى يتغير فى طفرات أو قفزات تقاس بوحدات كاملة لا معنى لأجزائها وكسورها كعدد الزوجات وعدد الحجرات ٠ فعدد الزوجات مثلا قد يكون واحدة أو اثنتين أو اكثر ولا يمكن أن يكون واحدة ونصف أو واحدة وثلاثة أرباع ٠ أى ان العدد يقفز فجأة من واحدة الى اثنتين دون أن تتدرج قيمة بينها ٠ وتصنف البيانات الكمية بتقسيمها الى فئات متجانسة تضم كل فئة منها مدى محدودا من قيم الظاهرة موضوع الدراسة ، ويتحدد طول الفئة أو اتساعها فى ضوء طبيعة الظاهرة ، والهدف من البحث ، ودرجة الدقة المطلوبة ٠

* * *

● واهم ما يشترط فى تصنيف البيانات – كيفية كانت وكمية – ما يأتى :

١ – ان تقسم البيانات الى الفئات على أساس تصنيفى واحد ، والا تداخلت الأسس واختلط الأمر ، فمن الخطأ تقسيم طلبة الجامعة الى مصريين وغير مصريين وذكور واناث ، وانما الصواب أن نقسم الطلبة أولا على أساس الجنسية الى مصريين وغير مصريين ، ثم نعود فنقسم كل فئة على أساس الجنس الى ذكور واناث ٠ فبين الطلبة المصريين يوجد الذكور والاناث ، وكذلك الحال بين الطلبة غير المصريين ٠

- ولذا ينبغى البدء بالفئات العريضة التى تشترك فى صفة رئيسية ، ثم تقسيمها الى فئات فرعية اذا اقتضى الأمر ذلك • فاذا اردنا أن نعرف نسبة المتزوجين الى غير المتزوجين أمكن الاكتفاء بتصنيف البيانات الى هاتين الفئتين العريضتين فقط ، اما اذا اردنا التفصيل فقد نصنف غير المتزوجين الى أشـــخاص لم يسبق لهم الزواج والى أرامل ومطلقين ، وقـد نصنف المتزوجين على اســاس عدد الزوجات فى العصمة ، أو على أساس عـــدد الأولاد •• ويتوقف ذلك على الظاهرة التى ندرسها والأهـــداف التى نسعى الى تحقيقهـــا •

٢ ـ أن تكون مجموعة الفئات التى تتخذ أساسا التصنيف شــاملة بحيث يمكن تصنيف كل استجابة فى احدى فئات المجموعة،فلا ينبغى الاقتصار على تصنيف أنواع الجرائم الى قتل وحريق عمد ورشـــوة فى الوقت الذى توجد فيه جرائم سرقة ، كما لا يجوز تقسيم الأطوال من ١٦٠ ـ ١٦٥ سم، ١٧٠ ـ ١٧٥ سم واهمال ما بين ١٦٥ ـ ١٧٠ سم •

٣ ـ أن تكون جميع المفردات التى تصنف معا فى فئة واحدة متجانسة وغير متداخلة بحيث لا يمكن وضع مفردة واحـــدة فى اكثر من فئة داخل المجموعـــة (١) •

هذا وتختلف درجة صعوبة تصنيف البيانات باختلاف الدراسة التى يجريها الباحث • ففى الدراسات الكشفية يواجه الباحث صعوبة كبرى فى التصنيف بخلاف الحال فى الدراسات التى تختبر الفروض السببية •• ذلك لأن الباحث يقوم بالدراسة الكشفية وهو يجهل الكثير عن الظـاهرة التى يدرسها ، ولذا يحاول جمع كل ما يمكنه من بيانات ، فيصعب عليه القيـام بعملية التصنيف فى زحمة الحقائق الكثيرة التى يحصل عليها •

ثم ان الاستمارات التى تستخدم فى الدراسات الكشفية غالبا ما تحوى أسئلة ذات نهايات مفتوحة تسمح بالتعبير الحر دون أن تقيد الأفراد باجابات محددة ، فيحصل الباحث عن طريقها على بيانات كثيرة وغير متناسقة • ويتطلب تصنيف هذه الأسئلة مجهودا كبيرا من الباحث بخلاف الأسئلة المغلقة التى تكون مصنفة بطبيعتها الى فئات •

ولتصنيف البيانات التى يحصل عليها الباحث من الأسئلة المفتوحـــة ـ

---

(١) Selltiz et al., op. cit., p. 392.

يتعين عليه أن يختار مجموعة ممثلة من الاســـتمارات التى لديه ، ويقوم بفحصها ، ثم يحدد الاستجابات الرئيسية التى وردت بها مع التغاضى عن التفاصيل الكثيرة غير المهمة ، ثم يصنف هذه الاستجابات ـ طبقا لأسس محددة واضحة ـ فى فئات رئيسية تستوعب البيانات التى أمكن الحصول عليهـــا .

* * *

• أهمية مراجعة البيانات قبل تصنيفها :

بعد وضع أسس التصنيف ، ينبغى مراجعة البيانات ـ وخاصة التى جمعها الباحثون عن طريق الاستبيان والمقابلة ـ للتأكد من عـدم وجـود بيانات ناقصة أو مضللة . ويحسن أن يقوم بعملية المراجعة اشخاص آخرون غير الأشخاص الذين قاموا بجمع البيانات . وكلما كان عدد الاستمارات كبيرا كان من الأفضل توزيعها على عدد كبير من المراجعين بحيث يختص كـــل واحد منهم بمراجعة مجموعة خاصة من الأسئلة أو البيانات لضمان دقـــة المراجعـــة .

وتستلزم عملية المراجعة تصفح الاستمارات واحدة بعـد الأخرى للقيـام بما يأتى :

١ ـ التأكد من وضوح الخط : قد يملأ جامعو البيانات استمارات البحث فى عجلة أمام المبحوثين ، فيتعذر على المراجع قراءة الخط أو فهم الرموز المستخدمة مما يترتب عليه صعوبة تصنيف البيانات . فى هذه الحالة ينبغى رد الاستمارة الى جامع البيانات أو الى المبحوث لتوضيح الكلمات التى تتعذر قراءتها .

٢ ـ ضمان اكتمال البيانات : قد لا تكون البيانات المدونة باستمارات البحث كاملة . وقد يرجع ذلك الى عدم فهم الأسئلة من جانب المبحوثين وخاصة فى حالة جمع البيانات عن طريق الاستبيان البريدى . أو لاهمال من جامعى البيانات فى حالة المقابلة . أو لاعتقاد المبحوثين بعدم جدوى البحث وأهميته . وينبغى التمييز بين الحالات الثلاث . وقد سبقت الاشارة فيما كتبناه عن جمع البيانات الى أن من الممكن التقليل من الحالات الثلاث السابقة وحصرها فى أضيق نطاق .

وينبغى استكمال الاجابة على الأسئلة التى لم ترد عنها اجابة باعادة الاستمارة الى المبحوث اذا كان السؤال ذا أهمية خاصة للبحث ، أو باثبات كلمة « غير مبين » أمام السؤال الذى لم ترد عنه اجابة .وقد يجد الباحث نفسه مضطرا الى استبعاد بعض الاستمارات اذا كان النقص فى الاجابات واضحا .

٣ ـ التأكد من صدق البيانات المعطاة : ينبغى التأكد من أن البيانات المعطاة صحيحة وغير مضللة • وقد سبقت الاشارة الى انه عند تصميم الاستمارة لابد من اضافة أسئلة للمراجعة للتأكد من صدق الاجابات التى يدلى بها المبحوثون ، فالسؤال عن السن قد يعززه سؤال آخر عن السن وقت الزواج ومدة الحياة الزوجية ، فاذا اكتشف الباحث أن هناك تضليلا فى بعض الأجابات فينبغى ان يعمل على تصحيحها فى ضوء أدلة موضوعية أو بيانات أخرى تكون قد وردت فى الاستمارة ، أما اذا وجد الباحث أن هناك ارتباطا ضعيفا بين الاجابات عن الأسئلة المتماثلة ، فلابد فى هذه الحالة من استبعاد هذه الاستمارات • وخير للباحث أن ينزل بحجم العينة ، ولو أن ذلك يعرضه لزيادة خطأ الصدفة ، بدلا من الابقاء على بيانات مضللة توقعه فى خطأ التحيز •

وينبغى تصحيح الاستجابات اذا كانت الأخطاء غير مقصودة • فقد يذكر المبحوث مثلا انه متزوج وله أبناء ، وفى بيان السن يذكر أنه (٣) • فى هذه الحالة قد يستنتج الباحث أن السن ٣٠ ، وأن الصفر لم يظهر أثناء تدوين البيانات •

٤ ـ التأكد من أن عمليات تسجيل البيانات موحدة : فى البحوث الكبيرة التى يشترك فيها عدد كبير من جامعى البيانات ، ينبغى التأكد من أن جامعى البيانات كانوا يستخدمون طرقا موحدة فى تدوين الاستجابات • ومن الممكن ضمان الاتفاق الكبير بين جامعى البيانات فى تدوين الاستجابات باعطائهم تعليمات كافية قبل البدء فى عملية جمع البيانات •

٥ ـ القيام بالعمليات الحسابية : ينبغى اثناء مراجعة الاستمارات اجراء العمليات الحسابية التى يستلزمها البحث والتى يعفى منها المبحوثون • مثال ذلك حساب درجة ازدحام المسكن • فقد يكتفى بسؤال المبحوثين عن عدد أفراد الأسرة وعدد الحجرات • وفى المراجعة تحسب درجة ازدحام المسكن بقسمة عدد الحجرات على عدد الأفراد • وبالتالى اذا أردنا أن نحسب نصيب الفرد الواحد من الدخل ، فاننا نسأل المبحوث عن دخل العائلة الشهرى أو النصف سنوى أو السنوى ، ثم عدد أفراد العائلة ، وفى المراجعة نحسب نصيب الفرد الواحد بقسمة الدخل الكلى على عدد أفراد العائلة •

٦ ـ ترميز البيانات Coding: توجد بكشوف البحث بيانات رقمية وغير رقمية . ولابد لامكان نقلها الى البطاقات المعدة لذلك ، وخاصة فى حـالة التبويب الآلى ، من تحويل هذه البيانات جميعها الى صور رقمية . ففى بيان عن الديانة يمكن أن نعطى المسلم والمسيحى واليهودى وديانات أخرى الأرقام ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، على الترتيب . وفى بيان الحالة العلمية يمكن أن نعطى الأرقام من ١ ـ ٦ اذا كانت لدينا ست فئات وهكذا .

وجدير بالذكر أن الدليل الرمزى لا يقتصر استخدامه على البيانات غير الرقمية ، بل يستخدم أيضا لترميز البيانات الرقمية اذا كنا نريد الحصول على هذه البيانات فى صورة فئات معينة كالدخل أو العمر . وينبغى أن يكون هناك اتفاق تام بين القائمين بالمراجعة على الدليل « الكود Code» المستخدم فى البحث . وينبغى أيضا ترجمة البيانات الموجودة فى الاستمارات الى أرقام الدليل المتفق عليها . ويفضل أن تكون هذه الأرقام موضحة فى الاستمارات بجوار البيانات التى تعبر عنها ، وأن تكون مميزة بلون خاص ليسهل نقلهـا الى البطاقات (١) .

* * *

● تفـريغ البيانات :

توجد طريقتان لتفريغ البيانات احداهما يدوية والأخرى آلية . وتستخدم الطريقة اليدوية اذا كان عدد استمارات البحث قليلا ، وكانت البيـانات بسيطة وغير معقدة . أما الطريقة الآلية فانها تستخدم فى البحوث الكبيرة التى يتعذر فيها استخدام الطريقة اليدوية .

وتعتمد طريقة التفريغ اليدوى على اعداد كشوف كبيرة للتفريغ غالبا ما تكون من ورق المربعات . ويقسم جدول التفريغ الى أقسام تبدأ بعمود الرقم المسلسل ، تليها أقسام خاصة بأسئلة الاستمارة والفئات التى تشتمل عليها كما هو موضح بالجدول رقم ١١ .

ويبدأ التفريغ بنقل البيانات الخاصة بكل استمارة على سطر واحد افقى من جدول التفريغ . ويتم التفريغ فى الأعمدة اما بوضع أرقام معينة تؤخذ من الاستمارة أو بوضع علامة معينة تحت الفئة المناسبة . وباجراء عمليات الجمع أو حصر عدد العلامات يمكن الحصـول عـلى التوزيعات

---

(١) ويمكن الرجوع فى ذلك تفصيلا الى المراجع الاحصائية وخاصة السيد عبد الحميد الدالى : قواعد البحث الاجتماعى بالطريقة الاحصائية احمد عبادة سرحان : مقدمة فى الاحصاء الاجتماعى ، عبد المنعم الشافعى وآخرون : الاحصاء الاجتماعى .

جدول رقم (١١)

جدول تعريغ يحتوى على بعض أسئلة الاستمارة التى استخدمت فى بحث حى العطارين

رقم مسلسل	النوع		الحالة العلمية					الحالة الزواجية				الديانة				المهنة			مدة مزاولة المهنة				...... الخ
	ذكر	أنثى	أمى	يقرأ ويكتب	ابتدائى	متوسط	عالى	أعزب	متزوج	مطلق	أرمل	مسلم	مسيحى	يهودى	ديانات أخرى	عامل	موظف	مهن أخرى	١ ـ ٤	٥ ـ ٩	١٠ ـ ١٥	١٥ فأكثر	
١																							
٢																							
٣																							
٤																							
٥																							
٦																							
٧																							
٨																							
٩																							
١٠																							
المجموع																							
%																							

(١) انظر الملحق رقم (٤) وقد اشترك المؤلف فى تحليل نتائج هذا البحث وكتابة التقرير .

والنتائج النهائية للبحث . ويجب التثبت فى النهاية من أن الجملة التى حصلنا عليها تساوى عدد الاستمارات التى تم تفريغها الا فى الحالات التى يمكن أن يختار فيها المبحوث أكثر من استجابة واحدة .

ويفضل بعض الباحثين عمل كشف مستقل لكل سؤال من أسـئلة الاستمارة فيخصص مثلا كشف للنوع ، وكشف ثان للحالة العلمية ، وكشف ثالث للحالة الزواجية .. وهكذا ، ثم تجرى عملية حصر لعدد الاستجابات المتعلقة بكل فئة من الفئات التى يحتويها السؤال ، ولكنا نفضل عمل كشف كبير يشتمل على جميع البيانات المتعلقة باستمارات البحث ، ثم تؤخـذ منه البيانات المتعلقة بكل سؤال لوضعها فى جـداول فرعية . واذا رغبنـا فى الحصول على جداول ارتباط بين ظاهرتين أو اكثر من الظواهر التى يعطيها البحث ، فيمكن الاستفادة من الجـدول الرئيسى فى عمل جـداول الارتباط المطلوبـة .

اما طريقة التفريغ الآلى فتستخدم فيها الآلات الاحصائية المبنية على نظام البطاقة المثقوبة . والبطاقة عبارة عن ورقة نصف مقواة ، مستطيلة الشكل تحتوى على مجموعة من الأعمدة يصل عددها الى ثمانين عمـودا . وقد يزيد عن ذلك أو يقل تبعا لاختلاف الآلات التى تستخدمها الشركات المختلفة، ويتقرر اختيار نوع البطاقة المطلوبة تبعا لحجم البيانات المطلوب تفريغها .

هذا ويحتوى كل عمود من الأعمدة على اثنتى عشرة خانة مرقومة من (٠) الى (٩) بالاضـافة الى خانتين يشـار اليهما بالحرفين X , Y وتسـهيلا لقراءة البطاقة طبعت الأرقام على كل عمود على حدة ، وكتب فى أسفلها رقم العمود . والبطاقة مقطوعة من الجانب الأعلى الى اليسار حتى يمكن عند ضم مجموعة من البطاقات التأكد من انها جميعا فى الوضع الصحيح .

وترصد الاستجابات على البطاقات بعمل ثقوب فى البطاقة فى مواضع معينة بحسب البيان المطلوب رصده ، وبمقتضى الدليل الرمزى المتفق عليه .

* * *

● تبويب البيـانات :

بعد تفريغ البيانات ، واحصاء الاستجابات ، تبدأ عملية تبويب البيانات فى جداول بسيطة أو مزدوجة أو مركبة . والجدول البسيط هو الذى تصنف فيه البيانات طبقا لخاصية واحدة فقط . مثال ذلك الجدول رقم (١) بالكتاب .

والجدول المزدوج هو الذى تصنف فيـه البيانات طبقا لخاصيتين أو

صفتين ويستخدم العمود الأول من الجـــدول لكتابة قيم أو أنواع احـــدى الصفتين ، بينما يخصص الصف الأول منها لقيم أو أنواع الصفة الأخـرى • مثال ذلك : سكان القاهرة ـ مثلا ـ من حيث الحرف ومن حيث النوع •

أما الجدول المركب فهو الذى تصنف فيه البيانات طبقا لأكثر من خاصيتين مثال ذلك الجدول رقم (١٢) الذي يوضح توزيع أفراد عينة ما طبقا الحالة العلمية والنوع والمهنة •

وينبغى عند اعداد الجدول مراعاة ما يلى :

١ ـ أن يوضع على رأس كل جدول رقم مسلسل ، والى جواره عنوان الجدول الذى يشرح محتوياته بدقة ووضوح

٢ ـ أن تكون عناوين الأعمدة والصفوف واضحة وفى غاية الاختصار وأن تبين فيها الوحدات المستعملة •

٣ ـ أن ترتب أنواع الصفة أو درجاتها تنازليا أو تصاعديا حسب القيمة أو الزمان أو الأهمية أو حسب الترتيب الأبجدى الا اذا اقتضى الامر اتبـاع طريقة أخرى للترتيب •

٤ ـ يترك لكل عمود فراغ يكفى لكتابة أكبر الأعداد المعروضة به ، فمثلا اذا كان أكبر عدد يتكون من خمسة أرقام فلابد من أن يكون اتساع العمـود كافيا لكتابة هذا العدد •

٥ ـ اذا كانت البيانات المعروضة بالجدول منقولة فلابد من ذكر اسم المصدر الذى نقلت منه هذه البيانات فى الحاشية تحت الجدول مباشرة •

٦ ـ اذا كانت هناك بيانات مجهولة فيجب ترك الأماكن المخصصة لها بيضاء على أن يشار فى الحاشية الى ذلك (١) •

---

(١) يرجع فى ذلك الى : عبد المنعم الشافعى وآخـــرين : الاحصـاء الاجتماعى ص ١٩١ ، ١٩٢ •

توزيع افراد العينة طبقا للحالة العلمية والنوع والمهنة

جدول رقم (١٢ أ)

الحالة العلمية	امى		يقرا ويكتب		ابتدائى		متوسط		عــالى		المجموع	
النوع / المهنة	ذكر	انثى	ذكر	انثى	ذكر	انثى	ذكر	انثى	ذكر	انثى	ذكر	انثى
عامل	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
موظف	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
مهن اخرى	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
المجموع												

ثانيا : تحليل البيانات

● التحليل الاحصائى للبيانات :

من الضرورى بعد جدولة البيانات تحليلها تحليلا احصائيا لاعطاء صورة وصفية دقيقة للبيانات التى أمكن الحصول عليها ، ولتحديد الدرجة التى يمكن أن تعمم بها نتائج البحث على المجتمع الذى اخذت منه العينة وعلى غيره من المجتمعات ٠

ويمكن الاعتماد على المراجع الاحصائية للوقوف على الأساليب الاحصائية المختلفة التى تستخدم فى تحليل البيانات وكيفية استخدامها ٠ ونكتفى فى هذا المجال بالاشارة الموجزة الى أهم هذه الأساليب ٠

١ ـ مقاييس النزعة المركزية :

يلاحظ فى أكثر الظواهر أن القيم تتجه الى التركيز فى وسط التوزيع وتقل عند الطرفين ٠ وهذا التركيز عند النقطة المتوسطة هو ما يعرف بالنزعة المركزية ٠ ولذا يحاول الباحثون تحديد المتوسطات الاحصائية أو المعايير التى تقاس بالنسبة اليها مفردات المجموعة ، وتفيد هذه المتوسطات أو المعايير فى تلخيص الحقائق وتفسيرها ٠

ويعرف المتوسط الاحصائى لمجموعة من القيم بأنه عبارة عن قيمة تمثل هذه السلسلة من القيم احسن تمثيل ، بحيث يمكن اتخاذها دليلا مميزا لهذه المجموعة عن غيرها ، فنعرف بواسطتها الاتجاه الذى تأخذ هذه القيم فى مفردات المجموعة كلها ، لأن المفردات تتعرض بعضها الى ظروف خاصة فتعطينا فكرة خاطئة عن المجموعة واتجاهها ، فضلا عن أن هذه الطريقة صعبة ومستحيلة عمليا فى الاحصاءات الكبيرة (١) ٠

وهناك أنواع من المتوسطات يمكن الاستفادة بها فى قياس النزعة المركزية ٠

واهم هذه المتوسطات الوسط الحسابى والوسط الهندسى والوسط التوافقى والمنوال والوسيط ٠

---

(١) عبد المنعم الشافعى : مبادئ الاحصاء ، الجزء الأول ، ص ١٣٢

٢ ـ مقاييس التشتت :

لا يكفى المتوسط وحده لاعطاء فكرة دقيقة عن المجموعة ، فلا يبين طبيعتها ولا كيفية توزيع مفرداتها . كذا أن استخدام المتوسط فقط لمقارنة عدة مجموعات لا يكفى لاظهار حقيقة المقارنة . فقد يتســاوى متوسطا مجموعتين بينما تختلف المجموعتان عن بعضهما كل الاختلاف فقد تكون مفردات احدى المجموعتين متقاربة بعضها من بعض (أى تتركز حول متوسطها) او مبعثرة (مشـــتتة) .

فقد يتساوى متوسط الدخل فى قريتين مثلا ، ومع ذلك تختلف الحياة فيهما اختلافا واضحا . فاذا كانت الدخول فى القرية الأولى متجانسة (أى تشتتها صغير) وكانت الدخول فى القرية الثانية غير متجانسة الى درجة كبيرة (أى تشتتها كبير) فانه فى الغالب ما يكون سكان القرية الأولى راضين قانعين بينما نجد سكان القرية الثانية غير راضين وذلك للفروق الكبيرة بينهم . ولا شك ان مشاكل القرية الأولى تختلف تماما عن مشاكل القرية الثانيـــــة .

وعلى ذلك فلكى نصف مجموعتين ونقارنهما بدقة ، يجب ألا نقتصر على مقارنة متوسطى المجموعتين ، بل يجب أن نصف درجة اختلاف مفردات كل من المجموعتين بعضها عن البعض أو متوسطاتها ، أو بعبارة أخرى نصف درجة تشتتها (١) .

ويقاس تشتت أى مجموعة من القيم بعدة مقاييس اهمها المدى وشبيهات المدى ، والانحراف الربيعى ، والانحراف المتوسط ، والانحراف المعيارى .

٣ ـ مقاييس الارتباط :

تفيد مقاييس النزعة المركزية ومقاييس التشتت فى دراسة وقياس متغير واحد ، فمقاييس النزعة المركزية توضح القيمة التى يتجمع عندها متغير فى مجموعة من المقاييس ، ومقاييس التشتت توضح درجة انتشار وتوزيع قيم المتغير ، الا ان البحث العلمى لا يقف عند حد الوصف والتصنيف ، بل يتعدى ذلك الى بيان نوع العلاقة بين الحقائق والمفهومات العلمية ووصفها وصفا علميا دقيقـــا .

ويستطيع الباحث بحساب معامل الارتباط ان يصف نوع ومدى التلازم

---

(١) محمد عبادة سرحان . مقدمة فى الاحصاء الاجتماعى ، ص ١٩٠

فى التغير بين متغيرين ، فاذا كانت اشارة هذا العامل موجبة دل ذلك على ان المتغيرين مرتبطان ارتباطا طرديا بحيث تكبر قيم احداهما عندما تكبر قيم الأخرى ، واذا كانت اشارته سالبة دل ذلك على أن الارتباط عكسى بمعنى أنه اذا زادت قيم احد المتغيرين فان قيم المتغير الثانى تميل الى النقصان بوجه عام • وفى بعض الأحيان يصل معامل الارتباط الى + ١ أو – ١ وذلك حينما يكون الارتباط تاما موجبا ، أو تاما سالبا ولا يحدث ذلك الا اذا كانت الظاهرتان المبحوثتان بينهما علاقة جبرية دقيقة (١) •

٤ – تعميم النتائج المستخلصة من العينات :

سبقت الاشارة فيما كتبناه عن تصميم العينة الى انه مهما كانت العينة مختارة بالوسائل العلمية الصحيحة ، فلابد أن يختلف التقدير الذى نحصل عليه عن القيمة التى نحصل عليها باجراء حصر شامل تحت نفس الظروف ، وتعرف الأخطاء التى تظهر فى النتائج لهذا السبب بأخطاء المعاينة • ويتوقف متوسط هذه الأخطاء على حجم العينة ، وتباين المجتمع ، وطريقة اختيار العينة ، وطريقة حساب النتائج •

ومن حسن الحظ أنه لو اختيرت العينة بطريقة مثلى لأمكن حساب متوسط قيم هذه الأخطاء من العينة نفسها ، وبذلك يمكن معرفة الدقة النسبية لطرق المعاينات المختلفة التى يمكن اجراؤها على نفس المجتمع •

ولتقدير خطأ المعاينة يستعمل بالانحراف المعيارى • والانحراف المعيارى للتوزيع التكرارى لتقديرات كل العينات ذات نفس الحجم الممكن سحبها من مجتمع هو قياس لدقة التقديرات المحسوبة من عينة ما من هذا المجتمع •

ولتعميم النتائج التى يحصل عليها الباحث عن طريق العينة على المجتمع كله لابد من حساب حدود الخطأ فى نتائج العينة • وهذه الحدود ليست حدودا قاطعة ولكنها حدود مبنية على الاحتمال بمعنى انها تمكننا من ان نقول مثلا انه فى ٩٩ ٪ من العينات التى يمكن أخذها من المجتمع تقل القيمة الحقيقية للمجتمع أو تكبر عن القيمة المحسوبة من العينة بمقدار لا يزيد عن قيمة معينـــة (٢) •

---

(١) راجع فى ذلك : السيد محمد خيرى : الاحصاء فى البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٨ ، الباب السابع ، أحمد عبادة سرحان : المرجع السابق ، الباب التاسع •

(٢) عبد المنعم الشافعى وآخرون : الاحصاء الاجتماعى ، ص ١١٩ •

وإذا كان المجتمع معلوما فمن الممكن استخدام حدى الخطأ فى العينات فى اختبار تحيز عينة لدينا نحو ناحية معينة . وذلك بحساب الخطأ فى العينات أى الفروق بين نتيجتها والقيمة الحقيقية فى المجتمع . فاذا كان الفرق واقعا بين حدى الخطأ السابق ذكرهما قلنا انه فى ٩٩ ٪ من العينات غير المتحيزة المأخوذة من المجتمع يقع الخطأ بين هذين الحدين ، وعلى هذا لا يوجد لدينا ما يدعونا الى الشك فى عدم تحيز العينة . اما اذا وقع الخطأ خارج هذين الا حدين فاننا نقول ان الخطأ لا يخرج عن هذين الحدين الا فى عدد نادر من العينات هو ١ ٪ من جميع العينات الممكنة ، وعلى ذلك فنى حكم المؤكد ان العينة التى حدث هذا الخطأ فى نتيجتها هى عينة متحيزة ويسمى الفرق معنويا اذا وقع خارج حدى الخطأ ، وغير معنوى اذا وقع داخلهما (١) .

وكذلك اذا كانت لدينا عينتان مختلفتا النتائج ، فلا يجوز أن نعزو الفرق بين النتيجتين الى اختلاف بين المجتمعين اللذين اخذت منهما العينتان ، اذ انه من الممكن ان يكون المجتمعان اللذان اخذت منهما العينتان هما فى الواقع مجتمع واحد . وفى هذه الحالة يكون الفرق بين العينتين فرقا من الطبيعى أن يحدث بين عينتين من مجتمع واحد . وينبغى فى هذه الحالة استخدام الأساليب الاحصائية لحساب حدين للفرق بين نتيجتى عينتين مأخوذتين من هذا المجتمع ، فيكون الفرق معنويا بالنسبة لغرضنا من الدراسة اذا وقع خارج هذين الحدين ، ويكون فى حكم المؤكد أن العينتين لا تنتميان الى مجتمع واحد ، أما اذا وقع الفرق داخل الحدين كان هذا الفرق غير معنوى ، وفى هذه الحالة لا يوجد لدينا ما يدعونا الى الجزم بأن العينتين تنتميان الى مجتمعين مختلفين (٢) .

٥ ـ مقاييس احصائية أخرى :

الى جانب الأساليب الاحصائية السابقة يمكن الاستفادة بأساليب احصائية أخرى لحساب ثبات المقاييس الاجتماعية المختلفة كالمتوسط الحسابى والوسيط والنسبة ومعامل الارتباط . والى جانب ثبات المقاييس الفردية يمكن حساب دلالة الفروق حيث انها أهم بكثير من الناحية التجريبية من البحث عن مدى ثبات المقاييس الفردية ، ذلك لأن أغلب البحوث التجريبية تهدف الى المقارنة ، وحتى فى حالات القياس العادية يلجأ الباحث الى مقارنة نتائجه .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٢٠ .

(٢) يمكن الوقوف على المعادلات التى تستخدم لهذا الغرض فيما كتبه عبد المنعم الشافعى فى المرجع السابق ذكره ، احمد عبادة سرحان ، ص ٣٢٠ ـ ٣٢٨ .

سواء أكانت هذه المقارنة صريحة أو ضمنية ــ بمعيار خاص ليقف على مدى قرب القيمة التى حصل عليها فى قياسه أو تقديره من المعيار بالطوف فى هذه الناحية ، بل وزيادة على ذلك فان اغلب البحوث التجريبية سواء فى الميادين النفسية أو التربوية أو الاجتماعية تحتاج من الباحث ان يجرى البحث على مجموعتين احداهما ضابطة والأخرى تجريبية ، ولابد من المقارنة بين نتائج المجموعتين • ويدخل فى حساب دلالة الفروق مـا يعرف بالفرض الصـفرى والنسبة الحرجة ، وكذلك الاختبارات المستخدمة لفحص الفرض الصفرى ، ويمكن الرجوع فى ذلك الى المراجـع الاحصـائية التى تناقش الأســاليب الاحصائية السابق ذكرها والتى يمكن للباحث الاجتماعى أن يستخدمها لتحقيق اغراض البحث بتفصيل لا مجال لذكره فى هذا الكتاب •

* * *

ثالثا : تفسير البيانات

التفسير ضرب من ضروب التعميم ، وعن طريقه يستطيع الباحث ان يكشف عن العوامل المؤثرة فى الظاهرة المدروسة ، والعلاقات التى تربط بينها وبين غيرها من الظواهر • وبدون التفسير تصبح الحقائق التى توصل اليها الباحث لا جدوى من ورائها ولا غناء فيها •

ولذا كان الباحث يدرس ظاهرة معينة كظاهرة انحراف الأحداث ، او غياب العمال ، أو طرق قضاء وقت الفراغ أو غير ذلك من ظواهر ، وجمـع بيانات عن الظاهرة التى حددها واختارها موضوعا لدراسته ، ثم يصنف ويحلل ما جمعه من بيانات ، فهو لا يفعل ذلك كله الا ليصل الى تعميمات يمكن ان تفسر خصائص هذه الظواهر وتفسر سلوكها •

ويخطىء من يظن ان البحث العلمى يقف عند مجرد جمـع الحقــائق وتحليلها بل ينبغى أن يتعدى ذلك الى تفسير هذه الحقائق وتعميمها • وقد سبقت الاشارة فيما كتبناه عن خطوات المنهج العلمى الى أن الباحث الذى يقتصر على جمع الحقائق ويتركها منفصلة عن بعضها دون أن يحاول الربط بينها بتفسيرها وتعميم النتائج التى توصل اليها ، يكون شأنه كمن يعتقد أن البناء قد تم حين يتم له جمع الأحجار ، فالعلم لا يكوم الحقائق كقوالب الطوب ، وانما يحاول تفسير هذه الحقائق والربط بينها ليقيم بناء متكاملا على أساس التعميمات •

ويوجه عدد كبير من العلماء الاجتماعيين فى الوقت الحاضر ، نذكر من بينهم « روبرت ميرتون » ، و « تالكوت بارسونز » ، و « بتريم سوروكن »

حملات شديدة من النقد للبحوث التى تعمل على استكشاف خصائص الظواهر والتى يصعب ترجمة لغتها ونتائجها الى ما يعين على الفهم والتفسير والتنبؤ فى مجالات الحياة (١) .

ولذا ينبغى أن يتجه الباحث بعد جمع البيانات وتحليلها الى تفسيرها تفسيرا يتمشى مع ما توصل اليه من نتائج . ويجب الا يجاوز هذا التعميم حده ومداه ، ذلك لأنه يقوم على اطار تحدده عينة الأفـراد الذين أجريت عليهم الدراسة . والوسائل التى استعان بها الباحث للوصول الى نتائجه - ومن الخطأ الشائع فى بعض البحوث العلمية التى تجرى تجربة ما فى إطار معين محدد ، ثم تعمم فى جميع الأرجاء دون استغراق شامل لجميع هذه النواحى وحرى بالباحث أن يلتزم حدود نتائجه العلمية دون مبالغة أو افاضة حتى لا يضل الناس فى فهم نتائجه ، وحتى لا تنهار هذه النتائج سريعا من جوانبها التى نأت بها عن الاطار الموضوعى الواقعى للبحث (٢) .

ويمكن للباحث ان يستنتج وجود أنواع مختلفة من العلاقات منهـــا العلاقات السببية والعلاقات الوظيفية ، كما يستطيع تفسير نتائجه فى ضوء نظرية قائمة او يحاول اكتشاف نظرية جديدة . وقد سبقت الاشارة الى أن التفسيرات السببية هى التى تعبر عن وجود علاقة ثابتة بين ظاهرتين يؤدى التغير الذى يطرأ على خواص احداهما الى تغير فى خواص الظاهرة الأخرى. ويشترط لوجود هذه العلاقة أن يكون وجود السبب (س) سابقا عـلى وجود النتيجة (ص) ، وأن يكون السبب (س) قادرا على ايجاد النتيجة (ص) والا تحدث النتيجة (ص) عن متغير آخر غير المتغير (س) . وقد أشرنا فيما سبق الى أن من الممكن البرهنـة على وجود علاقة سببية باستخدام المنهج التجريبى الذى يقوم على أساس الضبط والتحكم سواء من جانب الباحث أو من جانب الطبيعة ، كما شرحنا الظروف التى تستخدم فى البرهنة على وجود علاقات سببية ، أما فى البحوث الأخرى التى لا يستخدم فيها المنهج التجريبى والتى تهدف الى اختبار فروض سببية فيمكن الاستعاضة عن الضبط والتحكم الذين يتمثلان فى المنهج التجريبى بوضع تصميمات دقيقة محكمـة للبحث بجمع بيانات كافية عن عدد من المتغيرات التى يحتمل أن يكون لها تأثير على الظاهرة المدروسة .

اما العـلاقة الوظيفية فهى التى تعبر عن وجود ترابط بين ظاهرتين

---

(١) Robert Merton : Social Theory and Social Structure, part 1.

(٢) فؤاد البهى : علم النفس الاحصائى ، دار الفكر العربى ، ص ٢٤ .

توجدان فى آن واحد ، وتتغيران تغيرا نسبيا بحيث تعد كل منهما شرطا فى الأخرى دون امكان القول بأن احداهما مقدمة والأخرى نتيجة .

أما النظرية العلمية فيمكن استخدامها فى تفسير الحقائق التى أمكن الوصول اليها . ومجال تكوين النظريات مجال هام للتفكير العلمى . والتفكير النظرى الخلاق هو فى رأى « تالكوت بارسونز » أعلى مراتب النشـــاط الفكرى فى الميادين العلمية ، ولا ينبغى أن يقلل من شأنه اعتقاد البعض بأنه لا يعتمد على الحقائق قدر أعتماده على التفكير الفلسفى . فالواقع أنه لا تعارض مطلقا بين الحقيقة والنظرية العلمية ، فكلاهما مكمل للآخر ، متمم له .

***

المراجـــــع

(١) باللغـــة العربية :

١ — أحمد عبادة سرحان : مقدمة فى الاحصاء الاجتماعى ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣ .

٢ — السيد عبد الحميد الدالى : قواعد البحث الاجتماعى بالطريقة الاحصائية ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٩ .

٣ — السيد محمد خيرى : الاحصاء فى البحوث النفســية والتربوية والاجتماعية ، دار الفكر العربى ، ١٩٥٧ .

٤ — فؤاد البهى الســـيد : علم النفس الاحصـــائى وقياس العقل البشرى ، دار الفكر العربى ، ١٩٥٨ .

٥ — عبد المنعم ناصر الشافعى : مبادىء الاحصاء ، الجزء الأول ، مكتبة النهضة العربية ، الطبعة الرابعة ، ١٩٦٠ .

٦ — عبد المنعم ناصر الشافعى وآخرون : الاحصاء الاجتماعى ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٤ .

(٢) باللغـــة الانجليزية :

1. Ackoff, R. L., The Design of Social Research, the U. of Chicago Press, 1953.
2. Goode, W., and Hatt., P., Methods in Social Research, New York, 1952.
3. Guilford, J.P., Fundamental Statistics in Psych, and Education, New York, 1956.
4. Jahoda, M. et al., Research Methods in Soc. Relations New York, 1951.
5. Selltiz, C. et al., Research Methods in Soc. Relations, Henry Holt, 1960.
6. Walker, H., and Lev., J. Statistical Inference, New York, 1953.

***

الفصل الرابع والعشرون

كتابة تقرير البحث

بعد الانتهاء من جمع البيانات وتحليلها وتفسيرها ، تبدأ خطوة كتابة التقرير . ولا تقل هذه الخطوة فى أهميتها عن الخطوات السابقة التى مر بها البحث ، فعن طريقها يستطيع الباحث أن ينقل الى القراء ما توصل اليه من نتائج ، وأن يعطيهم صورة متكاملة لجميع مراحل البحث وخطواته .

ونعرض فى هذا الفصل لتقرير البحث من حيث أسلوبه ، ومحتوياته ، وطريقة عرضه ، مع التركيز على نموذج التقرير الذى يلتزم به طلاب الدراسات العليا عند اعداد رسائل الماجستير والدكتوراة .

اولا - أسلوب التقرير :

ينبغى كتابة تقرير البحث بلغة واضحة سليمة ، وبأسلوب سهل مبسط ولتحقيق هذه الغاية يجب على كاتب التقرير أن يعرض أفكاره بطريقة مرتبة ، وفى جمل متماسكة ، وأن يتجنب الألفاظ الضخمة الرنانة ، والعبارات البلاغية المنمقة ، وأن يبتعد عن الكلمات الغامضة ، والاصطلاحات المعقدة .

ومن الطبيعى أن يختلف أسلوب التقرير وخطته باختلاف الجمهور القارىء . ففى رسائل الماجستير والدكتوراة ، وفى البحوث التى تنشر فى الدوريات العلمية ، ينبغى مراعاة الدقة التامة فى كتابة التقرير . ويستلزم ذلك توضيح المفاهيم النظرية ومناقشتها بدقة والعناية باثبات الهوامش ، وكتابة المراجع العلمية التى اعتمد عليها الباحث .

أما اذا كان التقرير مقدما الى أحد المستفيدين الذين تعنيهم الجوانب العملية أكثر مما تعنيهم الجوانب النظرية ، فينبغى ألا يشتمل التقرير على اطار نظرى مفصل ، وأن يقتصر على عرض المشكلة بطريقة موجزة ، ويوضح الأهمية التى تعود على المستفيد من دراستها ، ثم يعرض بعد ذلك النتائج والمقترحات ، وينبغى أن يبتعد كاتب التقرير عن استخدام المصطلحات العلمية الدقيقة ، والرموز والاختبارات الاحصائية التى يصعب فهمها .

واذا كان الغرض من كتابة التقرير هو عرضه على جمهرة الناس ، فيتحتم على الباحث أن يتبسط فى العرض ، وأن يتمشى مع مستوى فهم القراء ، وان يبتعد كلية عن الجدل العلمى ، والمناقشات النظرية التى لا تفيد القارىء فى شىء .

ويمكن للباحث أن يكتب أكثر من تقرير عن البحث بحيث يتمشى كل منها مع الاهتمامات الغالبة لكل مجموعة أو نمط من القراء .

***

ثانيا — محتويات التقرير :

يبدأ التقرير من حيث بدأت المشكلة موضوع الدراسة ، وينتهى الى حيث انتهت بالتحليل والتفسير ، أى أنه يشتمل على جميع الخطوات التى مر بها البحث .

وتهتم الجامعات الأجنبية بتوحيد الطريقة التى تكتب بها رسائل الماجستير والدكتوراة ، فتوزع على طلبة الدراسات العليا تعليمات مطبوعة تحدد شكل الرسالة ، والخطوات والقواعد التى ينبغى اتباعها والالتزام بها عند الكتابة ، والا أعيدت الرسالة الى صاحبها لاجراء التعديلات المطلوبة . وتتبع المجلات العلمية نفس الأسلوب ، فتطلب الى الباحثين أن يلتزموا بطريقة موحدة فى عرض الخطوات وتسلسلها .

هذا وينبغى أن يحتوى أى تقرير يقدم الى أية هيئة على العناصر التالية :

١ — التعريف بالمشكلة .

٢ — تحديد خطوات البحث .

٣ — عرض نتائج البحث .

٤ — تفسير النتائج .

وسنحاول فيما يلى أن نعرض لهذه العناصر بشىء من التفصيل .

(أ) التعريف بالمشكلة :

ينبغى أن يشتمل التعريف بالمشكلة على العناصر التالية :

١ — تحديد مشكلة البحث تحديدا دقيقا واضحا بحيث يتضمن هذا التحديد جميع النقاط الرئيسية والفرعية التى تشتمل عليها .

٢ ـ أسباب اختيار المشكلة والأهداف التى يرمى الباحث الى تحقيقها من وراء اجراء البحث .

٣ ـ الربط بين المشكلة وبين بعض النظريات العلمية ، خاصة اذا كان هدف الباحث هو اختبار احدى النظريات أو ادخال متغيرات جديدة الى النظرية القائمة ، أو الاستفادة من تقدم المقاييس والاختبارات العلمية فى القاء أضواء جديدة على النظرية القائمة ، وليس شرطا أن ترتبط كل مشكلة بنظرية علمية . فقد تكون الدراسة من النوع الكشفى الذى يحاول ارتياد ميادين جديدة ، أو من النوع المسحى الذى يهتم بالجانب التطبيقى أكثر من اهتمامه بالجانب النظرى .

٤ ـ عرض للبحوث التى سبق اجراؤها فى نفس الميدان . ويتضمن هذا العرض تعريفا بالمشكلات التى تم بحثها ، والخطوات المنهجية التى اتبعت فى كل دراسة وأهم النتائج التى أمكن الوصول اليها ، مع مناقشة نواحى القوة والضعف فى كل دراسة . وغالبا ما يصل الباحث من وراء هذا العرض الى تحديد النقاط التى أغفلتها الدراسات السابقة والتى يمكن أن يتناولها ـ كلها أو بعضها ـ بالدراسة والبحث .

٥ ـ تحديد المفاهيم والمصطلحات العلمية المستخدمة فى البحث .

٦ ـ تحديد الفروض التى يهدف الباحث الى التثبت من صحتها أو خطئها وبخاصة فى المجالات التى وصلت فيها البحوث السابقة الى درجة كبيرة من التطور العلمى .

ب) تحديد خطوات البحث :

وتشتمل هذه الخطوة على العناصر التالية :

١ ـ تحديد مجالات البحث الثلاثة : البشرى والمكانى والزمانى .

يحاول الباحث فى هذه الخطوة شرح الطريقة التى اتبعت فى اختيار مفردات البحث : هل هى طريقة الحصر الشامل أم طريقة العينة ؟ . واذا كان البحث بطريق العينة فينبغى الاشارة الى وحدة المعاينة ، والاطار الذى أخذت منه العينة وحجم العينة ونوعها ، حتى يتضح المدى الذى يمكن الذهاب اليه فى تعميم نتائج البحث . وكما يحدد الباحث المجال البشرى للدراسة ، فانه يحاول تحديد المجال المكانى أى البيئة التى أجريت فيها الدراسة ، وكذا المجال الزمنى أى الفترة التى استغرقتها عملية جمع البيانات .

٢ — الاشارة الى نمط البحث ونوع المنهج أو المناهج التى استخدمها الباحث وكذا الأدوات التى استخدمت لجمع البيانات . ويتعين على الباحث أن يشير الى التدريب الذى تلقاه جامعو البيانات والتعليمات التى زودوا بها .

٣ — الاشارة الى الصعوبات التى صادفت الباحث أثناء اجراء البحث فى مختلف مراحله مع توضيح الوسائل التى اتبعت للتغلب على هذه الصعاب .

٤ — شرح الطرق التى اتبعت فى تصنيف وجدولة وتحليل البيانات .

(جـ) عرض نتائج البحث

ينبغى أن يعرض الباحث النتائج التى توصل اليها بصرف النظر عما اذا كانت تحقق الأهداف التى حددها من البداية أم لا . ومن واجبه أيضا أن يقرر ما اذا كانت الفروق التى حصل عليها بين معاملات الارتباط أو المتوسطات الحسابية أو النسب المئوية .... الخ ذات دلالة احصائية أم لا .

ومن الطرق الشائعة فى عرض نتائج البحث استخدام الجداول الاحصائية والرسوم البيانية الخطية والمصورة والخرائط والمصورات . وقد سبقت الاشارة فيما كتبناه عن تبويب البيانات الى طرق اعداد الجداول على اختلاف أنواعها . أما طرق اعداد الرسوم البيانية فيمكن الرجوع اليها فيما كتب فى مراجع الاحصاء .

(د) تفسير النتائج :

لابد من تفسير النتائج التى توصل اليها الباحث تفسيرا يتمشى مع نتائج البحث دون أن يجاوز التعميم حده ومداه . وينبغى على الباحث أن يلتزم حدود نتائجه العلمية دون مبالغة أو افاضة . وقد سبقت الاشارة فيما كتبناه فى خطوة تفسير البيانات عن أنواع التعميمات التى يمكن أن يصل اليها الباحث .

هذا ويستطيع الباحث بعد الانتهاء من تفسير النتائج تقديم بعض المقترحات والتوصيات التى خرج بها من البحث . ويشترط أن تكون هذه المقترحات ذات صلة وثيقة بالنتائج التى أمكن الوصول اليها ، وأن تكون محددة تحديدا دقيقا . وتتجلى مهارة الباحث فى الربط بين ما يتوصل اليه من نتائج وبين ما يقترحه من حلول للمشكلات التى أسفرت عنها الدراسة ، والتى تشير اليها نتائج البحث بدون مبالغة أو حشو أو تطويل .

(هـ) كتابة الملخص :

غالبا ما ينتهى التقرير بملخص واضح عن المشكلة ونتيجة بحثها ومدى قوة أو ضعف هذه النتائج ، والمشاكل الجديدة التى أسفر عنها البحث خلال تصوره ومدى صلاحية هذه المشاكل للبحث .

وبذلك يفتح الباحث أمام غيره من الباحثين آفاقا جديدة للدراســة والبحث ، ويضع أمامهم مشكلات يمكن الاستفادة بها فى بحوث قادمة .

وفى ختام التقرير ينبغى تسجيل المراجع التى استعان بها الباحث . وهى توضح مدى الجهد الذى بذله الباحث فى الدراسة ، كما تفيد من يشاء الرجوع اليها من الباحثين الآخرين .

وغالبا ماتضاف الى التقرير ملحقات بجداول تفصيلية لاتيسر مناقشتها فى صلب التقرير ، ونماذج من الاستمارات والتعليمات التى استخدمت فى البحــــث .

***

ثالثا ــ طريقة عرض الرسائل العلمية :

على الرغم من أن طريقة عرض رسائل الماجستير والدكتوراه تختلف من جامعة الى أخرى ، الا أنها تتفق فى ضرورة اشتمالها على أجزاء رئيسية هى : المواد التمهيدية ، وصلب التقرير أو الرسالة ، والمراجع . ويتكون كل جزء من عدة أقسام هى :

١ ـ المواد التمهيدية :

(أ) صفحة العنوان .

(ب) صفحة الاجازة (اذا وجدت) .

(جـ) صفحة الشكر والتقدير .

(د) قائمة المحتـويات .

(هـ) قائمة الجداول (اذا وجدت) .

(و) قائمة الأشكال (اذا وجدت) .

٢ ـ صلب التقـرير :

(أ) مقدمة الرسـالة .

(ب) أبواب الرسالة وفصولها .

٣ ـ المراجـع والملاحق :

(أ) قائمة المراجـع .

(ب) الملاحق (اذا وجدت) .

ونعرض فيما يلي لهذه الأقسام بشيء من التفصيل :

● المواد التمهيدية :

تخصص للمواد التمهيدية عدة صفحات قبل صلب التقرير . وتظهر صفحة العنوان أولا ، وتشمل المعلومات الآتية :

١ ـ عنوان الرسالة .

٢ ـ اسم الباحث بالكامل .

٣ ـ اسم الأستاذ المشرف .

٤ ـ اسم الكلية أو المعهد الذى يتبعه الطالب ، وكذلك القسم فى حالة وجود أقسام .

٥ ـ الدرجة العلمية المتقدم لها صاحب الرسالة .

٦ ـ العام الدراسى .

وعلى صاحب الرسالة أن يرتب هذه المعلومات على الصفحة ترتيبا محكما ، وأن يلاحظ الأبعاد المناسبة بينها (كما هو موضح بالنموذج) ، واذا زاد العنوان على سطر واحد ، يكتب على مسافتين (أى تترك مسافتان بين سطور الكتابة) ، ويوضع فى شكل هرم مقلوب .

واذا كانت الكلية تتطلب اعتماد لجنة الممتحنين ، توضـع صفحة فى الرسالة بعنوان : صفحة الاجازة ، أو اعتماد لجنة الممتحنين ، ويترك فيها مسافة لتوقيع المشرف ، ويكتب اسمه تحتها ، وأحيانا تكتب أسماء جميع أعضاء اللجنة فى هذه الصفحة .

وفى صفحة الشكر والتقدير ، يبدأ الباحث بشكر الأستاذ المشرف ، ثم يذكر أشخاصا آخرين قدموا له العون والمساعدة أثناء اجراء البحث فى مختلف مراحله . وينبغى الا يطيل الباحث فى الشكر ، أو يبالغ فيه .

أما صفحة (أو صفحات) محتويات الرسالة ، فتعطى القارىء صورة اجمالية للرسالة ، وتمكنه من تحديد الموضوعات بسرعة . وتكتب عناوين الأبواب والفصول بحروف ظاهرة ، بينما تكتب أقسامها الفرعية بحروف صغيرة . وتظهر هذه العناوين بنفس الكلمات ونفس الترتيب الذى توجد به فى صلب التقرير ، ويتبع كل منها برقم الصفحة ، وتوضح العـلاقة بين العناوين الرئيسية والموضوعات الفرعية باتباع التنظيم المناسب ، ويكتب كل عنوان فى سطر واحد كلما أمكن (كما هو موضح بالنموذج).

وبعد قائمة المحتويات ، تخصص صفحات مستقلة لقائمة الجداول ، وقائمة الأشكال . ويذكر بكل منها رقم الجدول أو الشكل ، والعنوان ، ورقم الصفحة ، (كما هو موضح بالنموذج) .

***

العلاقات الاجتماعية بين الجماعات العرقية
في منطقة غـرب مريوط

اعـــداد

فاروق مصطفى اسـماعيل

اشـــراف

الأستاذ الدكتور أحمد أبو زيد
أستاذ ورئيس قسم الأنثروبولوجيا

رسالة مقدمة الى كلية الآداب جامعة الاسكندرية

للحصول على درجة دكتوراة الفلسفة فى الأنثروبولوجيا

١٩٧٥

(نموذج لصفحة العنوان)

محتويات الرسالة

رقم الصفحة

(نموذج لصفحة المحتويات)

* قائمة الجــداول *

* تبدأ قائمة الجداول دائما فى صفحة جديدة .

* قائمة الأشــكال *

* تبدأ قائمة الأشكال دائما فى صفحة جديدة .

(نموذج لصفحتى قائمة الجداول والأشكال)

● صلب التقرير :

ويتضمن التعريف بالمشكلة ، والدراسات السابقة ، وتحديد خطوات البحث ، وعرض النتائج ، وتفسيرها ، واستخلاص المقترحات والتوصيات . وليست هناك طريقة واحدة لعرض النقاط التى يتضمنها صلب التقرير . ففى بعض الأحيان يقسم صلب التقرير الى مقدمة وبابين . وتتضمن المقدمة عرضا عاما لمشكلة البحث وخطة الدراسة ، بينما يتناول الباب الأول الجوانب النظرية المرتبطة بالموضوع ، أما الباب الثانى فيتناول الدراسة الميدانية من حيث اجراءاتها المنهجية ، وعرض الجداول وتحليلها وتفسيرها .

ويحدث فى أحيان أخرى أن يزاوج الباحث بين الجوانب النظرية والجوانب الميدانية : فيعرض فى كل فصل للمفاهيم النظرية المتعلقة بموضوع الفصل ، والدراسات السابقة المرتبطة به ، ثم يعرض النتائج التى توصل اليها فى دراسته ، ويناقش تلك النتائج فى ضوء ما توصل اليه الباحثون السابقون .

وتشترط بعض الكليات والمعاهد أن يكتب الطالب ملخصا من حوالى خمسمائة كلمة للرسالة . وقد يضم هذا الملخص الى التقرير ، أو ينشر بعد ذلك فى ملخصات الرسائل abstracts ، أو أى مصدر آخر . وعن طريق هذه الملخصات يستطيع القارىء أن يقرر ما اذا كان يرغب فى قراءة البحث بأكمله أم لا .

● المراجع والملاحق :

غالبا ما تذكر المراجع كلها فى نهاية الرسالة . ولكن بعض الطلاب يذكرون مراجع كل باب فى نهايته ، ثم يذكرون فى نهاية الرسالة المراجع العامة ، ولا مانع من اتباع هذه الطريقة اذا كان لكل باب مراجع خاصة .

وبعد ذلك تعرض ملاحق الرسالة . وهى عبارة عن مواد مساعدة لا يستطيع الباحث أن يضعها فى صلب الرسالة حتى يتحاشى الاستطراد ، وحتى لا يقطع تسلسل الموضوع . مثال ذلك استمارات البحث ، وصور الخطابات ، وبطاقات التقويم ، وقوائم التقدير ، والنصوص الطويلة ، والوثائق ، وصور المقابلات الشخصية .

وينبغى أن تتضمن الملاحق المواد المناسبة فقط ، والتى قد تقطع تسلسل التفكير اذا وضعت فى صلب الرسالة . وتصنف الملاحق فى مجموعات . وتعطى عناوين مناسبة ، وترقم بحروف أبجدية أو أرقام وتسجل فى قائمة المحتويات .

***

رابعا — كتابة الحواشى والمراجع :

تتبع عدة طرق لاثبات الهوامش . وأكثر هذه الطرق انتشارا ، هى أن يكتب أسفل الصفحة جميع الهوامش المتعلقة بالنصوص التى تظهر فى تلك الصفحة .. وعند استخدام هذه الطريقة ، يتم فصل الهوامش عن المتن بخط قصير ، يبدأ من هامش الصفحة الأيمن تحت المتن بمسافة واحدة . ويترك تحت هذا الخط مسافتان قبل كتابة أول هامش . وتكتب جميع الهوامش على مسافة واحدة ، على أن تترك مسافتان بين كل واحدة والتى تليها . وترقم الهوامش بأرقام تتفق مع الأرقام المستخدمة فى المتن . واذا كان النص يتكون من جداول أو معادلات رياضية ، استخدمت نجمة أو أى علامة أخرى غير الأرقام للاشارة الى الهوامش . ويمكن ترقيم الهوامش ترقيما متصلا طوال الرسالة ، أو البدء برقم جديد مع كل صفحة أو كل فصل وفقا لمتطلبات الكلية .

واذا كانت الرسالة ستنشر ، فان كثيرا من الناشرين يفضلون وضع رقم المرجع ورقم الصفحة داخل قوسين بعد النص المقتبس مباشرة ، ثم تذكر المراجع كلها اما فى نهاية الفصل أو فى آخر الكتاب . وتقتصد هذه الطريقة فى مساحة الطبع وتكاليفه ، حيث ان جميع المصادر تثبت مرة واحدة فى قائمة المراجع فقط .

وعند اثبات المراجع لأول مرة فى الهوامش فانها تذكر كاملة ، فاذا تكرر مرجع فى نفس الصفحة بدون فاصل فانه يذكر فى المرة الأولى كاملا ، وفى المرة الثانية يذكر بهذه الصورة .

— نفس المرجع ، ص ٧١ .

واذا كان التكرار لمرجع أجنبى دون فاصل ايضا يذكر هكذا :

Ibid., p. 71.

واذا وجد فاصل واحد ، ففى حالة المرجع العربى تكون الاشارة :

— الخشاب : المرجع السابق ، ص ٨٢ .

واذا كان المرجع اجنبيا تكون الاشارة :

Op. cit., p. 20.

واذا كان الاقتباس الثانى من نفس المرجع ومن نفس الصفحة ، تكون الاشارة فى المراجع العربية هكذا :

– نفس المكان .

وفى حالة المرجع الأجنبى تكون الاشارة :

Loc. cit., بدون ذكر رقم الصفحة .

واذا تعددت الصفحات التى رجع اليها الطالب فى المراجع العربية امكن الاشارة اليها بالصورة التالية : صفحات ٣٩ — ٤٣ ، أو ص ٣٩ وما بعدها .

وبالنسبة للمراجع الأجنبيــة يمكن الاشــارة الى الصفحات المتتالية بالصورة الآتية :

PP. 91 - 95. أى من ص ٩١ الى ص ٩٥ .

PP. 91 f. أى ص ٩١ والصفحة التالية لها فقط .

PP. 91 ff. أى ص ٩١ والصفحات التالية لها .

أما بالنسبة لكتابة المراجع ، فليس هناك أسلوب موحد يلتزم به كل الباحثين ، غير أن هناك من القواعد العامة ما ينبغى مراعاته عند كتــابة المراجع . وهذه القواعد هى :

١ — لا تذكر فى قائمة المراجع الا المصادر والمراجع الأساسية التى اعتمد عليها الباحث . وليس من الضرورى أن تتضمن قائمة المراجع جميع الكتب التى ذكرت فى الهوامش ، وانما يكتفى منها بما له صلة وثيقة بموضــــوع الدراســــة .

٢ — تصــنف قائمة المراجــع فى بعض الأحيان تحت عناوين مثل : الدوريات ، والوثائق ، والتقارير ، والكتب . ويحدث أحيانا أخرى أن ترتب المراجع فى قائمة أبجدية واحدة . واذا استخدم الباحث فى اثباته للهوامش نظام الاشارة الى المراجع فى نهاية التقرير ، فينبغى اثبات المراجــع وفقا للترتيب الذى وردت به فى متن الرسالة .

٣ — يراعى عند كتابة المراجع البدء باثبات المراجع العربية تتلوهــا المراجع الأجنبية .

اذا وضع كاتب التقرير رقما مسلسلا للمراجع التى ذكرها ، فينبغى أن تتسلسل الأرقام حتى آخر المراجع .

٥ — ترتب المراجع عادة ترتيبا ابجديا ، أو حسب تاريخ النشر ، وتفضل الطريقة الأولى فى أغلب التقارير .

٦ — ترتب المراجع العربية وفقا للاسم الأول للمؤلف ، حيث ان استخدام اسم العائلة ليس مألوفا فى مجتمعاتنا ولا فى كتاباتنا . أما بالنسبة للمراجع الأجنبية فترتب وفقا للاسم الأخير للمؤلف ، وفى الحالات التى لا يوجد فيها اسم المؤلف ، يثبت المرجع تحت اسم الكلية أو المعهد أو الهيئة التى أعدت التقرير ، كأن نقول :

المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية : تعاطى الحشيش ، التقرير الأول ، استمارة الاستبار ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٠ .

٧ — تكتب الأسماء العربية مجردة من الألقاب ، ثم تتبعها الالقاب (اذا وجدت) بعد نقطتين مثل :

مصطفى الخشاب : الدكتور : علم الاجتماع ومدارسه ، الكتاب الأول .....

٨ — تذكر الكتب العربية بحيث تبدأ باسم المؤلف ، ثم عنوان الكتاب مأخوذا من صفحة العنوان (ويوضع تحته خط) ، والطبعة (اذا وجدت أكثر من طبعة واحدة) ، والمجلد (اذا وجد أكثر من مجلد) ، ومكان النشر ، والناشر ، والتاريخ . مثال ذلك :

أحمد أبو زيد : الدكتور : البناء الاجتماعى ، مدخل لدراسة المجتمع ، الجزء الأول ، المفهومات ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٥ .

٩ — تذكر المراجع الأجنبية مبدوءة بالاسم الأخير للمؤلف ، ثم الحرفان الأولان من الاسم الأول والثانى ، ثم عنوان الكتاب ، والطبعة ، والمجلد ومكان النشر ، والناشر ، والتاريخ .

مثال ذلك :

Cuber, J. F., Sociology, New York, Row Publishers, 1963.

بالنسبة لاثبات المقالات ، يذكر اسم المؤلف ، وعنوان المقال (بين قوسين صغيرين ، واسم المجلة (تحته خط) ، والمجلد ، واليوم ، والشهر ، والسنة .

١١ — بالنسبة للمادة غير المنشورة كرسائل الماجستير والدكتوراة والخطابات ، يذكر اسم المؤلف ، وعنوان المادة ، وطبيعة المادة ، واين يمكن الحصول عليها او اين قدمت ، والتاريخ .

مثال ذلك : رسالة دكتوراة غير منشورة ، جامعة القاهرة ، مايو ١٩٧٤م

او : بحث ألقى فى حلقة تطوير علم الاجتماع ، بكلية الآداب جامعة عين شمس ، فى ٢٠ فبراير ١٩٧٣ .

١٢ — اذا اثبت الباحث فى قائمة المراجع كتابين او اكثر لنفس المؤلف ، يستبدل باسم المؤلف خط متصل طوله حوالى ست مسافات ، وذلك فيما بعد المرجع الأول ، وترتب عناوين أعمال المؤلف ابجديا تحت اسمه ، وتأتى المؤلفات التى اشترك فى تأليفها بعد تلك التى ألفها بمفرده .

١٣ — اذا كان للكتاب مؤلفان او ثلاثة ، يكتب اسما المؤلفين الثانى والثالث بالطريقة العادية ، اما اذا وجد أكثر من ثلاثة مؤلفين ، يعطى اسم المؤلف الأول متبوعا بكلمة (وآخرون) .

مثال ذلك :

احمد كمال احمد وآخرون : قراءات فى الخدمة الاجتماعية ، القاهرة مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٤ .

وفى المراجع الأجنبية ، يكتب اسم المؤلف الأول متبوعا بكلمة (et, al.) مثال ذلك :

Selltiz, C., et al., Research Methods in Social Relations.

ونود ان نشير فى نهاية هذا الفصل الى انه ليست هناك قاعدة موحدة فى كتابة التقرير ، او فى اثبات المراجع - وينبغى ان يلتزم كاتب التقرير بالإرشادات والقواعد التى تتطلبها الكلية او المعهد العلمى الذى ينتمى اليه .



المراجـــع

(1) باللغـة العربية :

١ ـ أحمد شلبي : كيف تكتب بحثا أو رسالة ، دراسة منهجية لكتابة الابحاث واعداد رسائل الماجستير والدكتوراة ، الطبعة السادسة ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٨ .

٢ ـ ديوبولدفان دوالين : مناهج البحث فى التربية وعلم النفس ، ترجمة محمد نبيل نوفل ، وسليمان الخضرى الشيخ ، وطلعت منصور غبريال ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٩ .

(2) باللغـة الانجليزية :

1. Barzun, J. and Henry, F., The Modern Researcher, New York, Harcourt Brace and World Inc., 1957.

2. Campbell, W.G. Form and Style in Thesis Writing Bosten : Haughton Mifflin Company, 1954.

3. Selltiz, C., et al., Research Methods in Social Relations, Henry Holt, 1960.

4. Stacey, M. Methods of Social Research, Pergamon Press Oxford, 1970.

5. Souther, J.W., Technical Report Writing, New York, John Wiley and Sons Inc., 1957.

***

ملحقـــات

الملحق رقم (١) نمـوذج لاستمارة مقابلة : بحث التصنيع والعمران بمدينة الاسكندرية .

الملحق رقم (٢) نموذج لاستمارة استفتاء : القيم الاجتماعية فى المجتمع الكويتى .

الملحق رقم (٣) نموذج لاستمارة مقابلة : الطبقة الاجتماعية والسلوك الانجـــابى .

الملحق رقم (٤) نموذج لاستمارة مقابلة : احتياجات المرأة الريفيـــة واتجاهاتها نحو بعض قضايا التنمية فى المجتمع الريفى المصرى .

***

الملحق رقم (١) :

نموذج لاستمارة مقابلة
بحث التصنيع والعمران بمدينة الاسكندرية (١)

أولاً — بيانات شخصية وصناعية

(ا) بيانات شخصية :

١ — سن العامل : ... سنة .

٢ — الحالة المدنية : اعزب ... متزوج ... مطلق ... أرمل ..

٣ — محل الميلاد : محافظة ... مديرية ...

(ب) بيانات عن الهجرة (لمن أتوا من الريف فقط) :

٤ — كم كان عمرك عندما انتقلت الى الاسكندرية ؟ .. سنة .

٥ — ما أسباب مجيئك إلى الاسكندرية ؟

(أ) انتقال والديك اليها .

(ب) الحصول على عمل وأجر منتظمين .

(ج) تحسين معيشتك .

(د) الضيق من الحياة الريفية .

(هـ) وجود أقارب او أصحاب لك بالاسكندرية .

(و) أسباب اخرى .

٦ — كم سنة اقمتها في الاسكندرية ؟ ... سنة .

٧ — في أى قسم أقمت عند مجيئك الى الاسكندرية ؟ .

---

(١) حسن الساعاتي : التصنيع والعمران : بحث ميداني الاسكندرية وعمالها ، ص ٢٧٨ — ٢٨٧ .

(جـ) بيانات عن العمل السابق :

٨ ـ هل اشتغلت فى الصناعة قبل اشتغالك فى المصنع الحالى ؟

نعم لا

٩ ـ اذا كنت قد اشتغلت فى الصناعة قبل ذلك ففى أى صناعة ؟

١٠ ـ ما المدة التى قضيتها فى الصناعة قبل اشتغالك فى المصنع الحالى ؟ .. سنة .

١١ ـ هل سبق لك تمرين فى الصناعة قبل عملك فى المصنع الحالى ؟

نعم لا

(د) بيانات عن العمل الحالى :

(من المسئولين فى المصنع) ـ ما طبيعة عمل العامل ؟

(أ) فنى .
(ب) نصف فنى .
(جـ) غير فنى .

١٢ ـ من ساعدك فى الحصول على عملك الحالى ؟

(أ) قريب .
(ب) صديق . معرفة أو جار .
(جـ) وسيط .
(د) أنت نفسك .
(هـ) مكتب العمل .

١٣ ـ ما المدة التى قضيتها فى المصنع الحالى ؟ ... أشهر ... سنة ...

١٤ ـ هل تمرنت لعملك الحالى ؟ نعم ... لا ...

١٥ ـ اذا كنت تمرنت ، فأين كان هذا التمرين ؟

(أ) فى المصنع الحالى .
(ب) فى مصنع آخر .
(جـ) فى المدرسة

ثانيا — الاحوال الاجتماعية والاقتصادية

(هـ) بيانات عن المسكن :

١٦ — فى أى قسم تسكن :

١٧ — كم حجرة فى مسكنك ؟ ١ — ٢ — ٣ — أكثر من ٣

١٨ — هل توجد مياه جارية فى مسكنك ؟ نعم ... لا ...

١٩ — هل فى مسكنك كهرباء ؟ نعم ... لا ...

٢٠ — هل عندك راديو ؟ نعم ... لا ...

٢١ — ما أثاث مسكنك ؟

(أ) لا يوجد سرير .
(ب) سرير أو كنبة .
(جـ) سرير ودولاب أو ترابيزة بكراسيها .
(د) سرير ودولاب وكنبة أو ترابيزة بكراسيها .
(هـ) حجرة نوم « على » جلوس كاملة .
(و) حجرتان كاملتان .
(ز) ثلاث حجرات كاملة .
(ح) اكثر من ثلاث حجرات كاملة .

٢٢ — هل يشترك معك أحد فى المسكن غير أهلك ؟ نعم ... لا ...

٢٣ — اذا كان يشاركك أحد ، فكم شخصا يشاركونك ؟

٢٤ — اذا كان يشاركك أحد ، فما صلتهم بك ؟

(أ) أقـــارب .
(ب) بلديــات .
(جـ) معـــارف .
(د) آخـــرون .

٢٥ ــ هل هو (أو هم) يعمل (أو يعملون) معك فى المصنع نفسه
نعم ... لا ...

٢٦ ــ كيف تأتى الى المصنع كل يوم ؟
(أ) بالقطـــار .
(ب) بالترام .
(جـ) بالأوتوبيس .
(د) بالبسكليت .
(هـ) مشـــيا .
(و) بالقطـــار ومشـــيا .
(ز) بالترام ومشـــيا .
(ح) بالأوتوبيس ومشيا .
(ط) بالقطار والأوتوبيس .
(ى) بالترام والأوتوبيس .
(ك) تقيم فى مسكن بالمصنع .

(و) بيانات عن وقت الفراغ :

٢٧ ــ كيف تقضى وقت فراغك اليومى ؟
(أ) فى المقهـــى .
(ب) فى نـــادى رياضى .
(جـ) فى البيت .
(د) فى منظمة دينية .
(هـ) فى النقـــابة .
(و) فى أمـــاكن أخرى .

٢٨ ــ كيف تقضى اجازتك الأسبوعية ؟

(أ) فى المقهى .

(ب) فى نادى ريفى .

(جا فى البيت .

(د) فى منظمة دينية .

(هـ) فى النقـــابة

(و) فى أماكن أخرى .

٢٩ ــ هل تذهب الى السينما ؟ نعم ... لا ...

٣٠ ــ كم مرة تذهب الى السينما ؟

(أ) مرة فى الأسبوع .

(ب) مرتان فى الأسبوع .

(جـ) ثلاث مرات فى الأسبوع .

(د) أربع مرات فى الأسبوع .

(هـ) أكثر من أربع مرات فى الأسبوع .

(و) مرة فى الشهر .

(ز) مرتان فى الشهر .

(ح) نـــادراً .

٣١ ــ كيف تقضى اجازتك السنوية ؟

(أ) فى المقهى .

(ب) فى نادى ريفى .

(جـ) فى البيت .

(د) فى منظمة دينية .

(هـ) فى القـرية .

٤٢ — كم أجــــرك ؟
(أ) فى الأسبوع ... قرشا .
(ب) فى الأسبوعين ... قرشا .

٤٣ — هل لك موارد أخرى ؟ نعم ... لا ...

٤٤ — اذا كانت لك موارد أخرى ، فكم تحصل شهريا منها ؟ .. قرشا

٤٥ — كم تنفق على الايجار فى الشهر ؟ ... قرشا .

٤٦ — كم تنفق على الطعام فى الشهر ؟ ... قرشا .

٤٧ — كم تنفق على التدخين فى الشهر ؟ ... قرشا .

٤٨ — كم تنفق على الشاى والقهوة فى الشهر ؟ ... قرشا .

٤٩ — كم تنفق على المواصلات فى الشهر ؟ ... قرشا .

٥٠ — كم تنفق فى دفع الديون فى الشهر ؟ ... قرشا .

٥١ — كم تنفق فى النفقة الشرعية فى الشهر ؟ ... قرشا .

٥٢ — كم تنفق على السينما فى الشهر ؟ ... قرشا .

٥٣ — كم ترسل لأقاربك من نقود فى الشهر ؟ ... قرشا .

٥٤ — هل توفر شيئا ؟
(أ) نعم ... كم تدخر ؟ ... قرشا .
(ب) لا ...
(للمستفير) كيف يقارن المتصرف بالدخل ؟
(أ) المتصرف أقـل .
(ب) المتصرف يوازى الدخـل .
(ج) المتصرف أكثر .

(ط) بيانات عن الزواج والاسرة (للعمال المتزوجين فقط) :

٥٥ — هل تزوجت قبل زوجتك الحالية ؟ نعم ... لا ...

٥٦ — اذا كنت تزوجت قبل زوجتك الحالية ، فكم مرة تزوجت ؟

٥٧ — ما سبب زواجك من زوجتك الأولى أو الحالية (إذا كانت هي الأولى) ؟

(أ) لصيانة نفسك .

(ب) ليكون لك من يخدمك .

(جـ) ليكون لك أطفال .

(د) لأسباب أخرى .

٥٨ — ما سبب زواجك من زوجتك الثانية ؟

(أ) عدم الوفاق مع الزوجة الأولى .

(ب) وفاة الزوجة الأولى

(جـ) عقم الزوجة الأولى .

(د) لأسباب أخـــرى .

٥٩ — ما سبب زواجك من زوجتك الثالثة ؟

(أ) عدم الوفاق مع الزوجة الثانية .

(ب) وفاة الزوجة الثانية .

(جـ) لأسباب أخرى .

٦٠ — كم كان عمرك عندما تزوجت زوجتك الأولى ؟ (أو الحالية أن كانت هي الأولى ؟) ... سنة .

٦١ — كم كان عمر زوجتك الحالية عندما تزوجتها ؟ ... سنة .

٦٢ — كم عدد أطفالك من زوجتك الحالية ؟

٦٣ — كم عدد أطفالك من زوجتك الأولى ؟

(و) فى القـــاهرة .
(ز) فى أعمال عرضية .
(ح) فى استذكار الدروس .
(ط) فى البيت والمقهى .
(ى) أشتغل نظير أجر اضافى .
(ك) فى أماكن أخرى .

(ز) بيانات عن التعليم :

٣٢ ــ هل تعرف القراءة والكتابة ؟ نعم ... لا ...

٣٣ ــ ما درجة معرفتك بها ؟

(أ) بصـــــعوبة .
(ب) جيدة (أنهيت التعليم الأولى ؛ أى ٤ سنوات تعليم
(جـ) جيدة جدا (حاصل على الشهادة الابتدائية أو ما يعادلها

٣٤ ــ أين تعلمت القراءة والكتابة ؟

(أ) فى المدرســــة .
(ب) فى كتاب القرية أو مركز محو الأمية .

٣٥ ــ هل تقــرأ الجرائد ؟ نعم ... لا ...

٣٦ ــ أى الجرائد تقرأ .

(أ) الأخبـــار .
(ب) الأهـــــرام .
(جـ) الجمهورية .
(د) روز اليوسف .
(هـ) آخـــر ساعة

(و) التحرير .

(ز) البعكوكة .

(ح) الكواكب .

(ط) المصور .

٣٧ — كيف تحصل على الجريدة ؟

(أ) تستعيرها .

(ب) تشتريها .

(جـ) تستعيرها تارة وتشتريها تارة أخرى .

٣٨ — هل تقرأ كتبا ؟ نعم ... لا ...

٣٩ — هل تدرس فى مدرسة ليلية ؟ نعم ... لا ...

٤٠ — ما الدراسة التى درستها ؟

(أ) دراسة محو الأمية .

(ب) دراسة ابتدائية .

(جـ) دراسة أعدادية .

(د) دراسة ثانوية .

(هـ) دراسة الفنية .

(و) تدريب فنى .

(ح) بيانات عن الميزانية .

٤١ — كيف تأخذ أجرك ؟

(أ) بالأسبوع .

(ب) كل أسبوعين (بالمدة) .

٦٤ ــ كم عدد أطفالك من زوجتك الثانية ؟

٦٥ ــ كم عدد أطفالك من زوجتك الثالثة ؟

٦٦ ــ هل تود أن تخلف أطفالا زيــادة عما عندك ؟ نعم ... لا ... ارادة الله ...

٦٧ ــ اذا كان الجواب بالنفى ، فلماذا ذلك ؟

(أ) أسباب اقتصادية .

(ب) راحة الزوجة (أى لعوامل جسمية ونفسية) .

(جـ) أسباب أخرى .

٦٨ ــ اذا كنت لاتود أطفالا زيادة عما عندك ، فهل تمارس أية طريقة لضبط النسل ؟ نعم ... لا ...

٦٩ ــ اذا كنت لا تود أطفالا زيادة ، ولا تمارس ضبط النسل ؟ فلماذا ذلك ؟

(أ) أسباب دينيــة .

(ب) الجهل بالمعلومات .

(جـ) لا تحب ذلك .

(د) زوجتك لا تحب ذلك .

(هـ) أسباب أخرى .

٧٠ ــ هل تود أن تمارس ضبط النسل اذا تيسر لك ؟ نعم ... لا ...



ملحق رقم (٢) :

نموذج لاستمارة استفتاء
القيم الاجتماعية في المجتمع الكويتي (١)

(الاستفتاء الخاص بالطلبة)

يهدف هذا البحث الى الوقوف على القيم الاجتماعية السائدة في المجتمع الكويتي ، والتعرف على الاتجاهات العامة للتغير في الاطار القيمي في مجالات العلم ، والدين ، والأسرة ، والسياسة ، والاقتصاد والعلاقات الاجتماعية .

وان مساهمتك في هذا البحث ، والتزامك الدقة فيما تدلي به من بيانات ، سيساعد بدون شك في الوصول الى الحقائق العلمية المتعلقة بهذا الموضوع ، وفي وضع خطة لتطوير القيمي تساعد على تحقيق الاهداف التي يبتغيها المجتمع في مسيرته نحو التقدم والنمو .

وقد صمم هذا الاستفتاء بطريقة تمكنك من الاجابة عليه بسهولة وباقل جهد ممكن ، وفي اقصر وقت مستطاع .... وكل ما نطلبه منك هو أن تحدد الاستجابة التي ترى أنها تعبر عن وجهة نظرك ، والتي تعتقد أن من المرغوب فيه أن تتحقق بصورة ما ، علما بانه ليست هناك أجابات صحيحة او اجابات خاطئة ، بل الجواب الوحيد هو تعبيرك عن رأيك الخاص .

ورجائي الا تكتب اسمك على هذا الاستفتاء ضمانا لسرية المعلومات التي تدلي بها ، مع خالص الشكر والتحية ..

دكتور عبد الباسط محمد حسن

(١) عبد الباسط محمد حسن : القيم الاجتماعية في المجتمع الكويتي مع دراسة ميدانية للقيم الاجتماعية في محيط شباب الجامعة ، ١٩٧٤ .

● المجموعة الأولى — بيانات أولية :

(الهدف من أسئلة هذه المجموعة هو الحصول على بعض المعلومات التي تساعد على تفسير نتائج هذه الدراسة) .

١ — الكلية المقيد بهـا :

٢ — الفرقـة الدراسية :

٣ — التخصـص :

٤ — العمـر :

٥ — الديـانة : مسلم ( ) مسيحي ( )

٦ — النـوع : ذكر ( ) أنثى ( )

٧ — الحالة الزواجيـة : غير متزوج ( ) متزوج ( )

٨ — الجنسيـة :

٩ — محل ميـلاد الأب :

١٠ — جنسيـة الأب :

١١ — محل ميـلاد الأم :

١٢ — جنسيـة الأم :

١٣ — الحالة التعليمية للأب :

أمي ( )
يقرأ ويكتب بدون شهادة تعليمية ( )
أتم المرحلة الابتدائية ( )
أتم المرحلة المتوسطة ( )
أتم المرحلة الثانوية ( )
أتم المرحلة الجامعية ( )

١٤ — الحالة التعليمية للأم :

أمية ( )
تقرأ وتكتب بدون شهادة تعليمية ( )
أتمت المرحلة الابتدائية ( )
أتمت المرحلة المتوسطة ( )
أتمت المرحلة الثانوية ( )
أتمت المرحلة الجامعية ( )

١٥ ـ مهنة الوالـــــــد :

١٦ ـ متوسط دخل الأسرة فى الشهر :

١٧ ـ عدد أفراد الأســــرة :

١٨ ـ الطبقة الاجتماعية التى تعتقد أنك تنتمى اليها :

الطبقة الغنية	( )
الطبقة فوق المتوسطة	( )
الطبقة المتوسطة	( )
الطبقة دون المتوسطة	( )
الطبقة الفقيرة	( )

● المجموعة الثانية :

العبارات التالية تتضمن أحكاما عامة تتعلق بمختلف جوانب الحيـــاة الاجتماعية ، وقد صيغت بطريقة ايجابية أو سلبية لتتمشى مع مقتضيـــات البحث العلمى دون أن يعنى ذلك أنها تعبر عن وجهة نظر القائم بالاستفتاء .

والمطلوب أن تذكر رأيك فى مضمون كل منها بحيث توضح مدى موافقتك أو عدم موافقتك على ما تتضمنه كل عبارة من أحكام وفقا للاستجابات الاربعة التـــالية :

موافق جــدا .

موافق الى حد ما .

غير موافق الى حد ما .

غير موافق بالمرة (نهائيا) .

ضع علامة (x) فى الخانة التى تعبر عن نوع الاستجابة التى ترى أنها تعبر عن وجهة نظرك .

الرقم	العبارة	موافق جدا	موافق الى حد ما	غير موافق الى حد ما	غير موافق نهائيا
	(أ) القيم فى مجال العلم :				
١٩	كل شىء فى العالم محكوم بقوانين علمية .				
٢٠	التفكير العلمى هو السبيل الوحيد الى معرفة الحقيقة .				
٢١	رجال الدين من أصحاب الكرامات والخوارق قادرون على تعطيل قوانين الطبيعة .				
٢٢	تقاس حضارة أى شعب بمقدار ما يقدمه للبشرية من مبتكرات علمية ومنجزات فكرية				
٢٣	مهما حاول الانسان أن يخطط لحياته ، فان الصدفة فى النهاية هى التى تتحكم فى مستقبل الانسان ومصيره .				
٢٤	الأفكار العلمية والجامعات والمكتبات الاساس فى تغير المجتمعات وتطورها .				
٢٥	ينبغى الاعتماد على التفسيرات العلمية للظواهر ، والابتعاد عن التفسيرات الدينية والفلسفية .				

الرقم	العبارة	موافق جدا	موافق الى حد ما	غير موافق الى حد ما	غير موافق نهائيا
٢٦	من الافضل أن يدرس الانسان العلوم الطبيعية كالكيمياء والفزياء عن أن يصرف حياته فى دراسة العلوم الانسانية والادبية .				
٢٧	الدراسات العلمية أكثر فائدة للمجتمع من الدراسات النظرية .				
٢٨	ليس من الضرورى أن يكون الانسان مزودا بثقافة علمية طالما أنه من أصحاب التخصصات الدقيقة .				
٢٩	أهم ابواب الميزانية الحكومية هو ما يخصص لانشاء المدارس والمعاهد والجامعات والمكتبات العلمية .				
٣٠	دور العلم لا تقل فى قداستها عن دور العبادة .				
٣١	خير من تنجبهم البشرية هم العلماء والمفكرون .				
٣٢	علماء الطبيعة أعظم قدرا عند الله من علماء الدين .				

الرقم	العبارة	الاستجابة			
		موافق جدا	موافق الى حد ما	غير موافق الى حد ما	غير موافق نهائيا
٣٣	لا أمل فى حياة فكرية معاصرة الا اذا أغفلنا التراث العربى القديم واتجهنا بكل قوانا الى علوم العصر .				
٣٤	تسخر الاكتشافات العلمية فى أعمال الدمار، ولذا ينبغى تجميد البحوث العلمية .				
	خير للمجتمع أن يصل حاضره بماضيه من غير جمود .				
٣٥	ينبغى أن يقتصر القبول فى الجامعة على الطلبة المتفوقين فقط .				
٣٦					
٣٧	يجب تجنب الدراسة المختلطة فى الجامعة .				
٣٨	ينبغى أن تهتم الجامعة بتنمية المعارف والعلوم أكثر من اهتمامها بحل مشكلات المجتمع .				
٣٩	من الأفضل أن تنسق معاهد التعليم العالى سياسة القبول مع احتياجات القطاعات المختلفة فى المجتمع من المتخصصين .				

الرقم	العبارة	الاستجابة موافق جدا	موافق الى حد ما	غير موافق الى حد ما	غير موافق نهائيا
	(ب) القيم فى مجال الدين :				
٤٠	سعادة الانسان مرتبطه بايمانه بالدين .				
٤١	كلما تعمقنا فى دراسة أسرار الكون ازددنا ايمانا بالله .				
٤٢	ضعف الوازع الدينى فى نفوس الأفراد هو السبب فى أغلب المشكلات النفسية الاجتماعية .				
٤٣	يجب اعتبار الدين علاقة بين الانسان وخالقه ، وتنحيته عن أمور السياسة والعلم والمجتمع .				
٤٤	القوانين السماوية اقدر على حل مشكلات الناس من القوانين الوضعية .				
٤٥	الحلول الدينية للمشكلات لا تتمشى مع الحلول العصرية لها .				
٤٦	يجب محاربة الفلسفات والمذاهب التى تعارض الدين .				

الرقم	العبارة	موافق جدا	موافق الى حد ما	غير موافق الى حد ما	غير موافق نهائيا
٤٧	سيطرة الدين على شئون الحياة فى المجتمع معناه الجمود والتأخر .				
٤٨	ينبغى تجنب الناس الذين لا يؤدون الفرائض الدينية .				
٤٩	ينبغى أن يلعب المسجد أو الكنيسة دورا دينيا وثقافيا واجتماعيا وسياسيا فى المجتمع .				
٥٠	يجب أن يكون البرامج الدينية أكبر نصيب فى الاذاعة والتليفزيون .				
٥١	يجب أن يهتم المسئولون بالمجلات الدينية أكثر من اهتمامهم بالمجلات الادبية والفنية .				
٥٢	يجب فرض رقابة صارمة على المجلات والكتب والأفلام التى تنشر أفكارا تهدد القيم الدينية .				
٥٣	يجب ألا يكون للمجتمعات أو الهيئات الدينية سيطرة من أى نوع على الأجهزة السياسية فى المجتمع .				

الرقم	العبارة	الاستجابة			
		موافق جدا	موافق الى حد ما	غير موافق الى حد ما	غير موافق نهائيا
٥٤	يتميز علماء الدين على غيرهم من الناس بأنهم يراعون الله فى أعمالهم				
٥٥	علماء الدين أقدر الناس على حل مشكلات الأفراد والجماعات .				
٥٦	يجب أن يحظى علماء الدين بالمكانة العليا فى المجتمع .				
٥٧	التمسك بالمبادىء الدينية لا يتعارض مع الاخذ بالاسلوب العلمى فى التفكير .				
٥٨	الحقائق العلمية تقربنا الى الله ولاتبعدنا عنه .				
٥٩	يجب أن يؤمن الانسان بكافة الافكار والعقائد الدينية حتى الأفكار التى لايقوم عليها دليل أو برهان مادى ملموس				
٦٠	يجب أن يتمتع اصحاب الديانات المختلفةبحريتهم الكاملة فىاقامة الشعائر الدينية .				
٦١	يجب أن يكون لاصحاب الديانات المختلفة الحق فى تولى كافة المناصب فى المجتمع .				

الرقم	العبـــارة	الاســـتجابة			
		موافق جدا	موافق الى حد ما	غير موافق الى حد ما	غير موافق نهائيا
	(جـ) القيم فى مجال الأسرة :				
٦٢	من حق الشـــباب أن يختار شريكة حياته بدون تدخل من جانب الوالدين أو الأقارب .				
٦٣	اختـــيار الزوج للفتاة ينبغى أن يكون وقفا على الفتاة وحدها بدون تدخل من جانب الوالدين				
٦٤	اختيـــار الزوج أو الزوجة يكـــون , بتبادل الرأى بين الآباء والابناء من غير اكراه .				
٦٥	اختـــلاط الجنســـين أفضل الوســـائل لحسن الاختيار للزواج .				
٦٦	من الافضـــل أن يتم الزواج من بين الاقارب.				
٦٧	ليس من الضرورى أن تكـــون الفتاة التى يختارها الشـاب للزواج متعلمة طالما كانت تنتمى الى أسرة لهـــا مكـــانة اجتماعية مرموقة .				
٦٨	من حق الفتاة أن ترفض من يتقدم لخطبتهـــا حتى لو وافق والداها .				

الرقم	العبارة	الاستجابة			
		موافق جدا	موافق الى حد ما	غير موافق الى حد ما	غير موافق نهائيا
٦٦	الرجل الذى يكبر زوجته بعشرين أوثلاثين عاما أقدر على اسعادها وتوفير الحياة الاسرية المستقرة لها من الشاب الذى يقاربها فى السن.				
٧٠	ينبغى التوسع فى حفلات الزواج حيث انها مناسبات لاتتكرر .				
٧١	من الخير أن يلغى الزواج وتحل محله علاقات حرة تماما .				
٧٢	تستطيع دور الحضانة أن تقوم بتربية الأبناء بطريقة افضل مما يقوم به الأمهات .				
٧٣	من الأفضل أن تقوم علاقة الابناء بآبائهم على اساس احترامهم للآباء بدلا من الخوف منهم .				
٧٤	من حق الابن أن يشير الى خطأ والده اذا أخطأ عملا بقاعدة : الدين النصيحة .				
٧٥	يجب الا يفرق الآباء فى المعاملة بين الذكور والاناث .				

الرقم	العبارة	الاستجابة			
		موافق جدا	موافق الى حد ما	غير موافق الى حد ما	غير موافق نهائيا
٧٦	من الافضل ان تلجأ الفتاة لاحدى صديقاتها لتساعدها فى حل المشكلات التى تصادفها بدلا من اعتمادها على الوالدين او الاخوة او الاخوات .				
٧٧	من حق الابن الاكبر فى الاسرة أن يكون له مركز أعلى من مراكز اخوته الآخرين .				
٧٨	يجب أن يترك الاباء لاولادهم حرية اختيار التعليم الذى يناسب ميولهم .				
٧٩	يجب أن يترك الآباء لأولادهم حرية اختيار المهنة التى يرغبون فيها بعد انتهاء الدراسة .				
٨٠	من الأفضل أن توضع السلطة الاسرية فى يد كبير الاسرة مهما كانت درجة ثقافته .				
٨١	يجب أن يكون رب الاسرة السيد المطلق فى البيت .				
٨٢	ليس من حق الابناء أن يتمردوا على سلطة آبائهم مهما كانت الأسباب				

الرقم	العبارة	الاستجابة				
		موافق جدا	موافق الى حد ما	غير موافق الى حد ما	غير موافق نهائيا
٨٣	يجب أن يشرك الرجل زوجته فى كافة القرارات المتعلقة بالاسرة .				
٨٤	ليس من حق الزوجة أن تتصرف فى ممتلكاتها الخاصة بغير اذن من زوجها .				
٨٥	وظيفة الرجل فى الاسرة هى العمل ، ووظيفة المرأة خدمة الزوج				
٨٦	ادارة شئون المنزل ينبغى أن تكون وقفا على الزوجة وحدها .				
٨٧	خلقت المرأة لتكون متعة للرجل .				
٨٨	يجب تشجيع الناس فى المجتمع على كثرة الانجاب .				
٨٩	الذكور أكثر نفعا للاسرة من الاناث .				
٩٠	جمع الرجل بين أكثر من زوجه فيه اهدار لكرامة المرأة .				
٩١	لا مانع من تعدد الزوجات للقادرين من الناحية المادية .				

الرقم	العبارة	موافق جدا	موافق الى حد ما	غير موافق الى حد ما	غير موافق نهائيا
٩٢	تعدد الزوجات حل طيب لمشكلة زيادة عدد النساء .				
٩٣	الطلاق حل سليم للزواج غير السعيد .				
٩٤	يجب أن يكون الطلاق وقفا على ارادة الزوج وحده .				
٩٥	يجب طلاق الزوجة اذا ثبت أنها ارتكبت خيانة زوجية .				
٩٦	قسوة الزوج وسوء معاملته لا يكفيان كسبب للطلاق :				
٩٧	عقم الزوج سبب غير كاف للطلاق .				
٩٨	الزواج عقد شرعى لا ينبغى فصمه مهما كانت الاسباب .				

الرقم	العبارة	الاستجابة			
		موافق جدا	موافق الى حد ما	غير موافق الى حد ما	غير موافق نهائيا
	(د) القيم فى مجال السياسية :				
٩٩	الانسان المثقف هو الذى يكون لديه المام كاف بالاحداث السياسية التى تجرى فى مختلف انحاء العلم .				
١٠٠	افضل الاوقات هى التى يقضيها الانسان فى الأحاديث والمناقشات السياسية .				
١٠١	ينبغى أن يكون لكل فرد فكر سياسى يتمسك به ويدافع عنه .				
١٠٢	من الأفضل ان يقضى الانسان وقته فى قراءة الكتب التى تتناول حياة الزعماء ورجال السياسة عن أن يقضى وقته فى قراءة أى نوع آخر من الكتب .				
١٠٣	ينبغى التوسع فى انشاء التنظيمات والأحزاب السياسية وحث الأفراد على الاشتراك فيها .				

الرقم	العبارة	موافق جدا	موافق الى حد ما	غير موافق الى حد ما	غير موافق نهائيا
١٠٤	ينبغى أن يكون للاحاديث والندوات السياسية النصيب الأكبر فى برامج الاذاعة والتليفزيون .				
١٠٥	الزعماء والقادة ورجال السياسة والحكم هم الصفوة المختارة فى المجتمع .				
١٠٦	القائد أو الزعيم هو الذى يصنع اتراى العلم ، ولذا ينبغى أن يكون له وحده حق صنع القرارات السياسية .				
١٠٧	لا ينبغى أن تتغير سياسة الدولة بتغير أنماط الزعامات والقيادات السياسية الحاكمة ضمانا للاستقرار فى المجتمع .				
١٠٨	ينبغى ان يكون لكل مواطن كفء الحق فى الوصول الى أعلى المناصب فى الدولة .				
١٠٩	ينبغى ألا تتولى رسم السياسية العامة للدولة جماعة واحدة تجلس فى مركز القوة حتى لاتحتكر سلطة التحكم والتوجيه				

الرقم	العبارة	موافق جدا	موافق الى حد ما	غير موافق الى حد ما	غير موافق نهائيا
١١٠	لا تتحقق الحرية السياسية فى المجتمعات الطبقية .				
١١١	الرقابة الشعبية على كافة الاجهزة السياسية ضرورة اساسية لتحقيق التقدم .				
١١٢	من الأفضل معالجة أخطاء الحكم الديمقراطى فى أى مجتمع بمنح المواطنين مزيدا من الديمقراطية .				
١١٣	للحاكم فى اى مجتمع الحق فى أن يتنكر لمبادىء الأخلاق والدين ليحافظ على سلطته .				
١١٤	أنصار منح المرأة حق الانتخاب ليسوا على حق فى دعواهم .				
١١٥	تمثيل المرأة فى المجالس النيابية ليس مطلبا عادلا .				
١١٦	كلما تضخم الجهاز الادارى فى الدولة كان ذلك أدعى الى تعطيل مصالح المواطنين .				

الرقم	العبارة	الاستجابة			
		موافق جدا	موافق الى حد ما	غير موافق الى حد ما	غير موافق نهائيا
١١٧	كلما أعطيت للموظف حرية اتخاذ القرارات أدى ذلك الى كثرة الأخطاء والى فساد الجهاز الادارى .				
١١٨	ينبغى توظيف الأفراد على أساس الكفاءة والخبرة لا على أساس القرابة أو الوساطة أو غير ذلك من الاعتبارات الشخصية .				
١١٩	ينبغى أن توضع المصلحة الجماعية فوق كل اعتبار وان أدى ذلك الى التضحية بمصالح الأفراد .				
١٢٠	ينبغى أن تكون لكل دولة السلطة المطلقة فى كل ما يتعلق بحقها فى تقرير مصيرها بعيدا عن أى ضغط خارجى				
١٢١	لكل دولة الحق فى أن تفعل ما تشاء دفاعا عن وجودها ومصالحها دون التقيد بقيود الأخلاق أو القانون .				

م	العبارة	الاستجابة			
		موافق جدا	موافق الى حد ما	غير موافق الى حد ما	غير موافق نهائيا
١٢٢	لاينبغى أن يتجه ولاء الفرد فى دولة ما الى حركة سياسية معينة أو تنظيم دولى أو الى مؤسسات خارج حدود دولته .				
١٢٣	ليس من حق أى دولة أن تسعى الى اثارة الرأى العام فى داخل أى دولة أخرى عن طريق أحزاب أو جماعات تشاركها أفكارها السياسية ومعتقداتها الأيديولوجية				
١٢٤	من الضرورى على كل دولة أن تخوض الحرب اذا ماشعرت أن بقاءها أو كيانها القومى أو الاقليمى أصبحا موضع تهديد .				
١٢٥	الحرب هى الحل الطبيعى للخلافات التى تنشب بين الدول .				

الرقم	العبـــارة	موافق جدا	موافق الى حد ما	غير موافق الى حد ما	غير موافق نهائيا
		الاســـتجابة			
١٢٦	لا ينبغى لاية دولة فى العالم — مهما بلغت قوتهـــا — ان تتجاهل الرأى العام العالمى .				
١٢٧	ينبغى تدعيم المنظمات العالمية — كهيئة الامـــم ومجلس الأمن — لتتمكن من حل الخلافات الدولية بالطرق السلمية .				
١٢٨	القوة النووية الرهيبة التى تملكهـــا الـــدول الكبـــرى تجعـــل من المواجهة بينها امرا غير مرغوب فيه .				

الرقم	العبارة	موافق جدا	موافق الى حد ما	غير موافق الى حد ما	غير موافق نهائيا
	(هـ) القيم فى مجال الاقتصاد :				
١٢٩	كل ما يريده الانسان يستطيع الحصول عليه بواسطة المال .				
١٣٠	تحصيل الثروة هو السبيل الى تحقيق السعادة .				
١٣١	يزداد تقديرنا للأشياء التى ترتفع قيمتها الاقتصادية بغض النظر عن اى اعتبار اخر .				
١٣٢	الاقتصاد أساس الحياة ، وعليه تتوقف كافة الاوضاع السياسية والقانونية والفكرية والاخلاقية .				
١٣٣	العلاقات القوية بين الافراد هى التى تعتمد على تبادل المنافع والمصالح الاقتصادية .				
١٣٤	من الافضل ان يستغل الانسان وقت فراغه فى مشروع تجارى أو عمل يدر عليه ربحا .				
١٣٥	الانسان الذى يتمتع بثقافة اقتصادية اقدر من غيره على تفهم مشكلات العصر .				

الرقم	العبارة	الاستجابة			
		موافق جدا	موافق الى حد ما	غير موافق الى حد ما	غير موافق نهائيا
١٣٦	من الأفضل أن يصرف الانسان وقته فى قراءة الكتب التى تتناول حياة العصاميين من رجال الاقتصاد عن أن يقضى وقته فى قراءة الكتب الفلسفية أو الدينية أو الادبية .				
١٣٧	رجال المال والاعمال أكثر الناس دقة فى العمل وقدرهم على تفهم الظروف الحاضرة والمستقبلة .				
١٣٨	ينبغى أن ينفق الفرد كل ما يتحصل عليه ما دامت سبل الرزق ميسورة .				
١٣٩	ينبغى أن يكون القادة الحقيقيون فى المجتمع من رجال المال والاعمال ..				
١٤٠	يجب تجميع المدخرات الوطنية واستغلالها فى المشاريع الانتاجية بدلا من ايداعها فى البنوك المحلية أو الاجنبية .				

الرقم	العبارة	موافق جدا	موافق الى حد ما	غير موافق الى حد ما	غير موافق نهائيا
١٤١	الاحتفاظ بالاموال في شراء المجوهرات افضل من ايداعها في البنوك والمصارف حيث تكون رضة لتقلبات اسعار العملة .				
١٤٢	ان زيادة الاعتماد على الآلات الحديثة في الانتاج سيؤدى الى مزيد من البطالة .				
١٤٣	يتوقف النمو الاقتصادى في المجتمع على اشتراك المراه مع الرجل في كافة مجالات الحياه الاقتصادية .				
١٤٤	النظام الطبقى ضرورة اساسية في كل مجتمع				
١٤٥	ينبغى ان يقوم النظام الاقتصادى في المجتمع على اساس عدم تدخل الدولة في عمليات الانتاج او الاستهلاك او التبادل او العمل .				
١٤٦	المنتج الذى يسعى لتحقيق مصلحته الشخصية يسعى في الوقت نفسه الى تحقيق مصلحة المجتمع .				

الرقم	العبارة	موافق جدا	موافق الى حد ما	غير موافق الى حد ما	غير موافق نهائيا
١٤٧	ينبغى عدم التفكير فى تحديد الملكيه الفرديه او تقييدها باى شكل من الاشكال .				
١٤٨	تحديد الأجر حق مطلق لصاحب العمل دون العمال .				
١٤٩	يجب مساواة المرأة فى الاجر على نفس العمل .				
١٥٠	يقوم كل من النظام الاقطاعى والرأسمالى على استغلال الانسان لاخيه الانسان .				
١٥١	لا تتمثل المشكلة الاقتصادية فى اى بلد فى نقص الموارد بقدر ما تتمثل فى تفاوت الثروات والدخول .				
١٥٢	مبدأ الضريبة التصاعدية هو الكفيل بتقريب الفوارق بين الطبقات .				
١٥٣	الاساليب الاصلاحية فى حل المشكلات الاقتصادية افضل بكثير من الاجراءات الثورية .				

الرقم	العبارة	موافق جدا	موافق الى حد ما	غير موافق الى حد ما	غير موافق نهائيا
١٥٤	ان التفكير فى عالم يتآخى فيه صاحب العمل مع العامل تفكير مثالى لا يمكن أن يتحقق فى عالم الواقع .				
١٥٥	يجب أن يكون العمل الذى يقوم به الفرد هو المعيار الوحيد لتقييمه فى المجتمع .				
١٥٦	الاشتراكية فلسفة خيالية لا تصلح لتطبيق العملى .				
١٥٧	أى نظام اقتصادى يعارض الملكيه الفردية لا يمكن أن يقدر لـــه النجاح .				
١٥٨	التخطيط المركزى الشامل الذى تقوم بـــه لجهزه الدولة هـــو الاسلوب الناجح لتحقيق كفاية الانتاج .				
١٥٩	ينبغى استخلاص نظرية اقتصادية متكاملة من الاسلام والعمل على تطبيقهـــا فى حياتنـــا الحاضرة .				

الرقم	العبارة	موافق جدا	موافق الى حد ما	غير موافق الى حد ما	غير موافق نهائيا
	(و) قيم اجتماعيه علمة :				
١٦٠	من الافضل أن تكون علاقة الرجل بجيرانه سطحيه حتى لا يتورط معهم فى مشكلاتهم .				
١٦١	ينبغى الا نحسن الظن بالناس ، فكل منهم يعمل لمصلحته فقط .				
١٦٢	يجب أن يكون الانسان الفرد مقياس الحق ، فما يراه حقا فهو حق، وما يراه باطلا فهو باطل .				
١٦٣	من الضرورى أن يتمسك الفرد بالسلوك الاجتماعى الذى يتمشى مع قواعد الاخلاق .				
١٦٤	سعادة الاكثرية من الناس ينبغى أن تكون المعيار الاخلاقى الوحيد لتحديد الخطا والصواب .				

الرقم	العبارة	موافق جدا	موافق الى حد ما	غير موافق الى حد ما	غير موافق نهائيا
١٦٥	من الافضل تسوية الخلافات بين الناس بالطرق الودية بدلا من الدخول فى اجراءات قضائية معقدة .				
١٦٦	قراءة الصحف والمجلات أكثر متعة من زيارة المعارف والاصدقاء .				
١٦٧	ينبغى ان يتمسك كل فرد فى المجتمع بالعادات والتقاليد الاجتماعية الأصيلة لانها جزء من التراث الحضارى .				
١٦٨	من الافضل بناء المساكن فى الكويت وفقا لنمط العمارة العربية حيث ان النمط الغربى خلو من البساطة والذوق .				

● المجموعة الثالثة :

(أ) حضرت مجلسا يضم مجموعة من الشخصيات (انظر القائمة المكتوبة). رتبها وفقا لدرجة تقديرك لها بحيث تضع رقم (١) أمام الشخصية التى ينال صاحبها القدر الأكبر من تقديرك يليه الرقم (٢) لصاحب الشخصية التالية وهكذا ...

(ليس المهم أن يكون ترتيبك لتلك الشخصيات وفقا لما يتقاضاه كل منهم من مرتب ، ولكن المهم أن يتم ذلك التقدير وفقا لنوع العمل الذى يقوم به كل منهم كالتعليم أو العلاج أو المحافظة على الأمن ... وهكذا) .

طبيب	مهندس
مزارع	أديب
فنان	قاضى
ضابط	عامل
مدرس	أستاذ جامعى
تاجر	مدير مصنع
ربة بيت	وزير
مدير أحد البنوك	عضو مجلس أمة
رجل دين	بطل رياضى

(ب) فى أحد الأحياء الجديدة كانت هناك حاجة الى انشاء مجموعه من المؤسسات (انظر القائمة المكتوبة) ، غير أن الامكانيات المادية المتوفرة لم تكن تسمح الا بانشاء عدد محدود منها . فما هى المؤسسات التى ترى أن من الأفضل البدء بها (رتبها بحيث تضع الرقم (١) أمام المؤسسة التى تفضل البدء بانشائها ، ثم الرقم (٢) أمام المؤسسة التالية ... وهكذا) .

مكتبة عامة	مصنع
نادى رياضى	مستشفى
مدرسة	مؤسسة لرعاية المعوقين
سينما أو مسرح	مسجد
متحف	بنك

***

ملحق رقم (٢) :

نموذج لاستمارة مقابلة
الطبقة الاجتماعية والسلوك الانجابى (١)

بيانات هذه الاستمارة سرية ولا تستخدم الا فى أغراض البحث العلمى

---

(١) السيد محمد الحسينى : الطبقة الاجتماعية والسلوك الانجابى ، دراسات سكانية ، جهاز تنظيم الأسرة والسكان — مكتب البحوث ، يونيو ١٩٧٦ .

ملحوظة : يضع الباحث علامة (x) أمام الاجابة المناسبة ، وتكتب الاجابة على الأسئلة التى تحتاج الى رد كامل بوضوح .

أولا — بيانات عامة :

١ — الاســم :

٢ — السن : من ٢٠ — ٣٠ ( )
٣٠ — ٤٠ ( )
٤٠ — ٥٠ ( )
٥٠ — ٦٠ ( )
٦٠ فأكثــر ( )

٣ — النـــــوع : ذكر ( ) انثــى ( )

٤ — الديانة : مســـلم ( ) مسيحى ( )

٥ — محل الميلاد : قريــة ( ) مركـــز ( ) عاصمة محافظة
الاسكندرية ( ) القاهرة ( )

٦ — محل الاقامة قريـــة ( ) مركـز ( ) عاصمة محافظة
الاسكندرية ( ) القاهرة ( )

٧ — الحالة الاجتماعية : متزوج ( ) مطلق ( )
ارمل ( ) منفصل ( )

ثانيا — بيانات الوضع الطبقى :

٨ — المهنة فى الريف : مالك كبير (من ٢٠ الى ٥٠ فدان) ( )
مالك متوسط (من ١٠ الى ٢٠ فدان) ( )
مالك صغير (من ٥ الى ١٠ أفدنة) ( )
عامل زراعى ( )

في الحضر : الفئة الأولى :

مالك عقـــــار . ( )

صاحب شركة ( )

مديـــــر ( )

الفئة الثانية :

صاحب ورشـــة ( )

موظف متوسط ( )

الفئة الثالثة :

صاحب حرفة أو متجر ( )

موظف صـــــغير ( )

الفئة الرابعة :

عمال حكومة ( )

عمال قطاع عام ( )

عمال حرفيون ( )

باعة جائلون ( )

٩ ـ الحالة التعليمية : أمي ( ) يقرأ فقط ( )

يقرأ ويكتب ( ) تعليم دون المتوســـط ( )

تعليم متوسط ( ) تعليم جامعي ( )

ماجستير ودكتوراه ( )

١٠ ـ المسكن والمقتنيات المنزلية :

المسكن : ملك ( ) ايجار ( )

الاضاءة : كهرباء ( ) كيروسين ( )

المياه الجارية : توجد ( ) لا توجد ( )

راديو : يوجد ( ) لا يوجد ( )

تليفزيون : يوجد ( ) لا يوجد ( )

ثلاجة : توجد ( ) لا توجد ( )

غسالة كهربائية : توجد ( ) لا توجد ( )

بوتاجاز : يوجد ( ) لا يوجد ( )

سيارة : توجد ( ) لا توجد ( )

تليفون : يوجد ( ) لا يوجد ( )

١١ — الدخل الشامل للأسرة بالتقريب :

١ — أقل من ٢٠ جنيه ( ) ٦ — ١٠٠ — ١٢٠ ( )

٢ — ٢٠ — ٤٠ ( ) ٧ — ١٢٠ — ١٤٠ ( )

٣ — ٤٠ — ٦٠ ( ) ٨ — ١٤٠ — ١٦٠ ( )

٤ — ٦٠ — ٨٠ ( ) ٩ — ١٦٠ — ١٨٠ ( )

٥ — ٨٠ — ١٠٠ ( ) ١٠ — ١٨٠ — ٢٠٠ ( )

١١ — ٢٠٠ فأكثر ( )

١٢ — انت عارف ان الناس درجات ومستويات . تفتكر انت فى أى مستوى من المستويات دى :

مستوى مرتفع ( ) مستوى متوسط ( )

أقل من المتوسط ( ) منخفض ( )

لا يستطيع تحديد المستوى ( )

ثالثا — بيانات واقعية عن السلوك الانجابى :

١٣ — يوم ما اتجوزت كان سنك كام سنة وسن مراتك كام سنة ؟

سن الزوج عند الزواج ( ) سن الزوجة عند الزواج ( )

لا يستطيع التحديد ( )

١٤ — اتجوزت واحدة بس ، واللا اكتر من واحدة ؟

واحدة ( ) أكتر من واحدة ( )

١٥ — كام عدد أفراد أسرتك اللي عايشين معاك دلوقتي ؟

أولاد ( ) بنات ( )

آخرون غير الأبناء ( )

١٦ — يا ترى خلفت أول طفل بعد كام سنة من زواجك ؟

سنة ( ) سنتان ( ) ثلاثة فأكثر ( )

لا يعرف ( )

١٧ — طب وبين الطفل الأول والثاني من أولادك كام سنة ؟

سنة ( ) سنتان ( ) ثلاثة فأكثر ( )

لا يعرف ( )

١٨ — يا ترى اتوفى منك أطفال ؟

نعم ( ) لا ( )

في حالة الاجابة بنعم يسئل السؤال رقم ١٩ :

١٩ — كام عددهم : طفل ( ) اثنان ( ) ثلاثة ( )

أربعة فأكثر ( )

٢٠ — فيه ناس بتحدد خلفها ، وناس ما بيفكروش يعملوا كده ...

يا ترى انت راضي عن الموضوع ده ؟

نعم ( ) لا ( )

لمن أجاب بنعم يسئل السؤالين ٢١ ، ٢٢ :

٢١ — وسمعت عنه منين ؟

الراديو ( ) مركز تنظيم الاسرة ( )

الصحة ( ) طبيب الوحدة ( )

أمام المسجد ( ) الأبناء المتعلمين ( )
الأقارب ( ) الجيران ( )
كل هذه المصادر ( ) مصادر أخرى (تذكر .....)
التليفزيون ( )

٢٢ــ فى رأيك .. ايه الحاجة اللى الست ممكن تستخدمها علشان تمنع الخلف ؟

وصفات بلدية	( )	حبوب منع الحمل	( )
اللولب	( )	الواقى الذكرى	( )
الواقى الرحمى	( )	العزل	( )
الاجهاض	( )	القذف الخارجى	( )
وسائل أخرى (تذكر ...)		لا يعرف	( )
الحقن	( )	فترة الأمان	( )

٢٣ ــ بالنسبة لنفسك .. انت بتنظيم الخلف والا لا ؟

نعم ( )
لا ( )

لمن تجيب بنعم يسئل السؤالين ٢٤ ، ٢٥ :

٢٤ ــ ايه يا ترى اللى دفعك لتحديد النسل ؟
ظروف المعيشة ( ) صحة الأم
الاقتناع بتحديد النسل ( ) كثرة الأولاد
ظروف أخرى (تذكر ....) .

٢٥ ــ وامتى يا ترى استعملتم وسائل منع الحمل ؟
قبل انجاب الطفل الأول ( )
بعد انجاب الطفل الأول ( )

بعد انجاب الطفل الرابع ( )
بعد انجاب الطفل الثانى ( )
بعد انجاب الطفل الثالث ( )

رابعاً — بيانات اتجاهية :

(أ) قيم واتجاهات متعلقة بالموقف السكانى وحجم الأسرة :

٣٦ — تفتكر فيه مشكلة بالنسبة لكثرة السكان فى مصر ؟

توجـد مشكلة ( ) لا توجـد مشكلة ( )

لمن أجاب بأن هناك مشكلة يسئل السؤلين ٢٧ ، ٢٨ :

٢٧ — وايه يا ترى فى نظرك سبب المشكلة دى ؟

عدم تنظم النسل ( )
عدم تناسب السكان مع الأرض ( )
عدم وجـود صناعات ( )
الجهـل ( )

٢٨ — وتفتكر أيه هو الحل المناسب للمشكلة دى ؟

تحـديد النسل ( )
توزيع السكان ( )
زيادة عـدد المصانع ( )
التعليـم ( )
الهجرة للخـارج ( )
حلول اخرى (تذكر ....) .

٢٩ — يا ترى انت شخصيا تفضل الخلفة الكثيرة والا الخلفة القليلة ؟

الخلفة الكثيرة ( ) الخلفة القليلة ( )

فى حالة تفضيل الخلفة الكثيرة يسئل السؤال رقم ٣٠ وفى حالة تفضيل الخلفة القليلة يسئل السؤال رقم ٣١ :

٣٠ ـ ايه فى رأيك فايدة ان الواحد يكون عنده أولاد كثيرة ؟

كثرة الأولاد رزق ( )
العمل ومساعدة الاسرة ( )
كثرة الأولاد عزوة ( )
المال والبنون زينة الحياة الدنيا ( )
ذكرى لأبيهم ( )
حفاظا على الثروة ( )
فوائد أخرى (تذكر ...) .

٣١ ـ وايه فى رأيك فايدة العدد القليل من الأولاد ؟

تعليمهم وتربيتهم بطريقة أفضل ( )
المحافظة على صحة الأم ( )
كثرة السكان فى مصر ( )
عدم القدرة على اعالتهم ( )
فوائد أخرى (تذكر ...) .

٣٢ ـ تفتكر ان كثر الخلف بتخلى للراجل قيمة بين الناس ؟

نعم ( ) لا ( )

٣٣ ـ ايه فى رأيك الحاجات اللى بتخلى للواحد قيمة بين الناس ؟

مراقبة الأصل ( )
المال والغنى ( )
كثرة الأولاد ( )
الوظيفة الهامة ( )
الثقافة والاطلاع ( )
قوة الشخصية و الاخلاق ( )
الدين ( )

القرابة بالشخصيات الهامة ( )

أشياء أخرى (تذكر ...)

٣٤ ـــ وتفتكر ان كثرة الخلفة بتخلى للست قيمة بين الستات ؟

نعـــم ( ) لا ( )

(ب) قيم خاصة بالنوع :

٣٥ ـــ يا ترى بتحب خلفة الصبيان واللا البنات ؟

صبيان ( ) بنات ( ) لا تفضيل ( )

لمن يفضل الصبيان يسئل السؤال رقم (٣٦)

٣٦ ـــ أيه يا ترى السبب اللى خلاك تحب خلفة الصبيان ؟

قدرة الذكر على العمل الانتاجى ( )

قوة العائلة فى عدد ذكورها ( )

الاعتماد على الذكر فى وقت الشدة ( )

الذكور يحملون اسم العائلة ( )

الرجال قوامون على النساء ( )

أسباب أخرى (تذكر ....) .

٣٧ ـــ وايه اللى بيحصل لما يكون المولود ولد ؟

يزيد الاهتمام بالأم ( )

يعم الفرح العائلة ( )

اقامة حفـل كبير ( )

شىء طبيعـــى ( )

٣٨ ـــ طيب وايه اللى بيحصل لما يكون المولود بنت ؟

تـــلام الأم ( )

لا يهتم بالمولود ( )

يتشاءم الأب والأم ( )

لا يحتفل بالمولود ( )

شيء طبيعي ( )

٣٩ ــ فيه ياترى حد من أولادك له معزة خاصة عندك ؟

ذكر ( ) أنثى ( ) لا يوجد ( )

في حالة التفضيل يسئل السؤال رقم (٤٠) .

٤٠ ــ ايه ياترى السبب في كده ؟

اول طفل أنجبه ( )

يشبه أحد الوالدين ( )

آخر طفل أنجبه ( )

تمت ولادته في ظروف سعيدة ( )

أسباب أخرى (تذكر ....) .

(جـ) قيم خاصة بالحمل والزواج :

٤١ ــ فيه ناس بيمتنعوا عن الزواج وبيفضلوا يعيشوا عزاب ..

ايه رأيك فيهم ؟

على صواب ( ) على خطأ ( )

ناس غير طبيعيين ( ) كل شخص حر ( )

آراء أخرى (تذكر ...) .

٤٢ ــ لو حصل ان فيه ست متخلفش .. ايه المفروض يحصل ؟

تطلق ( ) يتزوج الزوج عليها ( )

يرضى الزوج بنصيبه ( ) تذهب للطبيب ( )

تزور أحد المشايخ ( )

٤٣ ـ طيب ولو حصل ان فيـه راجل مبيخلفش ... ايـه المفروض يحصـل ؟

الست تطلب الطلاق ( ) الســت ترضى بنصيبها ( )

يزور أحـد المشايخ ( ) يذهب للطبيب ( )

أشياء أخرى (تذكر .....) .

٤٤ ـ يا ترى عاوز تعلم أولادك ، واللا تفضل تشغلهم وهم صغار ؟

يفضل التعليم ( ) يفضل العمل ( )

البعض يتعلم والبعض يعمل ( )

٤٥ ـ ولما يكبروا هتجوزهم من العيلة واللا من خارج العيلة ؟

من داخل العائلة ( ) من خارج العائلة ( )

لا أتدخل فى اختيار زوجاتهم ( ) لا أستطيع الحكم ( )

٤٦ ـ ويا ترى تحبهم لما يتجوزوا يخلفوا ولاد كثير ، واللا يخلفوا ولاد قليلين ؟

كثير ( ) قليل ( )

حسب رغباتهم ( )

***

الملحق رقـم (٤)

نموذج لاستمارة مقابلة احتياجات المرأة الريفية
واتجاهاتها نحو بعض قضايا التنمية
فى المجتمع الريفى المصرى (١)

---

(١) مركز دراسات المرأة والتنمية بكلية البنات الاسلامية : احتياجات المرأة فى جمهورية مصر العربية ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهـــرة ١٩٨٠ .

أولا : البيانات الأساسية

١ ــ الاســــم : ــــــــــــ

٢ ــ الســــن : ــــــــــــ

٣ ــ الحالة الاجتماعية :

آنســة ( )

أرملة ( )

مطلقة ( )

متزوجة ( )

٤ ــ عدد الأولاد :

ذكور ( ) اناث ( )

٥ ــ عدد الأبناء الذكور الذين ما زالوا فى سن التعليم ( )

٦ ــ عدد البنات اللاتى مازلن فى سن التعليم

٧ ــ حجم الملكية الزراعية للزوج :

أقل من فــدان	(١)	من ١ ــ أقل من ٥	(٢)
من ٥ ــ أقل من ١٠	(٣)	من ١٠ ــ أقل من ٢٠	(٤)
٢٠ فأكثــر	(٥)	لا يملك أرضا على الاطلاق	(٦)

٨ ــ حجم الملكية للزوجة :

أقل من فــدان	(١)	من ١ ــ أقل من ٥	(٢)
٥ ــ أقل من ١٠		من ١٠ ــ أقل من ٢٠	(٤)
٢٠ فأكثــر	(٥)	لا تملك	(٦)

٩ — عمل الزوج :

عمل زراعى (١) عمل حرفى خاص (٢)

عامل بالحكومة (٣) موظف متوسط (٤)

مهن عليا (٥) لا يعمل (٦)

١٠ — عمل الزوجة :

متفرغة لاعمال المنزل (١) تقوم بعمل زراعى (٢)

موظفـــة (٣) أعمال خدمة (٤)

أعمال أخرى (تذكر ...) .. (٥)

١١ — دخل الزوج السنوى بالجنيه :

دخل منخفض (أقل من ١٠٠ ج) (١)

دخل متوسط (من ١٠٠ — أقل من ٣٠٠ ج) (٢)

فوق المتوسط (من ٣٠٠ — أقل من ٥٠٠ ج) (٣)

دخل مرتفع (من ٥٠٠ فأعلى) (٤)

ليس له دخل (٥)

١٢ — دخل الزوجة السنوى بالجنيه :

دخل منخفض (أقل من ١٠٠ ج (١)

دخل متوسط (من ١٠٠ — أقل من ٣٠٠ ج) (٢)

دخل فوق المتوسط (من ٣٠٠ — أقل من ٥٠٠ ج) (٣)

دخل مرتفع (٥٠٠ فأكثر) (٤)

ليس لها دخل (٥)

ثانيا : الاحتياجات الاقتصادية

١٣ — يا ترى مين اللى ماسك مصاريف البيت ؟

الزوجة (١) الزوج (٢) الحماه (٣)

أحد الأبناء (٤) غير محدد (٥)

١٤ ــ طيب يا ترى انتو بتوزعوا ميزانية الأسرة على مطالب البيت المختلفة ، يعنى جزء للأكل ، وجـزء للبس ، وجـزء لمصـاريف الأولاد ، ولا بتسيبوها للظروف ؟

تنظيم ميزانية البيت فى بنود	(١)
يتم الصرف حسب الظروف	(٢)
لا اعرف	(٣)

١٥ ــ فيه ناس لما تقول لها تعمل حسـابها فى الصرف تقولك يا عم اصرف ما فى الجيب يأتيك ما فى الغيب ، يا ترى ايه رايك فى المثل ده ؟

أوافق عليه تماما	(١)
أوافق فى بعض الأحيان	(٢)
لا أوافق عليـه	(٣)
لا أعـرف	(٤)

١٦ ــ يا ترى دخلكم بيكفى مطالب الاسرة ولا بيقل عن المطلوب ولا بيزيد عن حاجتكم ؟

الدخل كـاف	(١)
يقل عن المطلوب	(٢)
يزيد عن الحاجة	(٣)
يختلف باختلاف الأحوال والظروف	(٤)
لا اعـرف	(٥)

فى حالة الاجابة بأن الدخل يقل عن المطلوب تسأل السؤال رقم (١٧)

١٧ ــ طيب وبتعملوا ايه فى المعيشة لما دخلكم ما بيكفيش ؟

نلجأ الى الاستدانة	(١)
نشترى بالأجـل	(٢)
نبيع بعض الممتلكات	(٣)
اجابات أخرى (تذكر ....) .	(٤)

١٨ ــ يا ترى لو كانَ معاكى فلوس زيادة عن حاجتكِ تعملى بيها ايه ؟

استثمر الفلوس فى أى مشروع (١)

ادخر الفلوس فى البنك او فى البريد (٢)

اشترى بها مصاغ ذهب (٣)

اصرف الفلوس (٤)

لا أعــرف (٥)

أخرى (تذكر ....) . (٦)

١٩ ــ يا ترى انتى بتقومى بأى نشاط فى البيت لزيادة دخل الأسرة ؟ واذا كان فيما هــو ؟

تربية دواجن (١)

تربية مواشى (٢)

صناعات منزلية : (جبن ــ سمن) (٣)

لا أقوم بشىء (٤)

أخرى (تذكر ...) . (٥)

ثالثا : الاحتياجات التعليمية

٢٠ ــ يا ترى سبق لك انك دخلت مدارس ؟ (تذكر الحالة التعليمية)

مؤهل عــالى (١)

مؤهل متوسط (٢)

ابتدائية (٣)

تقرأ وتكتب (٤)

لا تقرأ ولا تكتب (٥)

٢١ ــ فيه ناس بيقولوا محو امية السيدات امر ضرورى ؟
وناس بيقولوا انه مالوش لازمة ، يا ترى انتى رايك ايه ؟

اعتقد أن محو أمية السيدات أمر هام جدا (١)

اعتقد أن محو أمية السيدات ليس له ضرورة (٢)

ليس فى كل الأحوال (٣)

لا اعــرف (٤)

٢٢ ــ يا ترى أيه نوع التعليم اللى تفضليه لأولادك الصبيان ؟

تعليم عالى	(١)
تعليم متوسط	(٢)
تعليم الفلاحة	(٣)
تعليم صنعة	(٤)
حسب الظروف	(٥)
لا أعــرف	(٦)

٢٣ ــ طيب بالنسبة للبنات تفضلى انهم يتعلموا لغاية أى مرحلة ؟

تعليم عــالى	(١)
تعليم متوسط	(٢)
تعليم القراءة والكتابة	(٣)
حسب الظروف	(٤)
مش لازم تعليم	(٥)

٢٤ ــ يا ترى عندكم هنا فصول او جمعية من أى نوع لتعليم الانــاث التفصيل او الخياطة أو بعض الصناعات المنزلية :

نعم (١) لا (٢) لا أعرف (٣)

اذا كانت الاجابة بنعم تسئل السؤال رقم (٢٥)

٢٥ ــ هل سبق لك او لبناتك الاستفادة من هذه الخدمات التعليمية ؟

لم يستفد أحد (١) الأم (٢) البنات (٣)
الأم والبنات (٤)

فى حالة الاجابة على السؤال رقم (٢٤) بـ « لا » تسئل السؤال رقم (٢٦) :

٢٦ ــ طيب لو الحكومة او الأهالى عملوا مركز أو فتحوا فصــول لتعليم الخياطة أو بعض الصناعات المنزلية ، يا ترى تروحى فيها أو تودى فيها بناتك ؟

أذهب فيها بنفسى (١) أرسل بناتى (٢)
أذهب أنا وبناتى (٣) لا أذهب (٤)
لا أعــرف (٥)

٢٧ ـ ياترى بيعملوا هنا فى البلد اجتماعات للستات لتوعيتهم بالمسائل الصحية أو لتنظيم الأسرة أو للمساعدة على حل مشكلات الأسرة ؟

نعم (١) لا (٢)

٢٨ ـ لما بنتكم أو بنت قريبتكم تيجى تتجوز ، يا ترى هل بتاخدوا رأيها فى العريس المتقدم ؟

يؤخذ رأى البنت (١) لا يؤخذ رأيها (٢) حسب الظروف (٣)

رابعا : الاحتياجات الصحية والغذائية

٢٩ ـ فيه ناس لما تصاب بمرض ، تروح المشايخ أو تعمل وصفات بلدية ، يا ترى انتى بتوافقى على الكلام ده ؟

نعم (١) أحيانا (٢) لا أوافق (٣)

٣٠ ـ طيب لا قدر الله .. حد من العيلة أصيب بمرض بتعملوا ايه ؟

نذهب لطبيب الوحدة (١)
نذهب لأحد الأطباء فى المركز (٢)
نستعمل وصفات بلدية (٣)
نأخذ أدوية معروفة دون الرجوع للطبيب (٤)
حسب الظروف (٥)

٣١ ـ يا ترى انتى بتقومى بتطعيم أولادك الصغيرين فى مكاتب الصحة ؟

نعم (١) مش دايما (٢) لا (٣)

٣٢ ـ فيه ناس بتقول ان الأكل المفيد للجسم له شروط ومواصفات . يا ترى سمعت عن الكلام ده ؟

نعم (١) لا (٢)
فى حالة الاجابة بنعم تسئل السؤال رقم (٣٣)

٣٣ ـ طيب تقدرى تقوليلى الأكلة المغذية فى نظرك ؟

٣٤ ـ فيه هنا فى البلد وحدة صحية تفتكرى انها قايمة بدورها كويس فى خدمة البلد ؟

نعم (١) الى حد ما (٢) لا (٣)

فى حالة اجابتها بعدم قيام الوحدة الصحية بواجبها على الوجه الاكمل ، تسئل السؤال رقم (٣٥)

٣٥ ـ وما هو السبب فى ذلك من وجهة نظرك ؟

كثرة تغيب الدكتور	(١)
اهمال الدكتور	(٢)
اهمال العاملين فيها	(٣)
عدم وجود أدوية كافية	(٤)
بعد الوحدة عن البلد	(٥)
أخرى (تذكر ...) .	(٦)

خامسا : تنظيم الأسرة

٣٦ ـ يا ترى سمعت عن فكرة تنظيم الأسرة ؟

نعم (١) لا (٢)

فى حالة الاجابة بنعم تسئل السؤال رقم (٣٧)

٣٧ ـ طيب وايه المصدر اللى سمعت منه عن تنظيم الأسرة ؟

الراديو	(١)	التليفزيون	(٢)
الناس فى البلد	(٣)	الوحدة الصحية	(٤)
مركز تنظيم الأسرة فى البلد	(٥)	أخرى (تذكر ...)	(٦)

٣٨ ـ فيه ناس لما نقول لهم لازم تنظموا خلفتكم يقولوا يا سيدى سيبها للظروف ، يا ترى انت رأيك ايه ؟

نتركها للظروف (١) نتحكم فيها (٢) لا أعرف (٣)

٣٩ ـ فيه ناس بيقولوا ان التحكم فى الخلفة ضد الدين بتوافقى على الراى ده ؟

نعم (١) لا (٢) لا أعرف (٣)

٤٠ ـ فيه ناس بتقول ان الست الكويسة هى اللى تملا البيت عيال تفتكرى ان ده صحيح ؟

نعم (١) لا (٢) لا أعرف (٣)

٤١ ــ طيب انتى بتوافقى على فكرة تنظيم الخلفة ؟

نعــم (١) لا (٢)

فى حالة الاجابة بنعم تسئل السؤال رقم (٤٢)

٤٢ ــ طيب وانتى فعلا بتقومى بتنظيم الخلفة ؟

نعــم (١) لا (٢)

فى حالة عدم الموافقة على تنظيم الأسرة تسئل السؤال رقم (٤٣)

٤٣ ــ وما هى الأسباب ؟

لأسباب دينية	(١)
لطــاعة الزوج	(٢)
الاحتفاظ بالزوج	(٣)
الخلفة الكثيرة ترفع من مكانة المرأة	(٤)
أخرى (تذكر ...) .	(٥)

سادسا ــ المشاركة الاجتماعية

٤٤ ــ يا ترى سمعتى عن مجلس القرية ؟

نعــم (١) لا (٢)

فى حالة الاجابة بنعم تسئل السؤالين رقمى (٤٥ ، ٤٦)

٤٥ ــ تقدرى تقوليلى هو المجلس ده بيتكون من مين ؟

٤٦ ــ تفتكرى ان المجلس ده مكان حكومى ولا شعبى ؟ يعنى زيه زى الوحدة الصحية والمدرسة والا بيختلف ؟

مكان حكومى (١) مكان شعبى (٢) لا أعرف (٣)

٤٧ ــ يا ترى فيه فى البلد جمعية أو نادى او اى جهــة بتجتمع فيهــا الستات لمناقشة مشكلاتهم ومحاولة حلها ؟

نعــم (١) لا (٢)

فى حالة الاجابة بـ « لا » تسئل السؤال رقم (٤٨)

٤٨ ــ تحبى ان البلد يكون فيها جمعية او نادى ؟

نعــم (١) لا (٢)

٤٩ ــ لو ان جيرانك طلبوا منك مساعدة أو سلفة ، يا ترى هل تعمليها ؟

نعــم (١) لا (٢)

٥٠ ــ لو أن مجلس القرية أو الوحدة الصحية عملوا اجتماع للستات علشان يفهموهم أمور تتعلق بالنواحى الصحية أو بتنظيم الأسرة .. يا ترى تروحى تحضرى الاجتماع ؟

نعم (١) حسب الظروف (٢) لا (٣)

٥١ ــ لو ان البلد عملت مشروع النظافة ، وطلبوا منك المساهمة بالفلوس أو بالجهد أو بأى حاجة ، تقبلى تساهمى ؟

نعم (١) حسب الظروف (٢) لا (٣)

٥٢ ــ طيب لو عملوا مشروع لمحو الأمية ، ياترى تشتركى فيه او تنصحى غيرك بالاشتراك فيه ؟

نعم (١) لا (٢)

٥٣ ــ هل لك تذكرة انتخاب ؟

نعم (١) لا (٢)

٥٤ ــ يا ترى مين فى نظرك الست الكويسة اللى تعجب جوزها وافراد أسرتها وتكون محترمة فى البلد ؟

السيدة المتعلمة (١) السيدة العاملة (٢)

السيدة التى تهتم بتربية أولادها (٣) السيدة التى تهتم بمطالب زوجها (٤)

السيدة التى تحسن شغل البيت (٥) السيدة المتدينة (٦)

السيدة الجميلة (٧) السيدة التى تنتمى لأسرة عريقة (٨)

أخرى (تذكر ...) . (٩)

٥٥ ــ فيه ناس لما يلاقوا مشكلة فى البلد زى قلة المياه أو عدم النظافة أو عدم وجود مدارس كافية يقولوا ان الحكومة عليها أن تحل هذه المشاكل تفتكرى مين المسئول عن حل هذه المشاكل ؟

الحكومة وحدها (١) الأهالى (٢) الجهد المشترك (٣)

***

معجم انجليزى – عربى
المفاهيم الواردة بالكتاب

A

Abstraction	تجـريد
Ambiguity	التباس – غموض
A priori	قبلى
A Posteriori	بعـــدى
Analysis	تحـليل
Analysis of Variance	تحليل التباين
Arbitrary	تحكمى – تعسفى
Area Sample	عينة مساحية
Atitudes	اتجـــاهات
Auto-Biographies	سير خاصة (ذاتية)
Averages	متوسطات

B

Basic Factor	العامل الأساسى
Bias	تحـــيز

C

Case Study	دراسة الحالة
Case Work	خدمة الفرد
Categories	فئـــات
Cause	سبب – علة
Chance Error	خطأ الصـــدفة
Checking Questions	أسئلة المراجعة
Classification	تصنيف
Clinical Interview	مقابلة اكلينيكية
Cluster Sample	عينة التجمعات
Coding	ترميز
Coefficient	معامل
Commonn Sense	الرأى البادة المشترك
Complete Induction	استقراء تام
Concept	مفهوم
Consistent	خال من التناقض

Content Analysis	تحليل المحتوى
Continuous Values	قيم متصـــلة
Control Group	عينة ضابطة
Controlled Sample	عينة مقيدة
Correlates	المتعلقات
Correlation	أرتباط
Countér-Proof	دليل عكسي
Critérion	محك ـ علامة ـ فيصل
Cross-Sectional Studies	دراسات مستعرضة

D

Data Collection	جمع البيانات
Deduction	قيـــاس
Dependent Variable	المتغير المعتمد
Deseriptive Studies	دراسات وصفية
Diaries	يوميات
Discrete Values	قيم متقطعة
Dummy Tables	جداول صماء
Dynamic	ديناميكي ـ حركي

E

Effect	نتيجة ـ أثر ـ معلول
Empiricial	أمبيريقي
Equal Appearing Intervals	فترات متساوية البعد
Equivalent	مكافئ ـ معادل
Essence	ماهيـــة
Evidence	بينـــة
Experiment	تجربـــة
Experimental Design	تصميم تجريبي
Experimental Group	جماعات تجريبية
Exploratory Studies	دراسات كشفية

F

Fact	حقيقة ـ واقعة
Factor	عامل
Field	مجال

Focused Interview	مقابلة بؤرية
Historical Method	دراسات صياغية
Frequency	التكرار
Functional	وظيفى
Funnel Approach	الترتيب القمعى
G	
Generalizations	تعميمات
H	
Heterogeneity	الاختلاف
Historical Method	المنهج التاريخى
Homogeneity	التشابه ـ الانسجام
Hypothesis	فرض
I	
Idea	فكرة
Ideal	مثل أعلى ـ نموذجى
Identical	متطابق ـ عينى
Implicit	ضمنى
Independent Variable	متغير مستقل
Index	معامل
Induction	استقراء
Informant	اخبـارى
Insight	استبصار
Integration	تكامل
Interpretation	تأويل
Interview	مقابلة ـ استبار
Interviewing Schedule	استمارة مقابلة
Item Analysis	تحليل الوحدات
J	
Judgment	حـــكم
L	
Law	قـانون
Latent	كـامن
Leading Questions	أسئلة ايحائية
Life History	تاريخ الحياة
Longitudinal Study	دراسة طولية

M

Mailed Questionnaire	استبيان بريدى
Matching Technique	طريقة المزاوجة بين الجماعات
Mathematical Models	النماذج الرياضية
Matrix	مصفوفة
Mean	متوسط (فى الاحصاء)
Median	وسيط (فى الاحصاء)
Method	منهج – طريقة
Method of Agreement	طريقة الاتفاق
Method of Disagreement	طريقة الاختلاف
M. of Concomitant Variation	طريقة التلازم فى التغير
Multiple Hypotheses	الفروض المتعددة

N

Norm	معيار
Normative Studies	دراسات معيارية (وصفية)
Null Hypothesis	الفرض الصفرى

O

Object	موضوع
Objective	موضوعى
Objectives	أهـداف
Observation	ملاحظة
Open Questions	أسئلة مفتوحة
Operational Definition	تحـديد اجرائى
Operational Design	تصميم اجرائى

P

Paired Comparison	المقارنة الزوجيـــة
Pattern	نموذج – قالب
Perception	الادراك الحسى
Population	مجتمع
Postulates	مسلمات
Practical Research	بحث عملى
Probability	احتمال
Probes	أسئلة نابشة
Problem	مشكلة – موقف مشكل

Projective Techniques	أســـاليب اسقاطية
Proof	حجة ـ دليل برهان
Pure Research	بحث علمي بحت
Purposive Sample	عينة عمدية

Q

Qualitative Data	بيانات كيفية
Quantitative Data	بيانات كمية
Quasi-Scale	شبه مقياس
Questionnaire	استبيان ـ استفتاء
Quota Sample	عينة حصية

R

Random	عشوائى
Rating Scales	مقياس التقدير
Raw Score	درجة خام
Reliability	الثبات
Research Design	تصميم البحث
Representative	ممثلة
Respondents	المستجيبون

S

Sample	عينـــة
Significance	دلالة
Simple Observation	الملاحظة البسيطة
Social Distance	البعد الاجتماعى
Sociometry	القياس الاجتماعى
Sources of Data	مصادر البيانات
Split-Half Method	طريقة التقسيم النصفى
Standardization	تقنين (الاختبارات)
Statistics	احصاء ـ مقاييس احصائية
Stratified Sample	عينة طبقية
Structured Interview	مقابلة مقننة
Subjective	ذاتى
Survey	مسح
Systematic Observation	ملاحظة منظمة
Systematic Sample	عينة منتظمة

T

Tabulation	تبويب
Technical Terms	مصطلحات علمية
Technique	أداة
Test	اختبــــار
Theory	نظرية
True score	الدرجة الحقيقية
Type	نمط ـ طراز
Type of Research	نمط البحث

U

Unidimentional	احادى البعد
Universality	عمومية

V

Validity	صحة ـ صدق
Variables	متغيرات
Variance	تبــــاين
Verification	تحقق

W

Weihgt	ترجيح
Working Guide	دليل العمل

Z

Zero Point	نقطة الصفر

***

محتويات الكتاب

الصفحة

الباب الثالث : تصميم البحوث الاجتماعية

(١١٩ - ٢٠٨)

الباب الرابع : مناهج البحث الاجتماعي

(٢٠٩ - ٣٠٤)

الباب الخامس : وسائل جمع البيانات

(٣٠٥ - ٤٣٤)

الصفحة

الباب السادس : جمع البيانات وتصنيفها
وتبويبها وتفسيرها وكتابة التقرير
(٤٣٥ ـ ٥١٤)

ملحقـــات
(٥١٥ ـ ٥٧٦)

***

رقم الأيداع بدار الكتب : ٨٣٦١/ ٨٩

الترقيم الدولي : ٠ – ٢٠١ – ٣٠٧ – ٩٧٧

طبع بالمطبعة الفنية – ت : ٣٩١١٨٦٢